



الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والبلاغة

من بلاغة القرآن الحكيم في

حديثه عن المال

دراسة تحليلية بلاغية

للحصول على درجة الدكتوراه باللغة العربية

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور عادل محمد محمد الأكرت

أستاذ البلاغة في الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان

إعداد الطالب: عبد الجبار بن عبدالستار

رقم التسجيل: - FA-PhD-F07 | 95

العام الدراسي 2013-2014م

LIBRARY

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤرخة

Acc # TH-22371

PhD

٧٥ و ٤٩٧

ع ب م

لغة عربية - بحوث  
لغة عربية - قواعد  
لغة عربية - بلاغة  
لغة عربية - قرآن حكيم  
لغة عربية - احوال

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان  
كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية

مناقشة رسالة الدكتوراه والحكم عليها

نوقشت رسالة الدكتوراه التي كان عنوانها: " من بلاغة القرآن الحكيم في حديثه عن المال"  
( دراية تحليلية بلاغية )

يوم : 25 مارس 2020 م

لجنة المناقشة

| أعضاء اللجنة        | أسماءهم                                 | توقيعاتهم                                     |
|---------------------|-----------------------------------------|-----------------------------------------------|
| المشرف على الرسالة: | حضرة الأستاذ الدكتور عادل محمد الأكرت . | DR. Adel participated<br>V. Vote / High Skip. |
| المناقش الخارجي (1) | فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالكبير محسن.   |                                               |
| المناقش الخارجي (2) | فضيلة الأستاذ الدكتور نبيل الفولي .     |                                               |
| المناقش الداخلي     | الأستاذ الدكتور رفعت علي .              | رفعت علي محي                                  |

رئيس قسم الأدب والبلاغة : حضرة الأستاذ الدكتور مؤيدفاضل :

عميد كلية اللغة العربية : فضيلة الدكتور حافظ محمد بشير :

Dean  
Faculty of Arabic  
International Islamic University  
Islamabad.

الدرجة التي نالها الطالب : 90 تسعون درجة

صاحب الرسالة : الطالب عبد الجبار بن عبد الستار.

## الإهداء

كانت شخصيتان عظيمتان أحدهما أخرجني من حيز العدم إلى عالم الوجود وتسبب لي الحياة المادية ثم مهَّد لي من المهد الطريق إلى الحياة المعنوية الأبدية بتعليمي القرآن الحكيم بألفاظه ومعانيه والعلوم المساعدة لفهم القرآن والسنة أكثر وأكثر وربَّاني صغيراً فأحسن تربيته دينية كاملة وتحمَّل في سبيل ذلك من الصعوبات والمشاقِّ ما تحمَّل حتى أوقفني على الصراط المستقيم وهو والذي العزيز العالم الكبير عبدالستار بن خدا بخش رحمه الله تعالى رحمةً واسعة وأدخله أعلى جنات الفردوس. والشخصية العظيمة الأخرى الذي سلك بي على طريق الشعور والوعي الديني الجامع وأضاء لي للسلوك على طريق فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبارك وسلم فهماً صائباً جامعاً، أضاء لي ضوءاً يفوق ضوء الشمس في نصف النهار، ضوءاً انضحت لي به معالم الشريعة والطريقة والاجتماعية الدينية (السياسية الشرعية) وهو شيخني ومرشدي إمام عصره وفريد دهره الذي لو سميت مجدِّ العصر لما كنت مبالغاً وهو الإمام الشاه سعيد أحمد الرائيقوري عليه آلاف آلاف رحمة من الله ورفع الله درجاته في الفردوس الأعلى، فيسعدني اليوم أن أهدى جهدي القصير هذا إلى روحه المقدسة المطهرة وإلى روح والذي العزيز رحم الله تعالى رحمة واسعة - اللذين بفضل الله وتوفيقه ثم بتوجيهاتهما ودعواتهما وتربيتهما لي وصلتُ إلى ما وصلتُ من هذه الدرجة العلمية.

أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد اليسير قبولاً حسناً لا ابتغاء وجهه الكريم ويبارك فيه بركة عظيمة ويجعله صدقةً جاريةً لهما خاصة ولأُمِّي العزيرة رحمها الله تعالى ولكلِّ من علَّمني من الخير شيئاً من أساتذتي ومشائخي رحمهم الله من انتقل منهم إلى دار البقاء وبارك الله في حياة من بقي منهم حياً يرزق، وأدام الله لي منهم جميعاً وصول الفيوض والبركات العلمية والروحية، وأن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً نفعاً عظيماً لجميع عباده المؤمنين في فهم كتابه العظيم القرآن الحكيم فهماً صائباً وفي فهم وإدراك حكمته البالغة وبلاغته العالية فهماً وإدراكاً عميقاً وواسعاً وشاملاً، وما ذلك على الله بعزيز. آمين برحمتك يا أرحم الراحمين

## الشكر والامتنان

قال الله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ....)

وقال تعالى: (وسيجزي الله الشاكرين)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

فأولاً: أشكر الله الذي بتوفيقه تتم الصالحات ومنه النعمة كلها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فحمداً لله رب الأكرام وشكراً له على ما أنعم، ووَفَّقني لهذا العمل الذي لو لا توفيقه لما استطعت إنجاز شيء منه أصلاً فله الحمد عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم. فلا أحصى ثناء عليه كما يليق بشأنه الأعظم ولا أستطيع إيفاء الشكر على ما أنعم.

وأصلي وأسلم على أطيب عباد الله وأفضل رسله محسن الكائنات سيدنا محمد الذي ببركته تُصلُّ الكائنات جميعُ البركات صَلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين وبارك وسلم أفضل صلواته وأعظم بركاته وأطيب وأكرم تحياته وتسليماته آلاف آلاف مرة بعدد كل ذرة.

ثم أنا اليوم أولاً أقدم نفحات التشكر والامتنان إلى أكبر مشائخ الأزهر الشريف إمام البلاغين وخرجاني عصره شيخني الأول في علوم البلاغة حضرة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد عبدالله الخولي مدَّ الله سبحانه وتعالى ظله المبارك لنفع عباده وأدام الله لنا فيوضه العلمية والروحانية لفهم بلاغة القرآن الحكيم، ثم أقدم أجزل شكري لأستاذي وشيخي ومشرقي فضيلة الأستاذ الدكتور عادل محمد محمد الأكرت الذي لم يأل جهداً في إرشادي الكامل بكل طريقة ولم يَضِنَّ عليَّ بشيء من علمه الغزير وساعدني أكثر من مأمولي فجزاه الله خير الجزاء في الدنيا والعقبى، وجعله في ميزان حياته يوم الجزاء، آمين.

وأرى من الواجب عليَّ تقديم الشكر لكل من ساهم وشارك في تعليمي وتربيتي وساعدني حسيماً ومعنوياً بتعليمه إياي وإرشاداته ودعوته وعلى رأسهم شيخني ومرشدي وأستاذي في تفسير القرآن الحكيم حضرة الشيخ المفتي عبد الخالق آزاد الرائيפורي الخامس وحامل أمانة السلسلة العالية الرحيمية الرائيפורية بعد وفاة شيخني الأكبر سعيد أحمد الرائيפורي (ت 143 هـ، 2012 م) رحمه الله تعالى رحمة واسعة، شيخ

الحديث والتفسير ومدير الإدارة الرحيمية للعلوم القرآنية بـلاهـور - باكستان)، وكذلك شيخـي وأستاذـي  
في تفسير القرآن الحكيم أيضاً المفتي الأعظم العلامة التحرير فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد الرحمن الأعوان  
رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بهاء الدين زكريا، ملتان - باكستان.  
وكذلك كل من ساعدني في هذا الطريق أيّ مساعدة بأيما طريقة، جزاهم الله كلهم خيراً في الدنيا والآخرة  
وتقبل الله من عبده الضعيف هذا الجهد اليسير والعمل المتواضع قبولاً حسناً وبارك فيه وجعله الله في  
ميزان حسنات والذّي ومشائخي وأساتذتي آمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

## مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر الظالمين المسرفين ويبشّر المؤمنين العادلين بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب معجز من أجل بلاغته العالية التي لا يقدر عليها الإنس والجن كلهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وبلاغته تلك لمطابقة كل جزء صغير وكبير من نظمه لمقتضى محله ومقامه، كما قال إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني رحمه الله:

أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها...<sup>(1)</sup>

وقد عرف المتأخرون البلاغة بأنها مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، قال الخطيب القزويني: والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه<sup>(2)</sup>،

وقال:

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدمها<sup>(3)</sup>. والنظم القرآني كله من هذا الاعتبار واقع في الطرف الأعلى المعجز كما قال القزويني: ولها (أي للبلاغة أو مطابقة الكلام للاعتبار المناسب) طرفان: أعلى: وهو حد الإعجاز وما يقرب منه وأسفل...<sup>(4)</sup>

(1) - دلائل الإعجاز ص: 39 (المطبع في مكتبة المعارف - الرياض).

(2) - تلخيص المفتاح للقزويني رحمه الله تعالى ص: 4. (المطوع في مطبعة سعيد لم ابيح كمبي أدب منزل كراتشي وسة الطباعة ليست مكتوبة).

(3) - تلخيص المفتاح ص: 4-5

(4) - المرحع السابق ص: 5.

وإن خدام القرآن من المفسرين والبلاغيين في كل عصر قد حاولوا البحث عن الأسرار البلاغية للنظم القرآني وما أكثر تلك المباحث في كتبهم، وها إليكم مثالا جميلا لتحليل آية من القرآن الحكيم تحليلا بلاغيا للإمام عبد القاهر الجرجاني مشيرا إلى مبدأ البلاغة في تلك الآية، يقول:

وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)<sup>(1)</sup>. فتحلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع! أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض.<sup>(2)</sup>

وزاد الجرجاني رحمه الله تعالى قائلا:

وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ "يا" دون "أي" نحو: يا أيها الأرض. ثم إضافة "الماء" إلى الكاف دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها. ثم أن قيل: "وغيض الماء". فحاء الفعل على صيغة "فَعِلَ" الدالة على أنه لم يفيض إلا بأمر أمر وقدره قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "قضى الأمر". ثم ذكر ما هي فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي". ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن. ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بـ "قيل" في الفاتحة<sup>(3)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى في تفسير الآية نفسها:

نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: (يا أرض)،  
(ويا سماء) ثم أمرها بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله:

(1) - سورة هود، الآية: 44.

(2) - دلائل الإعجاز ص: 45 (المطبوع في مكتبة المعارف - الرياض).

(3) - دلائل الإعجاز ص: 45-46.

(ابلعي ماءك) و (أقلعي) من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممنعة عليه، كأنها عقلاء يميزون قد عرفوا عظمتة وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحت طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء<sup>(1)</sup>

فقد رأينا العالمين الجليلين كيف فسّر كل منهما الآية نفسها بطريقته تفسيرا بلاغيا جميلا. ورأى الباحث أن القرآن الحكيم قد أولى موضوع المال اهتماماً كبيراً، فقد ورد في القرآن الحكيم أكثر من ثلاثمائة آية فيما يتعلق بالمال، وتناول النظم الحكيم موضوع المال من جوانب شتى، بأساليب متنوعة تختوى على أسرار بلاغية جمّة.

وَوَجَدَ الباحث الدراسات السابقة أن الذين تناولوا موضوع المال باستقلال إنما تناولوه من الجانب الفقهي، لا البلاغي ككتاب الأموال لأبي عبيد قاسم بن سلام رحمه الله تعالى، والذين تناولوه من الجانب البلاغي فإنهم لم يتناولوه كموضوع مستقل جامع لجميع جوانب المال - التي تناولها النظم الحكيم منه -، وهم المفسرون رحمهم الله تعالى أجمعين وكذلك الذين ألفوا كتباً في علوم القرآن، فإنهم قد بينوا أسراراً بلاغية كثيرة في الآيات المتعلقة بالمال، ولكن ضمن تفاسيرهم العامة، ولم يتناول أحد حتى الآن جميع أو معظم تلك الآيات التي تحدث القرآن الحكيم فيها عن المال بدراسة بلاغية شاملة.

والمشكلة التي يواجهها العالم الإسلامي الآن هو اختلال النظام المالي لدى المسلمين من الإفراط والتفريط في أمره، وذلك لعدم إدراكهم أهمية هذا الموضوع وتفصيله كما اهتم به الذكر الحكيم ببلاغته المعجزة، والمشكلة الثانية عدم إدراك معظم علماء شبه القارة بلاغة القرآن الحكيم ومن أجل الخلل الواقع في أمر المال اختل النظام كُله وزال الأمن والسلام وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وأصبح الناس في أمر المال فِرَقاً، فمنهم من أهملوا أمره فسيبوا لمجتمعاتهم الفقر الذي كاد أن يكون كُفراً، بل قد كان، وفريق آخر قد أحبوا المال حباً جماً وأخذوا يتعبّدون له، وأفسدوا المعاملات المالية

(1) - تفسير الكشف للرمضاني ج 2 ص: 376، (المطوع في قديمي كتب حانه كراتشي).

كُلُّهَا وأخذوا يأكلون أموال الناس بالباطل من الربا والمعاملات والبيوع الباطلة والفسادة، ويفضبون من عباد الله المستضعفين وخاصة اليتامى والنساء والأوصياء حقوقهم، وانتشر في المجتمعات كُلُّهَا البخل مكان الإنفاق في سبيل الله والغصب والنهب مكان الجود، والسخاء، ومعظم العلماء المسلمين اليوم - من أجل ضعفهم في إدراك بلاغة الذكر الحكيم - لا يستطيعون إرشاد الأمة المسلمة بكتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل صلاة وتسليم حقَّ الإرشاد، فاختار الباحث لرسالته للحصول على شهادة الدكتوراه في البلاغة العربية الآيات القرآنية المقدَّسة التي تتحدَّث عن المال بشَتَّى جوانبه، للبحث عن الأسرار البلاغية للنظم الحكيم في بيان أهمية المال ومنافعه للناس مع بيان أخطاره وأضراره عليهم، وترغيبهم في كسب المال الحلال الطيب مع تطهير قلوبهم من حُبِّه - الذي يجعل هذه النعمة العظمى طامَّة كبرى للناس ويسبِّب دمار المجتمعات وهلاكها، وفي بيان الحقوق المالية وأحكام المعاملات والبياعات والديون والنهي عن الربا، وفي بيان أهمية الإنفاق في سبيل الله والترغيب فيه وذمَّ البخل والإمساك وبيان أحكام الإنفاق لعلَّ الله سبحانه وتعالى بفضله العظيم يجعلها إضافة مفيدة لعباده المؤمنين في مكتبة البلاغة لفهم جانب من جوانب بلاغة الذكر الحكيم والاهتداء بهدأته لإصلاح النظام المالي للمسلمين.

وسيقوم الباحث في هذه الرسالة بإذن الله تعالى و توفيقه بعملين:

أحدهما: البحث عن الأسرار البلاغية في الآيات المتعلقة بالمال في كتب السلف الصالحين، وتدوينها حسب الموضوعات التي قد أُشير إليها آنفاً.

والعمل الثاني: محاولة استنباط الأسرار البلاغية - أثناء البحث عنها في كتب السلف - في تلك الآيات على منهجهم وطريقتهم، وعلى ضوء القواعد البلاغية المعروفة لديهم.

فيشمل هذا البحث على ثلاثة أبواب، وكلُّ باب على فصول والفصول على مباحث.

الباب الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية المال ، وبيان ضرره ، وعلاج ذلك الضرر.

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية المال.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن في الدلالة على أهمية المال بتسميته "خيراً" وتكرار ذلك في آيات عديدة.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال بتسميته "فضلاً من الله" وتكرار ذلك في آيات كثيرة.

المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال في آيات أخرى كثيرة بأساليب شتى.

الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على ضرر المال على الإنسان.

الفصل الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهتي النظر، الصحيحة والخاطئة إلى المال وإصلاح وجهة النظر الخاطئة .

فهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الصحيحة إلى المال.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الخاطئة إلى المال.

المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في تطهير قلوب العباد من حب المال.

الباب الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق والمعاملات المالية.

ويشتمل هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق المالية.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الميراث والوصية.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق اليتامى المالية.

المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق النساء المالية من المهور وغيرها.

المبحث الرابع: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق النساء المالية في عدة الطلاق ووفاء أزواجهن.

الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام المعاملات المالية.  
ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام البيع والشراء.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الدين والرهن والنهي عن الربا.

الباب الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق وأحكامه وذم البخل والإمساك.  
ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق.

الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم البخل والإمساك.

وضمن هذا الفصل مبحث خاص: من بلاغة القرآن في ذم المنافقين بسبب البخل والإمساك.

الفصل الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الإنفاق.

وفي آخر البحث إن شاء الله تعالى تأتي خلاصة البحث ونتائجه، وفهارس الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار الواردة في البحث وفهرس الأعلام وفهرس الموضوعات.

وبالله التوفيق

التمهيد: (علاقة المال بحياة الإنسان)

## علاقة المال بحياة الإنسان

إن المال له علاقة قوية وعريقة وذات جهتين متعاكستين بحياة الإنسان المادية والروحية أو الخلقية . علاقة نفعية وضرورية في نفس الوقت.

فمن جهة: إنه لا بد منه لبقاء الحياة الإنسانية وإصلاح شؤونها الدينية والدنيوية، أو الخلقية والمادية،

ومن جهة أخرى: هو نفسه من أكبر أسباب دمارها وفساد شؤونها. فالقرآن الكريم ببلاغته المعجزة قد أوفى كل جانب حقه.

فإن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون طعام وشراب ودواء ولباس ومسكن ولا تطيب له الحياة بدون زوج وهذه الحاجات كلها لا يمكن حصولها بدون مال، وإذا كان الإنسان محروما من هذه الحاجات الأساسية الضرورية ومحتاجا فيها إلى غيره (سواء كان فردا أو أسرة أو شعبا) فإنه لا يمكن له أن يعصم عرضه وعزه وشرفه الإنساني ولا حرّيته من تعدي الآخرين ولا تستقيم أخلاقه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كاد الفقر أن يكون كفرا"<sup>(1)</sup>

وكما أنّ فقدان المال يُدمّر الحياة الإنسانية المادية والخلقية كذلك تفعل نفس الفعل كثرة المال المفرطة والتّرف والرفاهية البالغة فإن الإنسان - فردا كان أو أسرة أو شعبا- إذا أترف إترافا بالغا وأوفي عزائن قارون ولاسيما باستحصال الآخرين وإحباطهم فإنه يَتَفَرَّغُ ويفرح ويمرح ويستكبر ويستبدّ وتفسد أخلاقه كلها ويرتكب جرائم تفرّغ البشرية وتؤذي العالمين وتنتج الإبادة والتدمير والفساد الأكبر في البر والبحر كما قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)<sup>(2)</sup>.

(1)- مسند الشهاب ج 2 ص: 424، شعب الإيمان ح 5 ص: 367، الطبعة الأولى عام 1410 هـ مدار الكتب العلمية - بيروت.

وج 9 ص: 13، الطبعة الأولى عام 1423 هـ/ 2003 م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض.

(2)- سورة الروم، الآية: 41.

وقال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فُتِنَتْ مَسَاكِنتُهُمْ لَمَّ تَشْكُرْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) (1).

وقال تعالى: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) (2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فتنة أمتي المال" (3).

وقال تعالى: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ - أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْصَمَ" (4).

وإن مضار المال كلها - سواء أكانت على صاحب المال نفسه أم على غيره من أفراد وأسر وشعوب إنما تكون بسبب حب المال المفرط كما قال تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) (5).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "حب الدنيا رأس كل خطيئة" (6).

وقال أحد المشائخ الكبار: "المال للإنسان كالماء للسفينة لا تجري بدون ماء وإذا دخل الماء فيها فهو الذي يغرقها ويدمرها أيضا فلا بد لها منه ولكن لا بد أن لا يزال تحتها وأما إذا سطا وعلا عليها فهو الهلاك لها، كذلك المال لا بد منه للإنسان ولكن لا بد أن يبقى في يده وخارج قلبه وتحت حكم العقل والإيمان، وأما إذا دخل المال في قلبه وسطا وعلا وغلب على عقله فهو الذي يكون أكبر أسباب هلاكه في الدنيا وعذابه في الآخرة" (7).

(1) - سورة القصص، الآية: 58.

(2) - سورة الشورى الآية: 27.

(3) - مسند أحمد بن حنبل رحمه الله ج 29 ص: 15، ط. مؤسسة الرسالة 1999م، الطبعة الأولى.

(4) - سورة العلق، الآية: 6-7.

(5) - سورة الفجر، الآية: 17-20.

(6) - جامع الأصول في أحاديث الرسول ص: 4، ح 4، ص: 506 (الطبعة الأولى 1970م مكتبة دار البيان).

(7) - الشيخ سعيد أحمد الرائي فوري رحمه الله عليه (المتوفى 2012). (سمع الساحت هذا القول منه شفويا).

فالمال إن كان بيد عبد مؤمن بالله، ناصح لله والخلق فهو خيرٌ وفضلٌ من الله تعالى ونعمة عظمي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"(1)

وإن كان المال بيد إنسان كافرٍ أو فاسقٍ فإنه شرٌّ عليه وعلى غيره من الناس في الدنيا والآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام:

" إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أننى لى مالاً لعملت بعمل فلان فهو بينته، فأجرهما سواء وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل..."(2).

فلذلك نرى كتاب الله العزيز الحكيم قد اعتنى بهذه الجوانب كلها عنايةً بالغةً ببلاغته المعجزة في نظمته الكريم، ففيه آيات كثيرة تدل على أهمية المال للإنسان وفوائده الدينية والدنيوية له، وكذلك فيه آيات كثيرة تُنبئ الإنسان على مضارّ المال عليه في حياته الدنيوية والأخروية، وأيات كثيرة قد بين الله سبحانه وتعالى فيها أحكام كسبه وإنفاقه وتقسيمه ومبادلته والحقوق الواجبة على الإنسان في المال، وهناك عدد هائل من الآيات القرآنية التي نزلت خاصة فيما يتعلق بإنفاق المال من جوانب عديدة: من أهمية الإنفاق وذم البخل والإمساك، وأخرى في بيان أحكام الإنفاق.

(1)- أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة 1/ 25، وفي كتاب الزكاة باب إنفاق المال في حقه 2/ 108، وفي الأحكام: باب أخر من قضى بالحكمة، وباب ما جاء في اجتهد القضاة بما أنزل الله، وفي فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن، وفي التمني، وفي التوحيد. ورواه مسلم في صلاة المسافرين: باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه 1/ 558. ورواه أحمد 279/3، وابن ماجة في الزهد: باب الحسد، وابن أبي شيبة 557/10، والطحاوي 1/ 191. والبيهقي في "السنن" 4/ 189.

(2)- رواه الترمذي في حديث طويل عن عمرو بن سعيد رضي الله عنه.

## الباب الأول

## الباب الأول:

في البحث عن بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال،  
و ضرره و علاج ضرره.

### الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال.

قبل البدء في البحث عن كل آية على حدة ودلالاتها على أهمية المال يمكن أن يلاحظ أن القرآن الحكيم ذكر المال ثمانيا وثمانين مرة بصيغ مختلفة وفي سياقات متنوعة، وكذلك مجئ حوالى أربعمئة آية فيما يتعلق بالمال، فيه أكبر دلالة على أهمية المال لحياة الأفراد والجماعات والشعوب، فلولا أهميته البالغة لحياة الأفراد والمجتمعات لما اهتمَّ الذكر الحكيم في نظمه البليغ هذا الاهتمام الكبير بالمال.

## المبحث الأول: - من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال بتسميته " خيرا "

إذا بُحِثَ النظم القرآني آيةً آيةً فإن الباحث يجد عددا كبيرا من الآيات يدل بأساليبها البليغة  
العديدة على أهمية المال:

منها أنه قد سَمَّاهُ " خيرا " وتكرر ذكرُ المال بهذا الاسم ثلاث عشرة مرة في القرآن الحكيم .  
الآية الأولى التي سُمِّيَ المال فيها " خيرا " :  
قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ  
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)<sup>(1)</sup>.

فالقرآن الحكيم قد سَمَّى المال هنا " خيرا " كما قال الراغب أصفهاني رحمه الله عليه :  
" الخير " ههنا المال قليلاً كان أو كثيراً، وقال بعض الناس: الخير لا يتناول إلا الكثير.<sup>2</sup>  
وفي بيان السرِّ البلاغي لتعبير القرآن الحكيم عن المال هنا بـ " خيرا " زاد الأصفهاني قللاً :  
إن قيل: كيف سمي المال خيراً مطلقاً وقد قليل إن المال ليس خيراً مطلقاً حتى يراعي حال صاحبه فربما كان شراً  
له، وعلى هذا ذم الله تعالى في عام القرآن، وسماه تارة فتنة وتارة عدوا ؟  
فيل: إن المال كما يكون خيراً قد يكون شراً، لكن جعل الله تعالى ههنا خيراً تنبيهاً على أن الوصية يستحب في المال  
الطيب نون الخبيث والمغصوب، فلن ذلك يجب رده إلى أربابه .<sup>3</sup>

فيممَّا يمكن أن يلاحظ هنا أنه لما كان مقتضى المقام الاهتمام بأمر المال الذي يتركه الإنسان  
خلفه - كما يدلُّ عليه الأمر بالوصية به - استخدم الذكر الحكيم للمال كلمةً أفادت معنيين في آن  
واحد وهي كلمة " خيرا " فقد دلت هذه الكلمة على معنى المال مع الدلالة على أهميته أيضاً فيمكن أن  
يقال : إنه من بلاغة الإيجاز في القرآن الحكيم .

(1) - سورة البقرة، الآية: 180.

(2) - تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 382)

(3) - المرجع نفسه .

وكذلك قال الإمام أبو السعود: "(إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) أي مالا، وقيل مالا كثيرا." (1)،

واستدل الإمام أبو السعود على المعنى الثاني: أي مالا كثيرا بروايتين بل بثلاث روايات:

الأولى: عن علي رضي الله عنه أَنَّ مَوْلَى لَهُ أَرَادَ أَنْ يُوَصِّيَ وَلَهُ سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ فَمَنَعَهُ وَقَالَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) وَإِنْ هَذَا لَشَيْءٍ يَسِيرٌ فَاتَرَكْتَهُ لِعِيَالِكَ.

الثانية والثالثة: عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ الْوَصِيَّةَ وَلَهُ عِيَالٌ وَأَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ فَقَالَتْ:

مَا أَرَى فِيهِ فَضْلًا. وَأَرَادَ آخَرُ أَنْ يُوَصِّيَ فَسَأَلْتُهُ كَمْ مَالُكَ؟ فَقَالَ: ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ. قَالَتْ: كَمْ عِيَالُكَ؟

قَالَ: أَرْبَعَةٌ. قَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) وَإِنْ هَذَا لَشَيْءٍ يَسِيرٌ فَاتَرَكْتَهُ لِعِيَالِكَ" (2)

وأضاف الزمخشري في رواية علي رضي الله عنه المذكورة آنفا قوله: "لمولاه المحتضر: قال الله

تعالى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) والخير: هو المال وليس لك مال" (3)

ففي تسميته المال الكثير "خيرًا" أبلغ دلالة على أهمية المال لأن القرآن الكريم لما صرح بأن المال

ينفع الناس فبدهي أنه عند ما يكون كثيرا يكون نفعه كثيرا ولكثير من الناس فما أجدد وما أبلغ تسمية

القرآن المال الكثير "خيرًا" دون القليل منه: وكما أن القرآن الكريم سمى المال في هذه الآية "خيرًا" سماه

"خيرًا" كذلك في آيات كثيرة:

الآية الثانية :

قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ... الآية" (4)

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

والخير: المال كما تقدم في قوله تعالى "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا" (5)

الآية الثالثة:

(1)- تفسير أبي السعود ج 1 ص 196  
(2)- تفسير أبي السعود (1) ص: 209.  
(3)- الكشاف المجلد (1) ص: 349.  
(4)- سورة البقرة: 215.  
(5)- تفسير التحرير والتنوير المجلد (2) ص: 318.

قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (1)

فقد وردت في هذه الآية الكريمة كلمة "خير" مرتين وأريد بها المال كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) من مال (2)

الآية الرابعة:

قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (3)

بلاغة السياق:

مما أن يلاحظ هنا أنه قد ورد في هاتين الآيتين ذكر المال ثلاث مرات باسم "خير" في سياق الإنفاق في سبيل الله ومن المعلوم أنه لا ينفق في سبيل الله إلا المال الحلال الطيب فما أبلغ تسمية المال هنا "خيروا".

الآية الخامسة :

قوله تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) (4)

ففي هذه الآية الكريمة قد سمى القرآن الحكيم المال "خيروا" على لسان شعيب عليه السلام في قوله: (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) أي أنكم متمولون تملكون أموالا كثيرة فلا حاجة لكم إلى أكل الحرام بنقص المكيال والميزان، كما قال الزمخشري رحمه الله عليه في تفسير هذه الآية: (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) يريد: بشروا واسعة تغنيكم عن التطفيف (5)

1 - البقرة 272

(2) - الكشاف المجلد (1) ص: 344.

(3) - سورة البقرة، الآية: 273.

(4) - سورة هود، الآية: 84.

(5) - الكشاف المجلد (2) ص: 392.

وقال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "وجملة: (إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) تعليل للنهي من نقص المكيال

والميزان" (1)

وزاد ابن عاشور قائلا - مبيِّنا المراد من "الخير" - :

والخير: حُسن الحالة، ويطلق على المال كقوله تعالى: "إِن تَرَكَ خَيْرًا" (2)

فقد رأينا هنا من بلاغة النظم القرآني في دلالاته على أهمية المال لحياة الفرد والمجتمع بطريقتين:

الأولى: تسميته المال " خيرا "

والثانية: تسميته - هذه - في هذا السياق الخاص على لسان سيدنا شعيب عليه السلام كما

قال المفسر ابن عاشور رحمه الله تعالى:

والأولى حمله عليه، أي: حمل " خيرا " على المال، هنا ليكون أدخل في تعليل النهي، أي أنكم

في غنى عن هذا التطفيف بما أوتيتم من النعمة والثروة... وهذا حثٌّ على وسيلة بقاء النعمة (3)

الطريقة الثانية: وهي ما قال المفسر ابن عاشور: وهذا حثٌّ على وسيلة بقاء النعمة " فهذا الحث

أيضا قد دل على أهمية المال للمجتمع البشري.

والسادسة من الآيات التي سمي المال فيها " خيرا " :

قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ

انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (4).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(عَلَىٰ حَرْفٍ): على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب

في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسن بظفر وغنيمه قرّ

واطمان، وإلا قرّ وطار على وجهه. 5

(1)- التحرير والتنوير المجلد (7) ص: 180.

(2)- (القرة: 180) التحرير والتنوير المجلد (7) ص: 180.

(3)- المرجع نفسه.

(4)- سورة الحج، الآية: 11.

5 تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 146)

وزاد الرمحشري قائلا:

قالوا: نزلت في أعراب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صح بدنه ونسجت فرسه مهرا سريا، وولدت امرأته غلاما سويا، وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا، واطمأن. وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شرا، وانقلب. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب، فتشأه بالإسلام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفلني، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الإسلام لا يُقال»<sup>1</sup>

وقال ابن عطية: هذه الآية نزلت في أعراب وقوم لا يقين لهم كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له اتفاقات حسان من نمو ماله وولد ذكر يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه المعاني، وإن كان الأمر بخلاف، تشأه به وارتد كما صنع العربيون وغيرهم، قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم<sup>2</sup>

الآية السابعة التي سمى المال فيها "خيرا" :

قوله تعالى:

(أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَتُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ...) (3)

قال الإمام الرازي:

وقوله (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) قيل: الخير: المال (4)

وكذلك قال البقاعي:

(عَلَى الْخَيْرِ) أي المال الذي عندهم (5)

وقال ابن عطية:

1 - المرجع نفسه.

2- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 110)

(3)- سورة الأحزاب، الآية: 19.

(4)- مفاتيح العيب ج 12 ص: 339.

(5)- نظم الدرر ج 6 ص: 409.

(على الخير) يدل على عموم الشح في قوله أولاً: (أشحة عليكم)، وقيل في هذا: معناه (أشحة) على مال الغنائم، وهذا مذهب من قال إن (الخير) في كتاب الله تعالى حيث وقع فهو بمعنى المال<sup>(1)</sup>

فعلى هذا القول الذي نقله ابن عطية لأبلغ دلالة على أهمية المال لدى القرآن الحكيم. ومن بلاغة السياق هنا في تسمية المال "خيراً" أن هذه التسمية وردت لمال الغنائم الذي لا شك في كونه خيراً. والله أعلم.

والآية الثامنة :

قوله تعالى على لسان نبي الله سليمان عليه السلام: (إِنِّي أَخْبِئْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)<sup>(2)</sup>.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: و "الخير" المال، كقوله تعالى : (إِنْ تَرَكْ خَيْرًا)<sup>3</sup> وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)<sup>4</sup> والمال: الخيل التي شغلته<sup>(5)</sup>.

و الآية التاسعة التي سُمِّيَ المال فيها "خيراً" قوله تعالى: (أَلْقَيْنَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ - مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ)<sup>(6)</sup>.

قال الزمخشري: " (مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ) كثير المنع للمال على حقوقه"<sup>(7)</sup>

وقال ابن عاشور: " والمناع: الكثير المنع، أي صدَّ الناس عن الخير، والخير هو الإيمان، كانوا يمنعون أبناءهم وذويهم من اتباع الإيمان"<sup>(8)</sup>

(1) - المحرر الوجيز ج 5 ص: 298.

(2) - سورة ص، الآية: 32.

3 - (البقرة: 180)

4 - (العاديات: 8)

(5) - الكشف المجلد (4) ص: 93.

(6) - سورة ق، الآية: 24-25.

(7) - الكشف المجلد (4) ص: 390.

(8) - التحرير والتنوير 312. /26

وزاد قائلا: "ويحتمل أن يراد به أيضاً منع الفقراء من المال لأن الخير يطلق على المال وكان أهل

الجاهلية بمنعون الفقراء ويعطون المال لأكابرهم تقرباً وتلطفاً"<sup>(1)</sup>.

والآية العاشرة قوله تعالى:

"مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنْتُمْ"<sup>(2)</sup>.

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (منع): شديد المنع. والخير: المال، أي شحيح، والخير من

أسماء المال قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَحُبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)<sup>3</sup> وقال: (إِنْ تَرَكْ خَيْرًا)<sup>(4)</sup>

وقال الطبري: "مَنَاعَ لِلْخَيْرِ". يقول تعالى ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق"<sup>(5)</sup>

و الآية الحادية عشرة

التي سمى القرآن الحكيم فيها المال "خييراً" قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا - إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا

- وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)<sup>(6)</sup>.

في هذه الآيات، إن القرآن الحكيم لم يسم المال "خييراً" فقط بل سماه "خييراً" وفي مقابلته سُمي

الفقر "شرًا" أيضاً، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: " (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) يقول: إِذَا قَلَّ ماله

وناله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك، لا صبر له عليه: (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) يقول: وإذا كثر ماله،

ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا ينفقه في طاعة الله، ولا يؤدّي حق الله منه"<sup>(7)</sup>.

10\_القلم - 12

(2)- سورة القلم، الآية: 12.

3 - العاديات: 8

(4) (البقرة:180) التحرير والتوير 73/ 29.

(5)- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج 23 ص 535.

(6)- سورة المعارج، الآية: 19-21.

(7)- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج 23 ص 611، محمد بن حريز بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي أبي جعفر الطبري

(234- 310هـ) بتحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى 1430هـ 2000م)، المطبوع في موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

التشريف، الناشر: مؤسسة الرسالة..

وقال الزمخشري: "والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير، من قولهم:

ناقة هلواع سريعة السير"<sup>(1)</sup>

وذكر الزمخشري هنا رواية فقال:

وعن أحمد بن يحيى<sup>2</sup>، قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسّره الله، ولا

يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شرٌّ أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خيرٌ بخل به ومنعه

الناس والخير: المال والغنى والشر: الفقر"<sup>(3)</sup>

والآية الثانية عشرة التي سمى القرآن الحكيم المال فيها "خيراً" قوله تعالى:

(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)<sup>(4)</sup>.

قال الإمام البغوي رحمه الله: " (وَإِنَّهُ) يعني الإنسان، (لِحُبِّ الْخَيْرِ) أي لحب المال، (لَشَدِيدٌ) أي:

لبخيل، أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد. وقيل: معناه وإنه لحب الخير

لقوي، أي شديد الحب للخير أي المال<sup>(5)</sup>.

فهذه اثنتا عشرة آية من القرآن الحكيم ورد فيها ثلاث عشرة مرّة ذكر المال باسم "الخير".

وتكرار ذكر المال في القرآن الحكيم ثلاث عشرة مرّة باسم "الخير" لعلّ فيه دلالة على أهميته

في نظر القرآن الحكيم.

خلاصة هذا المبحث :

كما قيل في التمهيد أن علاقة المال بحياة الإنسان ذات جهتين متعاكستين : نفعية وضرورية في

نفس الوقت وبهذا الاعتبار المال ليس خيراً محضاً ولا شراً محضاً فمن بلاغة القرآن الحكيم أن المواضع

(1) - الكشف المجلد (4) ص: 614.

2 - : الملادري أحمد بن يحيى بن حابر (توفي سنة 279هـ/892م) هو من رجال البلاط العباسي منذ عهد المتوكل حتى المعتز وقد عُيّن مرتباً لاسه عبد الله. وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربية. ومصادر معلوماته تعتمد شيوخه الأربعة في بغداد: ابن أبي شيبه، والقاسم بن سلام (ت224)، وعلي بن محمد المدائني (ت225)، ومحمد بن سعد الواقدي (ت230)، ولكّنه أغنى معارفه غنى كبيراً بالرحلة. فقد زار مدن الشام والحجاز وإيران بحثاً وراء المعرفة بل زار مواقع الأحداث التاريخية بنفسه.

(3) - الكشف: ج4 ص614.

(4) - سورة العاديات، الآية: 8.

(5) - معالم التنزيل ج 5 ص: 296، لحي السه أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى 810 هـ،

تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى 1430هـ، الناشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الثلاثة العشر التي عُثِرَ فيها عن المال بـ "الخير" إنما عُثِرَ به في سياق الوصية للوالدين والأقربين والإنفاق في سبيل الله والامتنان بنعمة المال وأموال الغنمة وحبّ النبي سليمان عليه السلام للمال وذمّ الكافر على الامتناع عن الإنفاق وحبّ الإنسان للمال، وهذه المواضع كلها تقتضي أن يكون المال حلالاً طيباً ما أبلغ تعبير الذكر الحكيم في هذه المواضع كلها عن المال الحلال بـ "الخير" للدلالة على أنّ الأهم للإنسان من المال هو الحلال الطيب والله أعلم !

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال بتسميته  
"فضلاً من الله"

كما لوحظ أنَّ النظم القرآني قد سَمَّى المال ثلاث عشرة مرة "خيراً" كذلك قد وَرَدَ في القرآن  
الكريم ثلاث وعشرون آية سَمَّى القرآن الحكيم فيها المال "فضلاً من الله":  
الآية الأولى :

قوله تعالى: (فَاتَّقِلُّوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْنَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ  
عَظِيمٍ)<sup>(1)</sup>

قال الطبري رحمه الله:

قال أبو جعفر: يعني حل ثنائه بقوله: (فاتقيلوا بنعمة من الله)، فانصرف الذين استجابوا لله  
والرسول من بعد ما أصابهم القرح، من وجههم الذي توجَّهوا فيه - وهو سيرهم في أثر عدوهم إلى حمراء  
الأسد- (بنعمة من الله) يعني: بعافية من ربهم، لم يلقوا بها عدوًّا. (وفضل) يعني: أصابوا فيها من الأرباح  
بتجارهم التي اتَّجَرُوا بها<sup>(2)</sup>

وكذلك قال البغوي في تفسير هذه الآية:

(فَاتَّقِلُّوا) فانصرفوا، (بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ) بعافية لم يلقوا عدوًّا (وَفَضْلٍ) تجارة وريح وهو ما أصابوا في  
السوق<sup>(3)</sup>.

وذكر الزمخشري رحمه الله تعالى هنا رواية، قال:

مرَّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زيب إن  
ثبطوهم، فكره المسلمون الخروج. فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لأخرجنَّ ولو لم يخرج  
معي أحد، فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل. وقيل: هي الكلمة التي قالها

(1) - سورة آل عمران، الآية: 174.

(2) - جامع البيان في تأويل القرآن ج 7 ص: 414.

(3) - معالم التنزيل ج 3 ص: 139.

إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، حتى وافوا بدرأ وأقاموا بها ثماني ليال، وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين<sup>(1)</sup>

وقال الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية - بعد ذكر هذه الرواية -: والباء في قوله تعالى: (بِنِعْمَةٍ) متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا، والتنوين للتفخيم... (وَفَضْلٍ) أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً للتفخيم<sup>(2)</sup>

فقد أفادنا الإمام أبو السعود هنا بسر بلاغي للنظم القرآني في هذه الآية الكريمة، وهو تنكير كلمتي "نعمة" و "فضل" للدلالة على التفخيم والتعظيم.

وإن ذلك من بلاغة السياق للنظم القرآني لأن السياق هنا سياق التبشير من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الذين كانوا معه في هذا السفر المبارك، الذين قد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ)<sup>(3)</sup>، ثم بين جل ثناؤه إخلاصهم الكامل لله سبحانه وتعالى وتوكلهم عليه بقوله: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)<sup>(4)</sup>، فكان من مقتضى هذا السياق أن يُبَشِّرُوا بنعمة عظيمة وفضل عظيم، فجاء تنكير هاتين الكلمتين مطابقاً لمقتضى المقام تماماً ليدل تنكيرهما على فخامتهما وعظمتهما. والله أعلم.

#### والآية الثانية

قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا)<sup>(5)</sup>.

قال الطبري في تفسير هذه الآية:

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: (ولئن أصابكم فضل من الله)، ولئن أظفركم الله بعدوكم

(1) - الكشف ج 1 ص: 469 (المطوع 1995م في فدي كنب خانه كراتشي، بتحقيق عبد الرزاق المهدي الدمشقي).

(2) - تفسير أبي السعود ج 2 ص: 114 (المطوع بدار إحياء التراث العربي - بيروت).

(3) - سورة آل عمران، الآية: 172.

(4) - سورة آل عمران، الآية: 173.

(5) - سورة النساء، الآية: 73.

فأصبتم منهم غنيمة، ليقولَنَّ هذا المبطلُ المسلمين عن الجهاد معكم في سبيل الله، المنافق.....<sup>(1)</sup>

فقد رأينا أن القرآن الحكيم سمي المال الحاصل من الغنيمة في هذه الآية "فضلاً" كما قد سمي في الآية التي مرت قبلها في سورة آل عمران المال الحاصل عن طريق التجارة "فضلاً".  
والآية الثالثة:

التي سمي القرآن الحكيم في نظمه البليغ، المال الحاصل عن طريق التجارة في موسم الحج فضلاً قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ)<sup>(2)</sup>.

قال الإمام ابن عاشور في هذا الجزء من هذه الآية الكريمة:

جملة معترضة بين المتعاطفين بمناسبة النهي عن أعمال في الحج تُنافي المقصد منه فنقل الكلام إلى إباحة ما كانوا يتحرّجون منه في الحج وهو التجارة ببيان أنها لا تنافي المقصد الشرعي إبطالاً لما كان عليه المشركون، إذ كانوا يرون التجارة للمُحَرَّم بالحج حراماً. فالفضل هنا هو المال، وابتغاء الفضل التجارة لأجل الربح<sup>(3)</sup>.

فهذا من بلاغة الذكر الحكيم أنه سمي المال هنا "فضلاً من الرب سبحانه وتعالى بمناسبة مقتضى المقام حيث إن الناس ظنوا - خطأً - أن التجارة واكتساب المال في موسم الحج حرام فترغيباً في اكتساب المال الحلال الطيب بالتجارة المشروعة قال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ)<sup>(4)</sup>، فبدل أن يقول سبحانه وتعالى (ليس عليكم جناح أن تكسبوا أو تبتغوا مالا، قال: "فضلاً" ثم لم يطلق عليه "فضلاً" مطلقاً بل زاد في تشريفه بنسبته إلى نفسه الكريمة بقوله (من ربكم).  
فأي دلالة تكون أبلغ من هذه على أهمية المال الحلال الطيب لدى القرآن الحكيم.

والآية الرابعة:

(1) - جامع البيان في تأويل القرآن ج 8 ص: 540.

(2) - سورة البقرة، الآية: 198.

(3) - التحرير والتنوير ج 2 ص: 237.

(4) - سورة البقرة، الآية: 198.

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَذْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَتَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا)<sup>(1)</sup>.

في هذه الآية الكريمة أيضاً سمي القرآن الحكيم المال الذي يكتسبه الناس بالتجارة "فضلاً من الله" كما قال مقاتل بن سليمان في تفسير هذه الآية:

يتتبعون بتجاراتهم فضلاً من الله، يعنى الرزق والتجارة<sup>(2)</sup>

والآية الخامسة :

قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>(3)</sup>

قال الإمام أبو السعود: (والله يعِدُكُم) أي في الإنفاق (مَغْفِرَةً) لذنوبكم والجار في قوله تعالى (مِنْهُ) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفحاشيتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة، مغفرة كائنة منه عز وجل (وفضلاً) صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى: (فانقلبوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ) (4) ونظائره أي وفضلاً كائناً منه تعالى أي خلفاً مما أنفقتم زائداً عليه في الدنيا.<sup>(5)</sup>

فهذا المذكور كله يدل على أن المراد من قوله تعالى "فضلاً" في هذه الآية المال، لأنه ورد في سياق الأمر بإنفاق المال في قوله تعالى: (أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ... إلخ)<sup>(6)</sup>

فالمراد من قوله تعالى "فضلاً" المال حسبما فسره أبو السعود بكونه خلفاً مما ينفقها المؤمن في سبيل الله، فإذا كان المخلف عنه مالاً فكون الخلف مالاً بدهي، وهذا من بلاغة نظم القرآن الحكيم أنه سماه (فضلاً)، ثم نكره دلالة على فخامته (حسبما فهم من تفسير أبي السعود المذكور آنفاً)، ثم زاد في تفخيمه وتشريفه بنسبته إلى نفسه عز وجل.

(1) - سورة المائدة، الآية: 2.

(2) - تفسير مقاتل ج 1 ص: 378 (ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى 2003م)

(3) - البقرة - 268

(4) آل عمران - 174

(5) تفسير أبي سعود، ج 1 ص 262

(6) البقرة - 267

وما أبلغَ عطفَ قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) على قوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) : ثم ما أجل تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).  
قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(والله واسع) قدرةً وفضلاً فيُحَقِّقَ ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه (عليهم) مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يُضَيِّعُ أجركم. أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف  
(1)  
في الوعد

(2)  
وقال أبو السعود أيضاً: (والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله)  
والفائدة البلاغية في عطف قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) على قوله تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) ما ذكرها ابن عاشور رح قال:  
(والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم).

عطف على جملة (الشيطان يعدكم الفقر) لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما تدعو إليه أوامر الله تعالى، والوعد فيه حقيقة لا محالة. والقول في تقديم اسم الجلالة على الخبر الفعلي في قوله: (والله يعدكم) على طريقة القول في تقديم اسم الشيطان في قوله: (الشيطان يعدكم الفقر).  
(3)

وقد قال ابن عاشور من قبل مبيناً السر البلاغي في تقديم اسم الشيطان على المسند:  
وقدَّم اسم الشيطان مسنداً إليه لأن تقديمه مؤذن بدم الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم، كما يقال في مثال علم المعاني «السفاح في دار صديقك»، ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوِّي الحكم وتحقيقه.  
(4)

(1) تفسير أبي السعود ج 1 ص 262

(2) المرجع نفسه

(3) التحرير والتنوير ج 3 ص 59

(4) المرجع نفسه

فمن أجل هذا يمكن القول بأنه قدّم في مقابلة هذا اسم الجلالة في قوله تعالى (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) للإيذان بفخامة الحكم الذي سيق له الكلام وتبريكه ببركة اسم الجلالة لترغيب المسلمين في الإنفاق ولتفخيم شأن الفضل الذي وُعد به المؤمنون على إنفاق طيبات ما كسبوا في سبيل الله وكذلك قصر الوعد بالمغفرة والفضل على الله سبحانه وتعالى. والله أعلم  
والآية السادسة:

التي سمي المال فيها فضلاً من الله قوله تعالى:

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)

(1)

قال البغوي: (أي: وَلَا يَحْسَبَنَّ الْبَاخِلُونَ الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ، (بَلْ هُوَ) يعني: الْبُخْلُ، (شَرٌّ لَّهُمْ)

(2)

وذكر البغوي هنا رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آتاه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مثل يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوّقه يوم القيامة فيأخذ بهنّزمتيه، يعني شذقيه، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا (ولا يحسبن الذين يبخلون... الآية)"  
فهذا دليل على أن المراد من الفضل في هذه الآية المال. ومما يدل على أهميته هنا إسناد إتيائه وإضافته إليه جل وعلى شأنه.

والآية السابعة:

التي سمي المال فيها "فضلاً" قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

(4)

مُهِينًا)

قد ورد ذكر فضله تعالى في هذه الآية في سياق ذمّ البخل ومن البدهي أن البخل - في الغالب - يكون بالمال فعلم أن المراد هنا بفضله المال.

(1) آل عمران - 180

(2) معالم التنزيل ج 1 ص 545، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة:

الأولى، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 5

(3) المرجع نفسه ج 1 ص 546

(4) النساء - 37

كما قال ابن عاشور: (وما آتاهم الله من فضله) يحتمل أن المراد به المال، كقوله تعالى:

(1) (ولا يحسن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله).

ومن بلاغة النظم القرآني في هذه الآية أيضا أن القرآن الحكيم بعد ما ذكر نُحْلَهُمْ وأَمْرَهُم الناس بالبخل وكتماهم نعمة المال التي آتاها الله إياهم وهو المال وعبر عنه بالفضل منه جل شأنه ذكر عاقبة أعمالهم السيئة المذكورة ووبأ ذلك عليهم، وجاء ذكر الوعيد لهم بقوله تعالى: (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) جيء بالإسم الظاهر (الكافرين) بدلا عن ضمير "هم" زيادة في تقييح أعمالهم التي استحقوا عليها عذابا مهينا وإشعارا بعلة استحقاقهم عذابا مهينا، أي: إن أعمالهم المذكورة كُفِّرَ بنعمة الله التي آتاهم من فضله، وكما هم أهانوا ما آتاهم الله من فضله بإخفائه والبخل به وأمروا الناس بالبخل كذلك هم استحقوا عذابا مهينا. والله أعلم.

والآية الثامنة:

التي سُمِّيَ المال فيها "فضلا" قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ

(2) عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

ففي هذه الآية عندما خاف المسلمون الفقر والإحتياج إلى أموال التجارة بعد منع المشركين من دخول مكة، بشرهم الله بأنه سيغنيهم من فضله فإن انقطعت عنهم أموال التجارة التي كانوا يكتسبونها بالتجارة مع المشركين الذين كانوا يأتون لزيارة بيت الله الحرام فإنه يعوضهم أموالا من جهات أخرى فلا يخافون الفقر والعيلة.

كما قال الطبري:

وإنما قيل ذلك لهم، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم، انقطاع تجارتهم، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك. وأمنهم الله من العيلة، وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم، ما هو خير لهم منه، وهو الجزية، فقال لهم:

(1) آل عمران - 180. التحرير والتنوير ج 3 ص 53

(2) التوبة - 28

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)، إلى:

(1)

(صَاغِرُونَ).

ثم ذكر الطبري في تأييده حوالي خمسة عشر أثراً، الخامس عشر منها قوله: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة)، وذلك أن الناس قالوا: لتقطع عنا الأسواق، ولتهلكن التجارة، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق. فقال الله عز وجل: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) من وجه غير ذلك (إن شاء)، إلى قوله: (وهم صاغرون)، ففي هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل

(2)

الكتاب من الجزية).

والآية التاسعة :

التي سُمي المال فيها قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ

(3)

فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)

قال الزمخشري: جواب "لو" محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم. والمعنى: ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(4)

أكثر مما آتانا اليوم إِنَّا إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يَغْنَمْنَا وَيَحُولُنَا فَضْلُهُ لِرَاغِبُونَ.

ففي هذه الآية الكريمة سمي المال الحاصل عن طريق الغنيمة "فضلاً" وفي قوله تعالى (إنا إلى الله راغبون) قُدِّمَ متعلق اسم الفاعل عليه، فأفاد التقديم القصر. أي: إن رغبتهم في المال ينبغي أن

تكون مقصورة على كونها إلى الله سبحانه.

والآيات: العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة

1) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ج 14 ص 193

2) المرجع نفسه، ج 14 ص 197

3) التوبة - 59

4) الكتشاف - ج 2 ص 269

التي عبر القرآن الحكيم فيها عن المال

بـ "فضل الله" هذه الآيات الثلاث المتوالية من سورة التوبة: قال تعالى:

(يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ - وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ فِي فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقُوا وَلَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ - فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ<sup>(1)</sup>

نرى في هذه الآيات الثلاث أن الله سبحانه وتعالى يقول في الآية الثانية منها عن المنافقين:

(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ فِي فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقُوا وَلَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ) ومن البدهي أن الصدقة تكون من المال، إذن يكون معنى الآية: ... لكن آتانا الله المال لنصدقن. ولكن النظم القرآني قد عبر هنا عن المال بـ "فضله" أي فضل الله، وكذلك في الآية التالية لها قال: (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) أي فلما رزقهم الله تعالى مالا بخلوا- والبخل أيضا يكون من المال- فقد عبر القرآن الحكيم مرة أخرى عن المال بـ "فضله" أي (فضل الله) وهذا السياق يدل على أن كلمة "فضله" في الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث في قوله تعالى: (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) قد أريد به المال الذي آتاهم الله ورسوله، ولعل السر البلاغي في التعبير عن المال بـ "فضله"، أي (فضل الله) في هذه الآيات أن السياق سياق الصدقة وإنفاق المال في سبيل الله، ولا تكون الصدقة إلا من المال الحلال الطيب الحاصل عن الطرق المشروعة في الشريعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يُرِيها لصاحبه، كما يُرِي أحدكم فلوله، حتى تكون مثل الجبل"<sup>(2)</sup>

(1) التوبة - 74 - 76

(2) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، (صحيح البخاري، باب الصدقة من كسب طيب... ج 2 ص 419، (الطبعة الأولى 1422هـ تحقيق محمد رهبر الدين بن ناصر الناصر في تسعة أجزاء، الناشر دار طوق النجاة)

وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله عز وجل لا يقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من

(1)  
غلول"

وقال الطبري: (قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفاً في مولى لبني عدي بن

كعب، وفيه أنزلت هذه الآية: (وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ).<sup>2</sup>

وذكر الطبري أيضاً هنا رواية عن قتادة في تفسير قوله تعالى: (وَمَا نَقْمُوا... الخ) قال: (كانت

لعبد الله بن أمية دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له).<sup>(3)</sup>

وفي تفسير الآية التالية للآية المذكورة أي في قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله... الخ) قال الطبري

رحمه الله تعالى:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم

(مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ)، يقول: نعطي الله عهداً (لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ)، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا

مالاً ووسّع علينا من عنده (لَنَصَّدَّقَنَّ)، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا (وَلَنَكُونَنَّ

مِنَ الصَّالِحِينَ)، يقول: ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل

الله. يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وآتاهم من فضله (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَلَوْا بِهِ)، بفضل الله

الذي آتاهم، فلم يتصدقوا منه، ولم يصلوا منه قرابة، ولم ينفقوا منه في حق الله)<sup>(4)</sup>

فقد رأينا هنا أن المال الذي حصل للناس بأيما طريقة مشروعة قد سماه نظم القرآن الحكيم

"فضلاً" وليس "فضلاً" فقط بل وقد شرفه الله سبحانه بنسبته إلى نفسه جل وعلا شأنه، فهذا من بلاغة

النظم القرآني العالية في الدلالة على أهمية المال الحلال. والله أعلم

والآية الثالثة عشرة:

(1) - رواه النسائي عن أبي مليح رضي الله عنه، (سنن النسائي الكبرى ج 1 ص 80 بتحقيق دكتور عبد الغفار سليمان وسيد كسروى

حسن، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1991م، عدد أجزائه 6.

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ج 14 ص 367

(3) المرجع نفسه

(4) المرجع نفسه ج 14 ص 369

التي سمي المال فيها "فضلا من الله" قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>(1)</sup>

قال السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي) في تفسير هذه الآية:

أي: هو وحده لا شريك له (الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) وهياه لمنافعكم المتنوعة . (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك والحوث الذي يصطادونه منه، (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) فتزبدكم جمالا وحسنا إلى حسنكم، (وَتَرَى الْفُلْكَ) أي: السفن والمراكب (مَوَاجِرَ فِيهِ) أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قُطْرٍ إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم.<sup>(2)</sup>

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية مبينا معنى قوله تعالى (مواخر فيه): (المخر: شق الماء

(3)

بحيزومها).

بلاغة السياق:

ومن بلاغة السياق هنا أنه قد ورد ذكر المال هنا بإسم "الفضل" مضافاً إلى ضميره عز وجل في سياق ذكر النعم التي خلقها الله سبحانه وتعالى لعباده والتي مقتضاها التعبد للرب الكريم الذي خلقها لعباده وتوحيده فكما أن ذكر المال بإسم "فضل الله" يدل على أهميته لحياة الإنسان لذلك من جهة أخرى أيضا تجلوا أهميته بإمتنان الله سبحانه وتعالى بتوفير أسباب كسبه من تسخير البحار للناس وإجراء الفلك لغرض اكتساب الرزق والمال الحلال الطيب فكما أن النعم الأخرى الكثيرة التي ذكرت في هذا السياق من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وأهميتها للحياة الإنسانية بدهية لا يمكن بقاء الحياة على وجه الأرض ولاقيام نظام العالم الروحي والمادي أو الديني والديني بدونها كذلك لا يمكن قيامه ولا بقاءه بدون مال فلذلك قد أورد الله سبحانه وتعالى ذكر المال الحلال الطيب وأسباب اكتسابه ضمن ذكر تلك النعم على سبيل الامتنان. فما أبلغ بلاغة النظم القرآني هذه في توجيه الإنسان إلى

(1) النحل - 14

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 1 ص 437 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بتحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي.

الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 2000م في مجلد واحد، مصدر الكتاب: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(3) الكشاف ج 3 ص 341 (معاني القرآن للفرار ج 3 ص 43)

أهمية المال والترغيب في اكتسابه - بالطرق المشروعة لا في اكتسابه وحصوله بأيما طريق مشروع أو غير مشروع -!

والآية الرابع عشرة :

التي سُمي المال فيها "فضلا من الله" ، في سياق ذكرِ نعم الله تعالى ودلائل توحيده الآفاقية ، قوله تعالى في سورة الإسراء:

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا)<sup>(1)</sup>

فحيثما ذكر الله سبحانه وتعالى هنا آيتين عظيمتين من الآيات الكونية الدالة على توحيده وهما الليل والنهار فقد جعل من الغايات المطلوبة من آية النهار المبصرة ابتغاء الرزق الحلال الطيب الذي يكتسب في ضوء النهار بجميع وسائل الاكتساب من الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها، ولم يقل: "لتبتغوا المال أو الرزق" بل سماه "فضلا" ثم زاد في تشريفه بقوله تعالى (من ربكم) فهذا كله من بلاغة النظم القرآني العالية الدال على أهمية المال الحلال الطيب. والله أعلم

والآيتان: الخامسة عشرة والسادس عشرة:

من الآيات التي سُمي المال فيها "فضلا" ونُسب الفضل إلى الله حل شأنه الآيتان من سورة النور:

الأولى قوله تعالى:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>(2)</sup>

والثانية قوله تعالى:

(وَلِيَسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا

(1) الإسراء-12

(2) النور - 32

(1) مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

في تفسير ابن عباس رضي الله عنه:

(إِنْ يَكُونُوا) يعني الأحرار (فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) من رزقه (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) برزقه للحر والعبد

(2) (غَلِيمٌ) بأرزاقهما

وقال في تفسير الآية الثانية:

(وَلَيْسَتْ غَفِيفٌ) عن الزنا (الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) سعة للتزويج (يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) من

(3) رزقه

بلاغة السياق:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وجملة: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ.... إلخ) استئناف بياني لأن عموم الأياض والعبيد والإماء في صيغة الأمر يثير سؤال الأولياء والموالي أن يكون الراغب في تزوج المرأة الأيم فقيرا فهل يَزُدُّه الوليُّ، وأن يكون سيد العبد فقيرا لا يجد ما ينفقه على زوجته، وكذلك سيد الأمة يخطبها رجل فقير حر أو عبد فجاء هذا لبيان إرادة العموم في الأحوال. ووعد الله المتزوج من هؤلاء إن كان فقيرا أن يغنيه الله، وإغناؤه تيسير الغنى إليه إن كان حرا وتوسعة المال على مولاه إن كان عبدا فلا عذر للولي ولا للمولى أن يَزُدَّ خطبته في هذه الأحوال).<sup>4</sup>

وزاد ابن عاشور لتوضيح معنى إغناء الله إياهم قائلا:

وإغناء الله إياهم توفيق ما يتعاطونه من أسباب الرزق التي اعتادوها مما يرتبط به سعيهم الخاص من مقارنة الأسباب العامة أو الخاصة التي تفيد سعيهم نجاحا وتجارحهم نجاحا. والمعنى: أن الله تكفل لهم

(1) النور - 33

(2) توير المقاييس من تفسير ابن عباس، ببسب: لمد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتنق: 68هـ) ج 1 ص 295 جمعة: مجد الدين

أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزي آبادي (المتنق: 817هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان، عدد الأجزاء: 1

(3) المرجع نفسه

4- التحرير والتنوير ج 18 ص 217 4 - المرجع نفسه.

أن يكفيهم مؤنة ما يزيده الزوج من نفقاتهم). (4)

وقال في تفسير الآية الثانية:

(وَلَيْسَتْغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أمر كل من تعلق به الأمر بالإنكاح بأن يلازموا العفاف في مدة انتظارهم تيسير النكاح لهم بأنفسهم أو بإذن أوليائهم ومواليهم<sup>1</sup> وقال: ومعنى (لا يحدون نكاحا): لا يحدون قدرة على النكاح ففيه حذف مضاف ،

وقيل النكاح هنا اسم ما هو سبب تحصيل النكاح كاللباس والللحاف. فالمراد المهر الذي يبذل للمرأة<sup>2</sup>.

فعلى ضوء هذه الأقوال للمفسرين الجليلين (سيدنا ابن عباس رضي الله عنه و الإمام ابن عاشور) نرى من بلاغة الذكر الحكيم وكلام ربنا العليم أنه في هاتين الآيتين دل على أهمية المال بطرق شتى:

أولاً: بأنه سماه "فضلاً"، ثم إنه زاد في شرفه بإضافته إلى ضميره عز وجل حيث قال في الآية الأولى: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) وفي الآية الثانية قال: (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)، وثالثاً أنه عندما أمر أولياء الأياامي بإنكاحهم نشأ هنا سؤال محتمل من قبل الأولياء أننا كيف نزوجهم في حالة الفقر وعدم المال؟ فإن الله سبحانه وتعالى لم يترك سؤالهم المحتمل بدون إجابة بل أعطاه أهمية ورد عليه ردّاً جميلاً بوعده إياهم بإغنائهم من فضله وفتحهم أبواب رزقه وتيسيره أسباب كسب المال الحلال - الذي سماه "فضلاً منه"؛ فهذا من بلاغة الذكر الحكيم في دلالة على أهمية المال بطرق شتى. والله أعلم

والآية السابع عشرة :

من الآيات التي دلت على أهمية المال بتسميته "الفضل من الله"

1- التحرير والتنوير ج 18 ص 218 (التحرير والتنوير) "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المؤلف محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفي 1393 هـ الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ، عدد الأجزاء: 30 (الخزء رقم 8 في قسمين).

2- المرجع نفسه

قوله تعالى: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>1</sup>

قال أبو الطيب محمد صديق حسن خان :

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ) تعالى (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أي في الليل (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) أي في النهار بالسعي في المكاسب، وفيه مدح للسعي في طلب الرزق، وهو لا ينافي التوكل (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي ولكي تشكروا نعمة الله عليكم)<sup>2</sup>

وزاد الشيخ حسن خان قائلا: (وهذه الآية من باب اللف والنشر)<sup>3</sup>

أما "اللف والنشر المرتب"<sup>4</sup> في قوله تعالى:

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) :

قال التفزازاني رحمه الله: دُكِرَ الليل والنهار على التفصيل ثم دُكِرَ ما لِلَّيْلِ - وهو السكون فيه - وما للنهار - وهو الإبتغاء من فضل الله فيه - على الترتيب.<sup>5</sup>

وقال أبو الطيب صديق حسن خان:

#### 1- الفصص - 73

2- فتح البيان في مقاصد القرآن ج 10 ص 146، (لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادع العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م، عدد الأجزاء: 15

3- المرجع نفسه

4 - "اللف والنشر" من المحسنات البديعية، قال القزويني رحمه الله تعالى: ومه "اللف والنشر" وهو ذكر متعدد على التفصيل والإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يركه إليه، فالأول صريان:

لأن النشر إما على ترتيب اللف نحو: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)<sup>3</sup> وإما غير ترتيبه كقوله:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن - وغزال لحظا وقد وردفا؟

والثاني نحو: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)<sup>3</sup> أي: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلى من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلى من كان نصارى. فلف لعدم الالتباس للعلم بتضليل كل فريق صاحبه. (تلخيص المفتاح ص 71)

3- مختصر المعاني - ص 459

5- فتح البيان في مقاصد القرآن ج 10 ص 146

واعلم أنه وإن كان السكون في النهار ممكناً، وطلب الرزق في الليل ممكناً، وذلك عند طلوع القمر على الأرض، أو عند الاستضاءة بشيء مما له نور كالسراج، لكن ذلك قليل نادر، مخالف لما يألفه العباد فلا اعتبار به).<sup>1</sup>

ومن بلاغة السياق هنا أن الله سبحانه وتعالى أعلن بتوحيده في الخلق والاختيار، والعلم، وبوحدانيته في الألوهية واستحقاق الحمد، وباختصاصه باختيار الحكم واختصاص رجوع الخلائق إليه سبحانه وتعالى - كما يدل عليه أساليب القصر المستخدمة في هذه الآيات فقد قال تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ - وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ - وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخُضْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)<sup>2</sup>

فقوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ... الآية) وقوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ... الآية) في هاتين الآيتين استخدام أسلوب يفيد القصر - وهو اختيار الجملة الاسمية على الفعلية، أي تقديم قوله (ربك) على الفعلين (يخلق ويختار) وعلى الفعل (يعلم) كما قال ابن عاشور:

(وتقدم المسند إليه على خبره الفعلي يفيد القصر في هذا المقام... الخ)<sup>3</sup>

وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالى:

واعلم أن تقدم الشيء على وجهين:

تقدم يقال: إنه على نية التأخير...

وتقدم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له باباً غير

بابه وإعراباً غير إعرابه...<sup>4</sup>

ثم قال الجرجاني رحمه الله تعالى:

واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب

2- الفصص - 67- 70

3- التحرير والتنوير ج20 ص 164

4- دلائل الإعجاز - ص 106، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد المارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م، عدد الأجزاء: 1

الكتاب<sup>1</sup> وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعني<sup>2</sup>.

والقزويني في التلخيص جعل التقدم من أساليب (طرق) القصر فقال:

ومنها (قصر الموصوف على الصفة) " تميمي أنا" وفي قصرها (قصر الصفة على الموصوف)

أنا كفيئت مهنتك<sup>3</sup>

وقال التفتازاني بعد هذا المثال: إفراداً، أو قلباً، أو تعييناً، بحسب اعتقاد المخاطب<sup>4</sup>.

ففي الآيتين الكريمين في قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقوله تعالى: (وربك يعلم ما

تكن صدورهم وما يعلنون)<sup>5</sup> قد قصر الخلق والاختيار وعلم الغيب على الله سبحانه وتعالى، ويؤيد هذا

قوله تعالى في الآية الأولى: بعد قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار) - قوله تعالى: (ما كان لهم

الخيرة سبحانه الله وتعالى ما يشركون)<sup>6</sup>.

فإن ما كان قد ثبت من توحيد الله جل شأنه في الخلق والاختيار بأسلوب القصر من تقدم فاعل

الفاعلين (يخلق ويختار) وجعله مبتدأ قد أكده الله جل شأنه بقوله:

(سبحانه وتعالى عما يشركون) وباستخدام أسلوب القصر بطريق النفي والإستثناء في قوله

تعالى: (وهو الله لا إله إلا هو)<sup>7</sup>.

وقال الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى في بيان فائدة هذا الأسلوب من القصر (أسلوب

النفي والإستثناء):

وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا" و: "إن هو إلا كذا" فيكون للأمر ينكره

المخاطب ويشك فيه<sup>8</sup>.

1- قال صاحب الكتاب " أي سبويه هكذا في هامش دلائل الإعجاز - ص 107

2- دلائل الإعجاز - ص 107

3- تلخيص المفتاح ص 28

4- مختصر المعاني ص 195

5- القصص - 68، 69

6- القصص - 68

7- القصص - 70

8- دلائل الإعجاز ص 332

ثم في قوله تعالى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)<sup>1</sup> ثلاث جمل وثلاثتها كلها بأسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور (له)، الذي هو خير مقدم على مبتدئه في الجملتين الأوليين، وعلى متعلقه في الثالثة ثم ذكر سبحانه وتعالى من آيات توحيده جعل الليل والنهار معاً وسألهم - سؤال توبيخ - أنه لو جعل عليهم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيهم بضياء، وإن جعل عليهم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيهم بليل يسكنون فيه، ثم - بغاية لطفه وكرمه - بين لعباده حكمة جعل الليل والنهار أنه جعل الليل للسكون والاستراحة من تعب العمل بالنهار، وأنه جعل النهار لابتغاء الرزق (المال) - بالمكاسب المشروعة -.

فقد ذكر سبحانه وتعالى ابتغاء الرزق وكسب المال الحلال الطيب في هذا السياق البليغ وسماه "فضله" حيث قال: (لتبتغوا من فضله)، وجعله من جملة نعيمه التي هو سبحانه وتعالى يستحق عليها الحمد والتعبد له والتوحيد في العبادة من عباده، ففي هذا السياق البليغ جليل البلاغة لأكبر دلالة على أهمية المال. والله أعلم

#### والآية الثامن عشرة :

التي سُمي المال فيها "فضلاً من الله" في سياق بيان دلائل توحيده (آيات توحيده الآفاقية) في سورة الروم قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)<sup>2</sup>

فهنا أيضاً جعل الله سبحانه وتعالى كسب المال الحلال من أهم مقاصد جعله النهار لعباده - رغم أن الإنسان يعمل أعمالاً أخرى أيضاً مما لا يكتسب فيها المال من العبادات وخدمة الخلق، ولكن الله سبحانه وتعالى امتنَّ على عباده بجعل النهار لهم لابتغاء الرزق وكسب المال وسماه "فضلاً"، ولم يسمه "فضلاً" فقط بل شَرَّفَه بنسبته إلى ذاته القدسية فقال: (وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ففي هذا السياق وفي هذه التسمية (تسمية المال "فضلاً") وإضافة الفضل إلى ذاته سبحانه وتعالى، وامتنانه به على عباده لأعظم دلالة وأبلغها على أهمية المال للإنسان. كما قال الطبري:

1- القصص-70

2- الروم-23

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكناً تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيقاً لتصرفكم في معاشكم وأتماسكم فيه من رزق ربكم.<sup>1</sup>

وقال الماتريدي رحمه الله تعالى:

وقوله: (وَاتَّعَاذُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ) جهة الآية فيما ينتفعون من فضله هو خلقه تلك المكاسب والتجارات والحرف التي ينتفعون بها الرزق..... أو أن تكون جهة الآية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحرف، وعلمهم إياها وأحوجهم إليها، ليصلوا إلى منافعهم، والله أعلم.<sup>2</sup>

وقال الشيخ علوان: ومن آياته العظام أيضاً منامكم واستراحتكم تقويماً لأمرجتكم وتقوية لقواكم بالليل والنهار وقت عروض الفتن والعناء وابتغاؤكم وطلبكم المعاش فيهما من فضله.

والآية التاسعة عشرة:

التي سمى القرآن الحكيم المال فيها "فضل الله" قوله تعالى: (وَمَا يَشْتَوِي الْبُخْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>3</sup>

قال الإمام جلال الدين المحلي: (وَمَا يَشْتَوِي الْبُخْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح وقيل منهما (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هي اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلْكَ) السفن (فيه) في كل منهما (مَوَاجِرَ) تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومديرة بريح واحدة (لِيَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك.<sup>4</sup>

1- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن حرير الطبري ج20 ص 87

2- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ج 8 ص 87، المؤلف: (محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي) (المتوفى: 333هـ) المحقق: د. مجدي ناسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 10

3- فاطر - 12.

4- تفسير الجلالين ص 573، المؤلف (للنصف الثاني) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) (للنصف الأول من التفسير)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى .

وكذلك قال غيره كثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى في هذه الآية الكريمة (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) بالتجارة.<sup>1</sup>

وكما قال الطبري:

وقوله: (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معاشكم، ولتصرفوا فيها في تجارتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق، وفاخر الحلي.<sup>2</sup>

فقد رأينا أن القرآن الحكيم سمي المال في هذه الآية "الفضل" وشرّفه بإضافته إلى نفسه الكريمة. وبلاغة السياق أنه ذكره في سياق الامتنان به على عباده حيث أنه قال: (لعلكم تشكرون). ففي هذه التسمية، والإضافة الشريفة وهذا السياق بلاغة عظيمة للدلالة على أهمية المال المكتسب بالطرق المشروعة المخلوقة من الله عز وجل لعباده لإكتسابهم المال الحلال الطيب.

والآية الحادية والعشرون لقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).<sup>3</sup>

في هذه الآية أيضا سمي القرآن الحكيم المال الحلال الطيب المكتسب بالطرق المشروعة "فضله". ومن بلاغة السياق أنه سبحانه وتعالى ذكر نعمة تيسيره ابتغاء المال واكتسابه لعباده في سياق تعريفه العباد بنفسه الكريمة وجعله دليلا لمعرفة ومعرفة وحدانيته كذلك أي: إن الإله الحق للعباد هو الذي سخر لهم البحر لإجراء السفن فيه لا ابتغاء الرزق من أقطار العالم كما قال الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره:

(اللَّهُ) أيها القوم، الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي يئنها لكم في هذه الآيات، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ) السفن (فيه بأمره) لمعاشكم وتصرفكم في البلاد

1- أنظر تفسير البغوي - 6 ص 417

2- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري - 20 ص 450

3- الحاشية - 12

لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخير ذلك لكم فتعبده وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.<sup>1</sup>

بلاغة فصل هذه الآية عما قبلها:

وقال ابن عاشور مبينا السر البلاغي في فصلها عما قبلها:

استئناف ابتدائي للانتقال من التذكير بما خلق الله من العوالم وتصاريف أحوالها من حيث إنها دلالات على الوحدانية، إلى التذكير بما سخر الله للناس من المخلوقات وتصاريفها من حيث كانت منافع للناس تقتضي أن يشكروا مُقَدِّرَها.<sup>2</sup>

وقد ذكر الإمام ابن عاشور فوائد بلاغية عديدة أخرى أيضا في هذه الآية الكريمة:

الأولى: فائدة تعليق المجرور بفعل (سَخَّرَ) قال:

ولذلك عُلِّقَ بفعلِي "سَخَّرَ" في الموضعين المجرور بلام العلة بقوله: (لَكُمْ) على أن هذه التصاريف آيات أيضا مثل اختلاف الليل والنهار، وما أنزل الله من السماء من ماء، وتصريف الرياح، ولكن لوحظ هنا ما فيها من النعم كما لوحظ هنالك<sup>3</sup> ما فيها من الدلالة، والفطن يستخلص من المقامين كلا الأمرين على ما يشبه الاحتباك.<sup>4</sup>

والإحتباك في هذه الآية هو ما أشار إليه المفسر (ابن عاشور رحمه الله تعالى) في قوله المذكور آنفا: (استئناف ابتدائي للانتقال من التذكير بما خلق الله من العوالم وتصاريف أحوالها من حيث إنها دلالات على الوحدانية، إلى التذكير بما سخر الله للناس من المخلوقات وتصاريفها من حيث كانت منافع للناس تقتضي أن يشكروا مُقَدِّرَها).

ثم قال:

1- جامع البيان في تأويل القرآن ج 22 ص 65

2- التحرير والتنوير ج 25 ص 335

3- لعل مراد المفسر من قوله: "هناك" في الآية رقم 5 من هذه السورة.

4- التحرير والتنوير ج 25 ص 336، تعريف الاحتباك: قال السيوطي رحمه تعالى. (النوع الثالث: ما يسمى بالاحتباك وهو من أَلْطَفِ الأنواع وأبدعها..... وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق.... الآية) (البقرة: 171) التقدير ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة "الذي ينعق" عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة "الذين كفروا" عليه. (الإتقان في علوم القرآن: ج 3 ص 204). وفي موضع آخر من الإتقان جعله السيوطي رحمه الله من أنواع الإيجاز. (يسطر الإتقان في علوم القرآن ج 3 ص 251)

ولكن لوحظ هنا ما فيها من النعم كما لوحظ هنالك ما فيها من الدلالة.<sup>1</sup>

يريد المفسر رحمه الله تعالى أن الأمرين الملحوظين في الموضعين هنا في هذه الآية، - وهناك - في الآيات التي قبلها كليهما ملحوظان في الموضعين كليهما، ولكن أكتفي في كلا الموضعين بدلالة أحدهما على الآخر، فهذا من الإحتباك. والله أعلم

والفائدة البلاغية الثانية هي فائدة تعريف جزئي الجملة في بداية هذه الآية الكريمة (الله الذي سخر لكم...).

قال ابن عاشور: واسم الجلالة مسند إليه والموصول مسند، وتعريف الجزأين مفيد الحصر وهو قصر قلب بتنزيل المشركين منزلة من يحسب أن تسخير البحر وتسخير ما في السماوات والأرض إنعام من شركائهم كقوله تعالى: (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء)<sup>2</sup>، فكان هذا القصر إبطالا لهذا الزعم الذي اقتضاه هذا التنزيل.<sup>3</sup>

والآية العشرون:

التي سمي المال فيها "فضلا من الله" قوله تعالى:

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)<sup>4</sup>

قال الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية:

(يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة)<sup>5</sup>

وقال الإمام أبو السعود في بيان الفوائد البلاغية لقوله تعالى:

(يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وُحِفُوا أولاً بما يدلُّ على استحقاقهم للفيء من الإخراج من

1 - التحرير والتنوير ج 25 ص 336

2 - الروم - 40

3 - التحرير والتنوير ج 25 ص 336 (ومراد للمفسر من قوله "هذا التنزيل": ما قال آنفا: وهو قصر قلب بتنزيل المشركين... الخ). الباحث

4 - الحشر - 8

5 - تفسير أبي السعود ج 8 ص 228

الديار والأموال وفُيِّد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكد<sup>1</sup>.

والآية الحادية والعشرون :

التي سمي المال فيها "فضل الله" قوله تعالى:

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)<sup>2</sup>

قال البغوي رحمه الله تعالى:

قوله عز وجل: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعني الرزق وهذا أمر إباحة<sup>3</sup>.  
قال ابن عاشور رحمه الله:

والأمر في فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله للإباحة. والمراد بـ"فضل الله" اكتساب المال والرزق<sup>4</sup>.

وقال السعدي رحمه الله: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) لطلب المكاسب والتجارات ولما كان الاشتغال في التجارة، مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: (وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح<sup>5</sup>.

بلاغة السياق:

وما يلاحظ هنا أن الأمر بالانتشار في الأرض للمكاسب والتجارة وابتغاء المال والرزق الحلال وإن كان للإباحة ولكن السياق الذي وردت فيه هذه الإباحة، ثم تسمية المال "فضل الله" فيهما لأوضح وأبلغ دلالة على أهمية المال الذي يكتسبه العباد بطرق ووسائل مشروعة لكسبه.

1- المرجع نفسه

2- الجمعة - 10

3- معالم التنزيل في تفسير القرآن ج 8 ص 123

4- التحرير والتنوير - ج 28 ص 227

5- تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج 1 ص 863، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ،

المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000 م

شئ مزيد من توضيح بلاغة السياق:

إن الله تعالى أولا أمر المؤمنين بترك البيع وبالسعي إلى ذكر الله يعني صلاة الجمعة عند أذان الصلاة - لا قبلها - أي لم يأمرهم بترك البيع والشراء والمكاسب منذ صباح يوم الجمعة كما أمر أهل القرية التي كانت حاضرة البحر من صيد السمك طوال يوم السبت، ثم عندما انتهوا من أداء صلاة الجمعة أذن لهم بالاشتغال بما كان قد أمر بتركه عند نداء الصلاة من البيع والتجارة لكسب المال الحلال الطيب، ليتمكّنوا به من أداء حقوق الله وحقوق العباد، وإنما أذن لهم بذلك بصيغة الأمر الذي أصل وضعه لطلب الأمر على سبيل الاستعلاء - عند البلاغيين<sup>1</sup> وعلى سبيل الإيجاب بالمأمور به عند الأحناف من الأصوليين<sup>2</sup> - فهذا من بلاغة الذكر الحكيم في الدلالة على أهمية المال لحياة الفرد والمجتمع بإختيار هذا الأسلوب وتسمية المال "فضل الله" ولو أن بعض المفسرين رحمهم الله تعالى فسروا قوله تعالى:

(وابتغوا من فضل الله) بطلب العلم أيضا ولكن المعنى الأنسب بالسياق - كما شرح آنفا - هو طلب الرزق والمال الذي كانوا قد مُنعوا عنه للاشتغال بأداء الصلاة فلما انتهى ذلك الشغل الذي كانوا منعو من أجله من طلب المال أمروا - ولو بإباحة - بالانتشار في الأرض وطلب فضل الله أي الاشتغال مرة أخرى بالبيع وكسب المال والرزق الحلال الطيب. والله أعلم

والآية الثانية والعشرون

التي سمي القرآن الحكيم فيها المال "فضل الله" قوله تعالى:

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ

1- أنظر مختصر لمعاني ص 225، المطبوع في قديمي كتب خانة مقابل آرام باغ كراتشي باكستان

2- قال الشيخ حسام الدين: فإن صيغة الأمر لفظ حاص من تصاريف الفعل وضع لمعنى خاص، وهو طلب الفعل، وموجه عند الجمهور: الإلزام (إلا بدليل). أنظر: الحسامي في أصول الفقه 185، 186

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.<sup>1</sup>

قال ابن عباس رضي الله عنه: (وآخرون يضربون) يسافرون (في الأرض) بالتجارة وغيرها (يبتغون) يطلبون (من فضل الله) من رزق الله وغيره يشقُّ عليهم صلاة الليل<sup>2</sup>

وقال السمعاني: قَوْلُهُ: (وَأَخْرُجُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أَي: التَّجَارَ وَسَائِرَ الْمُسَافِرِينَ.<sup>3</sup>

فقد رأينا في هذه الآية الكريمة في سورة المزمل التي نزلت في بداية أيام نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما لم تكن الصلوات الخمس مفروضة بعد فأمر الله رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات والتحيات والتسليم بقيام حوالي نصف الليل في الصلاة وقراءته وترتيل القرآن الكريم فيها بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ - قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا - نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا - أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا).<sup>4</sup>

فما زال الأمر كذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين مدة، ثم خفف الله الكريم عليهم وأنزل هذه الآية:

(إِنْ رِيكَ يَعْلَمُ أَنْ تَقُومَ....الآية)<sup>5</sup>

وأمرهم أن يقوموا في صلاة التهجد بقدر ما تيسر لهم، وأعفاهم من قيام نصف الليل أو ثلثه فبين تلك الأسباب المقتضية لهذا التخفيف ذكر سفر التجار لابتغاء الرزق وكسب المال الحلال

1- المزمل - 20

2- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ج 1 ص 491

3- تفسير القرآن للسمعاني ج 6 ص 85، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الحبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م

4- المزمل - 1-4

5- المزمل - 20

الطيب ليمكنوا به من القيام بالمسؤوليات الأسرية من أداء حقوق الأهل والأولاد وغيرهم وكذلك بالمسؤوليات الاجتماعية من الإنفاق على الفقراء والمساكين وفي سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس فقال: (عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...) فذكر المال الحلال الطيب الذي يكتسبونه بالتجارة والطرق المشروعة الأخرى لأداء حقوق الله به وحقوق العباد والقيام بجميع المسؤوليات الفردية والاجتماعية فسماه "فضل الله"؛ ففي هذه التسمية الشريفة وهذا السياق الجليل لأعظم دلالة على أهمية المال الحلال الطيب وعلى أهمية كسبه والحصول عليه للمآرب الطيبة المشروعة. والله أعلم

كما قال الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره لهذه الكريمة:

تخفيف الله على عباده في قيام الليل. الإسلام كله دين يسر، وسهولة، وتخفيف، قد يفرض أو يطلب فيه شيء لظرف من الظروف في فاتحة الوحي الإلهي، ثم يرفع الفرض أو الندب مثل قيام الليل، وذلك فضل من الله ورحمة، وإحساناً ونعمة، ليكون المطلوب على جهة الدوام والاستمرار موصوفاً بصفة اليسر ودفع الحرج والمشقة. وآيات التخفيف متنوعة، منها ما ورد في قيام الليل الذي كان مطلوباً إما على جهة الوجوب أو على الندب، بحسب الخلاف المذكور بين العلماء.<sup>1</sup>

وأضاف قائلاً:

وفي هذه الآية فضيلة الضرب في الأرض للتجارة، وجعل السفر لها كالسفر للجهاد.<sup>2</sup>  
فهذا أيضاً من بلاغة النظم الحكيم في الدلالة على أهمية المال الحلال المكتسب بالوسائل المشروعة، للأغراض الدينية والأغراض الدنيوية المشروعة كذلك، وكذلك في الدلالة على أهمية السعي في طلبه واكتسابه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

1- تفسير الوسيط للزحيلي ج3 ص2765، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى -

1422 هـ، عدد الأجزاء: 3 مجلدات في ترقيم مسلسل واحد

2- المرجع نفسه - (تفسير الوسيط للزحيلي ج3 ص2767)

فهذه الآيات الاثنان والعشرون قد دلّت على أهميّة المال الحلال الطيب المكتسب بالطرق المشروعة بأساليب شتى وخاصة بتسميته "فضلاً" وبالإضافة إلى الله سبحانه وتعالى. ويمكن أن يلاحظ أن القرآن الحكيم قد عبّر عن المال باسم "الفضل" فيما يلي من السياقات :

1- في سياق التبشير بالحصول على أموال الغنائم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، كما في قوله تعالى: (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل....) آل عمران-74 وزيد في أهميته بتكثير " فضل " للتفخيم .

2- وفي سياق الامتنان بتيسير أسباب حصول المال .

3- وفي بيان إباحة التجارة لكسب المال الحلال أثناء سفر الحج.

4- وفي وعد الله سبحانه وتعالى لعباده إثر الأمر بالإنفاق من طيبات ما كسبوا في مقابلة وعد الشيطان ، وعدهم مغفرة منه وفضلاً ، ويلاحظ هنا أنه كما قُدّم اسم الشيطان على الخير الفعليّ للإيذان بذمّ الحكم الذي سبق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من إطاعة أمر الشيطان، كذلك في مقابلته قُدّم اسم الجلالة في قوله: (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً...البقرة -268) للإيذان بفخامة الحكم الذي سبق له الكلام وتبريكه ببركة اسم الجلالة لترغيب المسلمين في الإفاقول لتفخيم شأن الفضل وُعدوا به. والله أعلم .

## المبحث الثالث: بقية الآيات التي ببلاغتها تدل على أهمية المال:

لقد لوحظ أن اثنتي عشرة آية قد دلت على أهمية المال - مع جوانب وطرق أخرى - بتسمية

المال "خيراً" و اثنتان وعشرون آية دلت على أهمية المال بتسميته "فضلاً من الله"

وهناك عدد كبير آخر من آيات كتاب الله عز وجل التي ببلاغتها تدل على أهمية المال .

### الآية الأولى

منها قوله تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ

وَنَشْرِبِ الصَّابِرِينَ"<sup>(1)</sup>.

يقول الزمخشري رحمه الله تعالى:

" (بِشَيْءٍ) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه"<sup>(2)</sup>

ويمكن أن يُقاسَ عليه تنكير "نقصٍ" في ( وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ) فَإِنَّ نَقْصاً

يسيرا من الأموال بلاء في تعبير النظم القرآني، ثم الجمع بين الأموال والأنفس والثمرات في هذا النقص

اليسير وتسمية كل ذلك بلاءً، فيه دلالة بليغة على أهمية المال، لأن نقص الأموال لجعل هنا كنقص

الأنفس " بلاءً " ومن البدهي أن ذلك النقص لا يكون بلاءً وامتحاناً إلا إذا كانت للأموال والأنفس

والثمرات أهمية كبيرة للإنسان، وإذا كان نقصٌ يسيرٌ منها بلاءً فكيف إذا هلكت هذه الأشياء كلها،

وإذا كان نقصها بلاءً فوجودها وزيادتها بالتبع يكون نعمة فجميع هذه الأمور تدل على أهمية المال لحياة

الإنسان، فقد رأينا أن النظم القرآني بعبارة موجزة دلّ دلالة بليغة على أهمية المال.

ومرة أخرى يُنظر في بلاغة النظم القرآني في السياق الذي وردت فيه هذه الآية، فهذه الآية

وردت في سياق الجهاد والقتال الذي يصيب الإنسان فيه أنواع من البلاء والامتحانات المذكورة في هذه

الآية من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات لأن الجماعة الحقّة المسلمة عند ما تعلن

الجهاد ضد القوات الظلمة الطاغية فإنهم يخوفونها ويهددونها بإضرارهم في أموالهم وأنفسهم، وعند ما يخرج

(1)- سورة البقرة، الآية: 155.

(2)- تفسير الكشاف ج 1 ص: 232-233، المطبوع في قديمي كتب حانه كراتشي.

المجاهد في سبيل الله للجهاد فإنه مع خوفه على نفسه قد يتحمل الجوع والعطش ويذهب شيء من ماله أيضاً، وعند ما يخرج المجاهد للجهاد فيترك أهله وأمواله وضيعته وحدائقه وحقوقه فعند غيابه يكون كل ذلك في خطر من النقص والضرر فالله سبحانه وتعالى أولاً أمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة وبشّرهم بأنه مع الصابرين كيلاً يفرعوا، ثم بشّر من يُقتل منهم في سبيل الله، بالحياة الأبدية السرمدية حتى أنه غي الناس من تسميتهم أمواتاً، فبعد هذه التوطئة والطمأننة لأنفس المؤمنين وتقويتها ببشارات عظيمة جاء بإخبارهم بأنه سيبلوهم بهذه الأمور، ونحتم هذه الآية بقوله "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" فأعاد لهم البشري في خاتمة هذه الآية - مرةً بإجمال ومرةً أخرى بتفصيل بعد ذكر لائحة عملهم عند إصابة الابتلاء باسترجاعهم ورضاهم بقضاء الله فيهم - فقال: "أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ" (1) فهذا كله من بلاغة النظم القرآني المعجز.

بقي الكلام على كلمتين في الآية الأولى: "ولنبلوكم" والثانية: "بشيء".

أولاً: ننظر في كلمة "شيء" ما فائدتها؟

قد مرّ آنفا قول الزمخشري: "بشيء" : بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (2)

قال الإمام ابن عاشور: "وحيء بكلمة (شيء) تهويناً للخير المفجع، وإشارة إلى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله على بعض الأمم عقوبة، كما في قوله: "فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (3)، ثم ذكر قاعدة عامة فقال: "لأن كلمة (شيء) من أسماء الأجناس العالية العامة، فإذا أضيفت إلى اسم جنس أو بُيِّنَتْ به عُلم أن المتكلم ما زاد كلمة "شيء" قبل اسم ذلك الجنس إلا لقصد التقليل لأن الاختصار على اسم الجنس الذي ذكره المتكلم بعدها لو شاء المتكلم لأغنى عَنْاءها، فما ذكر كلمة شيء إلا والقصد أن يدل على أن تنكير اسم الجنس ليس للتعظيم ولا للتنويع، فبقي له الدلالة على التحقير" (4).

والآية الثانية

(1) - سورة البقرة، الآية: 157.

(2) - تفسير الكشاف ج 1 ص: 232-233، المطبوع في قديمي كتب حانه كراتشي.

(3) - سورة النحل، الآية: 112.

(4) - تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول، الجزء الثاني ص: 54-55 (المطبوع في دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس).

الدالة على أهمية المال لحياة الإنسان قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَغْدًا مَوْتَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).<sup>(1)</sup>

### بلاغة الأسلوب :

إن كانت الآية الأولى<sup>2</sup> دلت على أهمية المال لحياة الإنسان دلالةً ضمنية أو التزامية، فإن هذه الآية تدل على أهمية المال لحياة الإنسان دلالةً مطابقة صريحة ومباشرة حيث قد استخدم الاسم الموصول "ما" بدلاً من الاسم الصريح "المال" فقد قيل: (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) بدلاً من أن يقال "تجري في البحر بالمال وغيره" فاختيار "ما" الموصولة التي جاءت صلتها جملة "يَنْفَعُ النَّاسَ" كما ذكر البلاغيون من فوائد استخدام الاسم الموصول كونه مفيداً لزيادة التقرير.<sup>(3)</sup>

فهذا الأسلوب للنظم الحكيم قد نُصَّ على أهمية المال للناس.

### بلاغة السياق:

ومن بلاغة القرآن الحكيم في هذا المقام أيضاً أن القرآن الكريم ذكر كون المال نافعا للناس بهذا الأسلوب في الآية التي اشتملت على دلائل توحيد الله وقدرته العظيمة، ففي الآية التي قبلها قال تعالى: (وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)<sup>(4)</sup>، فأعلن القآن الحكيم أولاً بوحدانية الله سبحانه وتعالى - ثم في الآية التي ورد فيها ذكر المال -، دكّر دلائل توحيدة وقدرته وذكر منها الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، فهذا السياق أيضاً يدل على أهمية المال، لأن هذه الأمور كلها - من خلق السموات والأرض ... الخ- من نعم الله العظيمة التي أنعم الله بها على عباده، ومنها: الفلك التي تجري في البحر حاملة أموال الناس وهذه الأموال تنفع الناس في جميع شؤون حياتهم، فلذلك جاء في الآية

(1) - سورة البقرة، الآية: 164.

2 - (آية رقم 155 من سورة البقرة التي مر البحث عليها)

(3) - ينظر: تلخيص المفتاح ص: 11.

(4) - سورة البقرة، الآية: 163.

التالية الذم والتفبيح والوعيد للمشركين الذين يستمتعون بنعم الله المذكورة كلها التي لم يخلقها لهم إلا الله وحده، ثم يعبدون غيره ويتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله.

وذكر الإمام أبو السعود سرّاً بلاغياً آخر في هذه الآية - التي ورد فيها كون المال ينفع الناس -، قال: (لآياتٍ) اسمٌ "إنَّ" دخلته اللام لتأخره عن خبرها، والتذكير للتفخيم كماً وكيفاً، أي آياتٍ عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة، والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه<sup>(1)</sup>.

### والآية الثالثة

قوله تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)<sup>(2)</sup>.  
بلاغة السياق :

قال تعالى في الآية التي قبلها: "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"<sup>(3)</sup>.  
قال السيد محمود الألوسي رحمه الله تعالى في تفسير "المتاع" ما يتمتع به مما يباع ويشترى<sup>(4)</sup>.  
وفي بيان فائدة تشبيه الحياة الدنيا بالمتاع قال الألوسي: وقد شبهها سبحانه بذلك المتاع الذي يدلّس به على المستام ويغيّر حتى يشتريه إشارة إلى غاية رداءتها<sup>(5)</sup>.

واستدل الألوسي على ذلك بقول قتادة رضي الله عنه:

هي متاع متروك أو شكت والله أن تضمحلّ عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله تعالى إن استطعتم ولا قوة إلا بالله<sup>(6)</sup>.

وكذلك ذكر قول علي رضي الله عنه في ذم الدنيا، ثم قال: ذكر بعضهم أن هذا التشبيه بالنسبة

(1) - تفسير أبي السعود ج 1 ص: 185، (المطبوع في دار إحياء التراث العربي - بيروت).

(2) - سورة آل عمران، الآية: 186.

(3) - سورة آل عمران، الآية: 185.

(4) - روح المعاني ج 4 ص: 146-147.

(5) - روح المعاني ج 4 ص: 146-147.

(6) - المرجع نفسه.

لمن آثرها على الآخرة وأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ<sup>(1)</sup>

واستدل على هذا القول الأخير بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"نعم المال الصالح للرجل الصالح"<sup>(2)</sup>

فهذا القول الأخير وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يؤيدان الرأي بأن هذه الآية التي قال

الله تعالى فيها: (لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) مضمونها تدل على أهمية المال لحياة الإنسان كأهمية

الأنفس وإلا فلا معنى للابتلاء.

فهذا من بلاغة الذكر الحكيم أنه في سياق واحد أفاد معنيين - متضادين في الظاهر - بحكمة

بالغة:

هما: حقارة المال - إن أريد به التمتع الدنيوي فقط، دون الآخرة، وأهميته أيضا- إن استخدم

في المصالح الدينية والاجتماعية وابتُغِيَ به وجه الله سبحانه وتعالى -.

ومن بلاغة القرآن الحكيم في هذه الآية -ولا بد أن يبقى في الاعتبار أن معنى البلاغة عند

البلاغيين مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى المقام-، ما ذكر العلامة السيد محمود الألوسي هنا من مناسبة

إخباره سبحانه وتعالى عباده بهذا الابتلاء، قال: وإنما أخبرهم سبحانه بما سيقع لِيُؤْطَنُوا أَنْفُسَهُمْ على

احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فإن هجوم البلاء مما يزيد في اللأواء

والاستعداد للكرب مما يهون الخطب<sup>(3)</sup>.

وفي بيان حكمة (بلاغة) أسلوب التأكيد بمؤكدين (اللام القسمية ونون التوكيد الثقيلة<sup>(4)</sup>)، في

هذا الإخبار في قوله تعالى: (لَتَبْلُوَنَّ) قال السيد الألوسي: ولتحقيق معنى الإبتلاء لهذا التهوين أتى

(1)- المرجع نفسه.

(2)- أخرجه أحمد في مسنده ج: 29/ ص: 299، والبيهقي في الشعب ج: 2/ ص: 446، وابن حبان في صحيحه ج: 8 ص: 6.

(3)- روح المعاني ج 4 ص: 146-147.

(4)- ينظر: التحرير والتنوير ج 4 ص: 189.

بالتأكيد وقد يقال: أتى به لتحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم من

التهيؤ والاستعداد<sup>(1)</sup>.

والآية الرابعة :

الدالة على أهمية المال قوله تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا). وَابْتَلُوا الَّتِي تَأْمُرُ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا<sup>(2)</sup>.

فإن القرآن الحكيم قد اهتم اهتماماً كبيراً في هاتين الآيتين بالحفظ على أموال اليتامي التي بأيدي أوليائهم، فأولاً: نهاهم عن إعطائهم إياها ما لم يبلغوا ولم يعقلوا ولم يرشدوا، ولم ينههم من إيتائهم إياها نهيًا عاديًا ولم يقل مثلاً: "ولا تؤتوا اليتامي أموالهم حتى يبلغوا النكاح"، بل سَمَّاهم "سفهاء" وهذا من بلاغة الذكر الحكيم أنه بتسميتهم "سفهاء" في هذا المقام كأنه قد أشار إلى علة الحكم أعني علة نهي إيتائهم الأموال قبل بلوغهم ورشدهم كيلا يضيعوها بسبب سفاهتهم، وهذا ما يسمى عند البلاغيين

"إدماجا" - و هو نوع من الإيجاز البليغ -<sup>3</sup>

ومن بلاغة الذكر الحكيم أيضا إضافة الأموال التي هي لليتامي إلى أوليائهم ليدركوا أهمية الأموال إدراكا جيدا، ولم يكتف بهذا بل صرح بأهميتها بقوله: (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)، كما قال السيد محمود الآلوسي رحمه الله:

(1) - روح المعاني ج 4 ص: 146-147.

(2) - سورة النساء، الآية: 5-6.

3 - وقد نقل السيوطي رحمه الله تعالى تعريجه من ابن الإصيص قائلا: قال ابن الإصيص هو أن يُدْمَجَ الْمُشْكَلُ غَرَضًا فِي غَرَضٍ أَوْ بَدِيْعًا فِي تَدْوِيْعٍ بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا أَخَذَ الْغَرَضَيْنِ أَوْ أَخَذَ الْبَدِيْعَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ) أُذِجَتْ الْمُتَبَاعَةُ فِي الشُّطْرَانِ. (ينظر الإتيان في علوم القرآن ج 3 ص 298) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، حلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة: 1394هـ/ 1974 م

الخطاب كما يدل عليه كلام عكرمة للأولياء، وصريح هو وابن جبير بأن المراد من "السفهاء" اليتامى، ومن "أموالكم" أموالهم... مبالغة في حملهم على المحافظة عليها<sup>(1)</sup> واستدل الآلوسي على هذا بآية أخرى من القرآن الكريم قائلا: ونظير ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)<sup>2</sup> فإن المراد: لا يقتل بعضكم بعضاً إلا أنه عر عن نوعهم بأنفسهم<sup>(3)</sup>

وكذلك قال السيد الآوسي أيضاً:

وقد أيد ذلك بما دل عليه قوله سبحانه: (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) حيث عر عن جعلها مناطاً لمعاش أصحابها يجعلها مناطاً لمعاش الأولياء<sup>(4)</sup>.

وزادنا الإمام أبو السعود بنكتة بلاغية في قوله تعالى: (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا):

أي جعلها الله شيئاً تقومون به وتنتعشون على حذف الأول، فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياماً فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم<sup>(5)</sup> فهذا كله من بلاغة الذكر الحكيم في هذه الآية الكريمة في دلالتها على أهمية المال.

#### والآية الخامسة

- التي بعدها - وهي قوله تعالى: (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ... الآية) - أيضاً تدل على أهمية المال بأسلوبها البليغ حيث أنه سبحانه وتعالى أمر بامتحان اليتامى واشترط لإيتائهم أموالهم إيناس الرشد منهم.

#### والآية السادسة

الدالة على أهمية المال قوله تعالى :

(1) - روح المعاني ج 4 ص: 201 (طبع دار الفكر).

2 - (النساء: 29)

(3) - روح المعاني ج 4 ص: 201 (طبع دار الفكر).

(4) - المرجع نفسه.

(5) - تفسر أبي السعود ج 1 ص 144 (طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان).

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).<sup>1</sup>

بلاغة السياق:

وردت هذه الآية في سياق آيات الأحكام فالآيات التي قبلها ذكرت فيها أحكام الصيام من إباحة الأكل والشرب ومباشرة النساء من غروب الشمس إلى ما قبل طلوع الفجر، ثم الأمر بإتمام الصيام بالانتهاز من أكل وشرب الرزق ولو كان حلالاً طيباً ومباشرة النساء ولو كانت حلالاً، من طلوع الفجر إلى الليل، والنهي من مباشرة النساء مطلقاً حالة الاعتكاف في المساجد، وفي نهاية هذه الآية قال تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).<sup>2</sup> فالحدود التي قد بينها الله سبحانه وتعالى إلى هنا إنما كانت من نوع حقوق الله جل وعلا شأنه، قال تعالى بعد بيانها للتنبيه المزيد والتحذير الشديد: (فَلَا تَقْرُبُوهَا)، وأكد هذا التنبيه والتحذير بقوله: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: أي كما بيّن هذه الحدود يبيّن جميع الأحكام لتتقوا مجاوزتها.<sup>3</sup> فلما بين سبحانه وتعالى حدوده من حقوقه، ونبه عليها بقوله: "تلك حدود الله" وحذر من قربها بقوله: (فَلَا تَقْرُبُوهَا)، وأكد التنبيه والتحذير بقوله: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، كان من مقتضى كرمه ورحمته بعباده أن يبيّن حدوده من حقوقهم أيضاً، ولما كان المال من أكثر ما يتعدى ويبغي بعض الناس على بعضهم فيه ومن أجله (في المال ومن أجل المال)، وهو ما عليه مدار عيشهم - كما قد شُرح ذلك في مقدمة البحث بشيء من التفصيل - فلذلك كان من مقتضى حكمة الله

1- البقرة - 188

2- البقرة - 187

3- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) - ج 2 ص 337، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، عدد الأجزاء: 20 جزءاً (في 10 مجلدات)

سبحانه وتعالى في هذا المقام تحذيره العباد من تعدي بعضهم على أموال البعض وأكلها بالباطل وإدلائها إلى الحكام لأكل (لأخذ) بعضهم أموال بعض بالباطل برفع القضايا الباطلة إلى الحكام والقضاة ليأخذوا بعض أموال الناس بالباطل، فنهى الله سبحانه وتعالى من ذلك قائلا: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَاطِلِ وَتُدْزِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).<sup>1</sup>

بلاغة الأسلوب:

أولا نرى أنه القرآن الحكيم قد وصل النهي عن أكل أموال الناس بالباطل بالنهي عن الأكل والشرب والجماع مطلقا حالة الصوم وعن مباشرة النساء حالة الاعتكاف، بواو العطف كما قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) نهي عن أكل بعضهم أموال بعض على خلاف حكم الله تعالى بعد النهي عن أكل أموال أنفسهم في نهار رمضان).<sup>2</sup>

عطف النهي الثاني على النهي الأول الذي قال بعده: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا) فآثر هذا التنبيه سينتقل إلى المعطوف أيضا، كما قال ابن عاشور: عطف جملة على جملة، والمناسبة أن قوله: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا) تحذير من الجرأة على مخالفة حكم الصيام بالإفطار غير المأذون فيه وهو ضرب من الأكل الحرام، فُعْطِفَ عليه أَكْلُ آخَرٍ مُحَرَّمٍ وهو أكل المال بالباطل، والمشاركة زادت المناسبة قُوَّةً.<sup>(3)</sup>

وزاد الإمام ابن عاشور قائلا: وهذا من جملة عداد الأحكام المشروعة لإصلاح ما احتل من أحوالهم في الجاهلية، ولذلك عُطِفَ على نظائره، وهو مع ذلك أصل تشريع عظيم للأموال في الإسلام.<sup>(4)</sup>

1- الفقرة - 188

2- تفسير أبي السعود ج 1 ص 202

3- التحرير والتنوير ج 2 ص 187.

4) المرجع نفسه.

ومما يلاحظ هنا أيضا أن في هذا النهي عن أكل أموال الناس بالباطل قد استخدم أسلوب الإطناب حيث إنه جُلَّ وعلا شأنه عند ما قال: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) فقد اشتمل ذلك كل أنواع أكل أموال الناس بالباطل من السرقة والغصب والنهب والرشوة والربا والقمار وغير ذلك.

كما قال البغوي رحمه الله عليه:

والأكل بالباطل أنواع: قديكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهوكالقمار وأجرة

(1)

المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة.

وقد عبّر النظم القرآني عن الاستيلاء على أموال الناس بالباطل بـ "الأكل" وفي ذلك زيادة تشنيع وتحقير لهم، لأنهم حينئذ كالأنعام التي تأكل كل ما تستطيع الوصول إليه دون تفرقة. فقد فُصِّلَ البيان تفصيلاً وأطنب الكلام إطناباً؛ فقليل: (وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ)

قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى :

(وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) عطف على المنهي عنه أو نُصِبَ بإضمار " أَنْ " و الإدلاء: الإلقاء

(2)

أي: ولاتلقوا حكومتها إلى الحكام.

ثم بيّن القرآن الحكيم علة ذلك الإدلاء فقال: (لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) وقال: (بِالْإِثْمِ) للتنبيه المزيد على أن هذا إثم، أو بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين بالإثم. (هكذا قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى). ولم يكف بهذا بل - إظهاراً لشناعة ذلك الإثم وأكل أموال الناس بالباطل - قال تعالى: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

(3)

(4)

قال أبو السعود: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعاصي مع العلم بها أقبح.

فهذا الاهتمام الكبير لدى القرآن الحكيم بحفظ أموال الناس عن أخذها منهم بالباطل فيه لأبلغ دلالة على أهمية المال للناس عند الله سبحانه وتعالى. والله أعلم.

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ج1 ص333.

(2) تفسير أبي السعود ج1 ص202.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

## والآية السادسة

التي بيلاغتها تدل على أهمية المال قوله تعالى:

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا

تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ) .<sup>(1)</sup>

في هذه الآية الكريمة نهي الله سبحانه وتعالى الحجاج عن ثلاثة أمور أثناء الحج هي:

1- الرفث،

2- والفسوق،

3- والجidal.

قال الإمام أبو السعود:

(فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ) أي لا جماع أو فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع

بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنايد بالألقاب (وَلَا جِدَالَ) أي لا وراء مع الخدم والرفقة

(فِي الْحَجِّ) أي في أيامه.<sup>(2)</sup>

وذكر الإمام أبو السعود نكتتين بلاغيتين أيضا في هذه الآية الكريمة:

إحداهما في اختيار الاسم الظاهر في مقام الضمير في قوله تعالى: (فِي الْحَجِّ) قال: والإظهار في

مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه، وللإشعار بعلة الحكم فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بما

إلى الله عز وجل من موجبات ترك الأمور المذكورة،<sup>(3)</sup>

والنكتة الثانية - التي ذكرها أبو السعود - هي في اختيار أسلوب النفي في مقام النهي في قوله

تعالى: ( فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ )، قال:

وإثارة النفي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يكون فإن ما كان منكرا

مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج أقيح).<sup>(1)</sup>

(1) الفقرة 197.

(2) تفسير أبي السعود ج 1 ص 207

(3) تفسير أبي السعود ج 1 ص 207

ففي النظم التعبير بالخبر في موضع الإنشاء لهذا السر الذي ذكرها أبو السعود. وأمرهم جل وعلا شأنه بالتزود، قال: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).

فما معنى قوله تعالى: (وَتَزَوَّدُوا) ؟

قال الطبري رحمه الله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد، وكان بعضهم إذا أحرم رمى بما معه من الزاد واستأنف غيره من الأزودة، فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره، ومن كان منهم ذا زاد أن يحتفظ بزاده (2) فلا يرمي به.

وذكر الطبري في تأييد هذا روايتين إحداهما عن ابن عمر، والثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما. (3)

فحسب هذا التفسير، في هذه الآية الكريمة دلالةً بليغةً على أهمية المال للإنسان في أموره الدينية والدنيوية وفي تحليه بحلية الأخلاق الفاضلة من العفاف والتقوى؛ فإن الإنسان عندما يملك من المال ما يكفيه في حوائجه الدينية والدنيوية فإنه يتقي مذلة السؤال والتكفف والتثقل على الناس ويحوز بعرضه وماء وجهه، وعندما لم يملك ما يكفيه من المال فإنه يحتاج إلى الناس ويكون كلاً عليهم وهذا سيقُلل من عرضه ووجاهته عند الناس.

بلاغة السياق والأسلوب:

فدلالة هذه الآية الكريمة على أهمية المال فيها بلاغة السياق وبلاغة الأسلوب في نفس الوقت. بلاغة الأسلوب في صيغة الأمر بالتزود؛ فإن الإنسان عندما لا يملك شيئاً من المال فيماذا يتزود؟ وبلاغة السياق في تعليل هذا الأمر بقوله تعالى: (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)؛ فإنه سبحانه وتعالى جعل علة الأمر بالتزود اتصاف الإنسان بالتقوى - الذي هو روح الأعمال الصالحة كلها - فإنه عندما

(1) المرجع نفسه.

(2) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج 4 ص 156

(3) المرجع نفسه

يتزود لسفره فإنه يتقي ذنب التسؤل والتثقل على الناس، ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك بقوله: (وَاتَّقُوا) ثم قال (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) يعنى إنما يدرك حكمة الأمر بالتزود أولو الألباب، والذين لا يتزودون لا يعقلون. والله أعلم.

## والآية السابعة

الدالة على أهمية المال قوله تعالى:

(...وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا - وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّحِذَاتٍ أَخَذَانِ فَإِذَا أُخْصِرَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

بعد ذكر المحرمات من النساء - في الأولى من هاتين الآيتين والتي قبلها - قال تعالى:

(...وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ...)

فقد قيد القرآن الحكيم النكاح بالأموال - أولاً - ثم صرح بالإنفاق في أداء مهورهن وحقوقهن المالية الأخرى فقال: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ).

وفي الآية الثانية قال: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ).

فقد جعل القرآن الحكيم نكاح الرجل الحرّ بالأمة أقلّ وأحطّ درجةً من نكاح المرأة الحرة وجعله مشروطاً بعدم استطاعة نكاح الحرة والاستطاعة التي قيد جواز أو استحباب نكاح الأمة بعدمها هي

(1) النساء 24، 25

(2) النساء - 24

(3) الآية نفسها

(4) النساء - 25

الاستطاعة المالية؛ حيث قال: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ..) كما

قال الإمام أبو السعود: قوله تعالى: (طَوْلًا) أي: غِنًى وَسِعَةً<sup>(1)</sup>، ثم قال: (ومن لم يستطع منكم غنى إلى نكاحهن أو.... على أن الطول بمعنى القدرة. في القاموس: الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة).<sup>(2)</sup>

وزاد قائلا: والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالملوكات فإن حرتهن أحصتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان.<sup>(3)</sup>  
وقال أبو السعود أيضا:

وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة للمستطيع كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى وعدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلا كما هو رأي أهل الحجاز وقد جوزها أبو حنيفة رحمه الله تعالى متمسكا بالعمومات فمحمل الشرط والوصف هو الأفضلية ولا نزاع فيها لأحد.<sup>(4)</sup>

ثم في النهاية قال تعالى: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ...) <sup>(5)</sup>  
قال الإمام أبو السعود: (ذلك) أي نكاح الإماء (لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ) أي لمن خاف وقوعه في الإثم الذي تؤدي إليه غلبة الشهوة).<sup>(6)</sup>

وقال تعالى: (وَأَنْ تَصْزُرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ)<sup>(7)</sup>

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: (وَأَنْ تَصْزُرُوا) أي عن نكاحهن متعففين كافين أنفسكم عما

(1) تفسير أبي السعود، ج 2 ص 166

(2) المرجع نفسه

(3) المرجع نفسه أيضا

(4) تفسير أبي السعود ج 2 ص 167

(5) النساء - 25

(6) المرجع نفسه

(7) النساء - 25

تشتهيه من المعاصي (خَيْرٌ لَّكُمْ) من نكاحهن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض

(1)

الولد للرق).

ونقل الإمام أبو السعود هنا أثرين أحدهما لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه والثاني لسيدنا

سعيد بن جبير رضي الله عنه؛ قال عمر رضي الله عنه: أيما حرٍّ تزوج بأمة فقد أَرَقَّ نصفه.

(2)

وقال سعيد بن جبير: ما نكاح الأمة من الزنا إلا قريب.

قال أبو السعود: ولأن حق المولى فيها أقوى فلا تخلصُ للزوج خلوص الحرائر ولأن المولى يقدر

على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج

(3)

وأولاده مالا مزيد عليه ولأنها ممتحنة مبتدلة خراجة ولأجة وذلك كله دُلٌّ ومهانة سارية إلى النكاح).

بل وذكر المفسر رحمه الله حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

(4)

الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت.

إذن في هاتين الآيتين الكريمتين لأبلغ دلالة على أهمية المال الحلال الطيب الذي له دخل كبير

في جعل حياة الإنسان حياة طيبة مريحة، وعدمه قد يسبب فيها خللاً كبيراً. والله أعلم

والآية الثامنة

الدالة على أهمية المال قوله تعالى:

(5)

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...)

في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) مسلطون على أدب النساء (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ) الرجال

بالعقل والقسمة في الغنائم والميراث (عَلَى بَعْضٍ) يعني النساء (وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) يعني بالمهر والنفقة

(1)

التي عليهم دوغهن.

(1) تفسير أبي السعود ج 2 ص 168

(2) المرجع نفسه

(3) المرجع نفسه

(4) المرجع نفسه

(5) النساء - 34

وذكر الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية الكريمة فوائد بلاغية كثيرة: فقال: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) أصل تشريعيٌّ كُلِّيٌّ تنفرع عنه الأحكام التي في الآيات بعده... والحكم الذي في هذه الآية حكم عام جيء به لتعليل شرعٍ خاصٍّ فلذلك التعريف في الرجال والنساء للاستغراق، وهو استغراق عرفي مبني على النظر إلى الحقيقة<sup>2</sup>.  
وقال في بيان معنى "القَوَّام":

والقَوَّام: الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه، يقال: "قَوَّامٌ وَقِيَّامٌ وَقِيَّومٌ وَقِيَمٌ"، وكلُّها مشتقة من القيام المجازي الذي هو مجاز مرسل أو استعارة تمثيلية، لأن شأن الذي يهتم بالأمر ويعتني به أن يقف ليدير أمره، فأطلق على الاهتمام القيام بعلاقة اللزوم. أو شبه المهتمُّ بالقائم للأمر على طريقة التمثيل<sup>(3)</sup>.

ثم وضح المفسر قيام الرجال على النساء قائلا:

وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي، ولذلك قال: بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم<sup>(4)</sup>.

وقال ابن عاشور في بيان بلاغة الذكر الحكيم في استخدام صيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقُوا) : جيء بصيغة الماضي للإيماء إلى أن ذلك أمر قد تقرر في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، فالرجال هم العائلون لنساء العائلة من أزواج وبنات<sup>(5)</sup>.

وقال في بلاغة إضافة الأموال إلى ضمير الرجال:

وأضيفت الأموال إلى ضمير الرجال لأن الاكتساب من شأن الرجال<sup>(6)</sup>.

1) تفسير ابن عباس ج 1 ص 69

2) التحرير والتنوير ج 5 ص 38

3) التحرير والتنوير ج 5 ص 38

4) المرجع نفسه

5) التحرير والتنوير ج 5 ص 38

6) المرجع نفسه

وذكر ابن عاشور في "ما" في قوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقُوا) احتمالين؛ المصدرية، والموصولية، ثم بيّن

بلاغة الذكر الحكيم في استعمال "ما" هذه التي تحتل الاحتمالين معا، قال:

ومن بديع الإعجاز صوغ قوله: (وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَوَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) في

قالبٍ صالحٍ للمصدرية وللموصولية، فالمصدرية مشعرة بأن القيّامة سببها تفضيل من الله والإنفاق،  
والموصولية مشعرة بأن سببها ما يعلمه الناس من فضل الرجال ومن إنفاقهم ليصلح الخطاب للفريقين:

(1)

عالمهم وجاهلهم.

وذكر فائدة أخرى لاستخدام "ما" -التي تحتل المصدرية - دون استخدام المصدر الصريح

فقال:

ولأن في الإتيان بـ "ما" مع الفعل على تقدير احتمال المصدرية جزالة لا توجد في قولنا:

(2)

"بتفضيل الله وبالإنفاق".

فهذه الآية الكريمة أيضا دلت بأسلوبها البليغ على أهمية المال. والله أعلم.

والآية التاسعة

التي تدل على أهمية المال قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا

(3)

مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

من المعلوم أن النفس الإنسانية لأعظم احتراماً في الكائنات كلها حيث إن الله سبحانه وتعالى

قد قال: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

(4)

النَّاسَ جَمِيعًا...).

وقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ

(1)

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا).

(1) المرجع نفسه

(2) التحرير والتنوير ج 5 ص 40

(3) المائدة - 38

(4) المائدة - 32

وكما أن النفس الإنسانية لها هذا الإحترام البالغ في نظر الشيعة المطهرة كذلك احترام أعضاء الجسد الإنساني في أطرافه بالبداهة، ورغم ذلك إذا تعدت يد إنسان على مال إنسان آخر بالسرقة فإنه واجب قطعها بنص هذه الآية الكريمة سواء كانت يد رجل أو امرأة ومهما كان السارق شخصاً محترماً وعظيماً في أسرته وقومه كما قال عليه الصلوة والسلام:

"..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " <sup>2</sup>.

قال محمد بن جرير الطبري في هذه الآية: يقول جل ثناؤه: ومن سرق من رجل أو امرأة، فاقطعوا، أيها الناس، يده ولذلك رفع "السارق والسارقة"، لأحدهما غير معيّنين. ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما، لكان وجه الكلام التّصّب. <sup>(3)</sup>

وزاد قائلا: وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك:

<sup>(4)</sup>  
(والسارقون والسارقات).

وقال تعالى في الآية التالية لهذه الآية: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ). <sup>(5)</sup>

فللحفاظ على حرمة المال وصيانتها من أيدي المعتدين جعل الله سبحانه وتعالى عقوبة سرقة قطع يد السارق.

قال الطبري في تفسير هذه الآية -التالية لآية قطع يد السارق والسارقة -:

يقول جل ثناؤه: (فَمَنْ تَابَ) من هؤلاء السراق، يقول: من رجع منهم عمّا يكرهه الله من معصيته إياه، إلى ما يرضاه من طاعته (مَنْ بَعْدَ ظُلْمِهِ)، وظلمه، هو اعتداؤه وعمله ما نهاه الله عنه من سرقة أموال الناس. <sup>(1)</sup>

(1) النساء-92

<sup>2</sup> - السنن الكبرى للنسائي (7/ 16) (حديث رقم: 7344) أخرجه النائي برواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(3) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) - 10 ص 294

(4) المرجع نفسه

(5) المائدة - 39

## والآية العاشرة

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) (2)

قال الإمام ابن كثير:

وقوله: (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض. (3)

وروى ابن كثير هنا قول ابن عباس رضي الله عنه، قال: (لأكلوا من فوقهم) يعني: لأرسل السماء عليهم مدرارا، (ومن تحت أرجلهم) يعني: يخرج من الأرض بركاتها. (4)

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:

وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، كما قال تعالى:

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (5)

وقال ابن عاشور في بيان معنى إقامة التوراة والإنجيل في هذه الآية:

إقامة الشيء جعله قائما، كما تقدم في أول سورة البقرة. واستعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لأن الشيء المضاع يكون ملقى، ولذلك يقال له: "شيء لقي"، ولأن الإنسان يكون في حال قيامه أقدر على الأشياء، فلذا قالوا: "قامت السوق". فيجوز أن يكون معنى إقامة التوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام، أي لو أطاعوا أوامر الله وعملوا بها سلموا من غضبه فلاغدى عليهم نعمه. (6)

1) تفسير الطبري ج 10 ص 298

2) للمائدة - 66

3) تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 148 لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) بتحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م، عدد الأجزاء: 8

4) المرجع نفسه

5) الأعراف - 96. تفسير ابن كثير - ج 3 ص 148

6) التحرير والتنوير ج 6 ص 253

وزاد ابن عاشور قائلاً:

وقد أومأت الآية إلى أن سبب ضيق معاش اليهود هو من غضب الله تعالى عليهم لإضاعتهم

(1)

التوراة وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن، أي فتحتمت عليهم النعمة بعد نزول القرآن).

وذكر احتمالاً آخر في معنى الآية، قال:

ويحتمل أن يكون المراد: لو أقاموا هذه الكتب بعد مجيء الإسلام، أي بالاعتراف بما في التوراة

والإنجيل من التبشير ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنوا به وبما جاء به، فتكون الآية إشارة إلى

(2)

ضيق معاشهم بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

فهذه الآية الكريمة فيها دلالة بليغة على أهمية المال حيث جعل من أسباب وسعة الرزق والمال

العمل بأوامر الله وإقامة نظام كتابه في المجتمع. والله أعلم

والآيات: الحادية عشرة والثانية عشرة والثالث عشرة

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ

أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ -

فَإِنْ عُرِّرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ

بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ - ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَقْتُلُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى

(3)

وَجْهٍهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تَرَدُّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

في هذه الآيات الثلاث أبلغ دلالة على أهمية المال والحفاظ عليه من الخيانة؛ حيث إنه سبحانه

وتعالى أولاً أمر بإشهاد ذوي عدل من المسلمين - إن وجدوا - وإلا فمن غير المسلمين عند حضور

الموت لأحد منا وهو في السفر كي يوصلا المال إلى ورثة الميت الذي قد أشهدا على ماله، ثم أمر جلَّ

(1) المرجع نفسه

(2) المرجع نفسه.

(3) المائدة 106 - 108

وعلا شأنه بحبسهما بعد الصلاة وطلب القسم بالله فيقسمان بالله (إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا تَكُنْمُ شَهَادَةَ اللَّهِ).

وإجلالا لهذه الشهادة التي قد أقيمت لحفظ المال من الخيانة نسبها الله عز وجل إلى نفسه ذي الجلال والإكرام - سَمَّاها "شهادة الله" - كي يتقي الشاهدان فيها الكذب والخيانة، ثم أيضا إن عثر على أحدهما قد كذبا في الشهادة يُؤتى بشاهدين يشهدان بالحق، و تمَّ اختيار الفعل في هذه الآية مبنيا للمجهول - أي: بدلا من أن يقال: (فإن عثرتم على أحدهما استحقا إثما...) قد قيل: (فإن عثر...) أي اطلع أحدًا وأما مُطَّلِعُ اطلع على كذبهما في الشهادة، و تغليظ آخر أنه بدلا من أن يقال: "فإن عثر على كذبهما في الشهادة..." قيل: (استحقا إثما) - قد صرح بأن فعلهما هذا إثمٌ ليحذرا ارتكابه ويخافا ماله وعذابه - فعند العثور على كذب الشاهدين الأولين، قال تعالى: (فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ) أي: من أولياء الميت.<sup>(1)</sup>

ومما يجعل هذه الشهادة مهتمة بشأنها هو الأمر بحبس الشاهدين للشهادة بعد الصلاة، قال الإمام أبو السعود:

والمراد بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان يعظمونه ويحترمون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وقتل حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق ونهاية عن الكذب والزور<sup>(2)</sup>

وقال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: (مَنْ أَلْزَيْنِ اسْتَحَقَّ):

على البناء للفاعل على قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم أي من أهل الميت

(1) أنظر تفسير ابن عباس ج 1 ص 103، وتفسير أبي السعود ج 3 ص 91

(2) تفسير أبي السعود ج 3 ص 89

(1)

الذين استحق (عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ)

قال: وقرئ على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي جُني

عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خير لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما ؟

(2)

فقيل: الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من (آخِرَانِ).

وعلى أن "الأوليان" خير لمبتدأ محذوف تكون الجملة استئنافاً بيانياً لأنها وقعت جواباً عن سؤال

تولد من الكلام السابق، ولذلك جاءت بدون الواو.

وكذلك التعليل في شهادة الآخرين حيث قيل: (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْمَا

(3)

وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)

قال أبو السعود: المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى: (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ

(4)

لَمِنَ الصَّادِقِينَ). أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادَّعيا من الاستحقاق مع كونها حقاً صادقة في

(5)

نفسها (أحق) بالقبول (مِنْ شَهَادَتَيْمَا) أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها.

والسر البلاغي في استخدام صيغة التفضيل (أحق) ما ذكره أبو السعود قال: فصيغة التفضيل

مع أنه لا حقيقة في يمينهما رأساً إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء

تملكهما لما ظهر في أيديهما (وَمَا اعْتَدَيْنَا) عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما

اعتدنا عليهما بإبطال حقهما (إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدنا في يميننا

لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى).<sup>6</sup>

(1) تفسير أبي السعود ج 3 ص 91

(2) المرجع نفسه

(3) المائدة - 107

(4) النور - 6

(5) تفسير أبي السعود ج 3 ص 91.

(6) - المرجع نفسه

فهذه التشديدات كلها في الشهادات، فيها لأكبر دلالة وأبلغها على أهمية المال. والله سبحانه

وتعالى أعلم.

### والآية الرابع عشرة

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...) <sup>1</sup>

### والآية الخامسة عشرة

(2)

قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...) <sup>(2)</sup>

هاتان الآيتان ولو أن عبارة نصهما قد جاءت لنهى قتل الأولاد ولكن قوله عز وجل:

(خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) في الآية الثانية - آية سورة الإسراء - قد فسرت الآية الأولى - آية سورة الأنعام - أي: إنَّ

"مِنْ" في آية الأنعام في قوله تعالى: (مِنْ إِمْلَاقٍ) "من" سببية أي: بسبب الإملاق. كما قال الزجاج:

(خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) منصوب لأنه مفعول له، والإملاق الفقر، يقال أملق يملق إملاقاً. وكانوا يقتلون الأولاد

(3)

خوفاً من الفقر، فضمن الله عز وجل لهم رزقهم، فقال: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) <sup>(3)</sup>.

فهاتان الآيتان بإشارة نصهما أو باقتضاء نصهما قد دللتا بليغة على أهمية المال حيث

إنهما قد دللتا على أن الإنسان قد يجعله الفقر وعدم المال أوقلته يرتكب فعلاً شنيعاً كقتل أولاده من

أجل الفقر أو من خوفه وهنا نكتة بلاغية في قوله تعالى: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) حيث إنَّ في هذه الآية

هنا - في سورة الأنعام - قُدِّمَ ضمير الآباء على ضمير الأبناء، وفي سورة الإسراء في مثل هذه الآية

الكريمة قُدِّمَ ضمير الأبناء على ضمير الآباء ففيل: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) فما هو السرُّ البلاغي في هذا

الاختلاف بين الآيتين؟

قال الإمام ابن عاشور في تفسير آية الأنعام:

(1) - الأنعام 151.

(2) الاسراء - 31

(3) معاني القرآن وإعرابه ج 3 ص 236، لأبي اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م

وذكر الله رزقهم مع رزق آبائهم، وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنه كما رزق الآباء، فلم يموتوا

جوعاً، كذلك يرزق الأبناء، على أن الفقر إنما اعتري الآباء فلم يُقتل لأجله الأبناء؟<sup>1</sup>

وزاد قائلاً - مبيّنًا نكتة بلاغية أخرى -: وتقدم المسند إليه على المسند الفعلي. هنا لإفادة

الاختصاص:

(2) أي نحن نرزقكم وإياهم لا أنتم ترزقون أنفسكم ولا ترزقون أبناءكم.

وفي تفسير سورة الإسراء بيّن الإمام ابن عاشور نكتتين بلاغيتين في الفرق بين الآيتين، الأولى

في قوله تعالى في آية سورة الأنعام: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) وفي سورة الإسراء: (ولا تقتلوا أولادكم

خشية إملاق)، والنكتة الثانية هي في مخالفة ترتيب الضميرين في الآيتين. فقال:

وغَيَّر أسلوب الإضمار من الأفراد (3) إلى الجمع (4)، لأن المنهي عنه هنا من أحوال الجاهلية

زحرا لهم عن هذه الخطيئة الذميمة،.... ولكن بين الآيتين (5) فرقاً في النظم من وجهين:

الأول: أنه قيل هنا: (6) خشية إملاق وقيل في آية الأنعام: (من إملاق). (7)

وقال مبيّنًا السر البلاغي في هذا الفرق الأول بين الآيتين:

ويقتضي ذلك أن الذين كانوا يقدون بناتهم يمدونهن لغرضين:

إما لأنهم فقراء لا يستطيعون إنفاق البنت ولا يرجون منها - إن كبرت - إعانة على الكسب

فهم يمدونها لذلك، فذلك مورد قوله في الأنعام من إملاق، فإن "من" التعليلية تقتضي أن الإملاق سبب

قتلهن فيقتضي أن الإملاق موجود حين القتل.

1 التحرير والتنوير ج 8 ص 159

(2) المرجع نفسه.

(3) قوله: "من الأفراد" أي في الآية التي قبلها (إن ربك يسقط الرزق لمن يشاء ويقدر) الإسراء-30

(4) قوله "إلى الجمع" أي في هذه الآية (ولا تقتلوا أولادكم) الإسراء -31 وهذه أيضاً نكتة بلاغية.

(5) قوله: "بين الآيتين" أي: آية سورة الأنعام 151، وآية الإسراء 31.

(6) "هنا" أي في آية الإسراء. 31

(7) الأنعام - 151. التحرير والتنوير ج 15 ص 87

وأما أن يكون الحامل على ذلك ليس فقر الأب ولكن خشية عروض الفقر له أو عروض الفقر

(1) للبنات يموت أيها، إذ كانوا في جاهليتهم لا يورثون البنات، فيكون الدافع للوأد هو توقع الإملاق

واستشهد المفسر رحمه الله تعالى على ذلك بقول الشاعر إسحاق بن خلف<sup>2</sup>:

إذا تذكّرتُ بنّي حين تندبني      فاضت لِعبرة بنّي عِبرتي بدم  
أحاذر الفقر يوماً أن يلم بها      فيهلك الستر عن لحم على وضم  
تموى حياتي وأهوى موتها شفقاً      والموت أكرم نزالٍ على الحرم

(3) أخشى فظاظة عمٍّ أو جفاء أخ      وكنت أخشى عليها من أذى الكلم

ثم قال المفسر ابن عاشور:

الوجه الثاني: فمن أجل هذا الاعتبار في الفرق للوجه الأول قيل هنالك: (نحن نرزقكم

(4) وإياهم) - بتقديم ضمير الآباء على ضمير الأولاد-، لأن الإملاق الدافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء فُقِّدَ الإخبار بأن الله هو رازقهم وكُمِّلَ بأنه رازق بناهم.

وأما الإملاق المحكي في هذه الآية فهو الإملاق المخشي وقوعه. والأكثر أنه توقع إملاق البنات كما رأيت في الأبيات، فلذلك قُدِّمَ الإعلام بأن الله رازق الأبناء وكُمِّلَ بأنه رازق آبائهم. وهذا من نكت القرآن). (5)

فالنظم الحكيم في هاتين الآيتين قد دَلَّ دلالة بليغة على أهمية المال أي عدمه أو خوف عدمه

قد يحمل الإنسان على أبشع الجرائم مثل وأد البنات. والله سبحانه وتعالى أعلم.

والآية السادسة عشرة

(1) التحرير والتنوير ج 15 ص 87

2 - طبقات الشعراء لابن المعتز (ص: 291) أخبار إسحاق بن خلف حدثني المرد قال: حدثني أبو عصمة قال: كان إسحاق بن خلف أحد الشطار الذين يحملون السكاكين، ويظهرون التحل للضرب. أحبرني غير المرد أنه وجأ غلاماً من بني تمهل من ساكني مكة فقتله، وأنه حبس بذلك السب، فما فارق الحبس حتى مات.

(3) المرجع نفسه

(4) الأنعام- 31

(5) التحرير والتنوير ج 15 ص 88

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)<sup>(1)</sup>

في هذه الآية الكريمة قد أنكر الله عز وجل على الذين يُحَرِّمون على أنفسهم بعض الأشياء من الزينة وطيّبات الرزق فاستفهم استفهام إنكار وتوبيخ. كما قال النسفي رحمه الله تعالى:

ثم استفهم إنكارا على مُحَرِّم الحلال بقوله: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) من الثياب وكلّ ما يتحمل به (الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) أي: أصلها يعني القطن من الأرض والقز من الدود (وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) والمستلذات من المأكول والمشروب.<sup>(2)</sup>

ففي هذا الإنكار والتوبيخ على مُحَرِّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق أبلغ دلالة على أهمية المال، لأنّ طيّبات الرزق لا تحصل إلا بالمال .

ومن بلاغة الأسلوب أيضاً في هذه الآية أنه كان من الممكن أن يقال:

(قل من حرّم الزينة وطيّبات الرزق) ولكن النظم الحكيم إجلالاً لنعمة الزينة والطيّبات من الرزق - التي لا تحصل للإنسان إلا إذا امتلكت شيئاً من المال الحلال - قد أضافها إليه جلّ وعلا شأنه؛ فقال: (زينة الله) ولم يكتف بإضافة الزينة إلى نفسه الكريمة بل زاد قائلاً: (التي أخرج لعباده)، - بعد تشريف الزينة بالإضافة المباركة - شرف العباد أيضاً بإضافتهم إلى ضمير الجلالة - وفي هذه الجملة المباركة من الإظهار للطفه وكرمه بعباده ما لا يخفى على من لديه شيء من البصيرة والذوق الأدبي، كمن يجهّز لصديق عزيز له طعاماً لذيذاً أو لباساً جميلاً، ولكن صديقه يتجنب تناول ذلك الطعام واكتساء ذلك اللباس فيقول الجهمّز إنكاراً على تجنّبه ذلك الطعام واللباس: من حرّم الطعام أو اللباس الذي جهّزته لصديقي وحبيبي - بدل أن يقول: من حرّمه عليك؟ -

(1) الأعراف: 32

(2) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التاويل) ج1 ص565، (الأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين السفي المتوفى سنة 710هـ) الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.

ففي هذا الأسلوب الجميل للنظم الحكيم لأبلغ دلالة على أهمية المال الحلال الطيب. والله سبحانه وتعالى اعلم.

### والآية السابع عشرة

الدالة على أهمية المال قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (1)

في هذه الآية الكريمة - كما مر كذلك في شرح آية رقم ست وستين من سور المائدة:

(وَلَوْ أَنَّاهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) (2) إن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان والتقوى من شرائط فتح بركات من السماء والأرض وجعل الكفر بالله وتكذيب الرسل عليهم السلام سبباً لأخذ المكذبين الكفار وسلب البركات منهم وتسليط الذلة والمسكنة عليهم، كما قال تعالى عن اليهود الذين كذبوا الرسل: (وَضَرَبْنَا عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) (3)

قال الإمام النسفي في هذه الآية<sup>4</sup>

واللام في (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ) (5) كأنه قال ولو أن أهل القرى الذين كذبوا وأهلكوا، (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم) لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم (بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أراد المطر والنابت أو لآتيناهم بالخير من كل وجه. (6)

(1) الأعراف - 96

(2) المائدة - 66

(3) الفرة - 61

4 - (آية رقم 96 من سورة الأعراف):

(5) الأعراف - 96.

(6) تفسير النسفي ج 1 ص 588.

فهكذا دلت هذه الآية الكريمة بأسلوبها البليغ على أهمية المال الحلال الطيب.

قوله تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام لقومه الذين كذبوه:

#### والآية الثامن عشرة

(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (1)

في هذه الآية الكريمة يدعو النبي هود عليه السلام قومه إلى الله ويأمرهم بالاستغفار والتوبة من الكفر والشرك والمعاصي ويوعدهم على قبولهم دعوته وعلى إيمانهم بالله وتوبتهم واستغفارهم عما هم عليه من الكفر والشرك والظلم، يعدهم بنزول الأمطار وازدياد الرزق والبركة في الأموال.

فهذا فيه دلالة بليغة على أهمية الرزق والمال.

وذكر الطبري تحت تفسير هذه الآية الكريمة رواية؛ قال:

حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: (ويزدكم قوة إلى قوتكم)، قال: جعل لهم قوة، فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم. وذكر لنا أنه إنما قيل لهم: (ويزدكم قوة إلى قوتكم)، قال: إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتكم بالله أحبى الله بلادكم ورزقكم المال (2)

والولد، لأن ذلك من القوة.

#### والآية التاسع عشرة

الدالة على أهمية المال قوله تعالى:

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا) (3) نرى هذه الآية الكريمة والتي قبلها وهي قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) (4)

(1) هود-52

(2) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ج 15 ص 359.

(3) يوسف-55

(4) يوسف-54

نرى أن الملك عند ما أدرك علم سيدنا يوسف عليه السلام وفضله ومكانته الرفيعة وأظهر رغبته في أن يجعله من مقربيه ليستشيره ويستعين به في أمور الملك.<sup>(1)</sup> طلب منه النبي الجليل الكريم عليه الصلوة والتسليم وزارة المال لأنه كان يعلم أن المال له الدور الأساسي في إقامة العدل - الذي هو المقصد الأساسي لبعثة الأنبياء عليهم السلام -؛ كما قال تعالى:

(2) (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).

وإذا لم يكن هناك عدل في النظام المالي في كسبه وإنفاقه وتقسيمه ومبادلته فلا يمكن أن يكون عدل في أي شيء آخر لذلك طلب النبي الكريم عليه الصلوة والتسليم وزارة المال. كما قال الزحيلي رحمه الله تعالى:

فقال يوسف عليه السلام للملك: اجعلني أيها الملك على مخازن الأرض التي تخزن فيها الغلال، أشرف عليها وأتصرف بها، فأنفذ البلاد من الجماعة التي تهدد أهلها، إني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما يتولاه. (فأجاب الملك إلى طلبه، وجعله وزير المال والخزانة، وأطلق له سلطة التصرف في شؤون الحكم، لما لمس لديه من رجاحة عقل، وخبرة وضبط وسياسة، وحسن تصرف).

وقال الزحيلي في بيان معنى "الخزائن": (لفظ عام لجميع ما تحتزنه المملكة من طعام ومال وغيره).<sup>(4)</sup>

### والآية العشرون

الدالة على أهمية المال قوله تعالى: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَئْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ).<sup>(5)</sup>

(1) انظر التفسير الوسيط للزحيلي ج2 ص1115

(2) حديد-25

(3) الوسيط للزحيلي ج2 ص1116.

(4) المرجع نفسه

(5) يوسف-88

قال الزجاج رحمة الله عليه : قالوا (مُرْجَاة) قليلة، وقالوا: كانوا جاءوا بمتاع الأعراب كالصوف والسمن وما أشبه ذلك مما يبيعه الأعراب، وقيل: إن البضاعة كانت مما لا يُنفق مثله في الطعام، لأن متاع الأعراب كذلك كان تحته رديء المال.<sup>(1)</sup>

فهذه الآية والتي مرت قبلها (الآية رقم 55 من سورة يوسف) قد دللتا ببلاغتهما على أهمية المال؛ الأولى (رقم 55 من سورة يوسف) كما قد شُرح أن النبي الكريم يوسف عليه السلام ما طلب وزارة المال إلا لينجز هدف بعثة الأنبياء - الذين هو أحدهم - وهو إقامة نظام العدل في المجتمع الإنساني ولولا أن النظام المالي له دور أساسي فيه لما طلب وزارة المال، بل لربما طلب وزارة التعليم والتربية ولكن ما لم يكن النظام المالي قائما على العدل لا ينفع التعليم والتربية، ففي الآية الكريمة إشارة لطيفة إلى أهمية المال، وكذلك في الآية الثانية نرى أن إخوة يوسف عليه السلام عند ما جاءوا إليه في المرة الثالثة كيف تذللوا أمامه ومدُّوا يد السؤال إليه و تضرَّعوا وشكوا وبؤس الحال وقلة المال وإن في ذلك لدلالة بليغة في الآية الكريمة على أهمية المال، إذ لولا فقرهم وبؤس حالهم وقلة المال أو عدمه لما تضرعوا كذلك. والله أعلم

فهؤلاء هم الذين طرحوه في غيابة الجب، ثم باعوه على أيدي التجار وطرده من البيت وآذوه وأباه النبي الجليل يعقوب عليه السلام بالتفريق بينهما، ثم الآن عندما آتاه الله الملك والحكومة والمال وابتلاههم بضيق العيش وقلة المال والفقر والجذب فهم جاءوا ويتكففون أمامه ويتضرعون إليه ويسألونه ويطلبون منه الصدقة بغاية التضرع والتذلل، فأى دلالة تكون أبلغ من هذا على أهمية المال؟ والله سبحانه وتعالى أعلم.

### والآية الحادية والعشرون

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).<sup>(1)</sup>

(1) معاني القرآن للزجاج ج 3 ص 127

هذه الآية وردت ردًا على المشركين الذين يشركون بالله سبحانه وتعالى بعض مخلوقاته كما قال

الإمام البيضاوي رحمه الله عليه:

مَثَلُ مَا يَشْرِكُ بِهِ بِالْمَمْلُوكِ الْعَاجِزُ عَنِ التَّصَرُّفِ رَأْسًا وَمَثَلُ نَفْسِهِ بِالْحَرِّ الْمَالِكِ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا فَهُوَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ وَيَنْفِقُ مِنْهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَاحْتِجَ بِامْتِنَاعِ الْإِشْتِرَاكِ وَالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمَا مَعَ تَشَارُكِهِمَا فِي الْجَنَسِيَّةِ وَالْمَخْلُوقِيَّةِ عَلَى امْتِنَاعِ التَّسْوِيَةِ بَيْنِ الْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ أَعْجَزُ الْمَخْلُوقَاتِ وَبَيْنِ اللَّهِ الْغَنِيِّ الْقَادِرِ عَلَى (2)

الإطلاق).

فهذا تمثيل في غاية البلاغة والجمال ، بَيَّنَّ سبحانه وتعالى فيه الفرق بينه وبين عباده الذين يشركهم به الجهلة من الناس، وأساس هذا التفريق بين الخالق ذي الجلال والإكرام مَالِكِ الْكَوْنِ كُلِّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الَّذِينَ هُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ مَلِكِهِ شَيْئًا وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أساس التمييز والتفريق بينه وبينهم هو مِلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَمِلْكُ لَا شَيْءٍ، كما قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

ضَرَبَ تَعَالَى مَثَلَيْنِ: لَهُ وَلِمَنْ يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَيْ: رَقِيقٌ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ وَالْدُنْيَا شَيْئًا، وَالثَّانِي حُرٌّ غَنِيٌّ قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَالِ وَهُوَ كَرِيمٌ مُحِبٌّ لِلْإِحْسَانِ، فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا، هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَذَاكَ ؟

لَا يَسْتَوِيَانِ مَعَ أَنْهُمَا مَخْلُوقَانِ، غَيْرُ مُحَالٍ اسْتَوَاؤُهُمَا، فَإِذَا كَانَا لَا يَسْتَوِيَانِ، فَكَيْفَ يَسْتَوِي الْمَخْلُوقُ الْعَبْدُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَلِكٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا اسْتَطَاعَةٌ، بَلْ هُوَ فَقِيرٌ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ بِالرَّبِّ الْخَالِقِ الْمَالِكِ الْجَمِيعِ (3) الْمَالِكِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ!!).

ففي هذا التمثيل البليغ الذي أساس التفريق فيه هو ملك المال وغيره، وعدم ملك أي شيء، فيه لأبلغ دلالة على أهمية المال والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) النحل - 75

(2) تفسير البيضاوي ج 3 ص 234

(3) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج 1 ص 444 (لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى سنة 1376 هـ، تحقيق عبد الرحمن بن معلاً اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى سنة 1420 هـ 2000 م

## والآية الثانية والعشرون

الدالة ببلاغتها على أهمية المال قوله تعالى:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).<sup>(1)</sup>

أولاً: بعض نكات بلاغية في أسلوب هذه الآية الكريمة:

النكة الأولى:

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

والتعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة الماضي للتشويق إلى الإصغاء إليه،

وهو من استعمال الماضي في الحال لتحقيق وقوعه، مثل (أتى أمر الله)،<sup>(2)</sup> أو لتقريب زمن

الماضي من زمن الحال، مثل "قد قامت الصلاة".<sup>(3)</sup>

النكة الثانية: ما معنى القرية ؟

قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ) أي أذاق أهلها.<sup>4</sup>

يعنى هنا مجاز مرسل أي: أطلق المحل وأريد الحال.

النكة الثالثة: في تقديم الأمن على الطمأنينة:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى :

وقدم الأمن على الطمأنينة إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه.<sup>(5)</sup>

النكة الرابعة: الاستعارة في قوله تعالى: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ).

وهنا استعارتان: الأولى في قوله: (أذاق)، والثانية في قوله: (لباس الجوع).

(1) النحل-112

(2) النحل-1

(3) التحرير والتنوير ج 14 ص 305

(4) : تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (5/ 145)

(5) التحرير والتنوير ج 14 ص 305

قال ابن عاشور:

والإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم. وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن للإحساس بالألم والأذى إحساسًا مَكِينًا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعًا، وقد تقدم في قوله تعالى: (ليذوق وبال أمره)<sup>1</sup>.

واللباس: حقيقته الشيء الذي يلبس. وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسته، كقوله تعالى:

(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) بجامع الإحاطة والملازمة.<sup>(2)</sup>

النكتة البلاغية الخامسة: فائدة الاستعارتين.

قال ابن عاشور:

ولما كان اللباس مستعارًا لإحاطة ما غشيه من الجوع والخوف وملازمته أريد إفادة أن ذلك متمكن منهم ومستقرٌّ في إدراكهم استقرار الطعام في البطن إذ يذاق في اللسان والحلق ويحس في الجوف والأمعاء، فاستعير له فعل الإذاقة تمليحًا وجمعًا بين الطعام واللباس، لأن غاية القِرَى والإكرام أن يؤدب للضيف ويخلع عليه خلعة من إزار وبرد، فكانت استعارتان تَهْكِمَتَانِ.<sup>(3)</sup>

وزاد المفسر قائلًا - لتوضيح الاستعارتين وبياناً لجمالهما البلاغي -:

فحصل في الآية استعارتان:

الأولى: استعارة الإذاقة وهي تبعية مصرحة.

والثانية: اللباس وهي أصلية مصرحة.

ومن بديع النظم أن جعلت الثانية متفرعة على الأولى ومركبة عليها يجعل لفظها مفعولاً للفظ

(4)

(الأولى).

1 - المائد 95

2) التحرير والتنوير ج 14 ص 306

3) التحرير والتنوير ج 14 ص 307

4) المرجع نفسه

فبهذه البلاغة العالية قد دلت الآية الكريمة على أهمية المال، إذ جعل الجوع والفقر عذاباً لهم وهذا يستلزم بالبداية أهمية ما يُسَدُّ به الجوع ويُزال به الفقر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

### والآية الثالث والعشرون

الدالة على أهمية المال قوله تعالى:

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي...) (1)

(2) قال جلال الدين المحلي رحمه الله عليه: (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ) مال مدفون من ذهب وفضة.

فهذا الاهتمام الكبير من الله سبحانه وتعالى أنه ألهم نبيا من أنبيائه - إن كان الخضر عليه السلام نبيا- وأمره بحفظ مال اليتيمين من الضياع والسرقة حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما، يدلُّ على أهمية المال، والسر البلاغي في هذه الآية الكريمة في دلالتها على أهمية المال - في نظر الباحث. والله أعلم - يكمن في قوله: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) بعد قوله: (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا)، وكذلك في قوله: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)، فإنَّ استخراجهما كنزهما جُعِلَ أولاً معللاً بـ (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) وثانياً قال: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) أي: إنما فعلته بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى. كما قال جلال الدين المحلي: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ)، أي ما ذكر من حرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله. (3)

فهذا الاهتمام الكبير من الله سبحانه وتعالى من عند نفسه ويبد أنبيائه وأوليائه بحفظ مال مَنْ هو بنفسه ضعيف عن حفظه، فيه دلالة بليغة على أهمية المال الحلال الطيب.

ولمكانة اليتيمين جاء التعبير القرآني عن القرية التي بها الجدار المتصدع بـ "المدينة"، فلم يقل: بالقرية، وفي ذلك تكريم لليتيمين وزيادة اعتناء بهما، فالمكان ازداد قدراً بذكرهما في حيزه. والله أعلم.

والآيتان الرابع والعشرون والخامس والعشرون:

(1) الكهف - 82

(2) تفسير الجلالين ج 1 ص 393

(3) المرجع نفسه

الدالتان على أهمية المال قوله تعالى:

(1) (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ).

وكذلك قوله تعالى: (مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي

(2) الْأَسْوَاقِ...).

هاتان الآيتان وردتا في الرد على الكفار والمشركين في الرد على إنكارهم على الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فكيف أن يكون رسولاً من شأنه كذلك من الاحتياج إلى الطعام والمال - فإن الإنسان لا يمشي في الأسواق إلا للبيع والشراء، والبيع والشراء لا يكون إلا بالمال فمعناه أنه يحتاج إلى المال فيذهب إلى السوق للتجارة، لكسب المال بالتجارة.

ورد الله سبحانه وتعالى عليهم، قال: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

(3) وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ). أي: إن جميع الرسل كذلك كان شأنهم فإنهم كانوا بشرا والبشر لا يستغني من الطعام والمال. ففيه دلالة على أهمية المال أنه شيء لا يستغني عنه أي بشر ولو كان نبيا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

والآية السادسة والعشرون:

قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

(4) السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا - وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).

في هاتين الآيتين قد أعلن سبحانه وتعالى برضاه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بايعوه على الموت وبشرهم بإنزال السكينة عليهم وفي هذا السياق قد بشرهم بمغانم كثيرة يأخذونها، وفي هذه البشارة إشارة لطيفة إلى أهمية المال الذي سينالونه في صورة الغنيمة، فالسر البلاغي للدلالة

(1) الفرقان - 7

(2) الفرقان - 20

(3) الفرقان - 20

(4) الفتح - 18-19

على أهمية المال الحلال الطيب الذي ينالونه بشكل المغام إنمأ هو في جمع بُشرى الغنائم ببشرى رضوانه سبحانه وتعالى عنهم. والله أعلم.

بفضل الله وتوفيقه قد تم الفصل الأول من الباب الأول وسيليه الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

## الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان ضرر المال على الإنسان

كما دُكر في مقدمة البحث أن المال له أهمية كبيرة في حياة الإنسان وكذلك له ضرر كبير على حياة الإنسان الدنيوية والأخروية أيضاً، لذلك فإن الذكر الحكيم قداهتم بكلا جانبيه اهتماماً كبيراً ببلاغته المعجزة كيلا يقع الإنسان في ضرر وخسران بالإفراط والتفريط في أمر المال، فلا يهمله فيبقى محروماً من منفعه ولا يحبه حباً جماً فيبيد به الدنيا ويفسد آخرته.

فالفصل الأول من هذا الباب من البحث دُرِس فيه شيء من بلاغة النظم الحكيم في بيان أهمية المال، وفي هذا الفصل ياذن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه سيُدْرَس شيء من بلاغة النظم الحكيم في بيان مزار المال على الإنسان.

### الآية الأولى الدالة على ضرر المال:

(1) قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَخْرٌ عَظِيمٌ).

بلاغة السياق:

أولاً قال تعالى - في الآية التي قبل هذه الآية - :

(2) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

معنى الآية واضح غاية الوضوح وصريح جداً، أن القرآن الحكيم نهي المؤمنين في هذه الآية عن خيانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعن خيانة الأمانات فيما بينهم. وخيانة الأمانات فيما بينهم في المال وغيره تكون لتوفير المال وجميعه لأنفسهم بل وكذلك خيانتهم في حق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أيضاً تكون في غالب الأحوال بسبب حب المال كما قال تعالى عن علماء أهل الكتاب:

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

(3) وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ).

(1) الأنفال - 28

(2) الأنفال - 27

(3) آل عمران - 187

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(1) (ثُمَّ قَلِيلًا) أي شيئًا تافهًا حقيرًا من حطام الدنيا وأغراضها).

والدنيا كلها وما فيها في مقابلة الحق قليل وحقير وتافه.

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الإنسان يعصي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أجل حب المال كما قال تعالى في سورة الفجر:

(كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ - وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ - وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا - وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا). (2)

فلذلك هنا (في آية سورة الأنفال) قد نبّه عز وجل عباده على ضرر المال عليهم ليتقوا حب المال الذي قد يحملهم على خيانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى خيانة أماناتهم. بلاغة الأسلوب:

ولما كان ضرر المال على دين الإنسان ودنياه كبيرًا وخطيرًا اختار الذكر الحكيم أسلوبًا بليغًا جادًا، فقد جاء النظم القرآني تحملاً لخصوصيات تفي بالغرض وتنبّه المخاطب إلى خطورة المال.

فأولاً: طلب التفاتهم الكامل بقوله: (واعلموا)، ثم أخطرهم بكون المال والأولاد-الذين هما السببان الكبيران في خيانة الإنسان لله ورسوله وإخوانه من عباد الله-فتنة واختار في هذا الخير أسلوب القصر بـ"أنما"-الذي يكون أول الكلام فيه مقصوراً على آخره - (3) واختار الجملة الاسمية التي مبتدؤه "الأموال" وعطف عليه "الأولاد" والخير "فتنة"، فقد قصر الأموال وما عطف عليه أي: الأولاد على كونها "فتنة" وجاء القصر بأنما دون النفي والاستثناء، لأن "أنما" تضيي على الخير الظهور

(1) تفسير أبي السعود ج 2 ص 125

(2) الفجر - 17-20

(3) ينظر كتاب "علوم البلاغة" لمصطفى المراغي ص 158. المراغي: (ت 1371 هـ - 1952 م) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذاً للعبية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة سنة 1371 هـ - 1952. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام - ط) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه - ط) مجلدان، و (تفسير المراغي - ط) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة - ط) (2) ينظر (الأعلام للزركلي (1/ 258).

والوضوح، فهو أمر معلوم مسلّم به لا ينكره أحد، فجملة القصر تنبّههم إلى أمر مشهور معلوم، والقصر مبني على التحيز والمبالغة، فالأموال والأولاد لهما صفات أخرى غير الفتنة ولكن لم يُعَدَّ بها لأن الفتنة أخطر وأبرز هذه الصفات.

ثم جاءت فاصلة الآية الكريمة قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ). أي بعد ما نبّههم على خطر الأموال والأولاد أرشدهم إلى ما هو طريق الوقاية من ضررهما، وهو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والامتنال بأوامره والانتهاز عن منهيّاته فيهما فإذا فعلوا ذلك فقد نجّوا من خطر الأموال والأولاد وضررهما بل فوق ذلك استحقوا عند الله أجرا عظيما.

قال الدكتور روهبة الرحيلي:

(فِتْنَةٌ): اختبار وابتلاء بما يشقُّ على النفس فعله أو تركه، وهي تكون في الاعتقاد والأقوال والأفعال والأشياء، فَيَمْتَحِنُ الله المؤمن والكافر على السواء، (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تضيعوه بمراعاة مصالح الأموال والأولاد).<sup>(1)</sup>

وقال الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية الكريمة:

(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله عز وجل ليلوكم في ذلك فلا يحملنكم حُبهما على الخيانة كأبي لبابة (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) لِمَنْ آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فَنِيطُوا هَمَّكُمْ بما يؤديكم إليه).<sup>(2)</sup>

والآية الثانية

التي تدل على ضرر المال على الإنسان قوله تعالى:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).<sup>(1)</sup>

(1) التفسير المنير للرحيلي ج 9 ص 296

(2) تفسير أبي السعود ج 4 ص 18

في هذه الآية الكريمة أسلوب بليغ وتقريع شديد وتهديد فظيع وتنبية عظيم على الضرر الشديد الذي يصيب الإنسان إذا أحبَّ المال حُبًّا حالًّا بينه وبين طاعته لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والجهاد في سبيل الله لإظهار دين الله على الدين كله والقضاء على نظام الظلم قله وحله.

بلاغة السياق:

هذه الآية الكريمة وردت في سياق التحريض على الجهاد بالأموال والأنفس جهاد الكفار أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دين الله وأعداء المؤمنين، الكفار الذين يكذبون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويظلمون الناس ويصدون عن سبيل الله، ففي الآية رقم تسعة عشر من السورة (سورة التوبة) استفهام إنكاري وتوبيخ للذين كانوا يظنون أن من يسقون الحجاج ويعمرون المسجد الحرام من الكفار كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم تصريح بالتفريق بين الفريق الأول والثاني بقوله تعالى:

(لايستوون عندالله) <sup>(2)</sup> ثم إشارة إلى علة عدم المساواة بين الفريقين بقوله تعالى: (والله لا يهدي

<sup>(3)</sup> القوم الظالمين).

يعنى: إنهم ظالمون - في حقوق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم الظالمون في حقوق عباد الله بغصب حقوقهم وبصدُّهم عن سبيل الله، ثم في الآية رقم عشرين بَشَّرَ سبحانه وتعالى عباده الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بكونهم أعظم درجة عندالله والفوز العظيم وبرحمة منه ورضوانٍ وحنانٍ لهم فيها نعيم مقيم، حالدين فيها أبداً، ثم التفت خطابه جلَّ شأنه وعمَّ نواله إلى عباده المؤمنين مباشرةً فنهاهم صراحة عن اتخاذهم آباءهم وإخوانهم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، وتنبَّههم أنَّ من يتولاهم يكون من

(1) التوبة - 24

(2) الآية نفسها

(3) الآية نفسها

الظالمين، ثم التفت جل وعلا شأنه بالخطاب عن المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي هذه الآية الكريمة ترقى عما سبق في الآية التي قبلها بوجوه:

#### الوجه الأول:

الإحصاء بكل ما يمكن أن يمنع المؤمنين من إطاعة الله ورسوله وإنفاق المال والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس - من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات التي يخشون كسادها ومساكن يرضونها.

#### الثاني:

التصريح بالوعيد بالعذاب إن أحب المؤمنين هؤلاء الخلائق والأموال حُباً منعهم من إطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله.

#### الثالث:

فاصلة هذه الآية قوله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) فيه تعريض بأولئك الذين يمتنعون عن الجهاد في سبيل الله بسبب حبهم لأقاربهم وبسبب تعلق قلوبهم بالأموال والمتاجر والمساكن المريحة لهم في الحياة الدنيا بأنهم الفاسقون، وحبهم هذا للأموال وغيرها قد تسبب لهم الحرمان من الهدى لأنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين، فأئى ضرر يكون على الإنسان أكبر من حرمانه الهدى واستحقاقه العذاب في الدنيا والآخرة؟

وهذا الضرر الأكبر قد أصاب الإنسان بسبب حبه المال وغيره أكثر من حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله وإثاره المال وغيره من المعاش على الآخرة. وفي هذا لأبلغ دلالة على ضرر المال على الإنسان بإفراطه في حب المال. وجه آخر من البلاغة:

هنا في هذه الآيات مقابلة جميلة غاية الجمال بليغة غاية البلاغة.

بين الآيات الثلاثة - العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين -، وبين الآية الرابعة والعشرين؛

ففي الآيات الثلاث الأولى دلالة على أهمية المال وجانبه النفعي للإنسان - إذا استخدمه في طاعة الله

سبحانه وتعالى وجهاد به في سبيل الله - فله ما دُكر في هذه الآيات من رحمة ورضوان من ربه الكريم وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا وله عند الله أجر عظيم.

وفي الآية الرابعة والعشرين أبلغ دلالة - كذلك - على ضرر المال على الإنسان إذا أحبه حباً منعه من إطاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله.

فهذا من بلاغة النظم الحكيم أنه بأي أسلوب بليغ قد جمع بين جهتي المال وغيره المتضادين في سياق واحد بأجمل مقابلة وأروعها!

وهناك أسرار بلاغية أخرى في نظم هذا الأسلوب - الذي قال الإمام أبو السعود رحمه الله عليه مبيّناً تلك الأسرار البلاغية في الآية التي قد دلت على الجانب الضري للمال على صاحبه - (الآية الرابعة والعشرين من السورة):

(قُلْ) تلويح للخطاب وأمر له صلى الله عليه وسلم بأن يُبَيِّنَ المؤمنين ويُقَوِّي عزائمهم على الانتفاء عما تُهو عنه من موالاة الآباء والإخوان ويُهدِّم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب. (1)

وقال في بيان فائدة ذكر الأبناء والأزواج في هذه الآية الكريمة دون التي قبلها:

(2) لم يُذكر الأبناء والأزواج فيما سلف لأن موالاة الأبناء والأزواج غير معتاد بخلاف المحبة.

وقال في فائدة وصف الأموال بالاقتراف:

(وَأَمْوَالٍ اقْتَرَفْتُمُوهَا) أي اكتسبتموها، وإنما وُصِفَتْ بذلك إيماءً إلى عزتها عندهم لحصولها بكد (3)

(اليمين).

ثم قال قولاً مجملاً في فائدة اتصاف الأموال بالاقتراف والتجارة بخشية الكساد والمساكن بصفة الرضا (تَرْضَوْنَهَا) والتعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما دُكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها، وأنما مع مالها من فنون المحاسن بمعزل عن أن يؤثر حبها على حبه تعالى

(1) تفسير أبي السعود ج 4 ص 54

(2) المرجع نفسه

(3) تفسير أبي السعود ج 4 ص 54

(1)

وحبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل: (ما غرَّك بربك الكريم).  
أي أن هذه الأمور بها من الصفات ما يجعلها مُحبَّبة إلى النفوس ومع ذلك يجب على المؤمن إظهار حبِّ الله ورسوله والجهاد في سبيله عليها.  
ومن الأسرار البلاغية في هذه الآية الكريمة أيضا أن القرآن الكريم لم يَصِفِ الأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة بأيِّ وصف يدعو إلى حبِّها لأن حبَّها أمرٌ فطريٌّ في غزيرة الإنسان فلا تحتاج إلى أوصاف يحبُّها إليه.

وقال أبو السعود في فائدة اسم التفضيل (أحبَّ) في قوله تعالى:

(2)

(أحبَّ إليكم من الله ورسوله):

بالحبِّ الإختياريِّ المستتبَّح لأمره الذي هو الملازمة وعدمُ المفارقة، لا الحب الحبيليُّ الذي لا يخلو

(3)

عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة).

(4)

قوله تعالى: (حتى يأتي الله بأمر).

قال الزمخشري وغيره من المفسرين:

وعيدٌ، عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو فتح مكة، وعن الحسن: هي عقوبة عاجلة أو آجلة.

وقال الزمخشري:

وهذه آية شديدة لا ترى أشدَّ منها كأنها على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين،

واضطراب حبل اليقين، فلينصف أروع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله

والثبات على دين الله ما يستجِبُّ له دينه على الأبناء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع

(1) سورة الانفطار - (6) تفسير أبي السعود ج 4 ص 55

(2) التوبة - 24

(3) تفسير أبي السعود ج 4 ص 55

(4) التوبة - 24

حظوظ الدنيا ويتجرده منه لأجله، أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها بمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول؟<sup>(1)</sup>

وهنا نكتة أخرى أيضاً من بلاغة النظم الحكيم في هذه الآية الكريمة، وهو التعبير بـ "إن الشرطية التي تفيد أن فعل الشرط نادر الحدوث وغير مقطوع به، وفي هذا إشارة إلى أنه لا ينبغي أن تكون هذه الأمور أكثر حياءً إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله.

### والآية الثالثة:

الدالة على ضرور المال على الإنسان قوله تعالى:

(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ).<sup>(2)</sup>

### بلاغة السياق:

هذه الآية أيضاً وردت في سياق الأمر بالجهاد في سبيل الله وفي الرد والتوبيخ على المنافقين الذين يدعون الإيمان ولكن يفرون عن الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس فهنا حوالى ثلاثين آية نزلت في الرد والتوبيخ عليهم، ثلاث عشر آية قبل هذه الآية وخمس عشرة آية بعدها ففي الآيات التي قبل هذه الآية ذكر أن المنافقين يفرون عن الجهاد في سبيل الله بأعذار ركيكة واهية لاحقيقة لها. أولاً: هم لا يخرجون للجهاد ولا يريدون الخروج له، ولو خرجوا لا يخرجون بنية الجهاد، بل بنية الفتنة والمكائد ضد الإسلام والمسلمين.

وَرَدَّتْ نَفَقَاتُهُمْ - لو أنفقوا شيئاً في سبيل الله - لأنهم يُظهرون بلسانهم الإيمان ويكتمون في قلوبهم الكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالي ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

(1) الكشف ج 2 ص 254

(2) التوبة - 55

وبعد هذه الآية الكريمة بيّن القرآن الحكيم أنهم يحلفون - كذباً - أنهم منكم أي إنهم مؤمنون، وفي الحقيقة إنهم ليسوا من المؤمنين بل كُفَّارٌ يكتُمون كفرهم وعداوتهم للإسلام والمسلمين في قلوبهم من أجل جبنهم وخوفهم.

ثم ذكرت عيوبهم وخبائثاتهم الأخرى، وفي هذه الآية كأنّ القرآن الحكيم قد ردّ على سؤال كان ناشئاً في قلوب بعض الناس عن كونهم في حالة حسنة - في الظاهر - حيث إنهم ذوو أموالٍ غزيرة وأولادٍ كثيرة، فهل أموالهم وأولادهم نعمة لهم من الله؟ فقال تعالى: (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) فإنها ليست نعمةً لهم ولا علامةً رضي الله عنهم.

بلاغة الأسلوب:

وفي هذا الرد يطالعنا: أنّ الله سبحانه وتعالى أولاً: نهي رسوله صلى الله عليه وسلم أو كلّ من ينظر إلى حالتهم الحسنة - ظاهراً - بكثرة أموالهم وأولادهم، فالخطاب هنا ليس لمخاطب معيّن وإنما كلّ من يقرأ الآية فهو معني بالنهي عن الإعجاب بما فيه أهل الكفر من رغبة ونعم.

ثم بيّن علة هذا النهي واختار فيه أسلوب القصر فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)، أي إنه جلّ وعلا شأنه لم يعطهم هذه الأموال والأولاد رضا ونعمة، بل إنما أعطاهم إيّاها لتكون سبب التعذيب لهم في الدنيا والآخرة.

قال البغوي رحمه الله تعالى :

(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ) والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من الله في استدراج كثرة الله ماله وولده (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، فإن قيل: أيّ تعذيب في المال والولد وهم يتمتعون بها في الحياة الدنيا؟

قيل: قال مجاهد وقتادة رحمة الله عليهما:

في الآية تقلص وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد) وقال الحسن :

(1)

(ليعذبهم بما في الدنيا يأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله).

وذكر البغوي رحمه الله تعالى قولاً ثالثاً، قال:

وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه، والكراهة في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من

(2)

لا يحمد، ثم يقدم على مَلِكٍ لا يعذره).

ونسب مكِّي ابن أبي طالب رحمه الله عليه قول التقاسم والتأخير في الآية - القول الذي نسب

البغوي إلى مجاهد وقتادة - إلى ابن عباس رضي الله عنهما ونسب القول الثاني إلى الحسن رحمه الله عليه

فقال: إنما المعنى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي بما ألزمهم فيها من أخذ الزكاة والنفقة في

سبيل الله عز وجل، وهو اختيار الطبري على معنى: أنهم يخرجونها تقيّة وخوفاً، ويقلقهم غرمها، ويحزنهم

(3)

خروجها من أيديهم فهي لهم عذاب).

وقال النسفي رحمه الله تعالى:

فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها

أو بالإففاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له أو ينهب أموالهم وسبي أولادهم أو يجمعها وحفظها والبخل

(4)

بها والخوف عليها وكل هذا عذاب).

إذن في هذه الآية أبلغ دلالة على ضرر المال على الإنسان - إذا لم يجتمع معه إيمان صادق

بالله واليوم الآخر.

(1) المرجع نفسه

(2) المرجع نفسه

(3) الهداية إلى بلوغ النهاية ج 4 ص 3029 (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجل من فنون علومه)

المؤلف: أبو محمد مكِّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)

المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي

الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة

الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

عدد الأجزاء: 13 (12)، ومجلد للفهارس

(4) تفسير النسفي ج 1 ص 687

والآية الرابعة:

الدالة على ضرر المال قوله تعالى: (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق:

هذه الآية الكريمة أيضا وردت في سياق ذم المنافقين وتوبيخهم. مرت قبلها ثمان آيات في توبيخ المنافقين وذمهم وذكر جرائمهم من إيذاء النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم وإخفائهم الكفر في قلوبهم وبيان الوعيد بالنار ولعنة الله عليهم، ثم جاءت هذه الآية الكريمة..

بلاغة الأسلوب:

قبل هذه الآية الكريمة بثمان آيات ذكر المنافقون بصيغة الغياب ولكن في هذه الآية وقع التفات من الغيبة إلى الخطاب، فوجه الكلام مباشرة إليهم ففي هذا الالتفات سر بلاغي، وهو زيادة التشديد والتخليط عليهم.

وهناك أسرار بلاغية غير هذا أيضا في داخل الآية الكريمة قد ذكرها جميعا الإمام أبو السعود رحمه الله عليه قال:

(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) التفات من الغيبة إلى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة أو في حيز النصب بفعل مقدّر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) تفسير وبيان لشبههم بهم وتمثيل لحالهم بخالهم).<sup>(2)</sup>

السر البلاغي في استخدام باب الإستفعال (استمتعتم) بدلا من التفعّل (تمتعتم):

قال أبو السعود:

(1) التوبة - 69

(2) تفسير أبي السعود ج 1 ص 81

في صيغة الاستفعال ما ليس في صيغة التفعّل من الاستزادة والاستدامة في التمتع.

(1)

(يَخْلَقُهُمْ) بنصيبهم في ملاذ الدنيا، واستقامة من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدّر لصاحبه.

سِرُّ التشبيه في قوله تعالى: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا).  
قال أبو السعود: ذمّ الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائم بها عن النظر

(2)

في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذمّ المخاطبين بمشاجعتهم إياهم واقتنائهم أثرهم).

(أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

السّر في استخدام اسم الإشارة والمراد من حبط الأعمال:

قال أبو السعود رحمه الله:

ليس المراد بها أعمالهم المعنودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الإشارة فإن غائلتها غنية عن البيان بل أعمالهم التي كانوا يستحقون بها أجورا حسنة لو قارنت الإيمان أي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها أثر..... (وَأُولَئِكَ) أي الموصوفون بحبوط الأعمال في الدارين (هُمُ الْخَاسِرُونَ) الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباده وأسبابه طرّا فإنه قد ذهبت رءوس أموالهم التي هي أعمالهم فيما ضرّهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى بهم خسرانا.

(3)

فتعريف الطرفين وتوسط ضمير الفصل بينهما أفادا قصر الخسران عليهم على سبيل التجوز والمبالغة، قصر صفة على موصوف أي ما خاسرون إلا أولئك، فخسراهم بلغ الغاية والكمال بحيث لا يعتد بخسران غيرهم بالنسبة لخسراهم.

وقال أبو السعود في سر اسم الإشارة في الآية في الموضعين:

(1) المرجع نفسه

(2) تفسير أبي السعود ج 4 ص 81

(3) المرجع نفسه

(1)

وإيراد إسم الإشارة في الموضعين للإشعار بعلية الأوصاف المشار إليها للحبوط والخسران.

فالتعريف بالإشارة أفاد أن المشار إليه حقيق وجدير بحبط الأعمال والخسران من أجل تلك

الأوصاف السابقة من استمتاعهم بالأموال، وخوضهم في كل ما يخالف الدين.

يؤيد قول أبي السعود رحمه الله تعالى ما ذكره البلاغيون من فائدة تعريف المسند إليه بالإشارة كما

قال القزويني رحمه الله تعالى:

وإن كان بالإشارة فإما لتمييزه أكمل تمييز... وإما للتنبيه -إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور

(2)

وعُقِبَ بأوصاف - على أن ما يرد بعد اسم الإشارة جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف).

وزاد القزويني قائلا - لتوضيح المسألة كاملا - معلقا على قول حاتم الطائي:

فعدد له كما ترى حصلاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً، والصير على ألم الجوع،

والأنفة من أن يعد الشبهة مغنماً، وتيمم كبرى المكرمات، والتأهب للحرب بأدواتها، ثم عقب ذلك

(3)

بقوله: ف "ذلك" أفاد أنه جدير بإتصافه بما ذكره

فعلى أساس هذه القاعدة -عند البلاغيين - أخرج أبو السعود رحمه الله تعالى السر البلاغي

(1) تفسير أبي السعود ج 4 ص 82

(2) الإيضاح في علوم البلاغة ص 45

(3) المرجع نفسه (واستشهد القزويني رحمه الله تعالى على ذلك بأبيات حاطم الطائي الآتية:

والله صعلوك يساور همة ويمضي علي الأحداث والدر مقدا

ففي طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شعبة إن نالها غد معنا

إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت تيسم كبراهن تكت صمما

يرى رحمه وتبله ومجنه وإذا شطب غضب الضريبة مخدما

وأحناء سرج قاتر ولجامه عتاد أحي هيجا وطرفا مسوما

فذلك إن يهلك فحسنى ثناء وإن عاش لم يقعد ضعيفا مدما

واستشهد القزويني أيضا بقوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). (البقرة -3) وقال معلقا على الآية

الكرمة: أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من احتصاص المذكورين قلبه باستحقاق الهدى من رحم والفلاح. (الإيضاح في علوم

البلاغة ص 45 )

المذكور في الآية الكريمة من استخدام اسم الإشارة مكان الضمير في قوله تعالى: (أُولَئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) <sup>(1)</sup> وإيراد اسم الإشارة في الموضعين للإشعار بعلية

الأوصاف المشار إليها للحبوط والخسران <sup>(2)</sup>

ففي هذه الآية الكريمة دلالة بليغة واضحة على أن للمال ضرراً كبيراً على الإنسان إن لم يرافقه إيمان صادق وقوي بالله واليوم الآخر.

#### والآية الخامسة:

الدالة على ضرر المال قوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَمَانًا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) <sup>(3)</sup>

هذه الآية أيضاً وردت في ذم المنافقين وبيان خباثتهم ومكائدهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين المؤمنين حقاً.

#### بلاغة السياق:

في الآية السابقة على هذه الآية أمر النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأكرم التسليم بجهاد الكفار والمنافقين واختيار الشدة والغلظة عليهم ووعدوا بجهنم، وفي هذه الآية الكريمة ذكرت علة ذلك، وهوهمهم بإضرار النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وعلة ذلك غمؤهم بإغناء الله ورسوله كما قال تعالى: (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ)، ثم نتيجة لكفرهم وهمهم الخبيث قال تعالى: (فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي

(1) التوبة - 69

(2) تفسير أبي السعود - 4 ص 82

(3) التوبة - 74

(1)

الْأَرْضِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ).

ومن لطائف هذه الآية استخدام أسلوب القصر، وجاء الأسلوب على طريقة تأكيد الذم بما يشبه المدح، فالإغناء وهو مدح مستثنى من إنكارهم على رسول الله، وفي ذلك إشارة إلى سخافة عقولهم. فقال تعالى: (وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) فقد قصر تمردهم المذكور على غنائهم الذي حصل بالمال الذي أعطاهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبدل أن يشكروا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على هذه النعمة، لَمَّا كانت قلوبهم من قبل مليئة بالكفر والنفاق والعناد لله ولرسوله والمؤمنين زادهم الغناء والتموّل كفراً وعناداً لله ولرسوله والمؤمنين.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر، كان فقيراً فأغناه الله بأن قُتِلَ له مولى، فأعطاه رسول الله دينه. فلما قال ما قال، قال الله تعالى: (وَمَا نَقْمُوا)، يقول: ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ).

(2)

ثم ذكر الطبري رواية عن ابن وكيع قال حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه: (وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ)، وكان الجلاس قُتِلَ له مولى، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته، فاستغنى، فذلك قوله تعالى: (وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ).

(3)

وذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أسماء مختلفة لمن قال كلمة الكفر والذي قتل له مولى فأعطى دينه فاستغنى فمنهم من ذكر (الجلاس) وفي بعض الروايات عبدالله بن أبي ابن سلول، وكان هو الذي لم ينله قوله: (لَيْتَن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ).

(4)

وهذا القول الأخير أقرب إلى الفهم لتأييد آية سورة "المنافقون"، له و أن يكون القاتل غير واحد

(1) التوبة - 74

(2) جامع البيان في تأويل القرآن ج 14 ص 366

(3) المرجع نفسه

(4) المنافقون-8

منهم لأنهم كانوا فريقاً من المنافقين متفقين في الأفكار الخبيثة والأقوال والأعمال الكريهة، وغرضنا لا يتعلق بهذه التفاصيل، وإنما غرضنا الذي نحن بصدده أن في الآية الكريمة دلالة بليغة على أن المال إذا كان في يد إنسان خسيس مثل هؤلاء الكفار والمنافقين الفاسقين فإنه يضرهم في النهاية. والآية السادسة:

الدالة على ضرر المال قوله تعالى: (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ).<sup>(1)</sup>

هذه الآية الكريمة مثل التي مرت قبل ثلاثين آية في هذه السورة بنفس الألفاظ وقد مر عليها شئ من البحث هناك وهنا قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجبك، يا محمد، أموال المنافقين وأولادهم، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره، من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات).<sup>(2)</sup>

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى:

(وتزهد أنفسهم)، يقول: وليموت فتخرج نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالا عليه حينئذ، ووبالا عليه في الآخرة، بموته جاحداً توحيد الله، ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم).<sup>(3)</sup>

وسرُّ البلاغة في دلالة هذه الآية الكريمة على ضرر المال على الإنسان - إذا خلا من رقابة الإيمان القوي الخالص النقي من شوائب الكفر والنفاق وحب المال والجاه - في أسلوب القصر في قوله تعالى:

(1) التوبة - 85

(2) تفسير الطبري ج 14 ص 411

(3) المرجع نفسه

(1) (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ).

بجانب السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة من ذم المنافقين ولا سيما الأغنياء ذوي الطول

منهم.

والآية السابعة:

قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ - قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

إن نبي الله سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ينضرع إلى الله سبحانه وتعالى ويشكو إليه ضلال قومه، ويجعل سبب ضلال قومه كثرة الأموال وأسباب الزينة في الدنيا عند فرعون وملائه، ويظهر قلقا واضطرابا شديدا على ضلال قومه وعدم قبولهم الحق من أجل رغبتهم ورهبتهم لفرعون وملائه الذين قد آتاهم الله أموالا غزيرة وزينة كبيرة.

قال القرطبي رحمه الله عليه:

(زينة وأموالا في الحياة الدنيا) أي مال الدنيا، وكان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة

(3) جبال فيها معادن الذهب والفضة والزرجد والزمرد والياقوت).

وقال في تفسير قوله تعالى: (رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ):

اختلّف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبويه - أنها لام العاقبة والصيرورة. وفي الخبر: إن الله تعالى ملكا ينادي كل يوم ليدوا للموت وابنوا للخراب. أي لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوا. وقيل: هي لام كي أي أعطيتهم لكي يضلوا

(1) التوبة - 85

(2) يونس - 88-89

(3) الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 374

(1)

ويطروا ويتكبروا).

ولذلك يدعو النبي الكريم موسى عليه الصلاة والتسليم عليهم بطمس أموالهم وإهلاكها.

قال الزجاج: أي، إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا، فأصأرهم ذلك إلى

الضلال كما قال - جلَّ وعزَّ (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) <sup>(2)</sup> أي فالتقطوه وآل أمره أن

صار لهم عَدُوًّا وَحَزَنًا، لا أنهم قصدوا إلى أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا. <sup>(3)</sup>

وقال في تفسير قوله تعالى: (ربنا اطمس على أموالهم):

وتأويل تطميس الشيء إذهابه عن صورته والانفاج به على الحال الأولى التي كان عليها. <sup>(4)</sup>

وذكر القرطبي هنا روايات؛ قال:

قال ابن عباس ومحمد بن كعب: صارت أموالهم ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا

وأثلاثا وأنصافا، ولم يبق لهم معدن إلا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد. وقال قتادة: بلغنا أن

أموالهم وزروعهم صارت حجارة. وقال مجاهد وعطية: أهلكها حتى لا ترى، يقال: عين مطموسة،

(5)

وطمس الموضع إذا عفا ودرس).

وإن الله قد قرَّر وأبَد رأي نبيه سيدنا موسى عليه السلام ذلك، أي: نسيب أموال فرعون وملائه

وزينتهم لضلالهم وبطريهم وكفرهم وإضلالهم بما عباد الله المستضعفين المقهورين المحكومين لهم، وتقبل

(6)

دعائه فقال: (قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ).

قال أبو السعود: (قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) يعنى موسى وهارون عليهما السلام لأنه كان يؤمن

كما يُشعر به إضافة الرب إلى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة (فاستقيما) فاثبتنا على ما أنتما

(1) تفسير القرطبي ج 8 ص 374

(2) القصص - 8

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج 3 ص 30

(4) المرجع نفسه

(5) الجامع لأحكام القرآن (تفسير فرطبي) ج 8 ص 374

(6) بوس - 89

عليه من الدعوى والزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن في وقته لا محالة. روي أنه مكث فيهم

(1)

بعد الدعاء أربعين سنة).

(ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون)

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: (لا يعلمون):

أي يعادات الله سبحانه في تعليق الأمور بالحكم والمصالح، أو سبيل الجهلة في الاستعجال أو

(2)

عدم الوثوق بوعد الله تعالى).

وينحو هذا قال النسفي (3) والقرطبي (4) وكذلك قال غيرهم من المفسرين. ولكن يمكن أن يقال

شيء آخر في تفسير قوله تعالى: (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) وهو أن فرعون وملاه كان من

عادتهم أنه كلما كان يأخذهم شيء من العذابات من الدم، والصفاد والقمل والجراد وغير ذلك كانوا

يتضرعون إلى سيدنا موسى عليه السلام للدعاء لكشف العذاب ويعدونه بأنهم لو كشف الله عنهم هذا

العذاب ببركة دعاء موسى عليه السلام فسيؤمنون به ويرسلون معه بني إسرائيل فيدعولهم موسى عليه

السلام برفع العذاب عنهم وكلما رُفِع عنهم العذاب ترمدوا ورجعوا إلى كفرهم وظلمهم على قوم موسى

عليه السلام كما قال تعالى: (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ إِنَّمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لَئِنْ

كُشِفَتْ عَنَّْا الرِّجْزُ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ - فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ

(5)

بِالْعُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ).

ولعلمهم في طلب الدعاء من سيدنا موسى عليه السلام كانوا يتوسلون ببعض سزجة بني إسرائيل

- الذين كانوا لا يعلمون مكائدهم السياسية - فهم يلتمسون إليه عليه السلام بالدعاء لفرعون وقومه

فبدعائه يكشف الله عنهم العذاب، ولذلك هذه المرة قد نهي الله نبيه عليه الصلاة والسلام من الدعاء

(1) تفسير أبي السعود ج 4 ص 172

(2) المرجع نفسه

(3) أنظر مدارك التنزيل ج 2 ص 38

(4) أنظر تفسير القرطبي ج 8 ص 376

(5) الأعراف 0-134، 135

لهم ليقضي الأمر عليهم، وكما يدل عليه دعاء موسى عليه السلام: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ).<sup>(1)</sup> لأنه عليه السلام كان قد جرَّهم مرارا أنهم كلما ينزل عليهم عذاب يعلنون الإيمان وكما أن يُرْفَع عنهم العذاب يرتدُّون إلى الكفر والطغيان فلذلك قال عليه السلام: (وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). - الذي يقضي عليهم.

وفي هذا الدعاء الذي دعا به موسى عليه السلام واستجابة الله تعالى كما دعاه نبيه عليه الصلاة والسلام لأبلغ وأوضح دلالة على ضرر المال على المجتمع الإنساني ضررا روحيا وماديا أي أنه يسبب فساد الدين والأخلاق للأغنياء الأثرياء الذين يجمعون أموالا عزيزة، وللعمامة الذين يسلط عليهم من قبل الحكام الأثرياء، الفقر والحرمان فيفسد أخلاقهم جميعا ثم يهلكون نتيجة لكفرهم وأخلاقهم السيئة.

#### والآية الثامنة:

الدالة على ضرر المال قوله تعالى:

(وَلَوْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ الرَّزْقَ لِعَبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)<sup>(2)</sup>

بلاغة السياق/ أو الوصل:

قال الله تعالى قبل هذه الآية:

(وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)<sup>(3)</sup>

قال البقاعي رحمه الله تعالى : ولما كان المتبادر من الاستجابة إيجاد كل ما سألوه في هذه الدنيا على ما أرادوه وكان الموجود غير ذلك بل كان أكثر أهل الله مضيقاً عليهم، وكانت الإجابة إلى كل ما

(1) يونس - 88

(2) الشورى - 27

(3) الشورى - 26

يسأل بأن يكون في هذه الدار يؤدي في الغالب إلى البطر المؤدّي إلى الشقاء فيؤدي ذلك إلى عكس المراد، قال على سبيل الاعتذار لعباده - وهو الملك الأعظم - مبيناً أن استحبابه تارة تكون كما ورد به

الحديث لما سأله، وتارة تكون بدفع مثله من البلاء وتارة تكون بتأخيره إلى الدار الآخرة.<sup>(1)</sup>

بلاغة الأسلوب:

قال البقاعي أيضاً مبيناً سراً استخدام الاسم الظاهر مكان الضمير في قوله تعالى: (ولو بسط الله الرزق لعباده) بدل أن يقول: (ولو بسط الله الرزق لهم) هكذا أي لهم كان الأصل، لكنه كره أن يظن خصوصيته ذلك بالتائبين فقل: (لعباده) أي كلّهم التائب منهم وغيره بأن أعطاهم فوق حاجتهم (لبغوا في الأرض) أي لصاروا يريدون كلّ ما يشتهونه، فإن لم يفعل سعوا في إنفاذه كالمملوك بمأثم من المكنة بكل طريق يؤصلهم إليه فيكثر القتل والسلب والنهب والضرب ونحو ذلك من أنواع الفساد.<sup>(2)</sup>

وقال البقاعي أيضاً:

ولما كان أكثر الناس يقول في نفسه: لو بسط إليّ الرزق لعملت الخير، وتجنبت الشر، وأصلحت غاية الإصلاح، قال معللاً ما أحر به في أسلوب التأكيد: (إنه) - وكان الأصل: " بهم "، ولكنه قال: (بعباده) - لئلا يُظنّ أن الأمر خاص بمن وُسّع عليهم أو ضيّق عليهم: (خبير بصير) يعلم جميع ظواهر أمورهم وحركاتهم وانتقالاتهم وكلامهم وبواطنها.<sup>(3)</sup>

وقال الرمخشري رحمه الله تعالى :

لبغوا من البغي وهو الظلم، أي: لبغى هذا على ذاك، وذاك على هذا، لأن الغنى مبطّرة مباشرة، وكفى بحال قارون عبرة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 17 ص 308

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 17 ص 308

(3) المرجع نفسه

(1)  
وكثرتها.

ففي هذه الآية لأبلغ دلالة على أن كثرة المال قد يفسد الناس ويضر بالمجتمع البشري ضرا كبيرا. وأي ضرر أكبر من البغي في الأرض ؟  
والآية التاسعة:

الدالة على ضرر المال قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (2)

هنا في قوله تعالى: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) مجاز عقلي في إسناد الإلهاء إلى الأموال، لأن الأموال ليست من ذوي العقول حتى تلهيهم عن شيء - بالقصد والإرادة - ولكنها لما كانت سبب الاشتغال بها عن ذكر الله أُسند الإلهاء إليها على سبيل المجاز العقلي، كما قال البيضاوي رحمه الله تعالى: والمراد نهيهم عن اللهو بها. وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذا قال:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أي اللهو بها وهو الشغل. فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني). (3)

ففي هذه الآية أبلغ دلالة على ضرر المال على الإنسان حيث إنه قد يلهي الإنسان عن ذكر الله والله عن ذكر الله عز وجل سبب خسران عظيم للإنسان.  
والآية العاشرة:

(4)  
قوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

1) الكشاف ج 4 ص 223. (وقال المحشي في الهامش: "مبطرة مآثرة" في الصحاح: الأثر: البطر)

2) المناقون - 9

3) أنوار التبريل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي ج 8 ص 215

4) النغابن - 15

من بلاغة الأسلوب في هذه الآية الكريمة استخدام أسلوب القصر بـ "إنما" التي قال عنها

البلاغيون:

إنما تفيد قصر أول الكلام على آخره ويكون الأمر فيه ظاهراً بحيث لا يجهله المخاطب ولا ينكر

(1)

صحته).

يعني إن كون الأموال فتنة أمرٌ جلي واضح معلوم للجميع.

قال احمد بن مصطفى المراغي رحمه الله تعالى :

أي: إنما حُكِّمَ لأموالكم وأولادكم ابتلاءً واختباراً، إذ كثيراً ما يترتب على ذلك الوقوع في

(2)

الآثام، وارتكاب كبير المحظورات).

وقال في سِرِّ تقديم الأموال على الأولاد:

(وقدَّمَت الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة كما قال: (كَثَلًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ أَنْ رَأَاهُ

(3)

استغنى، عن كعب بن عياض رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(4)

"إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال"

والآية الحادية عشرة:

(5)

قوله تعالى: (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)

(1) أنظر دلائل الإعجاز ص 330

(2) تفسير المراغي ج 28 ص 130، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م

(3) العلق - 6 - 7

(4) أخرج هذه الرواية الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج 4 ص 354 وأحمد بن حنبل في مسنده ج 4 ص 160 كلاهما برواية كعب بن عياض. وابن حبان في صحيحه ج 8 ص 17 (أيضاً برواية كعب بن عياض) وقال المراغي رحمه الله تعالى: أخرج أحمد والطبراني والحاكم والترمذي عن كعب بن عياض.

(5) نوح - 21

وفي هذه الآية الكريمة أيضا - كما مر في آية سورة المنافقون قول الإمام البيضاوي - مجاز عقلي إذا أسند زيادة الخسران إلى المال والولد حيث إنهما كانا سببي الخسران وزيادة الخسران، والغرض منه أيضا - كما كان هناك - المبالغة في إظهار كونهما سببي الخسران، وليس هذا فقط بل استخدم أسلوب القصر بالنفي والاستثناء -الذي قال عنه عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالى:

وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و "إن هو إلا كذا" فيكون للأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه. <sup>(1)</sup> تأكيداً لبيان خسارتهم بسبب المال والولد. ومن بلاغة النظم الحكيم في اختيار هذا الأسلوب للقصر أن الكفار يزعمون أن كثرة الأموال والأولاد خير لهم كما قال تعالى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) <sup>(2)</sup>

قال جمال الدين القاسمي:

(وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) أي رؤساءهم المتبوعين، أهل المال والجاه، المعرضين عن الحق، الذين غرهم أموالهم وأولادهم، فهلكوا بسببهما، وخسروا سعادة الدارين). <sup>(3)</sup>

قد رأينا في هذا الفصل أن القرآن الحكيم ببلاغته المعجزة -بين مضارّ المال على المتمدّنين وعلى مجتمعاتهم أبلغ بيان- كما رأينا في الفصل الأول أنه بين أهميته أيضا كذلك - لكي يسلك العباد في أمر المال مسلك الاعتدال والاقتصاد فلا يهملوا هذه النعمة العظيمة فيحرموا أنفسهم منافعتها ولا يدخلوها مكان حبّ الله سبحانه وتعالى فيهلكوا بسببه.

نعوذ بالله من شرور المال وفتنه.

ثم الفصل الثاني بتوفيق الله عز وجل يليه الفصل الثالث إن شاء الله تعالى

(1) دلائل الإعجاز ص 332

(2) المؤمنون - 55 - 56

(3) محاسن التأويل ج 9 ص 324. المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق:

محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

### الفصل الثالث:

من بلاغة القرآن الحكيم في تزهيد الناس في الدنيا وتطهير قلوبهم من حب المال.

لقد لوحظ في الفصلين: الأول والثاني شئ من بلاغة القرآن الحكيم في بيان جهتي المال: النفعية والضرورية بالنسبة لحياة الإنسان المادية والروحية.

وإن جهتي المال النفعية والضرورية يبتنيان على وجهتي النظر إليه:

1- وجهة نظر المؤمنين الصالحين.

2- وجهة نظر الكفار والجاهلين.

فيبحث في هذا الفصل إن شاء الله تعالى عن بلاغة القرآن الحكيم في بيان هاتين الوجهتين

وإصلاح وجهة النظر الخاطئة بتزهيد الناس في الدنيا وتطهير قلوبهم من حب المال.

## المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الصحيحة

### إلى المال

#### الآيات الثلاث الأولى:

التي بين القرآن الحكيم فيها النظرة الصحيحة إلى المال، قال الله تعالى:

(وَلَتَبْلُؤَنَّهُمْ نِشْيَاءٌ مِّنَ الْخَمْرِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ - أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)<sup>(1)</sup>

قد مرَّ شيء من البحث على هذه الآيات في الفصل الأول من هذا الباب (في بيان أهمية المال) ولكن يُبحث في هذا المبحث عن بلاغة القرآن الحكيم في هذه الآيات في بيان وجهة نظر المؤمنين المخلصين لله الراضين بقضائه إلى المال.

فإنَّ سبحانه وتعالى أولاً وجَّه خطابه الخليل إلى المؤمنين مباشرة ونَبَّههم أنه لَيَبْلِيَنَّهُمْ، وأكَّد الفعل بأكثر من مؤكَّد: جاءت في أول الفعل لام التوكيد وفي آخره نون التوكيد الثقيلة، ولعل الحكمة في هذا التنبيه المؤكَّد تهوينُ الابتلاء عليهم، فإن الابتلاء فجأة يكون أشدَّ من الابتلاء بعد ما يكون الإنسان قد نُبِّه وأخبر بأنه سيبتلى فإنه حينئذ يكون مستعداً لمواجهة الابتلاء، ولا سيما عند ما يكون قد بُشِّر مسبقاً بالبشارات العظيمة التالية لهذا التنبيه والإخبار.

ومن غاية لطفه وكرمه جلَّ وعلا شأنه بعباده المؤمنين أنه زاد في هذا التهوين والتخفيف من الابتلاء بقوله: (ونقص من الأموال... الخ) فتذكّر "شيء" و "نقص" للتقليل كما قال الزمخشري:

وإنما قلَّ في قوله: "بشيء" ليؤذَن أنَّ كلَّ بلاء أصاب الإنسان وإنَّ جَلَّ ففوقه ما يَقْلُّ إليه، وليُخَفِّف عليهم ويُريهم أن رحمته معهم في كلِّ حال لا تزييلهم، وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطَّنوا عليه نفوسهم).<sup>(2)</sup>

(1) الآية - 155 - 157

(2) الكشف ج 1 ص 207

ثم التفت جل شأنه بخاطبه عنهم إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقال:

(وبشر الصابرين) ثم إنه جل وعلا شأنه بئى وجهة نظرهم أنهم لا يحبون المال حباً تشغلهم عن الله سبحانه وتعالى، بل إنهم دائماً متوجهون إلى الله سبحانه وتعالى في السراء والضراء، في كل حال هم راضون عن ربهم يتغنون وجهه، فلذلك ذكرهم بالاسم الموصول الذي كانت صلته سبباً للبشرى كما قال البلاغيون في تعريف المسند إليه بالموصولية، قال القزويني: (...أو الإيماء إلى وجه بناء الخبر).<sup>(1)</sup>

فقال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)<sup>(2)</sup> ومن نهاية لطفه وكرمه بهم وإظهار رضاه الأكبر عنهم أنه ذكر لهم البشرى التي بشرهم بها أولاً إجمالاً ثم فصله تفصيلاً فقال: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ).<sup>(3)</sup>

أولاً إنه عند تبشيرهم بالبشرى العظمى مفصلاً - ذكرهم باسم الإشارة "أولئك" - التي وضعها للمشار إليه البعيد - إشارة إلى بعد مكانتهم العليا ورفعة شأنهم عنده، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: (عليهم صلوات ورحمة) - الذي هو من أساليب القصر -<sup>(4)</sup>، ونكّر المبتدأ وما عطف عليه (صلوات، ورحمة) للتفخيم، ثم زيد في تفخيم "صلوات" و "رحمة" بكوئهما من ربه، وذكر جل وعلا شأنه في هذا المقام نفسه الكريمة بـ (رهم) - بدلاً من اسم الجلالة - بإضافة نفسه الكريمة إليهم بقوله (من رهم) تشريفاً لهم، كما ذكر البلاغيون من فوائد الإضافة: التعريف بالإضافة لتعظيم المضاف أو المضاف إليه،<sup>(5)</sup> ثم أعلن بكوئهم مهتدين بأبلغ أسلوب، حيث ذكرهم مرة أخرى باسم الإشارة للبعد (وأولئك) وبأسلوب القصر بتعريف طرفي الجملة وبالإتيان بضمير الفصل وتعريف الخبر قال: (وأولئك هم المهتدون).

فهذا كله من بلاغة النظم الحكيم المعجزة في بيان وجهة النظر الصحيحة إلى المال، وجهة نظر المؤمنين الذين لا يريدون بأنفسهم وأموالهم إلا وجه ربهم الكريم جل وعلا شأنه.

(1) تلخيص المفتاح ص 11 و الإيضاح ص 42

(2) البقرة - 156

(3) البقرة - 157

(4) تلخيص المفتاح ص 28

(5) أنظر الإيضاح ج 1 ص 48 و تلخيص المفتاح ص 12

قال الزمخشري رحمه الله عليه:

والصلاة: الحنو والتعطف، فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة. كقوله تعالى: (رأفة

ورحمة) <sup>(1)</sup> (لرؤف رحيم) <sup>(2)</sup>. والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة. ورحة أي رحمة. وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله). <sup>(3)</sup>

الآية الرابعة:

قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ  
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) <sup>(4)</sup>

فإن القرآن الحكيم في هذه الآية أولاً رد على اليهود والنصارى ما كانوا يزعمون من كون أصول

البر تولية الوجوه إلى المشرق والمغرب، بقوله:

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) ثم بين أصول البر، وخصائص الأبرار فذكر  
من خصائص الأبرار الإيمان بالله وحده بلا شائبة من الشرك واليوم الآخر والملائكة وكتب الله المنزلة على  
أنبيائه عليهم السلام والنبيين، وفي هذا السياق الجليل ذكر وجهة نظرهم عن المال فقال: (وَآتَى الْمَالَ  
عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى  
الزَّكَاةَ...) <sup>(5)</sup> قد ذكر ستة مصارف، هم ينفقون فيها المال، ولم يكتف بذكر إيتائهم المال لهؤلاء بل قال:

(عَلَى حُبِّهِ) أي قيّد إيتاء المال بحال كونه على حبه. حُبٌّ مَنْ / أو حُبٌّ مَادًّا؟

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى:

(1) الحديد - 27

(2) التوبة - 117

(3) الكشاف ج 1 ص 146

(4) البقرة - 177

(5) البقرة - 177

(عَلَى حُبِّهِ) أي على حب المؤمن، فيكون مضافاً إلى الفاعل، وقيل: " عَلَى حُبِّ الْمَالِ " ويكون مضافاً إلى المفعول، وبَّه بذلك أنه يبذله مع فرط الحاجة إليه نحو قوله تعالى: (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) <sup>(1)</sup>، وقوله: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) <sup>(2)</sup>، وسئل - عليه الصلاة والسلام - أيُّ الصدقة أفضل؟ فقال: أن تتصدق وأنت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر <sup>(3)</sup>، وقيل تقديره: على حب الإيثار، وذلك أن المحمّدة التامة أن تحترق لإعطاء المال وتحب ذلك كما قال الشاعر:

<sup>(4)</sup>  
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّحَاءِ وَالْحَقُّ... فِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ

وقيل: على حب الله أي يقصد به القرينة لا طلب رياء ولا ثواب كما قال: (إِنَّمَا تُطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) <sup>(5)</sup>

هذه بلاغة السياق أن وجهة نظرهم الصحيحة قد ذكرت في سياق أعمال وخصائص الأبرار كما رأينا، وأما بلاغة الأسلوب فإنه جلا وعلا شأنه قال: (...ولكن البر من آمن... الخ) ففي بيان سر هذا الأسلوب قال الراغب الأصفهاني:

(إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: (ولكن البرُّ بِرٌّ مَنْ آمَنَ)، أو: (البارُّ مَنْ آمَنَ) ليتطابقا؟

قيل: قد ذكر النحويون في هذا وأمثاله أنه على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ولكن وجه فائدته أنه إذا قيل: " زيد بارٌّ "، فإنه يعتبر في قولك: بارٌّ سيان الذات، والصورة والمختص بهما من معنى البر، وإذا قيل: " زيد هو البر "، ففيه مبالغة، وأنه صار لاختصاصه بهذا المعنى بحيث لا يرى

(1) الحشر-9

(2) آل عمران - 92

(3) أخرجه البخاري برواية أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب الصدقة عند الموت ج 7 ص 129 و ج 9 ص 232 ومسلم برواية أبي هريرة ج 5 ص 232 (باب أفضل الصدقة صدقة الشحيح)

(4) بحث الباحث عن قائل هذا البيت في كتب الأدب ولكن لم يعثر على قائله

(5) الجن-9، تفسير الراغب الأصفهاني ج 1 ص 377، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى:

502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م

منه إلا هذه الصورة مجردة عن العنصر الذي يجوز أن يتصور بغيره من الصور، وعلى هذا كل ما في  
(1)  
معناه).

فمفاد قول الأصفهاني رحمه الله تعالى أن مجيء المبتدأ مصدراً " البر " فيه مبالغة في حصول البرّ  
من هؤلاء، فهم عين البر، منه تكوينهم وأفعاء لهم، أما التعبير باسم الفاعل فإنه يفيد مجرد اتصافهم بالبر  
وما جاءت عليه الآية من الاسناد المجازي بين المبتدأ والخبر كما أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني في  
تعليقه على بيت الخنساء.... " فإنما هي إقبال وادبار "

فبعد بيان وجهة نظرهم هذه إلى المال - بجانب خصائصهم الأخرى من العقائد والأعمال  
والأخلاق - مدحهم الله جل شأنه بقوله: (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).<sup>(2)</sup> مستخدماً  
أسلوب القصر بتعريف طرفي الجملة واستخدام ضمير الفصل لقصر وصفي الصدق والتقوى عليهم، أي  
لا يتصف بهذين الوصفين الطيبين (وصف الصدق ووصف التقوى) إلا من يتصف بخصائص البر هذه  
- التي منها إيتاؤ المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب -،  
أي الصادقون والمتقون فقط أولئك الذين وجهة نظرهم إلى المال أنه أمانة الله عندهم، وهم أومناؤه عليه  
لإيصاله إلى عباد الله المتسحقين لهذا المال - بجانب إتصافهم بخصائص البر كلها من العقائد والأعمال  
والأخلاق -.

تمثيل جميل لنتيجة وجهة النظر الصحيحة إلى المال وأجور أصحابها :-

إن القرآن الحكيم ذكر تمثيلاً جميلاً لنتائجهم التي يستحقونها وأجورهم التي ينالونها من ربه  
فقال: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ  
وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>(3)</sup>

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

(1) تفسير الرابع الأصفهاني ج 1 ص 377

(2) البقرة - 177

(3) البقرة - 261

هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة

(1)

تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف

وقال المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى: أيضا مينا بلاغة هذا التمثيل في القرآن الحكيم:

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال

الصالحة يُثَمِّها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة

(2)

بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف.

وذكر ابن كثير رحمه الله عليه - حسب أسلوبه في تفسيره - أحاديث كثيرة منها ما رواه برواية

مردويه عن ابن عمر رضي الله عنه<sup>3</sup> قال:

(4)

لما نزلت هذه الآية: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(5)

"رب زد أمتي" قال: فأنزل الله: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال: "رب زد أمتي" قال: فأنزل

(6)

الله: (إنما يُؤْتَى الصابرون أجرهم بغير حساب)

ولما كانت وجهة نظرهم هذه متفاوتة من حيث مراتب الإخلاص - من أدناها إلى أعلاها -

من مرتبة إخلاص عامة الصالحين إلى مرتبة إخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ومنهم أيضا من عامتهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يحضركل ما له إلى رسول الله صلى الله

1) تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 691، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)،

المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، عدد الأجزاء: 8

2) المرجع نفسه.

3- أخرج ابن حبان هذه الرواية عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى. (صحيح ابن حبان ج 10 ص 505) الطبعة الأولى سنة 1408

هج

1988 م في مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرنؤوط.

4) البقرة - 261

5) البقرة - 245

6) الزمر - 10

عليه وسلم للجهاد فيسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تركت لأهلك؟ فيقول رضي الله عنه: تركت لهم الله ورسوله. (1)

فقال تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء)، ولما كان ما وعدهم من الأجر عظيما ودرجاتهم فيها من الأجر متفاوتة قال أيضا (والله سميع عليم).

قال أبو السعود رحمه الله عليه: (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفقه. (2)

الآية السادسة:

ولما كانت تلك الأجور التي وعدوا بها مبنية على إخلاص نيتهم وإن النية من أعمال القلب لا يعلمها إلا الله علام الغيوب، وإن بقاءهم على هذا الاستحقاق مبني على بقائهم على إخلاص نيتهم لله عز وجل قال تعالى:

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (3)

قال الفخر الرازي رحمه الله عليه:

اعلم أنه تعالى لما عظم أمر الإنفاق في سبيل الله، أتبعه ببيان الأمور التي يجب تحصيلها حتى يبقَى ذلك الثواب، منها ترك المنِّ والأذى. (4)

بلاغة الفصل بين هذه الآية وبين التي قبلها:

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني:

واعلم أنه كما كان من الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة له عن واصل يصله

(1) مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج 1 ص 264. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي المتوفى: 774هـ. المحقق: عبدالمعطي قلعجي. دار النشر: دار الوفاء - المنصورة (الطبعة الأولى).

(2) تفسير أبي السعود ج 1 ص 287

(3) البقرة - 262

(4) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج 7 ص 40

ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبيّنة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها).<sup>(1)</sup>

فهكذا لما كان المراد بـ (الذين ينفقون... الخ) في هذه الآية نفس أولئك الذين مر ذكرهم في الآية التي قبلها إلا أن الآية الثانية بيّنت علامة إخلاص نيتهم لله سبحانه وتعالى - بعدم المنّ والأذى - لم تكن حاجة إلى ربط الآية الثانية ووصلها بالأولى بحرف العطف من أجل كمال الاتصال بينهما لأن الثانية بيان للأولى لذلك ترك العطف بينهما. والله أعلم

وفي هذه الآية بشرهم بعدم الخوف وعدم الحزن، فما هو الخوف وما هو الحزن؟

قال محمد جمال الدين القاسمي:

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على فائت من

(2)

زهرة الدنيا، لصيرورتهم إلى ما هو خير من ذلك.

وهنا أشار الإمام أبو السعود رحمه الله عليه إلى أسرار بلاغية في هذه الآية لا بد من الإفادة بها:

الأولى في قوله تعالى: (لهم أجرهم) والثانية في قوله تعالى: (عند ربهم) والثالثة في تخليّة الخبر عن

الفاء، والرابعة في تنكير (خوف) والخامسة في (ولا هم يحزنون).

قال: (لهم أجرهم) أي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة مبتدأ وخبر وقعت خبراً عن

الموصول وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله: (عند ربهم) من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخليّة

الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيدان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك

(1) دلائل الإعجاز ص 227

(2) محاسن التأويل ج 2 ص 203

(1)

إتباع المن والأذى أمرٌ بَيِّنٌ لا يحتاج إلى التصريح بالسببية).

وقال أبو السعود أيضا: (ولا خوف عليهم) في الدارين من حقوق مكروه من المكاره، (ولا هم يحزنون) لفوات مطلوبٍ من المطالب قلَّ أو جلَّ أي لا يعتريهم ما يُوجِبُه، لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصاءا للحد والسعي في إقامة حقوق العبودية

(2)

من خواص الخواص والمقرّين. والمراد بيان دوام انتفائهما).

تمثيل آخر لأجورهم التي يستحقونها:-

بعد ترغيب المؤمنين أولا في ترك الأذى بعد الصدقة، ونهيهم عن إبطالهم صدقاتهم بالمن والأذى وبيان التمثيل للمنفيق ماله رثاء الناس وبيان الوعيد لهم جاء القرآن الحكيم بتمثيل آخر للذين ينفقون أموالهم بوجهة نظر صالحة ابتغاء مرضات الله قال تعالى:

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْتِيتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا

(3)

وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

قال الزمخشري رحمه الله تعالى في بيان معنى التشبيه في هذه الآية الكريمة:

والمعنى: ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع. وخصّها لأن الشجر فيها أركى وأحسن ثمرا أصابها وابلٌ، مطرٌ عظيم القطر فاتت أكلها ثمرتها ضعفين، مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم يصبها وابل فطلٌّ، فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها. أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يُضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة - بعد أن يُطلب بها وجه الله ويذل فيها

(1)

الوسع - زاكية عند الله، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده).

(1) تفسير أبي السعود ج 1 ص 288

(2) المرجع نفسه.

(3) البقرة - 265

وأما فاصلة الآية الكريمة: قوله تعالى: (والله بما تعملون بصير) قال الفخر الرازي رحمه الله عليه:

ثم قال: والله بما تعملون بصير والمراد من البصير العليم، أي هو تعالى عالم بكمية النفقات وكيفيتها، والأمور الباعثة عليها، وأنه تعالى مجاز بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر<sup>(2)</sup>.

بلاغة الوصل:

وهنا نكتة بلاغية أخرى وهي بلاغة وصل هذه الآية الكريمة بالتي قبلها بواو العطف.

إن الإمام عبد القاهر الجرجاني بعد إيراد كلام طويل - احتل نحو عشرين صفحة - لحص قاعدة

الفصل والوصل بين الجمل فيما يأتي:

.... فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة

بين الأمرين، وكان له حال بين حالين<sup>(3)</sup>.

فعندما نرى إلى هذه الآية الكريمة والتي قبلها نجد بينهما هذه الحالة الوسطى بين كمال الاتصال والانقطاع، ونجد أن بين التمثيل المذكور في هذه الآية والتمثيل المذكور في الآية التي عطف عليها هذه الآية، بينهما نسبة التقابل فإن التمثيل المذكور في الآية الأولى جاء لبيان حالة الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا... الخ<sup>(4)</sup>.

وفي مقابلته ذكرت حالة من ينفق ماله في سبيل الله لابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه فجاء

التمثيل له - في مقابلة الأول - (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآنت أكلها ضعفين... الخ)<sup>(5)</sup> فيمكن أن يقال: هنا بين الآيتين مقابلة بليغة في غاية البلاغة جميلة في غاية الجمال، ومن أجل هذه المقابلة قد حسن عطف أحد المتقابلين على الآخر، فهذا من بلاغة الوصل بين هاتين الآيتين بالعطف. والله أعلم.

وكما قال الجرجاني رحمه الله أيضا:

(1) الكشاف ج 1 ص 313

(2) مفاتيح الغيب ج 7 ص 50

(3) دلائل الإعجاز ص 243

(4) البقرة - 264

(5) البقرة - 265

واعلم أنه كما يجب للوصل أن يكون المحدث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول.<sup>(1)</sup>

فهنا في هاتين الآيتين النسبة نسبة التقابل والتناقض بين المحدث عنه فيهما. والله أعلم.

#### الآية الثامنة:

وكذلك مبينا وجهة نظر أولئك الذين يستخدمون المال فيما يُرضى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).<sup>(2)</sup>  
بلاغة السياق:

وردت هذه الآية في سياق بيان أوصاف المتقين الذين بشرهم الله سبحانه وتعالى بكونهم في جنات النعيم آخذين ما آتاهم ربهم... الخ<sup>(3)</sup>

وعلل القرآن الحكيم هذه البشارة لهم بقوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ - كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ - وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ - وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)<sup>(4)</sup>

فإن القرآن الحكيم أولاً: وصفهم بالإحسان - الصفة الجامعة لمحاسن الصفات -، ثم فصلها بثلاث صفات، - ولذلك لم يُعطف ما بعد قوله (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) عليه لأنه بيان له فبينهما كمال الاتصال - الذي لا يحتاج إلى الوصل بالعطف، لأن العطف يكون بين المتغايرين - ففصل الإحسان بثلاثة أمور:

الأول: قوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ).

الثاني: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).

(1) دلائل الإعجاز ص 225

(2) الذاريات - 19

(3) الذاريات - 15 - 16

(4) الذاريات - 16 - 19

الثالث: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).

قال القرطبي رحمه الله: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة. وقيل: إنه حق سوى الزكاة يصل به رحماً، أو يقري به ضيفاً، أو يحمل به كلاً، أو يغني محروماً. وقاله ابن عباس، لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة.<sup>(1)</sup>

وما المراد بـ (السائل والمحروم)؟

قال القرطبي:

قوله تعالى: (للسائل والمحروم) السائل الذي يسأل الناس لفاقة، قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما. (والمحروم) الذي حرم المال. واحتلف في تعيينه.<sup>(2)</sup>

الآية التاسعة:

وكذلك قال تعالى في سورة المعارج: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ - لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).<sup>(3)</sup>

بلاغة السياق:

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الآيات التي جاءت في بدايتها شكوى عن الإنسان وذكر ضعفه الفطري الذي حبل عليه؛ فقال تعالى:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا - إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا - وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا).<sup>(4)</sup>

ذكرت في هذه الآيات الثلاث ثلاث صفات ذميمة للإنسان: الهلع والجزع ومنع الخير، ثم استثنى منها المصلون، ثم وُصف المصلون بشمان صفات:

الأولى: الذين هم على صلاتهم دائمون.

والثانية: والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم.

(1) الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي ج 17 ص 38

(2) المرجع نفسه

(3) المعارج 24-25

(4) المعارج 19-21

## بلاغة الأسلوب:

قد عُرفَ من قبل في آية الذاريات أنه جل وعلا شأنه قال هناك: (وفي أموالهم حق للسائل

والمحروم).<sup>(1)</sup> لم يوصف هناك "حق" بصفة مَّا، بل تُركَ عامًّا وهنا في سورة المعارج وُصِفَ بكونه معلومًا.

فما هو السر البلاغي في الوصف هنا وترك الوصف هناك ؟

قال إبراهيم البقاعي رحمه الله عليه - أَوَّلًا: مبيِّنًا بلاغة سياق هذه الآية الكريمة وثانيًا: مبيِّنًا

## بلاغة الأسلوب:

ولما ذكر زكاة الروح، أتبعه زكاة عدليها المال، فقال مبيِّنًا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو:

(والذين في أموالهم) أي التي من سبحانه بما عليهم (حق)، ولمَّا كان السياق هنا لأعم من المحسنين

الذين تقدموا في الذاريات اقتصر على الفرض فقال: (معلوم) أي من الزكوات وجميع النفقات

(2)  
الواجبة.

وزاد البقاعي قائلًا - مبيِّنًا سر قوله تعالى: (للسائل والمحروم) -:

ولما كان في السؤال من بذل الوجه وكسر النفس ما يوجب الرقة مع وقاية النفس مع المذمة،

قدَّم قوله: (للسائل) أي المتكلف لسؤال الإنفاق المتكفَّف. ولما كان في الناس من شُرِفت همته وعلَّت

رتبته على مهاوي الابتذال بذلَّ السؤال من الإقلال بذب المقبل على الله للتفطن والتوسم لأولئك فقال:

(والمحروم) أي المتعفف الذي لا يسأل فيُظنُّ غنيًّا ولا مال له يغنيه فهو يتلظى بناره في ليله ونهاره، ولا

مفرج له بعد ربه المالك لعلانيته وإسارته إلا إلى إفاضة مدامعه بذله وانكساره، وهذا من الله تعالى حتَّى

(3)  
على تفقُّد أرباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى.

(1) الذاريات -19

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 20 ص 403-404

(3) نظم الدرر ج 20 ص 403-404

وبعد ذكر صفاتهم الثمانية - التي كان منها جعلُ حقِّ معلوم في أموالهم للسائل والمحروم - ذكر

(1)

القرآن الحكيم جزاءهم فقال: (أولئك في جنات مكرمون).

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات:

والكلام استئناف بيانيٍّ لمقابلة أحوال المؤمنين بأحوال الكافرين، ووعيدهم بوعيدهم على عادة القرآن في أمثال هذه المقابلة. وهذه صفات ثمان هي من شعار المسلمين، فعُدل عن إحضارهم بوصف "المسلمين" إلى تعداد خصائص من خصائصهم إطناباً في الثناء عليهم لأن مقام الثناء مقام إطنابٍ، وتنبهها على أن كل صلة

(2)

من هذه الصلوات الثمان هي من أسباب الكون في الجنات).

وزاد ابن عاشور قائلاً - مبيناً أسراراً بلاغية قيمة أخرى في هذه الآيات المباركات -:

وإعادة اسم الموصول مع الصلوات المعطوفة على قوله الذين هم على صلاتهم دائمون لمزيد العناية بأصحاب تلك الصلوات.

وتسمية ما يعطونه من أموالهم من الصدقات باسم "حق" للإشارة إلى أنهم جعلوا السائل والمحروم كالشركاء لهم في أموالهم من فرط رغبتهم في مواساة إخوانهم إذ لم تكن الصدقة يومئذ واجبة ولم تكن الزكاة قد فرضت.<sup>3</sup>

والسري وصف الحق بكونه معلوماً:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

ومعنى كون الحق معلوماً أنه يعلمه كل واحد منهم ويحسبونه، ويعلمه السائل والمحروم بما اعتاد منهم، وبمجيء الصلة جملة اسمية لإفادة ثبات هذه الخصلة فيهم وتمكُّنها منهم دفعاً لتوهم الشح في بعض

(1) المعارج - 35

(2) التحرير والتنوير ج 29 ص 171

3 - المرجع نفسه.

(1)

الأحيان لما هو معروف بين غالب الناس من معاودة الشح للنفوس).

ومبيّنا وجوه مقابلة المؤمنين أصحاب هذه الصفات الحسنة بالكافرين المتصفين بالصفات الخبيثة

المقابلة لها قال الإمام ابن عاشور:

(2)

وهذه الصفة (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) للمؤمنين مضادة صفة الكافرين المتقدمة في

(3)

قوله: (وجمع فأوعى)

والآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة:

التي بين الله سبحانه وتعالى فيها وجهة نظر المؤمنين الصالحين إلى المال قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ

(4)

أَعْطَى وَاتَّقَى - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى).

فإن الله سبحانه وتعالى ذكرهم ثلاث خصائص:

الأول: الإعطاء.

الثاني: التقوى.

الثالث: التصديق بالحسنى.

وإنما بيّن وجهة نظرهم هذه بأبلغ أسلوب وأجمله.

الأسرار البلاغية في هذه الآيات:

أولاً: إنه جلّ وعلا شأنه بدأ السورة بأسلوب القسم وأقسم بثلاثة أشياء؛ قال تعالى: (وَاللَّيْلِ

(5)

إِذَا يَغْشَى - وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى - وَمَا خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى - إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى).

قال الدكتور وهبة الزحيلي:

(1) المرجع نفسه.

(2) المعارج - 22

(3) المعارج - 18 (التحرير والتنوير ج 29 ص 172)

(4) الليل - 5-7

(5) الليل - 1-4

الليل والنهار بينهما طباق، وكذا بين الذكر والأنثى وبين اليسرى والعسرى وبين صدق

(1)

وكذب).

وقال: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \*

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) \* بينهما مقابلة، والمقابلة والطباق من المحسنات البديعية.

(2)

(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) بينهما جناس اشتقاق.

وبين هذه الآيات سجع قد زاد النظم جمالا فوق الجمال.

ومن بلاغة الأسلوب أيضا أنه سبحانه وتعالى أولا قال (إن سعيكم لشتى) فإنه جمع أحوال

المخاطبين - من المؤمنين والكافرين - في جملة واحدة أوفي حكم واحد (لشتى) ثم فَرَّقَ فقال: فأما من

أعطى... إلخ إجمال، ثم تفصيله وهذا من المحسنات البديعية الذي سماه البلاغيون "الجمع مع التفريق"

(3)

ومثّلوا له بقوله تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً).

ولعل فائدة هذا الأسلوب تشويق المخاطب إلى ما يأتي بعد "الجمع" من "التفريق"، وليتمكّن

(4)

التفصيل بعد الإجمال في الذهن.

وأما بلاغة القسم بهذه الأشياء المتقابلة:

فقال سيد قطب رحمه الله تعالى:

في إطار من مشاهد الكون وطبيعة الإنسان تقرّر السورة حقيقة العمل والجزاء..... لما كانت

مظاهر هذه الحقيقة ذات لونين، وذات اتجاهين.. كذلك كان الإطار المختار لها في مطلع السورة

ذات لونين في الكون وفي النفس سواء: (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى) (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)

(1) التفسير المثير للرحيلي ج 30 ص 268

(2) المرجع نفسه

(3) الإسراء - 12

(4) وهذا هو رأي الإمام ابن عاشور، أنظر: التحرير والتنوير ج 30 ص 379

(1)

وهذا من بدائع التناسق في التعبير القرآني.

(2)

وحذف مفعول "أعطى" و"اتقى": في قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى)

قال الألوسي رحمه الله تعالى:

والظاهر أن المراد بالإعطاء بذل المال ومن هنا قال ابن زيد: المراد إنفاق ماله في سبيل الله

تعالى. فتادة: المعنى أعطى حقَّ الله تعالى وظاهره الحقوق المالية وَاتَّقَى أي واتقى الله عز وجل كما قال

(3)

ابن عباس، وفي معناه قولُ فتادة واتقى ما نهي عنه. وفي رواية: محارم الله تعالى

ويمكن أن يقال: السر البلاغي في حذف مفعولي هذين الفعلين أن يراد هذه الأمور كُلُّها،

وكلُّها حقٌّ. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فهذه إحدى عشرة آية قد دلَّت بأساليب بليغة شتى على أن المؤمنين الصالحين يرون المال أمانة

لله تعالى ائتمنهم عليها فلا يخونون فيها ولا يضيئون علي المال ويؤدُّون الحقوق الواجبة فيه وينفقونه في

سبل مرضات الله ابتغاءً لوجهه الكريم .

(1) في ظلال القرآن - 6 ص 392، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (الميتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت -

القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ

(2) الليل - 5

(3) روح المعاني - 15 ص 366

## المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الخاطئة إلى المال

قد عُرف في المبحث السابق شيء من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة نظر المؤمنين الصالحين إلى المال وهي تتلخص في أنهم يرون المال نعمة من ربحهم الكريم وأمانة له عندهم فلذلك هم ينفقونه في سبل مرضاته تعالى ابتغاء وجهه ولا ييخلون به ولا يتعبدون له.

والآن سيبحث إن شاء الله تعالى عن بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة نظر الكفار والجهال إلى المال التي تنأسس على حُبهم إيَّاه من أعماق قلوبهم والتعبد له والتي من أجلها يصبح المال مُضِرًّا لهم ولجتماعاتهم ضرراً مادياً وروحياً.

### الآية الأولى:

فمن الآيات التي يَينَت وجهة نظرهم هذه قوله تعالى:

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ)<sup>(1)</sup>

### بلاغة السياق:

وردت هذه الآية في سياق قصة عن الملأ من بني إسرائيل - الذين قال الله سبحانه وتعالى عنهم في الآية السابقة:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَغْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْعِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)<sup>(2)</sup>

(1) البقرة - 247

(2) البقرة - 246

في هذه الآية تعريض بيني إسرائيل الموجودين في عصر نزول القرآن الحكيم المنكرين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ففيه تعريض بهم أنهم ليسوا أول مرة يخالفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل إن آبائهم من قبل قد خالفوا أنبياءهم كما وردت في هذه السورة المباركة - سورة البقرة - قصص كثيرة لمخالفتهم الأنبياء وعصيانهم لهم فمنها هذه القصة أنهم أولاً طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا تحت قيادته ظالمي عصرهم الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم فلما أخبرهم نبيهم بأن الله بعث لهم طالوت ملكا أخذوا ينكرون عليه، والشيء الذي جعلوه أساس إنكارهم على بعث الله طالوت ملكا هو عدم كونه ذا ثروة وسعة من المال وهذا من جهلهم وضلالهم ومما كان في طبائعهم من الظلم الذي أشير إليه في آخر الآية السابقة بقوله تعالى: (والله عليم بالظالمين) <sup>(1)</sup> ثم في الآية التالية ذكر إخبار النبي عليه السلام بأن الله قد بعث لهم طالوت ملكا وإنكارهم على ذلك.

بلاغة الأسلوب:

من بلاغة الأسلوب في هذه الآية الكريمة ما نرى أن النبي عليه السلام لما كان يعرف من طبائع أولئك الملأ من التمرد ولمح عليهم أمارات الإنكار - كما يدل عليه خطابه الأول إليهم - بقوله:

(قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنِيبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) <sup>(2)</sup> وكما يدل عليه فاصلة الآية السابقة

بقوله تعالى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) <sup>(3)</sup> فإنه عليه السلام أكد خبره بمؤكدات عديدة فإنه أولاً استخدم الجملة الاسمية بتقدم اسم الجلالة، وأكد الجملة بـ "إن"، ثم جاء بـ "قد" على فعل الخبر "بَعَثَ" فكانه عليه السلام كان قد لمح منهم من قبل أمارات الإنكار الشديد فحسب ذلك إنه أكد الكلام بالمؤكدات وأخبرهم ببعث الله طالوت ملكا ولكنهم لم يبالوا بشيء مما ذكر من المؤكدات وتقدم اسم الجلالة وقالوا فوراً منكرين: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا) استفهموا استفهام إنكار وتعجب، وادعوا بأحققتهم بالملك

(1) البقرة - 246

(2) البقرة - 246

(3) الآية نفسها

واستدلوا على إنكارهم على بعثه ملكا بأنه لم يوت سعة من المال، فردّ نبي الله عليه السلام على زعمهم الباطل واستدلهم الرّيك بثلاث إجابات وزدودٍ بليغة:

الرّدّ الأوّل من النّبيّ عليه السلام:

(قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) أي: أوّلًا: لا حقّ لكم للإنكار عليه لأن ملكه اصطفاؤه من الله.

الرّدّ الثاني:

وأما أحقيّته لهذا المنصب فأساسه عند الله سبحانه وتعالى ليس كثرة المال، بل أساسه أن الله سبحانه وتعالى (زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ) - الذي لا بد منه للملك لقيادة قومه وسياستهم - (وَالْجِسْمِ)، ليقوّي على القيام بقيادة القتال.

الرّدّ الثالث:

الذي هو علاج كبرهم ونخوتهم قوله: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

.... كما قصّ في صدر السورة حالهم مع موسى عليه الصلاة والسلام قصّ في خواتيمها حالهم

من بعد موسى لتعتبر هذه الأمة من ذلك حالها مع نبيها صلّى الله عليه وسلّم. (1)

فما أبلغ النظم الكريم في بيان وجهة نظرهم الخاطيء عن المال والردّعليهم!

والآيات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة :

التي بينت وجهة نظر الكفار منكري الآخرة عن المال ومآلها بأبلغ أسلوب قوله تعالى:

(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا

زَرْعًا - كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا - وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 3 ص 408

(1) هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا

إن الله سبحانه وتعالى قد بين وجهة نظر الكافر المنكر للبعث بعد الموت وجهة نظره إلى المال بأبلغ بيان بصورة التمثيل، فقال: واضرب لهم. مثلاً... الخ.

قال ابن عطية: (الضمير في "هَمْ" عائد على الطائفة المتحيرة التي أرادت من النبي عليه السلام أن يطرد فقراء المؤمنين الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ عَلَى أَوْلَئِكَ الدَّاعِينَ أَيْضًا، فالمثل مضروب للطائفتين). (2)

وذكر المفسرون هنا احتمالات كثيرة في المراد من الرجلين من كانا؟ لا داعي في هذا البحث إلى ذكر تلك الاحتمالات.

قال ابن عطية رحمه الله عليه:

وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزدور لجميع الحبوب، والماء الغيل يُسْقَى جميع ذلك من النهر الذي قد جُمِّلَ هذا المنظر، وعظم النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها). (3)

(4) قال تعالى: (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا...).

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وجملة (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا) معترضة بين الجمل المتعاطفة.

والمعنى: أثمرت الجنتان إثماراً كثيراً حتى أشبهت المعطي من عنده.

ومعنى (وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا) لم تنقص منه، أي من أكلها شيئاً، أي لم تنقصه عن مقدار ما

تعطيه الأشجار في حال الخصب. ففي الكلام إيجاز بحذف مضاف. والتقدير: ولم تظلم

(1) الكهف - 32-36

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 3 ص 515 (الوَلَف): أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي المتوفى سنة 524 هـ، المحقق: عبد السلام عبدالشافي محمد.

(3) المحرر الوجيز ج 3 ص 516

(4) الكهف - 33

من مقدار أمثاله.<sup>1</sup>

وزاد ابن عثور رحمه الله تعالى قائلا:

واستعير الظلم للنقص على طريقة التمثيلية بتشبيه هيئة صاحب الجنتين في إتقان خبرهما وترقب إنجازهما بهيئة من صار له حق في وفرة غلتها بحيث إذا لم تأت الجنتان بما هو مترقب منهما أشبهتا من حرم ذا حق حقه فظلمه، فاستعير الظلم لإقلال الإغلال، واستعير نفيه للوفاء بحق الإنجاز.<sup>(2)</sup>

وقال تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)<sup>(3)</sup>

قال جمال الدين القاسمي:

وكان له أي لصاحب الجنتين ثمر أي أنواع من المال غير الجنتين. من: "ثمر ماله" إذا كثره.

(4) (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) أي يراجعه الكلام، تعبيراً له بالفقر، وفخراً عليه بالمال والجاه.

قال تعالى: (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويُرِيه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه.... وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم. إخباره عن نفسه بالشك في بیدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظر في عواقب أمثاله.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - التحرير والتنوير ج 15 ص 318

(2) المرجع نفسه .

(3) الكهف - 34

(4) محاسن التأويل ج 7 ص 33

(5) الكشف ج 2 ص 722

(قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا - وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا

(1) مِنْهَا مُنْقَلَبًا).

إن هذا الرجل المحب للمال من أعماق قلبه قد اغترَّبَ بجنّيته وأمواله الأخرى حتى أنكر الساعة والبعث، ومن غاية اغتراره بثروته التي آتاه الله إياها في الدنيا قال تعريضاً بصاحبه المؤمن: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ) يعنى: أولاً لا أعتقد أن هناك بعثاً ونشوراً ورجوعاً إلى الله، ولكن رددت على سبيل الفرض لأجدَنَّ هناك خيراً منها.

إنه استعمل أداة الشرط " إِنْ " ولم يستخدم "إذا"، وقال البلاغيون في الفرق بين حرفي الشرط "إِنْ" و "إذا": "إِنْ" و "إذا" للشرط في الاستقبال لكن أصل "إِنْ" عدم الجزم بوقوع الشرط، وأصل "إذا" الجزم، ولذا كان النادر موقعاً لـ"إِنْ".... (2)

فهذه وجهة النظر الخاطئة للكافر بالله واليوم الآخر إلى المال، التي من أجلها يصبح المال - الذي نعمة كبيرة من الله - وبالأعلى عذاباً، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد بيان وجهة نظر صاحبه المؤمن عن المال بقوله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا - لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا - وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا - فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصِيحُ صَاعِقًا رَافِقًا - أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) (3)

بيّن عاقبته التي كانت نتيجة لوجهة نظره هذه عن المال.

فما أجمل أسلوب المقابلة بين وجهتي النظر، أنه إن كان الأول قد فرح وبطر بجنّته، وإعجاباً

بهما قال: (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا - وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً). (4) فإن الرجل المؤمن قد عدَّ قوله

(1) الكهف - 35-36

(2) أنظر تلخيص المفتاح للغزوين ص 21، و مختصر المعاني للفتازاني ص 141

(3) الكهف - 37-41

(4) الكهف - 35-36

هذا كفرا وإشراكا بالله، ولذا قال: (أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ... الخ) <sup>(1)</sup> وقال تعريضا به وردا عليه: (لَكِنَّا

هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) <sup>(2)</sup>

ورد الأمر كله إلى الله، وخوفه على كفره بريه وأظهره رجاءه من الله وثقته بالله أنه سوف يؤتيه خيرا من جنة صاحبه المنبطر.

ثم بين القرآن الحكيم مآل ذلك الرجل المنبطر بماله فقال: (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) <sup>(3)</sup>  
قال الزمخشري:

وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن، كما كُنِيَ عن ذلك بَعْضُ الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عُذِيَ تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق فيها). <sup>(4)</sup>

والآيتان السادسة والسابعة:

من الآيات التي بينت وجهة نظر الكفار للمال قوله تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا - أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا). <sup>(5)</sup>

فإن النظم الحكيم ذكر الكافر المحب للمال بالاسم الموصول. وذكر البلاغيون من أغراض التعريف بالموصولية الإيماء إلى وجه بناء الخبر نحو: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). <sup>(6)</sup>

(1) الكهف - 37

(2) الكهف - 38

(3) الكهف - 42

(4) الكشاف ج 2 ص 724

(5) مريم - 77-78

(6) عاقر - 60

قال سعد التفتازاني:

(1)

فيه إيماء إلى أن الخير المبني عليه أمرٌ من جنس العقاب والإذلال).

فهنا ذُكِرَ الكافرُ بالله المتعبد للمال بالاسم الموصول الذي جاءت صلته (كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدٌ) فقال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ... الخ).

استفهم جل وعلا شأنه استفهام تعجب من قول هذا الكافر، كما قال ابن عجيبة: فالهمزة للتعجب من حاله، للإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يُقْضَى منها العجب، والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي: أنظرتِ فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي من حقها أن يؤمن بها كلٌّ من شاهدها، وَقَالَ مستهزئاً بها، مصدراً باليمين الفاجرة: (وَاللَّهُ لَأُوتِيَنَّ) في الآخرة (مَالًا وَوَلَدًا) أي: انظر إلى حاله فتعجب من حاله البديعة وجرأته الشنيعة).

(2)

فقال جل وعلا شأنه -ردا على قوله الشنيع الذي أولاً عَجَبَ سبحانه وتعالى منه رسوله صلى الله عليه وسلم وكلٌّ من يقرآن الحكيم إلى يوم القيامة- : (أَطْلَعُ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا). استفهام إنكار، أي: لا، لم يطلع على الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهداً، بل ادّعى دعوى باطلة بلا علم ولا استحقاق، فهذا الاستفهام للإنكار والزجر والتوبيخ على قوله الشنيع وادّعائه الباطل، كما قال ابن عجيبة أيضاً:

أَبْلَغَ مِنْ عظمة الشأن إلى أن يرتقي إلى علم الغيب، الذي استأثر به العليم الخبير، حتى ادّعى أن يُؤْتَى في الآخرة مَالًا وَوَلَدًا، وأقسم عليه، أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا بذلك، فإنه لا يُتَوَصَّلُ إلى العلم بذلك إلا بأحد هذين الطريقين، وهذا ردٌّ لكلمته الشنعاء، وإظهار لبطلانها إثر ما أشير إلى التعجب منها).

(4)

1) مختصر المعاني ص 74-75

2) البحر المديد لابن عجيبة ج 3 ص 359 (المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفأسي الصوفي المتوفى سنة 1224هـ، المحقق: أحمد عبدالله القرشي رسلان. الناشر: دكتور حسن عباس زكي - القاهرة. الطبعة سنة 1419هـ (هذه الطبعة تنتهي بآخر سورة القمر).

3) مريم - 78

4) البحر المديد في تفسير قرآن الحيد ج 3 ص 359

وبعد تفنيد قوله الباطل ذكر القرآن الحكيم عاقبته الوخيمة، مستخدماً كلمة الردع "كَلَّا"، قال

تعالى: (كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا - وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)<sup>(1)</sup>

قال أبو حفص النعماني:

"كلا" للنحويين في هذه اللفظة ستة مذاهب:

أحدها: وهو مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس أنها

حرف ردع وزجر، وهذا معنى لائق بما حيث وقعت في القرآن، وما أحسن ما جاءت في هذه الآية

حيث زجرت وردعت ذلك القائل).<sup>(2)</sup>

وقال البيضاوي رحمه الله مبيناً بلاغة قوله تعالى:

(كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا - وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)<sup>(3)</sup> "كَلَّا" ردع

وتنبه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه. سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ سنظهر له أننا كتبنا قوله على طريقة قوله:

"إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة" أي: تبين أنني لم تلدني لثيمة. أو سنتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو

وحفظها عليه فإن نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى: (مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ).... ولذلك أكدته بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه. وَنَرِثُهُ بموته. مَا يَقُولُ يعني المال والولد.

وَيَأْتِينَا يوم القيامة. فَرْدًا لا يصحبه مأل ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً أن يؤتى ثم زائداً وقيل فَرْدًا رافضاً

لهذا القول منفرداً عنه).<sup>(4)</sup>

والآيتان الثامنة والتاسعة:

(1) مريم - 79-80

(2) الباب في علوم الكتاب ج 13 ص 134. (المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى

سنة 775 هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد عوض. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى سنة

1419م 1998م

(3) مريم - 80

(4) تفسير البيضاوي ج 4 ص 19

من الآيات التي بينت وجهة نظرهم الخاطئة عن المال قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ - وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ).<sup>(1)</sup>

ذكر القرآن الحكيم في هاتين الآيتين قولين باطلين للكفار؛ الأول عن القرآن الحكيم والثاني عمن أنزل عليه القرآن الحكيم صلى الله عليه وسلم، فإنهم - من غاية جهلهم - أولاً اتهموا القرآن الحكيم بكونه سحراً، ثم - من غاية كبرهم وتبعدهم للمال - (قَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ)؟

أي: أساس العظمة واستحقاق النبوة عندهم كثرة المال، كما قال المراغي رحمه الله عليه:

أي: وقالوا إن منصب الرسالة منصب شريف، فلا يليق إلا برجل شريف كثير المال عظيم الجاه.<sup>(2)</sup>

أي إنهم جعلوا أساس الشرف المال فردَّ القرآن الحكيم عليهم فقال:

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ).<sup>(3)</sup>  
بلاغة الأسلوب:

قوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ) استفهام إنكاري يتضمن معنى الزجر والتوبيخ، كما قال أبو السعود:

إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم.<sup>(4)</sup>

والجملة التي دخلت عليها همزة الاستفهام جملة اسمية قُدِّم فيها ضميرهم، وقال عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله عليه:

ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم.<sup>(1)</sup>

(1) الزحرف - 30 - 31

(2) تفسير المراغي ج 25 ص 85

(3) الزحرف - 32

(4) تفسير أبي السعود ج 6 ص 98

ثم قال: واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقريرٌ بفعلٍ قد كان، وإنكارٌ له، لم كان وتوبيخ لفاعله عليه، ولها مذهب آخر، وهو أن يكون الإنكار، أن يكون الفعل قد كان من أصله ومثاله قوله تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا).<sup>(2)</sup> وقوله عز وجل: (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ - مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).<sup>(3)</sup>

فهذا ردٌ على المشركين وتكذيبٌ لهم في قولهم ما يؤدي إلى الجهل العظيم، وإذا قُدِّم الاسم فبهذا صار الإنكار في الفاعل. ومثاله قولك للرجل قد انتحل شعرا: أأنت قلت هذا الشعر؟ كذبت، لست ممن يُحسِّن مثله. أنكرت أن يكون القائل، ولم تنكر الشعر.<sup>(4)</sup>

فكذلك هنا قال تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك)؟ وبعد ذلك قال تعالى: (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا). فهنا أيضا قُدِّم المسند إليه على الخبر الفعلي وجعل مبتدأ.

وقال الإمام الحرجاني رحمه الله عليه - مبينًا الدستور العام في التقديم والتأخير في الاستفهام والخبر:

واعلم أن معك دستورا لك فيه - إن تأملت - غني عن كل ما سواه، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر. وذاك أن الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك. فإذا كان كذلك، كان محالًا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام، فيكون المعنى إذا قلت: "أزيد قام؟" غيره إذا قلت: "أقام زيد؟"، ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر، ويكون قولك: "زيد قام" و "قام زيد" سواء، ذاك لأنه يؤدي

(1) دلائل الإعجاز ص 112

(2) الإسراء - 40

(3) الصافات - 153-154

(4) دلائل الإعجاز ص 114

إلى أن تستعمله أمرا لا سبيل فيه إلى جواب، وأن تستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبت لك بها على ذلك الوجه).<sup>(1)</sup>

فنظرا إلى هذه القواعد البلاغية أن نقول:

إن من بلاغة النظم القرآني في هذه الآية الكريمة في الرد على المشركين وجهة نظرهم الباطلة اختيار هذا الأسلوب. فالتقدم أفاد التخصيص أي قسمة المعيشة بينهم مقصورة على الله لا تتجاوز إلى هؤلاء.

والآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة:

في بيان وجهة نظر الكفار الباطلة عن المال قوله تعالى:

(وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ \* قُلُوبًا أََلْفَيَا عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ).<sup>(2)</sup>

في قوله تعالى: (ونادى فرعون في قومه) رايان للمفسرين، بعضهم قالوا: إنه نادى بنفسه، كما قال الشيخ علوان: ومن كمال غتو فرعون الطاغى الباغي ونهاية عناده واستكباره نادى فرعون بنفسه يوما من الأيام حين كان في مجمع قومه مباهيا بما معه من الجاه وسعة المملكة).<sup>(3)</sup>

وبعضهم قالوا: إنه أمر بالنداء، كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(ونادى فرعون في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له. والمعنى: أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأما كنهم من نادى فيها بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللص، إذا أمر بقطعه. ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط، فيرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثم ينشرته في جموع القبط، فكأنه نودي به بينهم).<sup>(1)</sup>

(1) دلائل الإعجاز ص 140

(2) الحرف - 51-53

(3) الفوائد الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ج 2 ص 302، المؤلف: نعمة الله بن محمود النحوي، ويعرف بالشيخ عنوان (الفتوح: 920هـ)، الناشر: دار ركايا للنشر - النورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م

فعلى التأويل الأول الذي أورده الزمخشري يكون قوله: (ونادى فرعون) مجازاً عقلياً علاقته السببية حيث أسند الفعل إلى سببه.

على كُلِّ حال فإنَّ فرعون أولاً ابتهج وافتخر بملكه وأتقاره، ثم جعل نفسه الخبيثة خيراً من النبي الكريم عليه الصلوة والتسليم وطعن في ذاته الشريفة باللكنة في لسانه، ثم أنكر عليه بعدم إلقاء أسورة من الذهب عليه فقال:

(2) (فَلَوْلَا أَلْقَيْتَهُ اسْوَرةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَايِكَةُ مُقْتَرِنِينَ).

وقوله: "لَوْلَا" فسروه بـ"هَلَّا".

قال البغوي رحمه الله عليه:

فقال فرعون: هَلَّا أَلْقَى رَبُّ مُوسَى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تحب علينا

(3)

طاعته....

ثم بيّن القرآن الحكيم عاقبة فرعون وقومه الوحيدة والنتيجة لهذه النظرة الباطلة من جعلهم كثرة الأموال والأسباب دليلاً لعظمة صاحبها، قال تعالى:

(4) (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ - فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ).

(5)

قال ابن عاشور مبيّناً الأسرار البلاغية في هاتين الآيتين:

عُقِبَ ما مضى من القصة بالمقصود وهو هذه الأمور الثلاثة المترتبة المتفرع بعضها على بعض

(6)

وهي: الانتقام، فالإغراق، فالاعتبار بهم في الأمم بعدهم).

(1) الكشف ج 4 ص 257

(2) الزخرف - 53

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن ج 4 ص 164 (المؤلف: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة 510 هـ، المحقق: عبدالرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(4) الزخرف - 55-56

(5) ولم يجد الباحث تلك الأسرار في أي تفسير آخر.

(6) التحرير والتنوير ج 25 ص 234

وقال أيضا: و "الأسف" الغضب المشوب بحزن وكدر، وأطلق على صنيع فرعون وقومه فعل "آسفونا" لأنه فعلٌ يترتب عليه انتقام الله منهم انتقاما كانتقام الأسف لأنهم عصوا رسوله وصمموا على شركهم بعد ظهور آيات الصديق لموسى عليه السلام، فاستعير "آسفونا" لمعنى "عصونا" - للمشاهدة - والمعنى: فلما عصونا عصيان العبد ربّه المنعم عليه بكفران النعمة... (1)

وزاد قائلا - مبينا نكتة أخرى بلاغية:

وفي قوله: (فَلَمَّا آسَفُونَا) إيجاز لأن كونهم مؤسفين لم يتقدم له ذكر حتى يبيّن أنه كان سببا للانتقام منهم فدل إناطة أداة التوقيت به على أنه قد حصل، والتقدير: (فَآسَفُونَا، فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ). (2)

وقد نشأ هنا سؤال عن مناسبة عطف "أغرقنا" على "انتقمنا" بالفاء، وحرف الفاء العاطفة تفيد الترتيب بين المتعاطفين، فما مناسبة العطف بما هنا؟ والانتقام هو الإغراق، ولا يقع الإغراق بعد الانتقام كما يتبادر من العطف بالفاء.

أجاب عنه ابن عاشور قائلا:

وإنما عُطِفَ "فأغرقناهم" بالفاء على "انتقمنا منهم" مع أن إغراقهم هو عين الانتقام منهم، إما لأن فعل "انتقمنا" مؤوّل بـ "قدّرنا الانتقام منهم" فيكون عطف "فأغرقناهم" بالفاء كالعطف في قوله: (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (3)، وإما أن يجعل الفاء زائدة لتأكيد سبب "آسفونا" في الإغراق، وأصل التركيب: انتقمنا منهم فأغرقناهم، على أن جملة "فأغرقناهم" مبيّنة لجملة "انتقمنا منهم" فزيدت الفاء لتأكيد معنى التبيين... (4)

وهذا التأويل الثاني هو الذي يتبادر معناه إلى الذهن عند قراءة الآية الكريمة، أي: أن قوله:

(1) التحرير والتنوير ج 25 ص 234

(2) المرجع نفسه

(3) يس - 82

(4) التحرير والتنوير ج 25 ص 234

"فأغرقنا" بيان لـ"انتقمنا منهم" والتأويل الأول هو الأقرب إلى موافقة السياق وفي هذا التأويل مجاز مرسل علاقته المسببية حيث عبر بالمسبب وأريد السبب وهو "قدرنا الانتقام".

الآية الثالث عشرة:

في بيان المقابلة بين أهل النظرتين إلى المال:

ومن أجل المقابلات بين المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله فينالون رضا الله ربهم الكريم وبين الكفار الذين يتعبدون للمال ويجرون خلفه ويستمتعون بملاذ الدنيا ناسين عقابهم المستحقين غضب الله في الدنيا والآخرة، قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَايْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)<sup>(1)</sup>

فإن القرآن الحكيم - مبيّنًا وجهة نظر الكفار إلى المال - شبههم بالأنعام التي هدفتها كله قضاء شهوة الأكل والشرب والجنس، ولا فكرة لها عن العقوبة كما قال القرطبي رحمه الله تعالى:

(والذين كفروا يمتعون) في الدنيا كأنهم أنعام، ليس لهم همّة إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عما في غددهم. وقيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزّن، والكافر يمتنع).<sup>(2)</sup>

بلاغة المقابلة في الآية الكريمة:

إن الله سبحانه وتعالى بشر المؤمنين بدخول الجنات، وذكرهم بالاسم الموصول الذي جاءت صلته (آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، وفي مقابلتهم ذكر الكفار أيضا بالاسم الموصول وجاءت صلته (كفروا) وأخبر عنهم بـ (يستمعون وياكلون كما تأكل الأنعام) - وقد مر أنفا فائدة تشبيه أكلهم بأكل الأنعام - وعُطِفَ عليه قوله:

(والنار مثوى لهم) - الذي هو نتيجة أكلهم مثل الأنعام غير مباليين ماذا ياكلون وكيف ياكلون -.

(1) محمد - 12

(2) الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي - 16 ص 235

والآيات من الرابع عشرة إلى الحادية والعشرين:

في بيان وجهة النظر الخاطئة إلى المال قوله تعالى: (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا \* وَبَيْنَ شُهُودًا \* وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا \* سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا).<sup>(1)</sup>

هذا أجل وأبلغ تصوير صوره القرآن الحكيم لوجهة نظر الكافر المعاند للحق عن المال من حرصه ونهمه الشديد في المال، فقد بدأ النظم الحكيم بالوعيد والتهديد له وفي هذا التهديد صور أحسن تصوير لماله وجاهه الذي قد آتاه الله الكريم ثم ذكر حرصه واستزادته للمال وردعه بقوله: (كلا) وعلل ردعه بقوله: (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) ثم ذكر عاقبته ونتيجة عناده لآيات الله تبارك وتعالى.

(2) قال تعالى: (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا).

قال البيضاوي رحمه الله عليه:

(وَحِيدًا) حال من الباء أي ذرني وحدي معه فإني أكفيك، أو من التاء أي ومن خلقتني وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو من العائد المحذوف أي من خلقتني فريداً لا مال له ولا ولد، أو ذم فإنه كان ملقباً به فسماه الله به تحكماً، أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة أو عن أبيه فإنه كان زنياً.<sup>(3)</sup>

(4) وقوله تعالى: (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ).

(5) قال البيضاوي رحمه الله تعالى: وهو استبعاد لطمعه.

(6) وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا - سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا).

(1) المدثر - 11 - 17

(2) المدثر - 11

(3) تفسير البيضاوي ج 5 ص 260 قال ابن دريد: رجل زني: ذو علامة سوء يعرف بها. اجمهر اللغة ج 2 ص 828

(4) المدثر - 15

(5) المرجع نفسه

(6) المدثر - 16 - 17

قال البيضاوي: فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاودة آيات المنعم

(1)

المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة.

قال ابن هشام الأنصاري رحمه الله تعالى عن حرف "كلًا":

هي عند سيويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين حرفٌ معناه الردع والزجر، لا معنى لها

عندهم إلا ذلك حتى إنهم يميزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها وحتى قال جماعة منهم:

متى سمعت "كلًا" في سورة فاحكم بأنها مكية لأن فيها معنى التهديد والوعيد وأكثرما

(2)

نزل ذلك بمكة لأن أكثر العنوا كان بها.

والآيات من الثانية والعشرين إلى الخامس والعشرين:

في بيان وجهة النظر الخاطئة إلى المال قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ \* وَلَا تَحَاطُّونَ

(3)

عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا \* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا).

بلاغة السياق:

إن الله سبحانه وتعالى أولاً ذكر في الآيتين السابقتين شكوى عن الإنسان، قال: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ

إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي - وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي

(4)

أَهَانَنِي). يعنى إنه يتلى الإنسان بطريقتين إما بتوسيع رزقه، وإما بتقدير رزقه وتضييقه، أي شكر أم يكفر

وبصير أم يجزع؟، ففي الحالة الأولى يطر وفي الحالة الثانية يجزع ويشكوا من ربه الكريم.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت: بم اتصل قوله فأما الإنسان؟ قلت: بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل: إن الله لا يريد

من الإنسان إلا الطاعة والسعى للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي، فأما الإنسان فلا يريد ذلك

(1) المرجع نفسه

(2) معني اللبيب عن كتب الأعراب ص 250، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن

هشام (التوقي: 761هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، 1985،

عدد الأجزاء: 1.

(3) الفجر - 17-20

(4) الفجر - 15-16

(1)

ولا يهتئ إلا العاجلة وما يُلذُّه ويتنعمه فيها).

ثم قال:

فإن قلت: كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟

قلت: لأن كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أي شكر أم يكفر؟ وإذا

(2)

قُدِّر عليه فقد اختبر حاله أي صبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة.

فرداً على شكوى الإنسان وردعاً له قال: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ....)

قال الزمخشري:

(كلا) ردع للإنسان عن قوله. ثم قال: بل هناك شر من القول. وهو: أن الله يكرمهم بكثرة

المال، فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمهزة، وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه

أكل الأنعام، ويحبونه فيشخون به.... و "أَكْلًا لَمًّا" ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام. قال الخطيئة:

(3)

إذا كان لمًا يتبع الدم ربه... فلا قدس الرحمن تلك الطواحين).

وقال البقاعي رحمه الله عليه مبيئاً بلاغة السياق:

ولما كان نسبة هذا إليه توبيخاً وتقريعاً لقصور نظره فإن الإقتار قد يؤدي إلى سعادة الدارين،

والتوسعة قد تؤدي إلى شقاوتهما، وهذا أكثر ما يوجد، قال ردعاً عن مثل هذا القول بأعظم أدوات

الزجر معللاً للتوسعة والإقتار: (كلا) أي إني لا أكرم بتكثير الدنيا ولا أهين بتقليلها، لا التوسعة

منحصرة في الإكرام ولا التضييق منحصر في الإهانة والصغار، وإنما أتهم الإهانة من حيث إنهم

(1) الكشف ج 4 ص 749

(2) المرجع نفسه

(3) الكشف ج 4 ص 751 (قال المحشي في الهامش: إذا كان الأكل جمعا، أي: دا جمع بين الخبث والطيب ينفع صاحبه الدم، فلا طهر الله تلك الأضراس التي تطحن ذلك المأكول، والدعاء عليها: دعاء على صاحبها).

(1)

لا يطيعون الله، وربما كان بالتوسعة، وربما كانت بالإقتار...).

ما هو السر البلاغي في استخدام صيغة المفرد في قوله:

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ - وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

(2)

رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ). وفي استخدام صيغة الجمع في قوله تعالى: (كَأَلَّا بِلَ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ - وَلَا

(3)

تَخَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ - وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَّمَّا - وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)؟

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

(4)

وأفرد أولاً لأنه أنص على التعميم وجمع ثانياً إعلماً بأن المراد الجنس).

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والالتفات إلى الخطاب

للإيدان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع والجمع

باعتبار معنى الإنسان إذ المراد هو الجنس أي بل لكم أحوال أشدَّ شراً مما ذكر وأدل على تحالككم على

(5)

المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤذون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالميرة به).

(6)

نكات بلاغية أخرى في قوله تعالى: (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَّمَّا - وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)

هنا نكات بلاغية أفادناها ابن عاشور رحمه الله عليه، قال:

والأكل: مستعار للانتفاع بالشيء انتفاعاً لا يُبقي منه شيئاً. وأحسب أن هذه الاستعارة من

مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها في كلام العرب.

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 22 ص 34

(2) الفجر - 15 - 16

(3) الفجر - 17 - 20

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 22 ص 34

(5) تفسير أبي السعود ج 9 ص 156-157

(6) الفجر - 19 - 20

وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه، أي تراث اليتامى وكذلك كان أهل الجاهلية يمنعون

(1)

النساء والصبيان من أموال مورثيهم).

ما الحكمة والسر البلاغي في اختيار قوله: (وتأكلون التراث) على (وتأكلون المال)؟

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وأشعر قوله: (تأكلون) بأن المراد التراث الذي لا حق لهم فيه، ومنه يظهر وجه إثار لفظ التراث

دون أن يقال: (وتأكلون المال) لأن التراث مأل مات صاحبه وأكله يقتضي أن يستحق ذلك المال

عاجز عن الذب عن ماله لصغر أو أنوثة. (2)

وزاد ابن عاشور قائلا:

واللّم: الجمع، ووصف الأكل به وصف بالمصدر للمبالغة، أي أكلا جامعا مال الوارثين إلى

(3)

مال الأكل كقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم).

والجُم: الكثير، يقال: جم الماء في الحوض، إذا كثر، وبثر جُوم بفتح الجيم: كثيرة الماء....

فالجُم مستعار لمعنى القوي الشديد، أي جبا مفرطا، وذلك محل ذم حب المال، لأن إفراط حبه يوقع في

(4)

الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق كالغصب والاختلاس والسرقة وأكل الأمانات).

والآيات من السادس والعشرين إلى الرابع والثلاثين:

في بيان وجهة نظر الكفار الباطلة عن المال سورة الهمة: قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ \* الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ \* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ \* كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي

1) التحرير والتنوير ج 30 ص 334

2 - التحرير والتنوير ج 30 ص 334

3) النساء - 2

4) التحرير والتنوير ج 30 ص 334

الْحُطْمَةُ \* وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ \* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ \* إِنَّهَا عَلَيْهِمْ  
(1) مُؤَصَّدَةٌ \* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ.

سبحان الله! ما أبلغ أسلوب هذه السورة المباركة في بيان وجهة نظر متعبدى المال، ثم ما أشدَّ وأبلغ أسلوبها في بيان عاقبتهم الوخيمة ومآلهم الرهيب المخيف!

قد ابتدأت السورة المباركة مباشرة ببيان الوعيد وهذا مما سماه البلاغيون "براعة الاستهلال" فقال تعالى: (وَيْلٌ) نَكَّرَتْ صِيغَةً (وَيْلٌ) للدلالة في أوَّل وهلة على الهول والخوف الشديد وقيل: (لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ). وَصِفَ الْمُتَعَبِّدُ لِلْمَالِ بِوَصْفَيْنِ شَنِيعَيْنِ (الهمز واللمز)، واختير فيهما صيغة (فُعْلَةٌ).

قال ابن عطية رحمه الله عليه في بيان معنى "ويل":

(2) لفظ يجمع الشر والحزن، وقيل: "ويل": وإد في جهنم).

وقال الرمخشري رحمه الله تعالى في بيان معنى الهمز واللمز:

الهمز: الكسر، كالهزم. واللمز: الطعن. يقال: لمزه وهزه: طعنه، والمراد: الكسر من أعراض الناس والغضب منهم، واغتيالهم، والطعن فيهم وبناء «فُعْلَةٌ» يدلُّ على أن ذلك عادة منه قد صرَّى بها. ونحوهما: اللعنة والضحكة. قال:

(3) وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة).

(1) سورة الحمزة من أولها إلى آخرها

(2) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز ج 5 ص 521

(3) الاكتشاف ج 4 ص 795. (وقال المحشى في الهامش: البيت: إذا لقيتك عن شحط تكاشرى... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة + لزياد الأعجم. والشحط - بالفتح: البعد. وكثر عن أسنانه: أبداه في الضحك وغيره، لكن اشتهر في لسان العرب في الأول. (هامش الاكتشاف ج 4 ص 795)). وأكمل أبو عبيدة معمر بن المثنى هذا البيت كالآتي: قال: قال الأعجم: تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا+ وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة. (بجاء القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ج 3 ص 311). والأعجم: هو زياد بن سليم ويقال ابن سليمان ويقال ابن سلمى أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس ولقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه أدرك أنا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص وشهد معهما فتح إصطخر. هكذا في تاريخ دمشق لابن عساكر (146/19) المؤلف. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، المحقق: عمرو بن عرامة العمري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر

ثم قال تعالى: (الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ).

قال العكبري رحمه الله عليه: "الذي" يحتمل الجر على البدل، والنصب على إضمار "أعني"

(1) والرفع على "هو".

(2) ولكن البيضاوي رحمه الله عليه قال: بدل من "كُلُّ" أو منصوب على الذم

ما هو السر البلاغي في مجيء هذا البدل عن "كل همزة لمزة"؟

يمكن أن يقال: لعله إشارة إلى ما جعله سيئ الخلق بزي اللسان أي "همزة لمزة"، يعني: حب

المال وحرصه وشراسته، كما قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) تركه خالداً في الدنيا فأحبّه كما يحبُّ الخلود، أو حبُّ المال أغفله عن

(3) الموت أو طوّل أمله حتى حَسِبَ أنه مخلّد فعَمِلَ عمل من لا يظُنُّ الموت).

ونكر (مالاً) إشارة إلى كثرة المال الذي جمعه، أي جمع مالا كثيراً.

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

(4) (مالاً) أي عظيماً، وأكد مراد الكثرة بقوله: (وعدده).

قال الألوسي رحمه الله عليه: (وَعَدَّدَهُ) أي عدّه مرة بعد أخرى حبّاً له وشغفاً به. وقيل: جعله

أصنافاً وأنواعاً كعقار ونقود حكاها في التأويلات. وقال غير واحد: أي جعله غُدّة ومدّخراً لنوائب الدهر

(5) ومصائبه).

وبعد بيان وجهة نظره عن المال - التي هي قد أفسدت أخلاقه - وهو حبّه الشديد للمال

والحرص والبخل قال تعالى: (كَلَّا لَيَنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ).

1415 هـ - 1995 م عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهارس) ومثل ترجمة ابن عساكر ترجمه جميع اهل التواحم وقد تعجب الباحث أن أحدا منهم لم

يذكر تأييد ونائه

1) التبيان في إعراب القرآن ج 2 ص 1303.

2) تفسير البيضاوي ج 5 ص 337

3) تفسير البيضاوي ج 5 ص 337

4) نظم الدرر ج 22 ص 245

5) روح المعاني ج 15 ص 361

قال أبو السعود رحمه الله عليه:

(كَلَّا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل أو عنه وعن جمع المال وجبه. وقوله تعالى (لِيُنَبِّذَنَّ) جواب قسم مقدّر والجملة استئناف مبينّ لعلّة الردع أي والله لِيُطْرَحَنَّ بسبب تعاطيه للأفعال (1) المذكورة).

ردّعه عن حبه المفرط للمال، وأخبر عن عاقبته الوخيمة، ومن بلاغة نظم القرآن الحكيم هنا أنه اختير في بيان الوعيد له أبلغ أسلوب.

فأول تلك الأسرار البلاغية في هذه الآيات من قوله تعالى (كَلَّا لِيُنَبِّذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) إلى آخر السورة: اختير فعل النبذ الذي ترجمه المفسرون بالطرح - الذي ينبئ عن إهانة المنبذ، ثم توكيد هذا الفعل بمؤكدتين: الأول: أسلوب القسم، والثاني: نون التوكيد الشديدة، ثم قيل: - بدلا من "في النار"، "في الحطمة".

قال ابن عاشور:

.... "فُعَلَّةٌ" صيغة تدل على كثرة صدور الفعل المصاغ منه. وأنه صارعادة لصاحبه كقولهم: ضحكة لكثير الضحك، ولعنة لكثير اللعن، وأصلها: أن صيغة فعل بضم ففتح تَرِد للمبالغة في فاعل (2) كما صرح به الرضي في "شرح الكافية".

ثم زيادة في التهويل قيل: وما أدراك ما الحطمة؟

وأجاب جل شأنه إجابة زادت الهول هوّلاً فوق الهول، قال: (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ). كما قال القرطبي رحمه الله تعالى:

(وما أدراك ما الحطمة) على التعظيم لشأنها، والتفخيم لأمرها. ثم فسرهما ما هي فقال: (نار الله الموقدة) أي التي أوقد عليها ألف عام، وألف عام، وألف عام، فهي غير خامدة، أعدها الله للعصاة. (3) ثم وصفها بوصف آخر مخيف شديدا فقال: (التي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ).

(1) تفسر أي السعود ج 30 ص 536

(2) التحرير والتنوير ج 30 ص 536

(3) تفسر القرطبي ج 20 ص 185

قال القرطبي: (التي تطلع على الأفئدة) قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع ما في أجسادهم، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد، خُلِقُوا خلقاً جديداً، فرجعت تأكلهم. وكذا روى خالد بن أبي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن النار تأكل أهلها، حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إذا صدروا تعود، فذلك قوله تعالى: نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة. وخصَّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه. أي إنه في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: (لا يموت فيها ولا يحيى) <sup>(1)</sup> فهم إذا أحياء في معنى الأموات. <sup>(2)</sup>

ثم زاد سبحانه وتعالى في تشديد الوعيد وتغليظه عليهم فقال:

(إنما عليهم مؤصدة - في عمدة ممددة).

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

(إنما عليهم مؤصدة) فقال الحسن: مؤصدة أي مطبقة من أصدت الباب وأوصدته لفتان، ولم

يقول: مطبقة لأن المؤصدة هي الأبواب المغلقة، والإطباق لا يفيد معنى الباب. <sup>(3)</sup>

وقال الرازي رحمه الله تعالى أيضاً:

واعلم أن الآية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه أحدها: أن قوله: (لينذرن) يقتضي أنه موضع

له قعر عميق جدا كالبر وثنائها: أنه لو شاء لجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب

يذكرهم الخروج، فيزيد في حسرتهم وثالثها: أنه قال: عليهم مؤصدة ولم يقل: مؤصدة عليهم لأن قوله:

(عليهم مؤصدة) يفيد أن المقصود أولاً كونهم بهذه الحالة، وقوله مؤصدة عليهم لا يفيد هذا

المعنى بالقصد الأول. <sup>(4)</sup>

وفي تفسير قوله تعالى: (في عمدة ممددة) قال الرازي رحمه الله تعالى:

(1) طه - 74

(2) المرجع نفسه.

(3) التفسير الكبير للرازي - معاني الغيب ج 32 ص 287

(4) المرجع نفسه

في تفسير الآية وجهان الأول: أنها عمد أغلقت بها تلك الأبواب كنحو ما تغلق به الدروب، و (في) بمعنى الباء أي أنها عليهم مؤصدة بعمد مدت عليها، ولم يقل: بعمد لأنها لكثرة صارت كأن الباب فيها. والقول الثاني: أن يكون المعنى: إنها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين في عمد عمدة مثل المقاطراتي تقطر فيها اللصوص.<sup>(1)</sup>

فما أبلغ أسلوب نظم القرآن الحكيم في هذه السورة المباركة في بيان وجهة نظر متعبدى المال وتصوير عاقبتهم الوخيمة!

والآيات من الخامس والثلاثين إلى الحادية والأربعين:

المبينة وجهة نظرهم الباطلة إلى المال سورة الماعون، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم  
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* فَوَيْلٌ  
لِّلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ \* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ \* وَيَتَنَعَّوْنَ الْمَاعُونَ \*).  
فهذا أسلوب بديع في غاية البداعة جميل في غاية الجمال.

قال سبحانه وتعالى: (أَرَأَيْتَ) - استفهام للتعجب أو التشويق إلى معرفة حال المنافقين المدَّعين الإيمان بالله باللسان المصلِّين، الكافرين بالقلوب سيئي الأخلاق الاجتماعية،  
كما قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

واعلم أن هذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب  
كقولك: أَرَأَيْتَ فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه؟.<sup>(2)</sup>

وكذلك قال البيضاوي رحمه الله تعالى: (أَرَأَيْتَ) استفهام معناه التعجب.<sup>3</sup>

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى:

استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه.<sup>(1)</sup>

(1) مفاتيح الغيب ج 32 ص 287

(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج 32 ص 301

3 - تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 341)

ثم أجاب ذوالجلال والإكرام عن السؤال فقال:

(فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ - وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ).<sup>(2)</sup> فاستخدم له اسم الإشارة بدلا

من الضمير، فما هو السر البلاغي فيه؟

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

وُضِعَ اسْمُ الْإِشَارَةِ الْمُتَعَرِّضُ لَوْصَفِ الْمَشَارِ إِلَى مَوْضِعِ الضَّمِيرِ لِلإِشْعَارِ بِعِلَّةِ الْحُكْمِ وَالتَّنْبِيهِ بِمَا

فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْبَعْدِ عَلَى بَعْدِ مَنْزِلَتِهِ فِي الشَّرِّ وَالْفُسَادِ).<sup>(3)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟ إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء،

هو الذي يدع اليتيم أى: يدفعه دفعا عنيفا بحفوة وأذى، ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة. وقرئ:

"يَدْعُ"، أى: يترك ويحفو ولا يحض: ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين.<sup>4</sup>

وزاد الزمخشري رحمه الله قائلا:

جُعِلَ عَلَمُ التَّكْذِيبِ بِالْجِزَاءِ مَنْعُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِقْدَامُ عَلَى إِذَاءِ الضَّعِيفِ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْجِزَاءِ

وَأَيَقَنَ بِالْوَعِيدِ، لَخَشِيَ اللَّهُ تَعَالَى وَعِقَابَهُ وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى ذَلِكَ، فَحِينَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ: عَلِمَ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ، فَمَا

أَشَدَّهُ مِنْ كَلَامٍ، وَمَا أَخَوْفَهُ مِنْ مَقَامٍ، وَمَا أَبْلَغَهُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى

(5) ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَرَخَاوَةِ عَقْدِ الْيَقِينِ).

(6) بِلَاغَةِ الْوَصْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(1) تفسير أبي السعود ج 9 ص 203

(2) الماعون - 3-4

(3) تفسير أبي السعود ج 9 ص 203

4 - الكشف ج 4 ص 804

(5) الكشف ج 4 ص 804

(6) الماعون - 4

ثم وُصل به قوله فويل للمصلين كأنه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها... والمعنى: أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين. ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام - علماً على أنهم مكذبون بالدين.<sup>(1)</sup>

(2) قوله تعالى (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ).

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى:

قال مقاتل: يمنعون الزكاة، والماعون بلغة الحبش المال. وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: يراءون بصلاتهم، ومنعون الزكاة. ويقال: الماعون يعني: المعروف كله، الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم. وعن أبي عبيد قال: سألت عبد الله بن مسعود، - رضي الله عنه - عن الماعون، قال: "الماعون"

(3) مايتعاطاه الناس فيما بينهم، مثل الفأس والفؤوم والقدر والدلو ونحو ذلك.

فهذه إحدى وأربعون آية قد بيّنت بأساليب بلاغية شتى وجهة نظر المتعبدين للمال وعاقبتهم

السيئة.

(1) المرجع نفسه

(2) للماعون - 4

(3) بحر العلوم ج 3 ص 626. المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)

### المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في علاج ضرر المال .

قد عرفنا من قبل أن المال له جهتان بالنسبة للإنسان، جهة نفعية - إذا اعتقد الإنسان أن المال عنده نعمة من الله فلذا يجب عليه أداء شكر الله على هذه النعمة العظمى، وأمانة عنده من الله سبحانه وتعالى، ففيه حقوق الله وحقوق عباده، فيجب أداء الأمانة إلى صاحبها -، وجهة ضرورية إذا اعتقد صاحب المال نفسه المالك الحقيقي للمال، حُرًّا في جميع تصرفاته، كيف ومن أين يكتسبه وأين ينفقه وكيفما يقسّمه أو يبادل، لا حجر عليه ولا حساب ولا عقاب إذا تصرف فيه تصرفات قد نهي الله عنها. وقد علمنا أيضا أن الضرر الذي يصيب الإنسان من المال إنما سببه الحقيقي حُبُّه حبا جما بحيث يتعدى الإنسان حدود الله فيه، في اكتسابه وفي إنفاقه وجميع تصرفاته، فكان مقتضى الحكمة أن يعالج المرض الذي يجعل هذه النعمة العظيمة التي لها الأهمية الأساسية في قيام وبقاء وصلاح حياة الإنسان الخلقية والمادية فردًا ومجتمعًا، يجعله هذا المرض الموجود في داخل قلب الإنسان سببا لفساد الإنسان وهلاكه ودماره، لذلك فإن القرآن الحكيم قد عالج هذا المرض في آيات كثيرة بتزهد الناس فيه وقطع حبه من أرض قلوبهم وزرع حُبِّ الله وفكر الآخرة مكانها ليعود المال - كما خلقه الله تعالى - نعمة للإنسانية وقيامًا لحياتها.

#### الآية الأولى

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ

(1)

النَّارِ).

#### بلاغة السياق:

قال البقاعي رحمه الله عليه:

ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد كان الأليق بخطابها أن يكون الدعاء فيه إلى الزهد أتمّ من الدعاء في غيرها، والإشارة فيه إلى ذلك أكثر من الإشارة في غيره، فكانت هذه الآية قاطعة للقلوب النيرة بما أشارت إليه من فتنة الأموال والأولاد الموجبة للهلاك). (2)

(1) آل عمران - 10

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 4 ص 254

### بلاغة الأسلوب:

لما كان الكفار المتمردون يعصون الله ويخالفون أوامره ويقاتلون أوليائه ويظلمون عباده مغترين بأموالهم وأولادهم الكثيرة الوفيرة - كما قال تعالى:

(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) <sup>(1)</sup> فإن القرآن الحكيم قد نفى زعمهم هذا بأبلغ أسلوب، أولاً: أكّدت الجملة بـ "إن" وجيء بالمسند إليه الاسم الموصول - المشعر بصلته بنوع الخبر - (صلته الفعل "كفروا") وهذا الأسلوب من براعة الاستهلال، وخبر "إن" الفعل المضارع المنفي بحرف النفي "لن" الذي يفيد تأكيد النفي، وقيل: (أموالهم وأولادهم) - أضيفت الأموال والأولاد إلى ضمير أصحابها - حيث كان من الممكن أن يقال: (لن تغني عنهم الأموال والأولاد) ولكن النظم الحكيم جاء بإضافة الأموال والأولاد إلى ضمير الكفار (هم) ولعل السرّ البلاغي في هذه الإضافة دفع زعمهم الباطل أن الأموال لهم وهم ملاكها والأولاد لهم، فأموالهم وأولادهم يدفعون عنهم عذاب الله إذا حلّ بهم، وأنهم أحرار في التصرف فيها كما يشاءون كما قال لشعيب عليه السلام قومه:

(يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) <sup>(2)</sup> قال تعالى: (لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فإذا كان هذا شأن أموالهم وأولادهم التي يفتخرون بها فأي شيء آخر يغني عنهم؟

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: (أموالهم) التي يبدلوها في جلب المنافع ودفع المضار، (ولا أولادهم) الذين بهم ينتصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملية. وتأخير الأولاد عن الأموال مع توسط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول غدة يُفزع إليها عند نزول الخطوب (من الله) من عذابه تعالى (شيئاً) أي شيئاً من الإغناء. <sup>(3)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله عليه:

وتنكيره للتحقير أي غناء ضعيفاً، بلة الغناء المهيم.... وإنما خص الأموال والأولاد من بين أعلاق

(1) سبأ - 35

(2) يونس - 87

(3) تفسير أبي السعود ج 2 ص 10

الذين كفروا لأن الغناء يكون بالفداء بالمال، كدفع الديات والغرامات، ويكون بالنصر والقتال،

وأولى من يدافع عن الرجل، من عشيرته، أبناؤه، وعن القبيلة أبناؤها. قال قيس بن الخطيم:

(1)

ثأرتُ عديا والخطيم ولم أضِيع... ولاية أشياخ جُعِلَتْ إزاءها.

وقال تعالى: (وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ).

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى:

اعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كلما كان منتفعا به، ثم يجتمع عليه جميع الأسباب

المؤلمة. أما الأول: فهو المراد بقوله تعالى (لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) وأما القسم

الثاني: من أسباب كمال العذاب، فهو أن يجتمع عليه الأسباب المؤلمة، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

(وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) وهذا هو النهاية في شرح العذاب فإنه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم

(2)

كاشتعالها في الحطب اليابس).

### الآية الثانية

من الآيات الواردة في التهديد في المال قوله تعالى:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

(3)

وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).

بلاغة السياق:

قد مر في الآية السابقة (التي قبلها في سورة آل عمران) ذكر القتال وفتن، فتمت تقاتل في سبيل

الله وفتنة أخرى كافرة، وكانت هناك موانع مادية قد تمتع الإنسان من القتال في سبيل الله ففي هذه الآية

الكريمة أولاً ذكر سبحانه وتعالى كون هذه الموانع المادية شهوات مزيئة للناس، ثم نبّه جل وعلا شأنه

العباد على حقيقتها أنها متاع الحياة الدنيا فقط فهكذا زهّدهم فيها وعالج ما كان في قلوبهم من مرض

حبّها وفي مقابلتها رغبهم فيما عنده من حسن المآب لمن طهّر قلبه من حب تلك الشهوات.

(1) التحرير والتنوير ج 3 ص 173

(2) معاني الغيب ج 7 ص 153

(3) آل عمران-14

بلاغة الأسلوب:

قال تعالى: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...)

حذف الفاعل، وجيء بالفعل "زَيْن" مبنيًا للمجهول. فمن الذي زينها؟

هنا احتمالان: الأول: أن الله سبحانه وتعالى زينها لهم والثاني أن الشيطان زينها لهم وكلاهما

موجود في مواضع من القرآن الحكيم.

قال السمرقندي رحمه الله تعالى:

(زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) حُسْنٌ وَحُبٌّ إِلَيْهِمْ، وقد يكون التزيين من الله تعالى. كما قال في

آية (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا هُمْ أَغْمَاهُمْ فَهُمْ يَصْمُونَ) (1)

وقال في آية أخرى: (وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنًا لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَغْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (2) فأما التزيين من الله تعالى، فهو على وجهين: يكون

على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان، وأما

التزيين من الشيطان، فهو على جهة الوسوسة. (3)

وقال النسفي رحمه الله عليه:

(زَيْنٌ لِلنَّاسِ) المزِين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا

لنبلوهم) (4) دليله قراءة مجاهد زَيْنٌ للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن: الشيطان. (5)

فلا احتمالان كلاهما على القراءتين كليهما سواء. وفي حذف الفاعل أو تقديره نكتة بلاغية،

وهي أن الله تعالى قد فطر الإنسان على حب هذه الأشياء ولكن تحت رقابة العقل وللانتفاع بها حسب

أوامر الله ونواهيه، ولكن الشيطان بوسوسته يُعْمِي الإنسان ويجعله مغلوب العقل عاصيا لربه الكريم في

اتباع الشهوات. والله أعلم.

(1) النمل-4

(2) النمل-24

(3) بحر العلوم ج 1 ص 198

(4) الكهف - 7

(5) مدارك التنزيل - تفسير النسفي ج 1 ص 240

وقال النسفي رحمه الله عليه - مبينا نكتة بلاغية في تسميتها "شهوات":

في تسمية الذوات مصدرا، فإنها في الحقيقة مشتبهات وليست بنفسها شهوات، قال:

"الشهوة" توقان النفس إلى الشيء. جعل الأعيان التي ذكرها شهواتٍ مبالغة في كونها مشتبهة أو

كأنه أراد تخصيسها<sup>(1)</sup> بتسميتها "شهوات" إذ الشهوة مستردة عند الحكماء مذموم من أتبعها شاهد<sup>(2)</sup> على نفسه بالبهيمية.

ما معنى القنطرة؟

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى:

القنطرة من المال مقدارٌ تُعبر به الحياة تشبيهاً بالقنطرة. وذلك غير محدود القدر في نفسه، وإنما هو بحسب الإضافة كالغنى، فربَّ إنسان يستغنى بالقليل وآخر لا يستغنى بالكثير، ولما قلنا اختلفوا في حدّه فقيل: هي أربعون أوقية، وقال الحسن: ألف ومائتا دينار، وقيل: ملءُ منك ثورٍ ذهباً.<sup>(3)</sup>

ما معنى "المقنطرة"؟

قال النسفي رحمه الله تعالى:

(المقنطرة) المنضدة أو المدفونة (من الذهب والفضة) سُمِّيَ "ذهبا" لسرعة ذهابه بالإنفاق و"فضة" لأنها تتفرق بالإنفاق والفقص: التفريق (والخيل) سُمِّيَتْ به لاحتياها في مشيها (المسومة) المعلّمة من "السومة" وهي العلامة أو المرعية من "أسام الدابة وسومها"<sup>(4)</sup> (والأنعام) هي الأزواج الثمانية (والحرث) الزرع، (ذلك) المذكور (متاع الحياة الدنيا).

(1) تخصيسها بمعنى: إظهار خستها. (الباحث)

(2) مدارك ج 1 ص 240

(3) الكتاب: تفسير الراغب الأصفهاني ج 2 ص 449، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 1، جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية 113 من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، دار النشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 2، جزء 4، 5: (من الآية 114 من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2001 م، عدد الأجزاء: 2.

(4) تفسير النسفي ج 1 ص 241

ثم قال تعالى: (قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ...)<sup>(1)</sup>

قال النسفي رحمه الله تعالى:

ثم زهدهم في الدنيا فقال (قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ).<sup>(2)</sup>

### الآية الثالثة

من الآيات الواردة في التزهيد في المال وتقليل أهمية المال وأسباب الدنيا في مقابلة الآخرة قوله

تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ).<sup>(3)</sup>

قال ابن عطية رحمه الله عليه:

لما أخبر عمن تقدمت صفته بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار أنحى بعد ذلك على أغنيائهم، وحقر شأنهم وشأن أموالهم، المعنى: أن هذا كله بمشيئة الله، يهب الكافر المال ليهلك به، ويقدر على المؤمن ليعظم بذلك أجره وذخره.

وقوله: (وَيَقْدِرُ) أي من التقدير، فهو مناقض "يسط". ثم استجملهم في قوله: وفرحوا بالحياة الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة متاعٌ ذاهب مضمحل يستمتع به قليلاً ثم يفنى. و «المتاع»: ما يتمتع به مما لا يبقى وقال الشاعر:

تمتع يا مشعث إن شيئاً سبقت به الممات هو المتاع<sup>(4)</sup>

والسر البلاغي في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أولاً بيّن جهل الكفار المتعبدن للمال في

قوله: (وفرحوا بالحياة الدنيا)، ثم زهد فيها بقوله: (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) في هذا

(1) آل عمران-15

(2) المرجع نفسه

(3) الرعد- 26

(4) المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز ج 3 ص 311

الجزء من الآية الكريمة أختير أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، ونُكِّر المقصور عليه تنكير التحقير، أي: متاع قليل في مقابلة الآخرة فلا ينبغي للإنسان أن يؤثر القليل الحقير الفاني على الكثير العظيم الباقي،

فهذا أسلوب بليغ غاية البلاغة للترهيد في الدنيا والمال. والله أعلم.

#### الآية الرابعة

من آيات الترهيد في المال قوله تعالى:

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ حَنَّاكَ  
لِلْمُؤْمِنِينَ).<sup>(1)</sup>

قال البيضاوي رحمه الله عليه:

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) لا تطمح ببصرك طموح راغب (إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) أصنافاً من الكفار، فإنه مستحقٌّ بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مُفضي إلى دوام اللذات. وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه : من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صَغُرَ عظيمًا وعظم صغيرًا. وروي أنه عليه الصلاة والسلام وافي بأذرعَات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتَقَوَّينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم: لقد أُعْطِيتُمْ سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع.<sup>(2)</sup>

ونقل الزمخشري رحمه الله تعالى أيضا نفس الروایتين في تفسير هذه الآية الكريمة باختلاف يسير، فقال المحشي: لم أجد عن أبي بكر، وأخرجه ابن عدى في ترجمة حمزة النصبي عن زيد بن ربيع عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رفعه: من تعلم القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد حَقَّرَ عظيمًا وعظم صغيرًا. وحمزة اتهموه بالوضع. وأخرجه إسحاق والطبري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله

(1) المحر - 88

(2) تفسير البيضاوي ج 3 ص 217. (لقد نتج الباحث عن هاتين الروایتين في كل ما تبسر له من كتب الحديث فوجد أن الرواية الأولى قد رواه ابن المبارك رحمه الله تعالى عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما في كتابه "الزهد والرقائق". (ينظر "الزهد والرقائق" لاسن المبارك ص 275)، وأما الرواية الثانية فلم يعثر عليها الباحث رغم بحث كثير. والله أعلم.

تعالى عنهما بلفظ: من أُعْطِيَ القرآن فرأى أن أحداً أُعْطِيَ أفضل مما أُعْطِيَ فقد عَظَّمَ ما صَغَّرَ اللهُ  
(1) وصَغَّرَ ما عَظَّمَ اللهُ.

بلاغة الوصل:

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت: كيف وُصِّلَ هذا بما قبله؟ قلتُ: يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم:  
قد أُوتِيَتْ النعمة العظمى التي كلُّ نعمة - وإن عَظُمَتْ - فهي إليها حقيرة ضئيلة، وهي القرآن  
العظيم، فعليك أن تستغني به). (2)

بلاغة الأسلوب:

ومن بلاغة الأسلوب في هذه الآية الكريمة أن جاء النهي عن الالتفات إلى أموال الكفار  
المتمولين وأمتعتهم صراحة ومؤكداً بنون التوكيد الثقيلة للمبالغة في التزهيد فيها، وأسند فعل التمتع إلى  
ضمير العظمة جل شأنه إشارة إلى ما فيه من حكمة الابتلاء لهم، وجيء بالمفعول اسماً موصولاً لتدل  
"ما" الموصولة بعموميتها على كل ما أوتي الكفار من أمتعة الحياة الدنيا وزخارفها، وإنه صلى الله تعالى  
عليه وسلم كما أنه يُعِثُّ رحمة للعالمين فكان يحزن على كفرهم فسأله الرب الكريم فقال: (ولا تحزن  
عليه)، كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى:

(3) (ولا تحزن عليهم) إن لم يؤمنوا.

ثم قال جل وعلا شأنه: (واخفض جناحك للمؤمنين).

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

(4) ولما أمره في عشرتهم بما أمر، أتبعه أمره بعشرة أصحابه رضي الله عنهم بالرفق واللين).

الآية الخامسة:

(1) هامش الكتاف ج 2 ص 588

(2) المرجع نفسه

(3) تفسير الجلالين ج 1 ص 244

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 11 ص 88

وينحو هذا الأسلوب قوله تعالى: (وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

(1)

الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ).

إلا أنه جل وعلا شأنه قد قد صرح في هذه الآية الكريمة بحكمة تمتيع الكفار بما قد متّعهم به،

فقال: (زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه).

قال أبوحيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

ولما أمره تعالى بالصبر والتسبيح جاء النهي عن مد البصر إلى ما مُتّع به الكفرة يقال: لا تمد

البصر إلى ما مُتّع به الكفار... قيل: والمعنى على هذا: ولا تعجب يا محمد مما متّعناهم به من مال

وبنين ومنازل ومراكب وملابس ومطاعم، فإنما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام، وإنما عما قليل

تفنى وتزول. والخطاب وإن كان في الظاهر للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد أمته وهو كان صلى الله

عليه وسلم أبعد شيء عن النظر في زينة الدنيا وأعلق بما عند الله من كل أحد، وهو القائل في الدنيا:

(2)

ملعون ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله.

وللتزهيد في الدنيا وزخارفها قد سماها القرآن الكريم في آيات كثيرة: "متاعا" و"لهوا ولعبا" فمن

الآيات التي سماها القرآن الحكيم فيها "متاعا" هذه الآيات المذكورة.

الآية السادسة:

قوله تعالى:

(3)

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

قال التستري رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال: من أخذ من الدنيا بشهوة منه حرمه

(1) طه - 131

(2) البحر المحيط ج 7 ص 399، وأخرج هذه الرواية ابن ماجه في سننه برواية أبي هريرة رضي الله عنه، سنن ابن ماجه ج 1 ص 1377، وأخرجه ابن المبارك في كتابه الزهد والرقائق ص 191 برواية أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه.

(3) القصص - 60

الله في الدنيا والآخرة ما هو خير منها، ومن أخذ منها لضرورة دخلت بنفسه أولحق لزمه لم يحرم

(1) ما هو خير في الدنيا، لذة العبادة ومحبة الحق عز وجل، وفي الآخرة الدرجات العلى).

وقال ابن عاشور رحمة الله عليه:

لما ذكرهم الله بنعمه عليهم تذكيراً أدمج في خلال الرد على قولهم: (إن نتبع الهدى معك

(2) نتخطف من أرضنا) بقوله: (تجى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) أعقبه بأن كل ما أوتوه من نعمة هو من متاع الحياة الدنيا كالأمن والرزق، ومن زينتها كاللباس والأنعام والمال، وأما ما عند الله من نعيم الآخرة خير من ذلك وأبقى لئلا يحسبوا أن ما هم فيه من الأمن والرزق هو الغاية المطلوبة... (ومن شيء) بيان لـ (ما أوتيتهم) والمراد من (شيء) المنافع كما دل عليه المقام لأن الإتياء شائع في

(3) إعطاء ما ينفع.

وقال ابن عاشور أيضاً في بيان سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: وقد التفت الكلام من الغيبة من قوله (أولم نمكن لهم حرماً) إلى الخطاب في قوله (أوتيتهم) لأن ما تقدم من الكلام أوجب توجيه التوبيخ مواجهة إليهم). (4)

وقال مبيّناً معنى "المتاع" و "الزينة: والمتاع: ما ينتفع به زماناً ثم يزول... والزينة: ما يحسن الأجسام... وتفرّع على هذا الخبر استفهام توبيخي وتقريري على عدم عقل المخاطبين لأنهم لما لم يستدلوا بعقولهم على طريق الخير نزلوا منزلة من أفسد عقله فسئلوا: أهم كذلك؟ (أفلا يعقلون؟) (5)

### الآية السابعة:

(1) تفسير التستري ج 1 ص 118، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423هـ

(2) القصص - 57. (4) الآية نفسها.

(3) التحرير والتنوير ج 20 ص 154

(4) المرجع نفسه

(5) المرجع نفسه

وكما أن في الآية المذكورة أنفاً سُمِّيَ ما أُوتِيَ الناس من شيء "متاع الحياة الدنيا وزينتها" وقبول بقوله: "ما عند الله خير وأبقى"، كذلك قال تعالى في سورة الشورى: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ).<sup>(1)</sup>

والفرق بين هذه الآية وبين التي سبقتها (في سورة القصص) أن زيد في هذه الآية بعد قوله (خير وأبقى) قوله (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون).

قال البغوي رحمه الله تعالى:

فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمنين).<sup>(2)</sup>

ثم في الآيات الثلاثة التالية بيّن سبحانه وتعالى سبع صفات أخرى - مع الوصفين المذكورين في هذه الآية - لمن يكون لهم ما عند الله خيراً وأبقى.

فقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَازَ الْإِنْفِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)\*<sup>3</sup>

وفي هذا الأسلوب بلاغة عظيمة من بلاغة الذكر الحكيم أنه سبحانه وتعالى لم يكتف بالتزهد في أمتعة الدنيا، بل وأعطى عباده المؤمنين برنامجاً كاملاً للفوز في الآخرة، وأرشدتهم إلى الخير الأبدي السرمدي إرشاداً جامعاً كاملاً فله الحمد كله والثناء.

الآيات الثامنة والتاسعة والعاشرية في التزهد:

ومن أبلغ أساليب النظم الحكيم في التزهد في المال قوله تعالى:

(وَلَوْلَا أَنَّ يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَفَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِخَهُمْ سُمْقًا مِنْ فَضَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ \* وَلِيُوبِخَهُمْ أَسْوَابًا وَسُورًا عَلَيْهَا يَنْكَبُونَ \* وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(1) الشورى - 36

(2) معالم التنزيل - تفسير البغوي ج 7 ص 197

(3) الشورى: 37 - 39

(1)

وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ\*.

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز

وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن لا يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة

وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيتاه بخذافيه من هوشر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى: (لَجَعَلْنَا لِمَنْ

(2)

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سَفْهًا مِنْ فَضَّةٍ)، أي متخذة منها).

قوله تعالى: (لمن يكفر بالرحمن) عبر سبحانه وتعالى عن نفسه الكريمة بـ"الرحمن" بدلا من اسم

الجلالة، فما هو السر البلاغي في ذلك؟

قال البقاعي رحمه الله تعالى: (بالرحمن) أي العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة

إعطائها للبعد الممقوت، وعلى أن صفة الرحمة مقتضية لتناهي بسط النعم على الكافر لولا العلة التي

(3)

ذكرها سبحانه من الرفق بالمؤمنين).

وذكر البقاعي أيضا نكتة بلاغية أخرى في قوله تعالى: (ليوقعهم) قال:

ولما كان تزيين الظرف دائما بحسب زينة المظروف، دل على ما لهم من ملابسهم ومراكبهم

وغير ذلك من أمورهم بزينة المنازل، فقال مبدلاً من (لمن) يدل الاشتغال لأن سوقه على طريق الإبدال

أروع: (ليوقعهم) أي التي ينزلونها (سقفاً) (وسرراً عليها يتكئون) دل على هدوء بالهم وصفاء أوقاتهم

وأحوالهم بقوله: (عليها يتكئون) ودل على ما لا يتناهى من غير ذلك بقوله: (وزخرفاً) أي ذهباً وزينة

(4)

عامّة كاملة.

(1) الزخرف - 33-35

(2) تفسير أبي السعود ج 8 ص 46

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 17 ص 425

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 17 ص 425، 426

والنكتة البلاغية الجامعة - الدالة على التزهيد في المال قوله تعالى - بعد ذكر جميع أسباب الترف والتنعيم إلى آخر ما كان أن يتصور، لأن أكبر طواغيت العالم من الغربيين الذين قد نهوا المجتمعات في العالم وجمعوا من الذهب والفضة قدرا لا يُقدَّر قدره لم يصنعوا لأنفسهم من أسباب الترف ما ذكر في هذه الآيات الثلاث المباركات - قوله تعالى: (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)<sup>(1)</sup>. فإنه قد استخدم في هذا الجزء من الآية أسلوب القصر كما فسر كثير من المفسرين<sup>(2)</sup> حيث جعلوا "إن" نافية و "لها" بمعنى "إلا" ومستخدمما أسلوب القصر قال تعالى: (متاع الحياة الدنيا).

قال البقاعي: (متاع الحياة الدنيا) أي التي اسمها دال على دناءتها وأن لها ضرة هي الآخرة، وهو منقطع بالموت)<sup>(3)</sup>.

#### الآية الحادية عشرة في التزهيد:

وكما زهد القرآن الحكيم في المال وغيره من أمتعة الدنيا بتسميها "متاعا" كذلك زهد فيه بتسمية الحياة الدنيا "لهوا ولعبا" فمنها قوله تعالى:

(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)<sup>(4)</sup>.

الأسرار البلاغية في هذه الآية الكريمة:

قد سميت الحياة الدنيا "لهوا ولعبا" بأسلوب القصر - النفي والاستثناء -، الأسلوب الذي قال عنه الإمام عبدالقاهر الجرجاني:

وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و "إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو: "ما هو إلا مخطئ"، قلت لمن يدفع أن يكون

(1) الزحرف - 35

(2) أنظر تفسير ابن عباس ج 1 ص 413 وتفسير أبي السعود ج 8 ص 46-47.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 17 ص 426

(4) العنكبوت - 64

الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون "زيدا".<sup>(1)</sup>

ففي هذه الآية الكريمة لما كان المخاطبون (المشركون) منكرين للآخرة أشد إنكار مغرورين بالحياة الدنيا يقولون: (إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)<sup>(2)</sup> فلذلك اختير في الرد عليهم أسلوب القصر بالنفي والاستثناء فقال جل شأنه: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) - هذا في تحقير الحياة الدنيا والترهيد، وفي إثبات الآخرة أيضا جيء بمؤكدات عديدة:

أولاً: جيء بـ"إِنَّ" وأدخلت على خبرها "اللام القسمية المؤكدة، واستخدم من أساليب القصر تعريف طرفي الجملة وحيث بضمير الفصل، ف قيل: (وإن الدار الآخرة هي الحيوان) وزيد عليه للتنبيه المزيد على جهلهم في إنكار الآخرة، والانحماك في لذات الحياة الدنيوية، قوله: (لو كانوا يعلمون).

وأشار الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى إلى عدة نكات بلاغية أخرى في هذه الآية أيضا، قال: (وما هذه الحياة الدنيا) إشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة. (إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ) إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين. (وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) هي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو هي في ذاتها حياة للمبالغة. "وَالْحَيَوَانُ" مصدر حين سمي به ذو الحياة وأصله "حَيَّانٌ" فقلبت الياء الثانية واواً وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فَعْلَان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها هاهنا. (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لم يؤثرها عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال).<sup>(3)</sup>

#### الآية الثانية عشرة:

ولما كان المخاطبون المؤمنون المتقون المخلصون لرَّحْمِ الكرم أعمالهم، المنفقون في سبيل الله أموالهم، وكان عدم ثبات الدنيا واضحا لهم والبعث بعد الموت ودوام الحياة الآخرة متيقنا لهم إلا أنه قد

(1) دلائل الإعجاز ص 332

(2) المؤمنون-37

(3) تفسير البيضاوي ج 4 ص 199. وقول البيضاوي بعد "لو كانوا يعلمون" لم يؤثرها عليها الدنيا... يدل على أن "لو" عند البيضاوي شرطية. لذلك أخرج المفسر حواش "لو" المقدر. (الباحث)

لوحظ على بعضهم شئ من الذهول عما هم مؤمنون به فقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ)<sup>(1)</sup>

فهنا استخدم أسلوب القصر "إنما" الذي قال عنه البلاغيون: أنه يستعمل فيما يكون معلوما عند المخاطب. وقال الإمام عبدالقاهر الجرجاني:

(2) اعلم أن موضوع "إنما" على أن تخبى الخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته.

وقال القزويني: وأصل الثالث، أي "إنما" أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره على عكس الثاني، أي النفي والاستثناء، كقولك: "إنما هو أخوك"، "وإنما هو صاحبك القديم" لمن يعلم ذلك ويُقرُّ به وتريد أن ترفقه عليه وتنبه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، وعليه قول أبي الطيب "في كافور":

إنما أنت والد والأب القا... طع أحنى من واصل الأولاد<sup>3</sup>

لم يُرد أن يُعلم كافورا أنه بمنزلة الوالد.... ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبي عليه استدعاء ما يوجهه).<sup>(4)</sup> فهذا من بلاغة النظم القرآني أنه استخدم في هذه الآية أسلوب القصر بـ "إنما" لأن المخاطبين هنا هم المؤمنون بالآخرة. وهم يعرفون حقيقة الحياة الدنيا فجاءت لتنبههم إلى هذه الحقيقة.

#### الآية الثالث عشرة:

من الآيات الواردة في الترهيد في المال وغيره من أمتعة الحياة الدنيا قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ تُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ

(1) محمد - 36

(2) دلائل الاعجاز ص 330

3 - ينظر ديوان المتنبي ص

(4) الإيضاح في علوم البلاغة ص 124

(1) الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).

قد ورد مضمون التزهيد في هذه الآية بأبلغ أسلوب: فقد ابتدأت الآية بـ "اعلموا" - الذي قال عنه الإمام ابن عاشور رحمه الله عليه:

(2) افتتاح الكلام بـ "اعلموا" ونحوه يؤذن بأن ما سيُلْقَى جدير بتوجه الذهن بشرائه إليه).

واختير بعده أسلوب القصر بـ "إنما" - التي قال عنها المفسر المذكور آنفاً: "وإنما" المفتوحة الهمزة

(3) أخت "إنما" المكسورة الهمزة في إفادة الحصر.

وبأسلوب القصر هذا قصرت الحياة الدنيا في خمسة أمور: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، ثم شَبَّهت - تشبيه تمثيل - بغيثٍ أعجَبَ الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً. قال ابن عاشور:

فضرب لهم مثل الحياة الدنيا بجمال محقَّرة على أنها زائلة تحقيراً لحاصلها وتزهيدا فيها لأن التعلق

(4) بها يعوق عن الفلاح).

وقال البقاعي: فقال قاصراً قصر قلب: (إنما الحياة الدنيا) أي الحاضرة التي رُغِبَتْ في الزهد

(5) فيها.

وقال ابن عطية في شرح هذا التمثيل:

ثم ضرب تعالى مثل الدنيا.... وصورة هذا المثال: أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك فيشَبُّ ويقوَّى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس، ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشيب ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحل أمره، وتصير أمواله لغيره،

1) الحديد- 20

2) التحرير والتنوير ج 27 ص 293

3) التحرير والتنوير ج 27 ص 401

4) التحرير والتنوير ج 27 ص 400

5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 19 ص 278

وتغير رسومه، فأمره مثل مطر أصاب أرضاً فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق. ثم هاج: أي ييس واصفر، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضمحلت.<sup>(1)</sup>

وقال السمعاني المروزي مينا معنى "لعب" و"لهو" و"زينة":

أي: هي ما يلعب به ويلهي ويتزين به. والمراد به: كل ما أريد به غير الله، أو كل ما شغل عن الدين. ويقال: لعب ولهو: أكل وشرب. ويقال: اللعب الأولاد، واللهو النساء.

وقوله تعالى: (وتفاخر بينكم) أي: تفاخر من بعضكم على بعض.

وقوله: (وتكاثر في الأموال والأولاد) أي: تطاؤل بكثرة الأولاد والأموال.<sup>(2)</sup>

وقال السمعاني مينا الفرق بين التفاخر والتكاثر:

إن التفاخر قد يكون ممن له ولد ومال مع من لا ولد له ولا مال، وأما التكاثر فلا يكون إلا

ممن له ولد ومال مع من له ولد ومال.<sup>(3)</sup>

ثم قال تعالى: (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) قال أبو السعود:

وبعد ما بُيِّنَتْ حقارة أمر الدنيا تهديداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً من عذابها الأليم وقد ذكر العذاب فقيل (وفي الآخرة عذاب شديد) لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة عظيمة) (من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره.<sup>(4)</sup>

يعني إن أبا السعود أشار إلى النكتة البلاغية في تنكير "مغفرة" و"رضوان" يعني أن تنكير

"مغفرة" و"رضوان" للتنظيم والتفخيم.

وما أعظم بلاغة النظم الحكيم أن هذه الجملة من هذه الآية الكريمة:

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج 5 ص 267

(2) تفسير القرآن الحكيم للسماعي ج 5 ص 374، المؤلف: أبو المظفر، مصور بن محمد بن عبد الحبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م

(3) المرجع نفسه ج 5 ص 374 - 375

(4) تفسير أبي السعود ج 8 ص 211

(وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) قد جُمع فيها بين جهتي المال والحياة الدنيوية وأمتعتها التفعية والضررية معاً.

وإليه أشار المفسر أبو السعود رحمه الله عليه حيث قال:

(وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة. عن سعيد بن جبير رضي الله عنه: الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة، وأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة. (1)

وهنا سر بلاغي آخر أيضاً، وهو أنه سبحانه وتعالى قدم ذكر العذاب في هذه الجملة ووصفه بالشدة وذكر بعده المغفرة والرضوان، ثم - مستخدماً أسلوب القصر بالنفي والاستثناء - الذي قد مر من قبل أنه يستعمل حيثما يكون المخاطب منكراً للخير - قال: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). فقد ختم الآية بالتحذير، والسر في ذلك أن أكثر الناس يغترون بالحياة الدنيا فينهمكون في لذاتها وينسون الآخرة وإلى هذا السر البلاغي أشار البقاعي رحمه الله عليه، قال:

ولما قدم ما هو السبب الأغلب لأن أكثر الخلق هالك، أتبعه الصنف الناجي. فقال: (ومغفرة) أي لأهل الدرجة الأولى في الإيمان (من الله) أي الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له في الدنيا عظمته سبحانه وجلاله فتأب من ذنوبه، ورجع إليه في التطهر من عيوبه (ورضوان) لأهل الدرجة العليا وهم من أقبل عليه سبحانه فشكروه حق شكره ببذل وسعه فيما يرضيه، فأخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة لتلا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لا تكون إلا كذلك، فالمعنى أن الذي ذكره أولاً هو الأغلب لأحوالها وعاقبته النار، وما كان منها من إيمان وطاعة ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة تؤدي إلى أخذها تزوداً ونظرها اعتباراً وتعبداً، فهو آخره لا دنيا. (2)

انتهى الباب الأول وسيله الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

(1) المرجع نفسه

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 19 ص 290-291

## الباب الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق والمعاملات المالية

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق المالية.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الوصية.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق اليتامى.

المبحث الثالث من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق النساء المالية.

الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام المعاملات المالية.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام البيع والشراء.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الديون والنهي عن الربا.

## الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق المالية

قد لوحظ في الباب الأول أن القرآن الحكيم أولى اهتماماً كبيراً ببلاغته المعجزة للجانب النفعي للمال، كما لوحظ أنه لم يُهمل الجانب الآخر أيضاً - ألا وهو الجانب الضريبي للمال على الإنسان - وكان من مقتضى ذلك أن تُبيّن في الذكر الحكيم أحكام الحقوق والمعاملات المالية ليلتزم العباد بأوامر الله ويتنزهوا عن نواهيه في كسب المال وإنفاقه وتقسيمه وتبادلته وليستفعدوا بمنافع المال وفوائده في قيام وإصلاح حياتهم الروحية والمادية ويجتنبوا مضارّه فيها فهناك آيات كثيرة في القرآن الحكيم قد بيّن الله العليم الحكيم فيها أحكام الحقوق والمعاملات المالية أبلغ بيان فلذلك وَضَعَ الباحث الباب الثاني من الرسالة في البحث عن بلاغة القرآن الحكيم في آيات أحكام الحقوق والمعاملات المالية.

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الميراث والوصية

الآيات الثلاث الأولى من آيات أحكام الوصية:

قوله تعالى:

(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ - فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)<sup>(1)</sup>

هذه ثلاث آيات بين سبحانه وتعالى فيها أحكام الوصية، قد مرَّ البحث على الآية الأولى منها في الفصل الأول من الباب الأول في مبحث "تسمية القرآن الحكيم المال خيراً". ولكن هناك كان البحث عن جهة بلاغة القرآن الحكيم في دلالة على أهمية المال، والآن في هذا الفصل من الباب الثاني سيبحث إن شاء الله تعالى عن جهة أخرى، وهي بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق المالية.

فقد بُدِئت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ) الذي يدل على الفرضية، كما قال أبو بكر الجصاص في "أحكام القرآن":

(كُتِبَ عَلَيْكُمْ) معناه فُرضَ عليكم كقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) وقوله: (إِنْ الصَّلَاةُ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) يعني فرضاً مَوْقُوتًا.<sup>(2)</sup>

ما حكم هذه الوصية المذكورة؟

ذكر المفسرون في هذه المسألة اختلافاً كثيراً وبحثاً طويلاً لا يتعلق معظمه بموضوع هذا البحث ولكن سيؤخذ منه إن شاء الله تعالى ما يتعلق بموضوعه.

فالأسرار البلاغية في هذه الآيات الثلاث التي قد بينها المفسرون هي ما يلي:

النكتة البلاغية الأولى في تسمية المال "خيراً" وقد مرَّ الكلام عليه بالتفصيل في الباب الأول،

وهي ما قاله الراغب الأصفهاني:

1 - البقرة - 180-182

2 - أحكام القرآن، ج 1 ص 202، (لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، المتوفي سنة 370هـ) بتحقيق محمد صادق القمحاري عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر، دار أحياء التراث العربي - بيروت.

إن قيل: كيف سُمِّيَ المال خيراً وقد قيل: إن المال ليس خيراً مطلقاً حتى يُراعَى حال صاحبه  
 فربما كان شراً له...؟ قيل: إن المال كما يكون خيراً قد يكون شراً، لكن جعل الله تعالى ههنا خيراً تنبيهاً  
 على أن الوصية يُسْتَحَبُّ في المال الطيب دون الخبيث والمغصوب فإن ذلك يجب رَدُّه إلى أربابه. (1)  
 النكتة الثانية في إظهار الاسم الظاهر على الضمير في قوله تعالى: (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأِنَّمَا  
 إِنَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) على خلاف مقتضى الظاهر، وهو استخدام الضمير، لا الاسم الظاهر.  
 فقال الراغب الأصفهاني: وإنما قال تعالى: (على الذين يبدلون) ولم يقل "عليه" ليبين أن الله  
 للتبديل، لا لغير. (2)

فالسر البلاغي في استخدام الاسم الظاهر الذي هو اسم موصول "الذي" التنبيه بصلة هذا  
 الاسم الموصول على عِلَّةِ الإثم وهو تبديل الوصية.

واستُخدم في بيان هذا الإثم أسلوب القصر بـ "إنما" التي قال عنها الإمام عبد القاهر الجرجاني:  
 اعلم أن موضوع "إنما" على أن تحيء لخير لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته. (3)  
 لأن من يُبَدِّل الوصية عمداً يعلم أنه يرتكب إثماً، ولذلك قال في آخر الآية: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ  
 عَلِيمٌ) (4) أي: أنه سميع لوصية الموصي، عليم بتنفيذ الوصية كما أوصى أو تبديله.

قال السمعاني رحمه الله تعالى: (إن الله سمع) لما أوصى به الموصي، (عليم) بتبديل المبدلين. (5)  
 والنكتة الرابعة في عطف الإثم على الجنب بـ "أو" في قوله تعالى:

(فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (6)

قال الراغب الأصفهاني:

- 
- 1 - تفسير الراغب الأصفهاني، ج 1 ص 382، (المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفي سنة 502هـ)  
 الجزء الأول: المقدمة وتفسير الفاتحة وسورة البقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالعزيز سيوني، الناشر: كلية الآداب جامعة طنطا،  
 الطبعة الأولى - 1420هـ - 1999م.
  - 2 - تفسير الراغب الأصفهاني، ج 1 ص 384،
  - 3 - دلائل الإعجاز، ص 330
  - 4 - البقرة - 181
  - 5 - تفسير السمعاني، ج 1 ص 175
  - 6 - البقرة - 182

إن قيل: كيف قال: (جنفاً أو إثماً) والجنف هو الإثم؟ قيل: قد قال الربيع: الجنف في الخطأ والإثم في العمد.<sup>(1)</sup>

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى: فمن خاف من موصي، أي توقّع وعلم، من قولهم: "أخاف أن ترسل السماء".... (جنفاً) قليلاً بالخطأ في الوصية (أو إثماً) تعمّداً للخياف. (فأصلح بينهم) بين الموصي لهم بإجرائهم على نهج الشرع. (فلا إثم عليه) في هذا التبديل، لأنّه تبديلٌ باطلٌ إلى حقٍّ بخلاف الأول.<sup>(2)</sup>

و يمكن أن نلاحظ هنا نكتة بلاغية أخرى في النظم المقدس في قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ)<sup>(3)</sup> تلك النكتة البلاغية في قوله تعالى: (فأصلح): في الآية السابقة قال تعالى: (فمن بذله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه).<sup>(4)</sup>

حيثما كان تبديل الوصية الصحيحة الصالحة على سبيل الخيانة، سماه القرآن الحكيم "تبديلاً" مرتين في الجملة الشرطية الواحدة، أولاً في الشرط في قوله: (فمن بذله)، وثانياً في جزاء الشرط في قوله: (فإنما إثمه على الذين يبدّلونه)، ولكن في الآية الثانية لم يستخدم النظم الحكيم عنوان التبديل، بل سماه "إصلاحاً".

ونكتة أخرى في فاصلة الآيتين، ففي الآية الأولى حيثما كان سياق التهديد والوعيد قال تعالى: (إن الله سميع عليم) وفي الآية الثانية - حيثما كان سياق التبشير بالعفو على إصلاح الوصية الخاطئة قال تعالى: (إن غفور رحيم).

قال البيضاوي: (إن الله غفور رحيم) وعدٌ للمصلح، وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم.<sup>(5)</sup>

الآية الرابعة من آيات الميراث:

1 - تفسير الراعي الأصفهاني، ج 1 ص 384

2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي، ج 1 ص 123.

3 - البقرة - 182

4 - البقرة - 181

5 - تفسير البيضاوي، ج 1 ص 123

قوله تعالى:

(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)<sup>(1)</sup>

قال أبو السعود رحمه الله عليه:

شروع في بيان أحكام الموارث بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنتقلة إليهم بالإرث.<sup>(2)</sup> والمراد بالأقربين المتوارثون منهم، و"من" في "مما" متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب أي: لهم نصيب كائن مما ترك.<sup>(3)</sup>

ما هو السر البلاغي في قوله سبحانه وتعالى: "وللنساء نصيب...؟

قال أبو السعود مبيناً الأسرار البلاغية في ذلك:

(وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) إيراد حكمهن على الاستقلال دون الدرّج في تضاعيف أحكامهم بأن يقال: (للرجال والنساء...) الخ للاعتناء بأمرهن والإيذان بأصالتهم في استحقاق الإرث، والإشارة من أوّل الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبَي الفريقين، والمبالغة في إبطال حكم الجاهلية، فإنهم ما كانوا يؤثرون النساء والأطفال، ويقولون: إنما يرث من يُحارب ويُدب عن الحوزة.<sup>(4)</sup>

فقد أخرج الإمام أبو السعود أربع نكات بلاغية في أسلوب النظم الكريم المختار في هذه الآية الكريمة.

وقوله تعالى: (مما قَلَّ أو كَثُرَ).

قال أبو السعود مبيناً البليغ فيه ومبيناً إعرابه:

(مما قَلَّ منه أو كَثُرَ) بدلٌ من "ما" الأخيرة بإعادة الجار وإليها يعود الضمير المحرور، وهذا البدل مرادٌ في الجملة الأولى أيضاً، محذوفٌ للتعويل على المذكور، وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال

1 - النساء - 7

2 - لعن القارئ يسأل: فلماذا لم يبدأ الباحث في هذا المبحث من أحكام أموال اليتامى بالإرث؟ فيقول الباحث: إنما أجل ذلك للمبحث المستقل الآتي: بعنوان "حقوق اليتامى".

3 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 146.

4 - المرجع نفسه

ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال، وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما حلَّ ودَقَّ. (1)

ولمّا كان المقصود الردّ على الرسم الجاهلي من منع النساء والصغار من حقّ الإرث أكّد سبحانه وتعالى ذلك تأكيداً مزيداً بقوله : (نصيباً مفروضاً) حتى لا يظنّ بعض الناس ذلك أمراً استحيابياً واختيارياً فقط، كما قال أبو السعود:

(نصيباً مفروضاً) نُصِبَ على أنه مصدرٌ مُؤكّدٌ كقوله تعالى: (فريضة من الله)، كأنه قيل: (قسمة مفروضة)، أو على الحالية إذ المعنى: ثَبَتَ لهم نصيبٌ كائنٌ مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضاً، أو على الاختصاص، أي أعني نصيباً مقطوعاً مفروضاً واجباً لهم، وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه. (2)

وقال البقاعي رحمه الله تعالى :

أي: مُقدَّراً واجباً مُبَيَّناً، وهذه الآية مجمّلة بيّنها آية الموارث، وبالآية عُلِمَ أنّها خاصّة بالعصابات من التعبير بالفرض، لأنّ الإجماع - كما نقله الأصبهاني عن الرازي - على أنه لِدَوَى الأرحام نصيبٌ مُقدَّر. (3)

الآية الخامسة في بيان حقوق الإرث :

قوله تعالى:

(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (4)

قال البقاعي:

ولما بيّن المفروض أتبعه المندوب قال تعالى (وإذا حضر القسمة... الخ) وهو أمرٌ نُدبٌ لتطبيب

1 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 147

2 - المرجع نفسه

3 - نظم الدرر، ج 5 ص 200 (يقول الباحث: وهذا النقل الذي نسب البقاعي رحمه الله تعالى، لم أحده في تفسير الراغب الأصفهاني، في تفسير هذه الآية ولا التي بعدها، وقال أبوبكر الجصاص الرازي:... فدلّ (يعني قوله تعالى: "للرجال وللنساء" وقوله: "مما ترك الوالدان والأقربون" من هذه الجهة (أي: من جهة العموم) على إثبات موارث ذوى الأرحام لأنّ أحداً لا يمنع أن يقول: إن العمات والخالات والأحوال و أولاد البنات من الأقربين فوجب بظاهر الآية إثبات ميراثهم (أحكام القرآن، ج 2 ص 366).

4 - النساء - 8

قلوبهم، وقرينة صرفه عن الوجوب ترك التحديد (وقولوا لهم) مع الإعطاء (قولاً معروفاً) أي: حسناً سائغاً في الشرع مقبولاً تطيب به نفوسهم.<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى :

(وإذا حضر القسمة) أي: قسمة التركة (ألوا القرى) من لا يرث

(فارزقوهم منه) الضمير لما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب قال الحسين: كان المؤمنون يفعلون ذلك، إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم<sup>(2)</sup> بالشيء من رئة المتاع<sup>(3)</sup> فحضرهم الله على ذلك تأديباً من غير أن يكون فريضة. قالوا: ولو كان فريضة لضرب له حدٍّ ومقدارٌ كما لغيره من الحقوق.<sup>(4)</sup>

وزاد الزمخشري قائلاً:

...وقيل هو على الوجوب... وعن سعيد بن جبير: أن ناساً يقولون: نُسخت، ووالله ما نُسخت، ولكنها مما تحاوت به الناس. والقول المعروف أن يُلطفوا لهم القول ويقولوا: خذوا بارك الله عليكم، ويعتذروا إليهم، ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم.<sup>(5)</sup>

#### الآية السادسة:

1 - نظم الدرر، ج 5 ص 200-201

2 - قوله: فرضخواهم: قال ابن دريد: "رَضَخَ فلان لفلان شيئاً من ماله: إذا أعطاه قليلاً من كثير والاسم "الرضحية" ويقال: أعطاه رضيحة من ماله، جمهرة اللغة، ج 1 ص 587، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المتوفى 321هـ، المحقق رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - ط أولى 1987م، 3 أجزاء.

3 - قوله: "من رئة المتاع" قال المحشي: في الصحاح: "الرئة" السقط من متاع البيت من الخلقان والجمع رِث مثل قرية وقرب. (هامش الكشاف ج 1 ص 477)

4 - الكشاف، ج 1 ص 477

5 - المرجع نفسه.

قوله تعالى:

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)<sup>(1)</sup>

قوله تعالى: "ول يخش... الخ" معطوف على ما قبله، كما قال محيي الدين الدرويش، الواو حرف عطف واللام لام الأمر.<sup>(2)</sup>

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى:

أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربه، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه يضربهم بصرف المال عنهم، أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلقتهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون جرماهم... و"لو" إما في حيزه، جعل صلة "الذين" على معنى: وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شافوا أن يخلقوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضعاف.<sup>(3)</sup>

وقال البيضاوي مبيناً سرّاً بلاغياً:

وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه، ونعت على الترحم، وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده، وتهديد للمخالف بحال أولاده.<sup>(4)</sup>

ومما يمكن أن يلاحظ أنه سبحانه وتعالى قال: (لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً) - مع أنهم لم يتركوا بعد، فهم مازالوا أحياء - تشبيهاً للمشاركة على الموت بالترك على طريقة الاستعارة التصريحية، وعبر عن الأولاد بـ "الذرية" للإشارة إلى ضعفهم وخفتهم وأكد ذلك بالصفة "ضعافاً".

وقال البيضاوي مبيناً سرّاً بلاغياً آخر في قوله تعالى: (فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)<sup>(5)</sup>

1 - النساء - 9

2 - إعراب القرآن وبيانه، ج 2 ص 165

3 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 2 ص 62

4 - المرجع نفسه

5 - النساء - 9

أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية - بعد ما أمرهم بمراعاة للمبدأ والمنتهى، إذ لا ينفع الأول دُونَ الثاني، ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب... أو لحاضري القسمة غدراً جميلاً ووعداً حسناً<sup>(1)</sup>.

فما أبلغ نظم القرآن الحكيم في بيان الحقوق المالية لجميع أفراد المجتمع البشري وما أعظم وما أكبر اهتمامه بجميع أفراد البشرية ولا سيما المستضعفين منهم من النساء والأولاد الصغار الضعاف واليتامى والمساكين وأولى القرى:

ولا سيما اليتامى الذين هم أضعفهم جميعاً حتى قال عنهم بِخَصِيصاً:

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)<sup>(2)</sup>

الآيات من السابعة إلى العاشرة:

في بيان حقوق الإرث والوصية :

ثم قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ... الخ)<sup>(3)</sup> فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الآية أنصاء الأولاد البنين والبنات ونصيب كل واحد من الأبوين وبعد بيان نصيبهم جميعاً قال: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ . إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً).<sup>(4)</sup> فما هي الأسرار البلاغية في هذه الجمل الواردة في الآية بعد بيان أنصاء الآباء والأولاد؟ وما هو السر البلاغي في افتتاح الآية الكريمة بقوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ)؟ وهناك أسرار أخرى كثيرة

يمكن أن يقال: السر البلاغي في افتتاح الآية بقوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ) هو التنبيه على الاهتمام بالحقوق المالية، لأن معنى "يوصى" كما قال الزمخشري رحمة الله عليه: يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة.<sup>(5)</sup>

وكما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقام من كتاب "العين" : العهد: الوصية.<sup>(1)</sup>

1 - المرجع نفسه.

2 - النساء - 10 (وسبأني البحث على هذه الآية إن شاء الله تعالى في مبحث حقوق اليتامى)

3 - النساء - 11

4 - النساء - 11

5 - الكشف، ج 1 ص 480

وقال في مقام آخر: "قضى إليه عهداً": معناه الوصية. (2)

وقوله تعالى بعد ذكر الأنصبة: (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار فريضة من الله).

ما هو السر البلاغي فيه؟ وفي تقدم الوصية على الدين؟

قال الزمخشري رحمة الله عليه:

فإن قلت: لم قُدمت الوصية على الدين؟ والدين مقدم عليها في الشريعة؟

قلت: لَمَّا كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مِمَّا يَشُقُّ على الورثة ويتعاطَم ولا تَطِيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنةً للتفريط، بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قُدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمصارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب ثُمَّ أُكِّد ذلك وَزَعَبَ فيه بقوله: (آباؤكم وأبناؤكم). أي: لا تَدْرُونَ مَنْ أَنْفَعَ لَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ، أَمْ مَنْ أَوْصَى مِنْهُمْ أَمَّنْ لَمْ يُوَصِّ؟ (3)

ومما يمكن أن يلاحظ هنا أيضاً أن القرآن الحكيم للحث على إخراج الوصية وصفها بـ"يوصي بها" مع أن كل وصية موصٍ بها، وفي ذلك تأكيد لإخراجها بدون تأخير ولهذا عرِّبَ بالفعل المضارع "يوصي" مع أن الوصية قد حدثت في الماضي قبل وفاة الموصي لاستحضر صورة الوصية كأنها تحدث الآن أمام الورثة.

وزاد الزمخشري قائلاً: وقيل: قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمته، ولو وَكَّلَ ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع، فوضعتم الأموال على غير حكمة. (4)

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى مبيناً السر البلاغي في قوله تعالى: (آباؤكم وأبناؤكم) (5):

ختم هذه الفرائض المتعلقة بالأولاد والوالدين، وهي أصول الفرائض بقوله: (آباؤكم وأبناؤكم) الآية، فهما إما مستندٌ إليهما قُدِّمَ للاهتمام، وليتمكَّن الخبر في ذهن السامع، إذ يُلْقِي سمعه عند ذكر

1 - العين، ج 1 ص 102

2 - العين، ج 5 ص 185

3 - الكشف، ج 1 ص 483-484

4 - الكشف، ج 1 ص 483-484

5 - النساء - 11

المسند إليهما بشرائيه، وإما أن تجعلهما خبرين عن مبتدأ محذوف هو المسند إليه، على طريقة الحذف المعبر عنه عند علماء المعاني بـ"متابعة الاستعمال"، وذلك عند ما يتقدم حديث عن شيء ثم يُراد جمع الخبر عنه كقول الشاعر:

ففي غيرُ تحجوب الغنى عن صديقه      ولا مُظهِر الشكوى إذا النعل رُلّت  
بعد قوله:

سأشكرَ عَمراً إن تدانت مِنِّي      أيادي لم تُمنن وإن هي جَلّت  
أي: المذكورون آباؤكم وأبناؤكم لا شك في ذلك.<sup>1</sup>  
وقوله تعالى: (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً).  
قال ابن عاشور:

بمعنى أنهم غير مُستَوين في نفعكم متفاوتون تفاوُناً يتبع تفاوُت الشفقة الجليلية في الناس ويتبع البروز ومقدار تفاوُت الحاجات.... فهم متفاوتون من هذا الاعتبار الذي كان يعتمد به أهل الجاهلية في قسمة أموالهم.... فشرع الإسلام ناط الفرائض بما لا يقبل التفاوت وهي الأبوة والبنوة ففرض الفريضة لهم نظراً لإصلتهم الموجبة كوهم أحق بمال الأبناء أو الآباء، والتذليل بقوله: (إن الله كان عليماً حكيماً)<sup>(2)</sup> واضع المناسبة.<sup>(3)</sup>

وأفادنا ابن عاشور في قوله تعالى: (وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)<sup>(4)</sup> بنكته بلاغية، قال:

وقوله تعالى: (وَصِيَّةٌ) منصوب على أنه مفعول مطلق جاء بدلاً من فعله، والتقدير:

يوصيكم الله بذلك وصية منه. فهو ختم للأحكام يمثل ما بُدئت به بقوله: (يوصيكم الله)<sup>(5)</sup>

وهذا من رَدِّ العَجْز على الصدر.<sup>6</sup>

وأفادنا ابن عاشور أيضاً بنكته أخرى في قوله: (والله عليم حلِيم)<sup>(1)</sup> قال:

1 - التحرير والتنوير ج 4 ص 262

2 - النساء - 11

3 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 262

4 - النساء - 12

5 - النساء - 11

6 -

تذليل ، وذكر وصف العلم والحلم هنا لمناسبة أن الأحكام المتقدمة إبطالاً لكثير من أحكام الجاهلية، وقد كانوا شرعوا مواريثهم تشريعاً مثاراً للجهل والفساوة.<sup>(2)</sup>

ومن شدة اهتمام الذكر الحكيم بالحقوق المالية أنه بعد بيان هذه الأنصبة وبعد التوكيدات التي مرَّ تفصيلها أكَّدها تأكيداً مزيداً بتسميتها "حدود الله" وتبشير من أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم برعاية حدوده بدخول جنات تجري من تحتها الأنهار وتبشيرهم بالخلود فيها وتشويقهم المزيد بإخبارهم أن ذلك الفوز العظيم، وأكَّدها كذلك بإنذار من يعص الله ورسوله بتعذيبه حدوده المذكورة في هذه الآيات وتهديده بإدخاله ناراً والتشديد المزيّد في الإنذار والوعيد بقوله: (خالداً فيها) وتهديده بعذاب مهين. حيث قال: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)<sup>(3)</sup>

قال ابن عاشور:

والحدود جمع "حدّ" وهو ظرف المكان الذي يُمَيِّزُ عن مكانٍ آخر بحيث يمنع تجاوزه، واستعمل الحدود هنا مجازاً في العمل الذي لا تحلُّ مخالفته على طريقة التمثيل.<sup>(4)</sup>

الآية الحادية عشرة :

وكما أكَّده سبحانه وتعالى وشدّد في الاهتمام بحقوق الورثة في الإرث في الآيات التي مر البحث عليها، كذلك قال تعالى: (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ مِمَّا تَرَكِ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً)<sup>(5)</sup>

قال النسفي رحمه الله تعالى : (ولِكُلٍّ) المضاف إليه محذوف تقديره: ولكُلٍّ أخذٍ أو لكُلٍّ مالٍ (جعلنا موالٍ) ورثاً يُلَوْنُهُ ويُحَرِّزُونَهُ (مما ترك الوالدان والأقربون)....(والذين عقدت أيمانكم) عاقدهم

1 - النساء - 12

2 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 267.

3 - النساء - 13-14

4 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 268

5 - النساء - 33

أيديكم.... (فاتوهم نصيبهم).... أي عقدت عهودهم أيمانكم... (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً) أي هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ.<sup>(1)</sup>

وقال البيضاوي: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً) تهديدٌ على منع نصيبهم.<sup>(2)</sup>

فالنكتة البلاغية من الآية الكريمة في هذه الفاصلة - كما شَرَحَتْ آنفاً -

#### الآية الثانية عشرة:

وقال تعالى مُبَيَّنّاً إرث الكلالة:

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَأَتَكَ لَأَنَّكَ لَئْسَ لَهَا وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)<sup>(3)</sup>

افتتحت الآية الكريمة افتتاحاً يُدَلِّ صراحة على أهمية المسألة التي سَتَبَيَّنُ في هذه الآية، فإنه كان من الممكن أن تُبَيَّنَّ المسألة مباشرة وتبدأ الآية المباركة بقوله: "إِنَّ امْرَأَتَكَ لَأَنَّكَ لَئْسَ لَهَا وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ" ولكنه جَلَّ وَعَلَى شأنه وبهرت حكمته قال: (يَسْتَفْتُونَكَ)، نَبَّهَ أولاً رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات وأكرم التسليمات وكُلُّ مَنْ يقرأ القرآن الحكيم، ثم قال: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ... الخ).

قال أبو بكر البقاعي رحمه الله عليه:

(يَسْتَفْتُونَكَ) أي يسألونك أن تُفْتِيَهُمْ، أي أن تُبَيِّنَ لهم بما عندك من الكرم والجود والسخاء ما انغلقَ عليهم أمره وانْبَهَمَ<sup>(4)</sup> لَدَيْهِمْ سِرُّهُ مِنْ حُكْمِ الْكَلَالَةِ، وللاعتناء بأمر الموارث قال إشارة إلى أن الله لم يَكِلْ أمرها إلى غيره تعالى: (قُلِ اللَّهُ) أي الملك الأعظم (يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) وهو مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا والد...<sup>(5)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله عليه:

1 - بدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي، ج 1 ص 354.

2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، ج 2 ص 72.

3 - النساء - 176

4 - انْبَهَمَ على وزن انْعَمَلَ أي: أصبح مُبْهِمًا لهم. (الباحث)

5 - نظم الدرر، ج 5 ص 529.

وأمره بأن يجيب بقوله: "الله يفتيكم" للتنويه بشأن الفريضة، فتقدم المسند إليه للاهتمام لا للقصر.<sup>(1)</sup>

بلاغة الإيجاز في الآية الكريمة:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وقوله تعالى: (إِنْ أَمْرُ هَلَكٍ) تقديره: إِنْ هَلَكَ أَمْرُ، فـ"أَمْرُ" مخبرٌ عنه بـ"هَلَكَ" في سياق الشرط وليس "هَلَكَ" بوصفٍ لِـ"أَمْرٍ" فلذلك كان المرء المفروض هنا جنساً عاماً. وقوله: (وَهُوَ يَرْتُهَا) يعود الضمير فيه على لفظ "أَمْرُ" - الواقع في سياق الشرط المفيد للعموم -، ذلك أنه وَقَعَ في سياق الشرط لفظ "أَمْرُ" ولفظ "أَخ" أو "أُخْتُ" وَكُلُّهَا نكرات واقعة في سياق الشرط فهي عائدة مقصودٌ منها أجناس مدلولاتها<sup>(2)</sup>.

وهكذا شرح المفسر رحمة الله عليه الآية إلى آخرها وقال: وهذا إيجاز بديع، ومع غاية إيجازه فهو في غاية الوضوح.<sup>(3)</sup>

وقوله تعالى في آخر هذه الآية (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا)

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: امتنانٌ و(أَنْ تَضِلُّوا) تعليلٌ لـ(يُبَيِّنُ) حذفت منه اللام، وحذفت الجار مع "أَنْ" شائع. والمقصود: التعليل بنفي الضلال، لا لوقوعه، لأن البيان ينافي التضليل، فحذفت "لا" النافية، وحذفتها موجود في مواقع من كلامهم إذا اتَّضَحَ المعنى. كما وَرَدَ مع فعل القسم في نحو:

"فَأَلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا"، أي أَنْ لَا تُبَاعَا. وقوله:

"أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ"، وهذا كقول عمر بن كلثوم:

نزلتم منزل الأضياف مِنَّا      فَعَجَّلْنَا الْيَرَى أَنْ تَشْتَمُونَا

أي أَنْ لَا تَشْتَمُونَا بالبخل.<sup>(4)</sup>

1 - التحرير والتوير، ح 6 ص 66

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

ومما يمكن أن يلاحظ هنا أنَّ قوله تعالى في أوَّل الآية: (قل الله يفتيكم) وفي آخرها قوله (يُبيِّن الله لكم) مما يسميه البلاغيون من محسنات الكلام (التصدير) أي ردَّ عجز الكلام على الصدر.

وقوله تعالى: (والله بكل شيء عليم) تذييل فما بلاغة هذا التذييل؟

قال فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: ثم قال تعالى: (والله بكل شيء عليم) فيكون بيانه حقاً وتعريفه صدقاً.<sup>1</sup>

وقال الرازي أيضاً: واعلم أنَّ في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان

كمال قدرة الله تعالى فإنه قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)<sup>(2)</sup>

وهذا دالٌّ على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله تعالى:

(والله بكل شيء عليم)<sup>(3)</sup> وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة

وبهما يجب على العبد أن يكون مُطيعاً للأوامر والنواهي منقاداً لكل التكليف.<sup>(4)</sup>

فهذه اثنتا عشرة آية قد بيَّن القرآن الحكيم فيها أحكام حقوق الوصية والإرث أبلغ بيان - كما مرَّ البحت

عليها بالتفصيل - في هذا المبحث. وسيليه مبحث بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق اليتامى

إن شاء الله تعالى .

1 -- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ج 11 ص 275

2 - النساء - 1

3 - النساء - 176

4 - مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ج 11 ص 275

## المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق اليتامى المالية

اهتم القرآن الحكيم بحقوق جميع الطبقات والأفراد، ولكنَّ اهتمامه بحقوق اليتامى اهتماماً أعظم وأكبر، حتى أنه جلَّ وعلا شأنه قال في سورة الضحى التي هي من أوائل السور المكية : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)<sup>(1)</sup>

قال البقاعي رحمه الله تعالى :

(فلا تقهر) أي لا تغلبه على شيء فإنما أدقَّتكَ اليتيم تأديباً بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم ودُّلَّهُ، وفوق ذلك كفالته وهي خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى.<sup>(2)</sup>

وذكر المفسرون هنا قراءة أخرى كما قال الزمخشري رحمه الله:

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: "فلا تكهر: وهو أن يعبس في وجهه، وفلان ذو كهرورة: عابس الوجه. ومنه الحديث: فبأبي وأمي هو، ما كهربي."<sup>(3)</sup>

والنكتة البلاغية التي بحث عنها الباحث في كل ما يتيسر لديه من كتب التفسير لم يعثر عليها إلا في تفسير ابن عاشور رحمه الله عليه؛ وهي السرُّ في أسلوب (فأما اليتيم فلا تقهر)، حيث كان من الممكن أن يأتي نظم القرآن الحكيم كالآتي: (فلا تقهر اليتيم).

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهر) وقُدِّم للاهتمام بشأنه، ولهذا القصد لم يؤث مرفوعاً وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب "أما" أن يكون مفصلاً عن "أما" بشيء كراهية موالة فاء الجواب لحرف الشرط. ويظهر أنهم ما التزموا الفصل بين "أما" وجوابها بتقدم شيء من علائق الجواب إلا لإرادة

1 - والضحى - 9

2 - نظم الدرر، ج 22 ص 110، وأخرج هذا الحديث الإمام مالك في الموطأ، ص 86، برواية صوان بن سليم رضي الله عنه. وغيره من المحدثين أيضاً.

3 - الاكتشاف، ح 4 ص 768 (قوله: فبأبي وأمي هو (صلى الله عليه وسلم) ما كهربي، جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه، ج 1 ص 381، برواية معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وأبو داود الطيالسي في مسنده، ج 2 ص 427، والإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده، ج 39 ص 175، والعمري في كتابه "شرح السنة" في باب تحريم الكلام في الصلاة، ح 2 ص 239.

الاهتمام بالمقدم لأن موقع "أما" لا يخلو عن اهتمام بالكلام اهتماماً يتركز في بعض أجزاء الكلام، فاجتلاب "أما" في الكلام أثر للاهتمام وهو يقتضى أن مثار الاهتمام بعض متعلقات الجملة، فذلك هو الذي يعتنون بتقديمه.<sup>(1)</sup>

فالتقدم هنا لا يفيد الاختصاص، لأن معنى الاختصاص النهي عن قهر اليتيم خاصة ووقوع القهر على غيره، وهذا ليس مراداً.

### الآية الثانية

من الآيات الواردة في الاهتمام بحقوق اليتامى المالية وتحفظ أموالهم قوله تعالى:

(وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)<sup>(2)</sup>

قال ابن عجيبة رحمه الله عليه: قلت: اليتيم من فقد أباه، ولا يقال فيه "اليتيم" عرفاً إلا قبل البلوغ، وهو هنا مجاز، أي: من كان يتيماً، والحبوب: الإثم ويقال فيه "حوباً" بالضم والفتح، مع الواو، والألف مصدر حاب حوباً وحوباً وحاباً.<sup>(3)</sup>

السِرُّ في هذا الأسلوب المجازي:

أي إطلاق "اليتامى" على الذين كانوا قبل ذلك يتامى والآن قد بلغوا - على المجاز المرسل، وعلاقته اعتبار "ما كان" - قال ابن عجيبة رحمه الله تعالى :

وسمّاهم اليتامى بعد البلوغ إتساعاً لقرب عهدهم بالصغر، حثاً على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم، قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إذا أنس فيهم الرشد، ويدل على هذا ما قيل في سبب نزول الآية، وهو أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له، فلما بلغ طلب مال أبيه فمنعه فنزلت الآية فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير.<sup>(4)</sup>

### الآية الثالثة:

1 - التحرير والتنوير، ج 3 ص 401

2 - النساء - 2

3 - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 1 ص 461

4 - المرجع نفسه

وكما يدل عليه هذه الرواية فهناك آية صريحة من القرآن الحكيم في هذه السورة المباركة ،بعد

ثلاث آيات من هذه الآية وهو قوله تعالى :

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ.....)<sup>(1)</sup>

وسأني عليها البحث مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: "وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ"<sup>(2)</sup>

قال جلال الدين السيوطي رحمه الله عليه:

(ولا تبدلوا الخبيث) الحرام (بالطيب) الحلال أي تأخذوه بدله، كما تفعلون من أخذ الجيد من

مال اليتيم وجعل الردي مكانه.<sup>(3)</sup>

وذكر الزمخشري وغيره من المفسرين له معنى آخر أيضاً، قال الزمخشري: (ولا تبدلوا الخبيث

بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتيم بالحلال وهو مالكم وما أبيع لكم من المكاسب ورزق الله

المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه.<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)

قال الزمخشري: ولا تنفقوها معها. وحقيقتها: ولا تصمونها إليها في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين

أموالكم وأموالهم قلة مبالاة. بما لا يحل لكم، وتسوية بينه وبين الحلال.<sup>(5)</sup>

السر البلاغي لهذا الأسلوب من النهي :

قال الزمخشري رحمه الله عليه مبيّناً السر البلاغي لهذا الأسلوب من النهي عن أكل أموال

اليتامي:

فإن قلت: قد حرّم عليهم أكل مال اليتامي وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟

قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامي بما رزقهم الله من مالٍ حلالٍ وهم على ذلك يطمعون

1 - النساء - 6

2 - النساء - 2

3 - تفسير الجلالين، ج 1 ص 97

4 - الكشف، ج 1 ص 465

5 - الكشف، ج 1 ص 465-466

فيها كان القبح أبلغ والذم أحق، ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فتعنى عليهم فعليهم وستمع بهم ليكون

أزجر لهم. (1)

فالنهى عن أكل مال اليتيم مع مال الولي أدل على المبالغة في القبح والذم، لأنهم كانوا لا يفرقون بين مال اليتيم وأموالهم، ولهذا عبر عن الإنفاق على نفسه من مال اليتيم بالأكل على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الجزئية لأن الأكل جزء من وجوه الإنفاق الكثيرة إلا أن التعبير بالأكل أفاد أنهم كالأنعام التي تأكل كل ما تراه دون تفرقة.

الآية الرابعة:

وقال تعالى بعد هذه الآية:

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْلَمُوا) (2)

قال البيضاوي: أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن، فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن. إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيزوجها ضئلاً بها، فرما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن، أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتخرجتم منها فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بينهن فانكحوا مقداراً يمكن الوفاء بحقه. (3)

لقد جاء النظم القرآني (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع). ولم يأت مثلاً: فانكحوا ما طاب لكم من النساء اثنتين وثلاثاً وأربعاً ولا: "مثنى أو ثلاث أو أربع" فما هو السر في هذا الأسلوب - الذي جاء عليه النظم المقدس - دون غيره؟

قال البيضاوي رحمه الله عليه:

ومعناها: الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين

1 - الكشف، ج 1 ص 466

2 - النساء - 3

3 - تفسير البيضاوي، ج 2 ص 59

كقولك: "اقتسموا هذه البكرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة"، ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد، دون التوزيع، ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد، فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الأعداد أيضاً، فواحدة: فاختاروا أو: فانكحوا واحدة وذروا الجمع.<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى: (ذلك أدنى ألا تعولوا)

قال أبو السعود:

(ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري، (أدنى ألا تعولوا) العول: الميل. من قولهم: "عَالَ الميزان عَوَلاً" إذا مال، وعال في الحكم أي جاز، والمراد هنا الميل المحذور المقابل للعدل، أي ما دُكر من اختيار الواحدة والتسري أقرب بالنسبة إلى ما عداها من أن لا تميلوا ميلاً محظوراً لانتفاء رأساً بانتفاء محلّه في الأول، وانتفاء حظره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر، فإن الميل المحذور متوقع فيه لتحقيق المحل والحظر.<sup>2</sup>

استنباط أبي السعود مما ذكر، قال:

ومن هنا تبين أن مدار الأمر عدم العول، لا تحقق العول كما قيل. وقد فُسّر بأن لا يكتر عيالكم على أنه من: "عَالَ الرجلُ عياله، يَعُولُهُمْ" أي: مَاتَهُمْ، فغُبِرَ عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريق الكناية ويؤيده قراءة: (أن لا تُعِيلُوا) من "أعَالَ الرجلُ" إذا كثر عياله، ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراي أنه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر، والجملة مستأنفة جارية مما قبلها بحرى التعليل.<sup>(3)</sup>

الآية الرابعة في الاهتمام بحقوق اليتامى :

وقال تعالى اهتماماً بحفاظة أموال اليتامى:

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا)<sup>(4)</sup>

1 - المرجع نفسه.

2 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 143

3 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 143

4 - النساء - 5

ففي هذه الآية الكريمة إشارة عظيمة إلى الاهتمام بحفظ أموال اليتامى. أولاً: في إضافة أموال اليتامى إلى أوليائهم حيث أنه جل وعلا شأنه قال: (ولا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أموالكم) رغم أنها في الحقيقة ليست أموال المخاطبين بل هي أموال اليتامى.

كما قال الإمام أبو السعود:

والخطاب للأولياء نُحُوا أن يوتوا المبذرين من اليتامى أموالهم مخافة أن يُضَيَّعوها، وإنما أضيف إليهم - وهي لليتامى - لا نظراً إلى كونها تحت ولايتهم، - كما قيل -، فإنه غير مُصَحَّح لاتصافها بالوصف الآتي، بل تنزيلاً لاختصاصها بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء، فكأن أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)<sup>(1)</sup> أي: لا يقتل بعضكم بعضاً حيث عُرِّ عن بني نوعهم بأنفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل أنفسهم.<sup>(2)</sup>

وزيادة في الاهتمام بحفظ أموالهم وصفها القرآن الحكيم بقوله: (التي جعل الله لكم قياماً).

قال البقاعي:

(لكم قياماً) أي ملاكاً وعماداً تقوم بها أحوالكم فيكون ذلك،<sup>(3)</sup> سبباً لضياعتها، فضياعها سبب لضياعتكم، فهو من تسمية السبب باسم المسبب للمبالغة في سببته.<sup>(4)</sup>

السِّرُّ في التعبير عن اليتامى بـ"السفهاء":

بيّن لنا هذا السِّرُّ ابن عاشور رحمه الله عليه، قال: ويكون العدول عن التعبير عنهم باليتامى إلى التعبير هنا بالسفهاء علّة المنع، ويجوز أن يُراد به مطلق من ثبت له السّفَهَاءُ سواء كان عن صغرٍ أم اختلالٍ تصرّف. فتكون الآية قد تعرّضت للحجر على السفهاء الكبير استطراداً للمناسبة، وهذا هو الأظهر لأنه أوفرّ معنى وأوسع تشريعاً.<sup>(5)</sup>

1 - النساء 29

2 - تفسير أبو السعود، ج 2 ص 144

3 - قول المفسر: "ذلك" أي: إنشاء السفهاء الاموال. (الناحت)

4 - نظم الدرر، ج 5 ص 196

5 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 234

وذكر ابن عاشور هنا نكتة أخرى قد أعجبت الباحث وإنه مع بيانها قد ذكر أقوال غيره من

المفسرين.

ولكن السير الذي قد تنبّه له وتنبّهنا ابن عاشور سيّر عظيم ونكتة بديعة ورشيقة فيها إرشاد عظيم لإصلاح حال الأمة المسلمة الجماعية، وتلك النكتة والسرّ البلاغي في إضافة الأموال إلى المخاطبين في قوله تعالى: (ولا توتوا السفهاء أموالكم)، قال:

وأضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين (بأيها الناس)<sup>(6)</sup> إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حقّ لمالكيه المختصّين به في ظاهر الأمر ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء لأنّ في حصوله منفعة للأمة كلّها، لأنّ ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحه، فمن تلك الأموال يُنفق أربابها ويستأثرون ويشترّون ويتصلّقون ثم تُورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها فينتفع العاجز والعامل والتاجر والفقير وذو الكفاف.<sup>7</sup>

وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلاً: ومثي قلّت الأموال من أيدي الناس تقارّبتوا في الحاجة والخصاصة فأصبحوا في ضنك وبؤس واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى وذلك من أسباب ابتزاز عزّهم وامتلاك بلادهم وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم فلاجل هاتيه الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة.<sup>(8)</sup>

ثم إنّ المفسر رحمه الله تعالى نوّه هذه النكتة البلاغية وذكر آراء غيره من المفسرين وقارن بين ورأيه وآرائهم، فقال:

وهذه إشارة لا أحسب أنّ حكماً من حكماء الاقتصاد سبق القرآن إلى بيانها. وقد أبعد جماعة جعلوا الإضافة لأدنى ملائسة لأنّ الأموال في يد الأولياء. وجعلوا الخطاب للأولياء خاصة. وجماعة جعلوا الإضافة للمخاطبين لأنّ الأموال من نوع أموالهم، وإن لم تكن أموالهم حقيقة وإليه مال الزمخشري،

6 - يعني في بداية السورة في قوله تعالى: بأيها الناس اتقوا ربكم.

7 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 234-235.

8 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 234-235.

وذكر ابن عاشور هنا نكتة أخرى قد أعجبت الباحث وإنه مع بيانها قد ذكر أقوال غيره من

المفسرين.

ولكن السر الذي قد تنبّه له وتنبهنا ابن عاشور سرّ عظيم ونكتة بديعة ورشيقة فيها إرشاد عظيم لإصلاح حال الأمة المسلمة الجماعية، وتلك النكتة والسرّ البلاغي في إضافة الأموال إلى المخاطبين في قوله تعالى: (ولا توتوا السفهاء أموالكم)، قال:

وأضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين (بأيها الناس)<sup>(1)</sup> إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حقّ للمالكيه المختصّين به في ظاهر الأمر ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأئمة جمعاء لأنّ في حصوله منفعة للأئمة كلّها، لأنّ ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحه، فمن تلك الأموال يُنفق أربانها ويستأثرون ويشترون ويتصدّقون ثم تُورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال بذلك من يدي إلى غيرها فينتفع العاجز والعامل والتاجر والفقير وذو الكفاف.<sup>(2)</sup>

وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلاً: ومتى قلّبت الأموال من أيدي الناس تفارّقوا في الحاجة والخصاصة فأصبحوا في ضنك وبؤس واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى وذلك من أسباب ابتزاز عزّهم وامتلاك بلادهم وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم فلاجل هاتيه الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين ليكون لهم الحقّ في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة.<sup>(3)</sup>

ثم إنّ المفسر رحمه الله تعالى نوّه هذه النكتة البلاغية وذكر آراء غيره من المفسرين وقارن بين ورأيه وآرائهم، فقال:

وهذه إشارة لا أحسب أنّ حكماً من حكماء الاقتصاد سبق القرآن إلى بيانها. وقد أبعد جماعة جعلوا الإضافة لأدنى ملائسة لأنّ الأموال في يد الأولياء. وجعلوا الخطاب للأولياء خاصّة. وجماعة جعلوا الإضافة للمخاطبين لأنّ الأموال من نوع أموالهم، وإن لم تكن أموالهم حقيقة وإليه مال الزمخشري،

1 - يعني في بداية السورة في قوله تعالى: بأيها الناس اتقوا ربكم.

2 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 234-235.

3 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 234-235.

- (1) وجماعة جعلوا الإضافة لأن السفهاء من نوع المخاطبين وكأن أموالهم أموالهم وإليه مال فخر الدين،  
(2) وقارب ابن العربي إذ قال:

لأن الأموال مشتركة بين الخلق تنتقل من يد إلى يد وتخرج من ملك إلى ملك، وبما ذكرته من  
البيان كان لكلمته هذه شأن، وأبعد فريق آخرون فجعلوا الإضافة حقيقة أي لا تؤتوا - يا أصحاب  
الأموال - أموالكم لمن يضيعها من أولادكم ونسائكم، وهذا أبعد الوجوه. (3)

والسرُّ البلاغي في وصف الأموال ب(التي جعل الله لكم قياماً) عند ابن عاشور هو بيان علة  
النهي، قال:

وأجرى على الأموال صفة تزيد إضافتها إلى المخاطبين وضوحاً وهي قوله تعالى: (التي جعل الله  
لكم قياماً)، فحيء في الصفة بموصول إيماء إلى تعليل النهي، وإيضاحاً لمعنى الإضافة. (4)  
الآية الخامسة:

قوله تعالى: (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ  
وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا  
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (5)

في هذه الآية الكريمة أيضاً بلاغة عظيمة في الاهتمام بحقوق اليتامى وحفظ أموالهم.

قال الراغب الأصفهاني:

الإناسُ فيما رُئي مرة بعد أخرى فأُنس به. (6)

وقال أبو المظفر السمعاني:

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى) يعني: واختبروا اليتامى، ثم منهم من قال: إنما تختبرهم بعد البلوغ، وسمّاهم

1 - انظر: الكشف، ج 1 ص 471

2 - انظر: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، ج 9 ص 494-495

3 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 235

4 - المرحع نفسه

5 - النساء - 6

6 - تفسير الراغب الأصفهاني، ج 3 ص 1103

"ينامى" لقرب عهدهم باليتيم، والصحيح أنه أراد به الاختبار قبل البلوغ.<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري: (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل

البلوغ، حتى إذا تبينتم منهم رشداً أي هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ،

وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده... والإيناس: الإستيضاح، فاستعير للتبيين.<sup>(2)</sup>

السراً البلاغي في تنكير "رشداً":

قال تعالى: (فإن آنستم منهم رشداً) ولم يقل "الرشد" فما هو السرابلاغي في إظهار النكرة على

المعرفة؟

قال الزمخشري رحمه الله عليه:

فإن قلت: ما معنى تنكير الرشد؟

قلت: معناه نوع من الرشد، وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو طرفاً من الرشد وتخيلة من

تخيله حتى لا ينتظر به تمام الرشد. فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام؟ قلت: ما بعده "حتى" إلى

(فادفعوا إليهم أموالهم) جُعل غاية للابتلاء وهي "حتى" التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله:

فما زالت القتلى تمج دماءها - بدجلة حتى ماء دجلة أشكل،<sup>(3)</sup>

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأنَّ "إذا" متضمنة معنى الشرط.<sup>(4)</sup>

وخطر هنا في ذهن الباحث نكتة في إضافة الأموال إلى ضمير اليتامى (ضمير الغائبين) في قوله

تعالى: (فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم).

قال سبحانه وتعالى في الآية السابقة: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم...)<sup>(5)</sup>

فهناك أضاف الأموال إلى ضمير المخاطبين - وهم أولياء اليتامى - حيث كان هناك سياق

النهى عن إيتائهم أموالهم، وكان الغرض خصُّ الأولياء وحملهم على حفظ أموال اليتامى بعدم إيتائها

1 - تفسير السمعاني، ج 1 ص 398

2 - الكشف، ج 1 ص 473

3 - البيت لجرير. (ديوان جرير، ص 486)

4 - الكشف، ج 1 ص 473-474

5 - النساء - 5

إيَّاهم لأنهم سفهاء لم يبلغوا الرشد فيضيعون أموالهم، - وقد مرَّ الكلام عليه بالتفصيل في بيان السرِّ البلاغي هناك، وأما السر البلاغي هنا في إضافة الأموال إلى ضمير اليتامى (ضمير الغائبين) هو حثُّ الأولياء وحملهم على إيتائهم ما هو حقهم وهم الآن قد بلغوا النكاح وأنس الرشد منهم فالآن يجب أن تُسلم إليهم أموالهم ليتصرفوا فيها بأنفسهم برُشدهم وعقلهم تصرفاً مفيداً ولا حق الآن للأولياء في أن لا يزالوا مسيطرين على أموالهم. والله أعلم.

وقوله تعالى: (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا)

قال أبو الليث السمرقندي:

ولا تأكلوها إسرافاً في غير حق وبداراً يعني مبادرة في أكله أن يكبروا يعني مخافة أن يكبروا

بدوا أموالهم منكم.<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري:

(إسرافاً وبداراً) مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم، تفرطون في إنفاقها،

وتقولون: نُنفق ما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا.<sup>(2)</sup>

ويمكن أن يقال:

والتعبير بالمصدر أفاد مبالغة في الإسراف والمبادرة، فالأصل في الحال أن تكون مشتقة، وغُذِلَ

عن اسم الفاعل "مسرفين و"مبادرين" للمبالغة في حصول الأمرين منهم.

وقوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ).

قال النسفي:

قُسِّمَ الأمر بين أن يكون الوصي غنياً وبين أن يكون فقيراً فالغنى يَسْتَعْفِفُ من أكلها أي يحترز

من أكل مال اليتيم، و"اسْتَعْفَفَ" أبلغ من "عَفَى"، كأنه طالب زيادة العِفَّة والفقر يأكل قُوْتاً مُقَدَّراً

محتاطاً في أكله، عن إبراهيم: ما سدَّ الجوعة ووَازَى العورة.<sup>(3)</sup>

1 - بحر العلوم للسمرقندي، ج 1 ص 282

2 - الكشف، ج 1 ص 474

3 - تفسير النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج 1 ص 332

بلاغة فاصلة الآية بقوله تعالى: (وكفى بالله حسيباً)

قال البقاعي رحمه الله تعالى :

ولما كانت الأموال مظنة لِميل النفوس، وكان الحُبُّ للشيء يُعْمى وَيُصِمُّ، ختم الآية بقوله: (وكفى بالله حسيباً) أي الذي له الحكمة البالغة والقدرة الباهرة والعظمة التي لا مثل لها. والباء في مثل هذا تأكيد لأنَّ ما قُرِئَتْ به هو الفاعل حقيقة لا مجازاً، كما إذا أمرنا بالفعل مثلاً، (حسيباً) أي محاسباً بليغاً في الحساب. فهو أَبْلَغ تحذيراً لهم وللأيتام من الخيانة والتعدي ومَدَّ العين إلى حَقِّ الغير.<sup>(1)</sup>

الآية السادسة في أهمية حقوق اليتامى :

وقد بَالَعَ النظم الحكيم في التهديد والتقريع والتخويف على الخيانة في أموال اليتامى حيث قال

جلَّ جلاله:

(إِنَّ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)<sup>(2)</sup>

قال البقاعي رحمه الله عليه:

ولما طال التحذير والزجر والتهويل في شأن اليتامى، وكان ذلك ربما أَوْجَبَ النفرة من مُخَالَطَتِهِمْ رَأْساً فَتَضَيَّعَ مصالحُهم، وَصَلَ بِذلك ما بَيَّنَّ أن ذلك خاصٌّ بالظالم في سياقٍ مُوجِبٍ لزيادة التحذير، فقال مُؤَكِّداً لِمَا كَانَ قد رَسَخَ في نفوسهم من الاستهانة بأموالهم: (إِنَّ الَّذِينَ)، ولما كان الأكل أعظم مقاصد الإنسان عَبَّرَ به عن جميع الأغراض فقال: (يَأْكُلُونَ أموال اليتامى ظُلماً) أي أَكَلًا هو في غير موضعه بغير دليل يَدُلُّ عليه، فهو كفعل من يمشي في الظلام، ثم أتبعه ما زاده تأكيداً بالتحذير في سياق الحصر فقال: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ) أي في الحال، وَصَوَّرَ الأكل وَحَقَّقَهُ بقوله: (في بطونهم ناراً) أي تُحْرِقُ المعاني الباطنية التي تكون بها قِوَامُ الإنسانية.<sup>(3)</sup>

وقال صاحب اللباب: قوله: (في بطونهم) فيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بـيَأْكُلُونَ أي: بطونهم

أوعية للنار، إمَّا حقيقة بأن يخلق الله لهم ناراً يَأْكُلُونَهَا في بطونهم، أو مجازاً، بأن أطلق المسبَّب وأراد

1 - نظم الدرر، ج 5 ص 199

2 - النقرة 174

3 - نظم الدرر، ج 5 ص 203

السبب لكونه يُقضى إليه ويستلزمه.<sup>(1)</sup>

وبالتأمل في نظم الآية يطالعنا أولاً التقييد بالحال "ظلماً" فالأكل بالمعروف لا عقاب عليه، ولكن الأكل على هيئة الظلم هو المؤدي إلى عذاب النار وجاء الحال مصدراً، ولم يقل ظالمين للمبالغة في تحقيق الظلم من الأولياء .

ويطالعنا ثانياً القصر بـ "إنما" التي أفادت أنهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار وعبر بـ "إنما" للدلالة على أن هذا المصير معلوم ومشهور لا يخفى على أحد.

ويطالعنا ثالثاً التقييد بقوله (في بطونه) والأكل لا يكون إلا في البطون وفي ذلك زيادة تشنيع عليهم وتقييح لصورته.

ويطالعنا رابعاً الجاز المرسل في قوله: (يأكلون في بطونهم ناراً)، وهم الآن يأكلون أموال اليتامى ظلماً لكن لما كان هذا الأكل سيؤدى بهم إلى نار جهنم عبر عنه بذلك باعتبار ما سيكون.

الآية السابعة:

قوله تعالى: "وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"<sup>(2)</sup>

من بلاغة الذكر الحكيم أن الله سبحانه وتعالى أولاً قال - في سورة النساء - (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)<sup>(3)</sup> نهي عن أكل أموال اليتامى مضمومة إلى أموال الأوصياء ومخلوطة بها، وبأنه على أنه حوب كبير (ذنب عظيم)، ثم قال: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا) وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ...<sup>(4)</sup> نهي عن صورة بَشِعة لأكل أموال اليتامى (الأكل إسرافاً وبداراً أن يكبروا) وقال تعريضاً بالخائنين في أموال اليتامى وتحديداً لهم ضمن هذا التعريض: في آخر الآية: (وَكُفَىٰ بِاللَّهِ

1 - الباب في علوم الكتاب، ج 6 ص 203

2 - الأنعام - 152-153

3 - النساء - 2

4 - النساء - 6

حسباً) ثم تَدَرَّجَ وصَرَخَ بالوعيد الشديد لأكلي أموال اليتامى ظلماً فقال: "(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)<sup>(1)</sup>

ففي هذه الآيات كُلُّهَا كان النهي عن أكل أموال اليتامى والوعيد عليه، ثم تَدَرَّجَ النظم الحكيم في التحذير من الخيانة في أموال التامى، فقال -سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ-:

الآية الثامنة:

(وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)<sup>(2)</sup>

قال البقاعي رحمه الله عليه مَبِيناً بلاغة السياق:

ولَمَّا كَانَ أعظمُها خطراً وحرمةً مالُ اليتيم -لضعفه وقلة ناصره - ابتداءً به فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شربه.<sup>(3)</sup>

وقال ابن عطية:

هذا نهي عن القرب الذي يُعْمُ وجوه التصرف، وفيه سدُّ الذريعة، ثم استثنى ما يحسن، وهو التسمير والسعي في ثمائه، قال مجاهد: (بالتي هي أحسن): التجارة فيه بمن كان من الناظرين له مالٌ يعيش به، فالأحسن إذا ثمر مالٌ يتيماً أن لا يأخذَ منه نفقة ولا أجرة، ولا غيرها ومن كان من الناظرين لا مال له ولا يتفق له نظرٌ إلا بأن يُنفقَ على نفسه من ربح نظره، وإلا دَعَتْهُ الضرورة إلى ترك مال اليتيم دونَ نظر فالأحسن أن ينظرَ ويأكل بالمعروف، قاله ابن زيد.<sup>(4)</sup>

نكتة أخرى من بلاغة السياق:

ومن بلاغة السياق هنا أيضاً أن النهي وتحريم القرب من مال اليتيم إلا بالتّي هي أحسن قد وَرَدَ في ضمن أكبر المحرمات التي مِن بينها الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل الأولاد وجميع الفواحش وقتل النفس التي حَرَّمَ الله بدون حقٍ وغيرها - التي ذُكرت بعضها في الآية التي قَبْلَ هذه الآية وبعضها في هذه الآية -.

1 - النساء - 10

2 - الأنعام - 152

3 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 7 ص 318

4 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، ج 2 ص 363

وقال أبو السعود: وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، عن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وهنَّ محرمات على بني آدم كلهم وهنَّ أم الكتاب من عمل بهنَّ دخل الجنة، ومن تركهنَّ دخل النار، وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالو - الآيات<sup>(1)</sup> ومن بلاغة النظم في الآية حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه أي إلا بالطريقة أو الصفة التي هي أحسن لإفادة العموم وللإشارة إلى مكانة هذه الصفة وأهميتها فهي المقصودة من الحديث وتأمل التقييد بقوله حتى يبلغ أشده للإشارة إلى ضعفه وعدم قدرته على الحفاظ على ماله، ولا يفهم من هذا القيد أنه بعد بلوغه سن الرشد يجوز للولي أن يقر به بغير التي هي أحسن.

الآية التاسعة:

في أهمية حقوق اليتامى قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)<sup>(2)</sup>

من بلاغة السياق هنا أنه عزَّ اسمه ذكر شكوى الإنسان أنه يرى - خطأ - أن إكرام الله لعبده في توسيع الرزق له وأنَّ قدر الرزق عليه وتضييقه له إهانة للعبد من ربه سبحانه وتعالى وردَّ عليه بكلمة الردع "كَلَّا" وزجره بأنَّ سبب ذلكم وإهانتكم هي أعمالكم، لا تضييقُ الله عليكم رزقه، وعلى رأس تلك الأعمال السيئة التي هي السبب الحقيقي للذلِّ والهوان عدم إكرامهم اليتيم.

قال أبو حفص الدمشقي النعماني:

لَمَّا حَكَى قَوْلَهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ فَعَلَ أَشْرُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْرِمُهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، فَلَا يُؤَدُّونَ مَا يَلْزِمُهُمْ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ فَقَرَعَهُمْ بِذَلِكَ، وَوَجَّهَهُمْ. وَتَرَكُوا إِكْرَامَ الْيَتِيمِ بِدَفْعِهِ عَنْ حَقِّهِ، وَأكَلِ مَالِهِ.<sup>(3)</sup>

الآية العاشرة:

في الحثِّ على أداء حقوق اليتيم، قد وَبَّخَ القرآن الحكيم أبلغ وأشدَّ توبيخ الذين يمنعون حقوق

1 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 3 ص 200

2 - الفجر - 17

3 - اللباب في علوم الكتاب، ج 20 ص 328.

اليتامى ويظلمونهم ويغتصبون حقوقهم في سورة الماعون، قال:

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ \*  
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ \* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ \* وَيَتَّبِعُونَ الْمَاعُونَ \*<sup>(1)</sup>)

هذا أسلوب في غاية البلاغة حيث أنه حل وعلا شأنه طرح سؤالاً إظهاراً لبشاعة عمل من يظلم اليتيم ويغتصب حقوقه المالية وغيرها ويدّعه ويقهره، وتعجيباً للمخاطب منه، كما قال الفخر الرازي رحمه الله عليه:

قوله: (أَرَأَيْتَ) معناه هل عرفت الذي يُكذِّبُ بالجزاء من هو؟ فإن لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم، واعلم أن هذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك: أَرَأَيْتَ فلاناً ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه:<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: (فذلك الذين يدع اليتيم)<sup>(3)</sup>

قال الفخر الرازي: واعلم أنه تعالى ذكر في تعريف من يُكذِّبُ بالدين وصفين، أحدهما: من باب الأفعال، وهو قوله: (فذلك الذي يدع اليتيم)،<sup>(4)</sup>

والثاني: من باب التروك وهو قوله: (ولا يخض على طعام المسكين)<sup>(5)</sup>

وزاد الفخر رحمه الله عليه قائلاً:

والفاء في قوله: (فذلك) للسببية أي لما كان كافراً مُكذِّباً كان كفره سبباً لدع اليتيم. وإنما اقتصر عليهما<sup>(6)</sup> على معنى أن الصادر عن يكذب بالدين ليس إلا ذلك، لأننا نعلم أن المكذب بالدين لا يقتصر على هذين بل على سبيل التمثيل، كأنه تعالى ذكر في كل واحد من القسمين مثلاً واحداً تنبيهاً بذكره على سائر القبائح، أو لأجل أن هاتين الخصلتين كما أنهما قبيحتان مُتكررتان بحسب الشرع فهما

1 - الماعون - 1-7

2 - مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ج 32 ص 302

3 - الماعون - 2

4 - الماعون - 2

5 - الماعون - 3 مفاتيح الغيب ج 32 ص 302

6 - "عليهما" أي على بيان الوصفين للمكذب بالدين (الباحث)

أيضاً مستكرانٍ بحسب المروءة والإنسانية.<sup>(1)</sup>

وقدم الذي يدع اليتيم على الذي لا يحض على طعام المسكين - لزيادة الاهتمام بأمر اليتيم.

معنى (يَدْعُ اليتيم)

قال الرازي : (يَدْعُ اليتيم) فالمعنى أنه يدفعه بعُنفٍ وجفوة كقوله تعالى: (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً)<sup>(2)</sup> وحاصل الأمر في دَعَّ اليتيم أمورٌ: أحدها: دفعه عن حقه وما له بالظلم، والثاني: ترك المواساة معه، والثالث: يزجره ويضره ويستخف به، وفريء: " يَدْعُ " أي يتركه ولا يدعوه بدعوة، أي يدعو جميع الأجانب ويترك اليتيم مع أنه عليه الصلوة والسلام قال: ما من مائدة أعظم من مائدة عليها يتيم.<sup>(3)</sup>

فبهذا الأسلوب البالغ قد نبهنا الذكر على خطورة أمر حقوق اليتيم أن التصغير في حقه والظلم عليه من أكبر الجرائم وأبشعها ، لذلك جعله القرآن الحكيم علامةً للمكذب بالدين ، يُعرف بها وإلا فإن التصديق والتكذيب أصلاً يكون في القلب فكيف تعرف أن فلاناً في قلبه التصديق بالدين أو التكذيب فبهاتين الخصلتين - دَعَّ اليتيم والامتناع من الحَضُّ على طعام المسكين - نعرف المكذب بالدين، وهذا كفاه ذمًا وتقبيحاً للمقصر في أداء حقوق يتامى والمساكين .

1 - مفاتيح الغيب، ج32، ص302

2 - الطور - 13

3 - المرجع نفسه

### المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق النساء المالية

ومن الطبقات البشرية التي كانت مظلومة ومغبونة في جميع حقوقها ولا سيما الحقوق المالية طبقة النساء فلذلك وردت في الذكر الحكيم آيات كثيرة في بيان حقوقهن. فهذا المبحث في البحث عن الأسرار البلاغية في بيان القرآن الحكيم. حقوق النساء، ومن حقوقهن حق المهر .

#### الآية الأولى من الآيات الواردة في حق المهر:

قوله تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)<sup>(1)</sup>

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : جانبان مستضعفان في الجاهلية: اليتيم والمرأة، وحقان مغبون فيهما أصحابهما: مال الأيتام، ومال النساء فلذلك حرسهما القرآن أشد الحراسة، فابتدأ بالوصاية بحق مال اليتيم، ونهى بالوصاية بحق المرأة في مال ينجر إليها لا محالة، وكان توسط حكم النكاح بين الوصيتين أحسن مناسبة تُهَيِّئُ بعطف هذا الكلام. فقلوه: (وأتوا النساء) عُطِفَ على قوله: (وأتوا) اليتامى أمواهم)<sup>(2)</sup> وزاده اتصالاً بالكلام السابق أنَّ ما قبله جرى على وجوب القسط في يتامى النساء فكان ذلك مناسبة الانتقال.<sup>(3)</sup>

#### بلاغة القرآن الحكيم في تسمية المهر " صَدُقَةٌ ":

قال ابن عاشور:

و"الصَّدُقَاتُ" جمع "صَدُقَةٌ" - بضم الدال - و"الصَّدُقَةُ" مهر المرأة، مشتقة من "الصدق" لأنها عطية يسبقها الوعد بها فيصدق المعطى.<sup>(4)</sup>

بلاغة النظم الحكيم في قوله: (وأتوا النساء صدقاتهن نِحْلَةً):

ما معنى "نِحْلَةً" ؟

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى :

1 - النساء - 4

2 - النساء - 2

3 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 229

4 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 229

فالنحلة: العطية التي لا يُطلب بها عوض، وأصله عندي من النحل، فكأنَّ "نَحْلُهُ": أعطيه عطية النحل، وذلك ما قصَّدَ الحكماء من وصف النحل في أنه لا يضر بشيء، وينفع أعظم نفع، وكأنه إلى ذلك أشار بقوله: (وأوحى ربُّكَ إلى النحل)<sup>(1)</sup> الآية، والنحلة أنحصُ من الهبة، إذ كلُّ نحلة هبة، وليس كل هبة نحلة، وسمِّي الصداق بها من حيث لا يجب في مقابلته أكثر من تمتُّع دون عِوضٍ مالي<sup>(2)</sup>. وقال الرَّمْشَرِي رحمه الله تعالى :

وانتصابها<sup>(3)</sup> على المصدر، لأنَّ النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء، فكأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاتهن نِحْلَةً، أي أعطوهنَّ مهوَّرهنَّ عن طيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين، أي آتوهنَّ صدقاتهن ناحلين طيِّب النفوس بالإعطاء، أو حالاً من الصدقات، أي: منحولة معطاة عن طيبة الأنفس<sup>(4)</sup>.

وقال الرازي رحمه الله تعالى عليه :

في تفسير النحلة وجوه : الأول : قال ابن عباس وقتادة وابن جريح وابن زيد: فريضة، وإنما فسروا النحلة بالفريضة، لأنَّ النحلة في اللغة معناها الديانة والمِلَّة والشرعة والمذهب، يُقال: "فلانٌ ينتحل كذا إذا كان يتدبَّر به، ونحلَّته كذا أي دينه ومذهبه، فقوله: (آتوا النساء صدقاتهن نِحْلَةً)، أي آتوهن مهوَّرهنَّ فإنها نِحْلَةٌ أي: شريعة ودينٌ ومذهبٌ وما هو دينٌ ومذهبٌ فهو فريضة<sup>(5)</sup>.

ثم ذكر الرازي أقوالاً أخرى ومنها : قال:

والقول الثالث في تفسير النحلة:

قال أبو عبيدة: معنى قوله "نِحْلَةٌ" أي عن طيب نفسٍ، وذلك لأنَّ النحلة في اللغة العطية من غير أخذٍ عِوضٍ، كما ينحل الرجل لولده شيئاً من ماله، وما أُعْطِيَ من غير طلب عِوض لا يكون إلا

1 - سورة النحل - 67

2 - تفسير الراعي الأصفهاني، ج 3 ص 1098

3 - انتصابها: يعني: انتصاب كلمة "نحلة" في الآية الكريمة. (الباحث)

4 - الكشف، ج 1 ص 469-470

5 - مفاتيح الغيب، ج 9 ص 492

عن طيب النفس، فأمر الله بإعطاء مهور النساء من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة، لأن ما يؤخذ بالمخاصمة لا يقال له "نحلة" (1).

وقوله تعالى: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) (2)

قال البيضاوي:

... و(نفساً) تميز لبيان الجنس ولذلك وُحِّدَ، والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيب نفس، لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعدّاه بـ"عن" لتضمن معنى التحاف والتجاوز. وقال: (مِنْهُ) بعثاً لهُنَّ على تقليل الموهوب فكلوه هنيئاً مريئاً فخذوه وأنفقوه حالاً بلا تبعه (3).  
و يمكن أيضاً أن يُقال: وقد حقق التمييز المحوّل عن الفاعل مبالغة في طيب نفوس النساء بالتنازل عن شيء من المهر والأصل فإن طابت نفوسهن لكم عن شيء منه. فجعل الفاعل "نفساً" تميز للدلالة على أن الطيب متمكن منهن، شامل لجميع جوارحن.

فالسر البلاغي الذي وصل الباحث إليه بعد دراسة أقوال المفسرين في تفسير أسلوب هذه الآية الكريمة هو أن هدف القرآن الحكيم إنشاء مجتمع إنساني قائم على الحب والوداد بين أفراد المجتمع وذلك لا يمكن إلا بأداء بعضهم حقوق بعض عن طيب أنفسهم ويزداد المجتمع الإنساني ترابطاً واستحكاماً إذا تجاوزوا من مطلق أداء بعضهم حقوق بعض إلى تنازل بعضهم عن شيء من بعض حقوقهم توادداً وتحابياً فيما بينهم وإن هذه الآية الكريمة قد أفادت هذا المعنى إفادة كاملة شاملة بأوجز وأبلغ أسلوب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الآية الثانية في بيان حقوق النساء:

وورد هذا المعنى الجامع بأسلوب آخر أيضاً في قوله تعالى:

(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

1 - المرجع نفسه

2 - النساء - 4

3 - تفسير البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 2 ص 60

فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>(1)</sup>

فهنا أولاً ذكرت المحرمات من النساء، ثم قيل: (وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا

بِأَمْوَالِكُمْ...) الآية

قال الزمخشري رحمه الله تعالى عليه:

(أن تبتغوا) مفعول له بمعنى: بين لكم ما يحلُّ ممَّا يحرم، إرادة أن يكون ابتغواكم بأموالكم التي

جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تُضيعوا أموالكم وتفقدوا أنفسكم فيما

لا يحلُّ لكم فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين، والإحصان: العِفَّة

وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، والأموال: المهور، وما يخرج في المناكح.<sup>(2)</sup>

فقد قيّد القرآن الحكيم النكاح بالأموال أي: بأداء حقِّ المهر.

قال الزمخشري:

(فما استمتعتم به منهن): فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقدٍ

عليهنَّ فاتوهنَّ أجورهنَّ عليه... وأجورهنَّ: مهورهنَّ، لأن المهر ثوابٌ على البضع. (فَرِيضَةٌ) حال من

الأجور بمعنى: مفروضة، أو وُضِعَتْ موضع "إيتاء"، لأن الإيتاء مفروض، أو مصدر مؤكّد، أي: فُرِضَ

ذلك فريضة.<sup>(3)</sup>

فالسبُّ البلاغي هنا في قوله تعالى: (بأموالكم) ثم توكيد هذا الحق بما بعده إلى قوله: (فريضة)

والغرض البلاغي الدلالة على أهمية حقِّ المهر للنساء وأن لا يُنكحن إلا بالمهر. وأن يكون المهر مالاً.

قال البيضاوي رحمه الله عليه :

واحتجَّ به الحنفية على أن المهر لا بُدَّ وأن يكون مالاً.<sup>(4)</sup>

ثم قال تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ)<sup>(5)</sup>

1 - النساء 24

2 - الكشف، ج 1 ص 497

3 - الكشف، ج 1 ص 497-498

4 - تفسير البيضاوي، ج 2 ص 69

5 - النساء - 24

فإنه جلّ وعلا شأنه أولاً فَرَضَ المهر وأكّده وجعل للنساء حقهنّ محفوظاً ومضموناً على الرجال ثم فتح للرجال والنساء باب ما هو أساس الحبّ والوداد بين الرجال وأزواجهم وهي المحابة والمهاداة، - كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تهادوا تحابوا"<sup>(1)</sup> ولا يستقيم نظام أيّ مجتمع ولا يتقدم ما لم يكن قائماً على حبّ ووداد بين أفرادها، وكذلك لا تزال الحياة الأسريّة منعّصة، منكدرّة إذا كانت خالية من الحب والوداد بين أركان الأسرة، وإنّ الحبّ والوداد لا يتولّد بين الأولاد على أتمّ صورة ما لم يكن منذ أول يوم بين الزوجين، وإذا كانت العلاقة بين الزوجين خالية من الحبّ والصدقة والمودّة فإنّ نظام ذلك البيت وحياة تلك الأسرة - مهما توفّرت لديها من نعيم الدنيا وثروتها - لا تزال على صورة الحياة في الجحيم، فلذلك قوله سبحانه وتعالى في هذه الآية: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِضَةِ)<sup>(2)</sup> بعد قوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِضَةً)<sup>(3)</sup> وكذلك قوله تعالى: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا)<sup>(4)</sup> بعد قوله تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)<sup>(5)</sup> في غاية البلاغة وأوقع حسب مقتضى المقام.

ومن هنا اتّضحت بلاغة الوصل بالواو في قوله تعالى:

(فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) بما بعده من قوله: (ولا جناح عليكم...) الآية، وكذلك بلاغة التعبير بنفي الجناح، واختيار باب التفاعل في قوله: (فيما تراضيتن) لأنّ الحبّ والوداد لا يكون إلا إذا كان من الطرفين كليهما، وإذا كان من جانب واحد دون الآخر فإنه لا يكون حباً حقيقياً خالصاً وخالياً من شوائب الفساد والأغراض الفاسدة والجبر والإكراه والاضطرار، وكذلك بلاغة تقييد ذلك التراضي بكونه من بعد الفريضة، ولذلك قال تعالى بعد ذلك (إن الله كان عليماً حكيماً).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى :

1 - رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد في باب قبول الهدية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - انظر الأدب المفرد، ج 1 ص 208، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، الطبعة الثالثة، 1989م، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت.

2 - النساء - 24

3 - الآية نفسها

4 - النساء - 4

5 - الآية نفسها

(إن الله كان عليماً) في مصالح العباد (حكيماً) فيما شرع لكم هذه الأحكام الثلاثة بحالكم.<sup>(1)</sup>

وقال جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى :

(من بعد الفريضة) من حطها أو بعضها، أو زيادة عليها.<sup>(2)</sup>

ومما يمكن أن يلاحظ أن في هذه الجملة من الآية الكريمة: (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) إيجازاً في غاية البلاغة، فإن هذه الجملة الواحدة قد أفادت معنيين في آنٍ واحد، فإنها سبقت لبيان إباحة ما تراضى عليه الزوجان، ولكن تقييدها بقوله: (من بعد الفريضة) دلّت على حتمية حقّ المهر، فقد ضُمّنَت الجملة التي سبقت لبيان إباحة حطّ بعض المهر أو كُله من قبل المرأة أو الزيادة على المقرّر من قبل الرجل وضُمّنَت المعنى الثاني، وهذا ما يسمى "إدماجاً" أو "تدميخاً" في علم البديع، كما قال القزويني رحمه الله تعالى :

ومنه (أي من البديع) الإدماج، وهو أن يضمّن كلاماً سبق لمعنى معنى آخر، فهو أعم من الاستتباع، ومثاله قوله أبي الطيب:

أُقْلِبْتُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي      أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوباً<sup>(3)</sup>

فإنّه ضَمَّنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّوْلِ، الشِّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ.<sup>(4)</sup>

وكما قيل: بأن في هذه الآية الكريمة إيجازاً في غاية البلاغة، فإنّ العلامة القزويني رحمه الله عليه أيضاً عدّ الإدماج من الإيجاز حيث إنه عندما ذكر مثلاً آخر للإدماج من كلام ابن المعتز قوله في الخيري:

قد نفّض العاشقون ما صنع الحجر بالواهم على ورقه.

قال القزويني رحمه الله عليه :

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة فأدْمَجَ الغزل في الوصف، وفيه وَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْحُسْنِ وهو

1 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 165

2 - تفسير الجلالين، ص 104

3 - ينظر ديوان أبي الطيب المتني ص 55 (المطوع في المكبة الرحمانية، لاهور) تاريخ الطبع ليس مكتوباً عليه.

4 - الإيضاح في علوم البلاغة، ص 348-349

إيهام الجمع بين منافيتين، أعني الإيجاز والإطناب، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصغر، فاللفظ زائد عليه لفائدة.<sup>(1)</sup>

و يمكن أن يقال بنفس الوجه في الآية الكريمة أيضاً: أي باحتمال الإطناب والإيجاز في آية واحدة حيث قد ذكر المهر في نفس الآية قبل هذا مرتين:

أولاً قال تعالى: (أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ)، ثم قال: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) ثم ذكرت الفريضة - بأسلوب آخر - إدماجاً وضمن حكم آخر متعلق بالمهر. وأما حتمية المهر التي دُلَّ عليها في هذه الآية الكريمة ضمناً قد صُرح بها في قوله تعالى: ... (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)<sup>(2)</sup> بعد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(3)</sup>

قال ابن عجيبة:

جعلنا ذلك خالصة لك من دون المؤمنين، بل يجب عليهم المهر، تسمية أو فرضاً. وفيه إيذان بأنه مما خصَّ به عليه الصلاة والسلام لشرف نبوته، وتقريباً لاستحقاقه الكرامة. قال ابن جزري: وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخصَّ المخاطب وحده.<sup>(4)</sup>

فهذا إيجاز بليغ في غاية البلاغة ويمكن أن يقال إنه إدماج جميل حيث أدمج التذكير بفريضة حق المهر لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان إباحتها للنكاح بدون مهر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن وهبت امرأة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

1 - المرجع نفسه، ص 349

2 - الأحراب - 50

3 - الآية نفسها

4 - البحر المديد لسان عجيبة، ج 4 ص 448.

ويمثل قول الجزى رحمه الله تعالى (1) قال الزمخشري رحمه الله تعالى في بيان السير البلاغي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: (وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنَّمَا نَقَلْنَا عَنْهَا الْحَدِيثَ أَنَّهَا أَرَادَتْ النَّبِيَّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

1 - من هو ابن جزى؟ قال الصفدي رحمه الله تعالى (ابن جزى): أحمَر من جزى بكسر الجيم والزاي أبو جزى السدوسي له صُحُفَةٌ روى عنه الحسن البصري لم يرو عنه غيره. ينظر: الوافي بالوفيات (8/ 201)، الوافي بالوفيات المؤلف: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) الناشر: دار إحياء التراث - بيروت. عام النشر: 1420هـ - 2000م وقال ابن الأثير: أحمَر بن جزى (ب د ع) أحمَر، آخره راء، هو ابن جزى شهاب بن جرة بن ثعلبة بن زيد بن مالك ابن سنان الربيعي السدوسي، قاله ابن مسدة وأبو نعيم عن البحاري. وقال ابن عبد البر: أحمَر بن جرة بن معاوية بن سليمان، مولى الحارث السدوسي، قال: وقال الدار قطني: جزى بكسر الجيم والزاي. (أسد الغاية ط الفكر (1/ 66) أسد الغاية المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: 1409هـ - 1989م

2 - الأحزاب 50. ينظر الكشاف للزمخشري ج 3 ص 550 م

من بلاغة القرآن الحكيم في بيان حقوق النساء المالية أثناء العدة :

كما أن المرأة قد تُظلم من قبل الزوج أو أهله عند النكاح فبيّن القرآن الحكيم لها حق المهر بأساليبه البليغة المتعددة - التي قد دُرست في الصفحات السابقة - كذلك قد تُظلم المرأة من زوجها لو خدّنت المفاقة بينهما بالطلاق أو من أهله بعد وفاته فليبحث عن الأسرار البلاغية في الآيات التي بيّن القرآن الحكيم حقوقهن المالية وغيرها فيها ، في هاتين الحالتين .

الآية الأولى في بيان حقوقهن أثناء العدة:

قوله تعالى:

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق والأسلوب:

في الآيات السابقة حينما كان موقع إنشاء عقد الزواج جاء تعبير النظم الحكيم عن المهر بـ "الأموال" و "الأحور" و "الفريضة" وأمر بإيثاره نخلة. وعندما تم العقد وأقيمت المعاشرة بين الزوجين على أساس المحبة والمودة وبدأ عمل التعاطي بينهما والتحابب والمهاداة قال جلّ وعلا شأنه:

(فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)<sup>(2)</sup>

وإن احتلت العلاقة الزوجية بينهما نتيجة تنازع وتشاجر بينهما وجاءت نوبة الطلاق والفراق بينهما وكان من المخشّي أن يسرّد الرجل من المرأة شيئاً مما آتاها من المهر وغيره فجاء تعبير الذكر الحكيم - حفاظاً على قوق المرأة ودفاعاً عنها - بقوله: (وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) الآية<sup>(3)</sup> فإنه كان من الممكن أن يقال: (ولا تأخذوا منهاً ما آتيتموهن) ولكن - كما هو ظاهر من

الفرق بين العبارتين - ما كانت عبارة أخرى في قوة قوله سبحانه وتعالى: (لَا يَحِلُّ) ثم رُوِيَ في

مفعول فعل الأخذ (أَنْ تَأْخُذُوا) العموم والشمول التام حيث قيل:

1 - البقرة - 229

2 - النساء - 4

3 - البقرة - 229

(....) مما آتيتموهن شيئاً) استخدمت "من" التبعيضية، ثم نُكِّرَ "شيئاً" لِيُذَلَّ على العموم والشمول،

كما قال الزجاج رحمه الله عليه، أي: مما أعطيتموهنَّ من مهرٍ وغيره.<sup>(1)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله عليه:

ومعنى: (لا يَحِلُّ) لا يجوز ولا يُسمح به، واستعمال الحِلِّ والحُرْمَةِ في هذا المعنى وضِدُّه قديمٌ في

العربية، قال عنتره:

يا شاة ما قَنَصُ لِمَن حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

وقال كعب:

إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يَحِلُّ لَهُ أن يترك القِرْنَ وهو مجدول،

وجيء بقوله: "شيئاً" لِأَنَّهُ مِنَ النِّكَرَاتِ الْمُتَوَعَّلَةِ فِي الْإِبْهَامِ، تحذيراً من أخذ قليل بخلاف ما لو

قال: "مالاً" أو نحوه، وهذا الموقع من محاسن مواقع كلمة "شيء" التي أشار إليها الشيخ في "دلائل

الإعجاز".<sup>(2)</sup>

1 - معاني القرآن وإعرابه، ج 1 ص 307 (المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، المتوفي 211 هـ. الناشر: عالم الكتب، بيروت - الطبعة الأولى 1988 م.

2 - التحرير والتنوير، ج 2 ص 402 .

وكلام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى الذي أشار إليه ابن عاشور رحمه الله تعالى ليس عن كلمة "شيء" بعينها، بل كان كلام الشيخ في أن كلمة قد تحسن في موضع وتقبح نفس الكلمة في موضع آخر: بحسب سياقها الذي تستعمل فيه وضرب مثلاً لذلك بكلمتين "الأخضع" في أبيات و"شيء" في أبيات أخرى. ونص كلامه ما يأتي:

قال: فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة منفردة وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ.<sup>(3)</sup>

وزاد الإمام الجرجاني قائلاً:

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتونسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر.... ومن أعجب ذلك لفظه "الشيء" فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي<sup>2</sup>:

(من الطويل)

ومن مائي عنيه شيء غيره - إذا راح نحو الجمرة البيض كالدَّمي

وقول أبي أحبة. (من الطويل)

وإن ابتغاء الفراق والطلاق واقتضائه والتعدي - المسبب للطلاق - قد يكون من قبل الرجل

وقد يكون من قبل المرأة فراعى القرآن الحكيم الجانبين كليهما احتفاظاً بحقوق الفريقين كليهما فاستثنى

بما ذكر يقوله:

(إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حِفْظُهُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ. <sup>(1)</sup>

قال الرمخشري رحمه الله تعالى: (إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)

إلا أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية، لما يحدث من

نُشُوزِ المرأة وشؤء خُلُقها (فلا جناح عليهما): فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت

(فيما افتدت به): فيما فدت به نفسها، واحتلكت به من بذل ما أوتيت من المهر، والخلع بالزيادة على

المهر مكروه. <sup>(2)</sup>

ومن بلاغة النظم الحكيم أنه سبحانه وتعالى بعد بيان حقوق الفريقين - اهتماماً بحقوق

الزوجين فيما بينهما - نَبَّه عباده وهَدَّاهم بقوله: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) <sup>(3)</sup>

قال أبو السعود:

(تلك) أي الأحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها) بالمخالفة والرفض

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاها شيء لا تمل التقاضياً

فإنك تعرف حسناتها ومكانها من القبول، ثم انظر إلى بيت المتنبي. (من الطويل)

لو الفلك الدُّوَارُ أبغضت سعيه لعزَّته شيء عن الدوران

فإنك تراها تَبِيلُ وتضول، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم وهذا باب واسع. (دلائل الإعراب ص 41) - تحقيق د عبد الحميد الهنداوي،

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -

1 - البقرة - 229

2 - الكشف، ح 1 ص 274-275

3 - البقرة - 229

(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) والجمع باعتبار معنى الموصول (هم الظالمون) أي: لأنفسهم بتعريضها سخط الله تعالى وعقابه، ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الأخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة، وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.<sup>(1)</sup>

المراد من قول أبي السعود:

"وضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الأخيرة موقع الضمير"، في الآية الكريمة في قوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيَمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>(2)</sup>

فقد سبق البحث عليه في نفس الآية الكريمة قوله تعالى: (...إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَنْ لَا يَقِيَمَا حُدُودَ اللَّهِ) فكان من الممكن أن يقال بعده: "فإن خفتما ألا يقيماها" أو "ألا يقيما حدوده" وكذلك بدل قوله تعالى: (تلك حدود الله فلا تعتدوها) كان من الممكن أن يقال: "تلك حدوده"، وكذلك بدل قوله تعالى: (ومن يتعد حدود الله) كان من الممكن أن يقال: "ومن يتعدّها"، أو: "ومن يتعد حدوده"، ولكن في النظم الحكيم في المواقع الثلاثة المذكورة كُرِّرَ الاسم الجليل مكان ضميره لتربيته المهابة وإدخال الروع في قلوب السامعين.

وزيادة في تلك المهابة ومبالغة في إدخال الروع في قلوبهم أُسْتُخْدِمَ أسلوب القصر بتعريف طرفي الجملة وإدخال ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر - في بيان الوعيد لمن يتعدى حدود الله - في قوله تعالى - في آخر الآية الكريمة: (ومن يتعد حدود الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). فكان من الممكن أن يقال: "ومن يتعد حدوده فهم ظالمون". ولكن غُذِلَ عن هذا الأسلوب إلى أسلوب القصر بتعريف الطرفين في قوله تعالى: (فأولئك هم الظالمون) ليس هذا فقط، بل وزيد ضمير الفصل أيضاً، وفوق ذلك حُجِيَ بالمبتدأ في صورة اسم الإشارة للبعيد (أولئك) إشارة إلى بعد مكائهم في الظلم والتعدي، فما أبلغ أسلوب النظم الحكيم في توبيخ وتبكيت من يتعدى حدود الله بِالْعَيْنِ في حقوق النساء المالية!

الآيتان الثانية والثالثة في بيان حقوقهن أثناء العدة :

1 - تفسير أبو السعود، ج 1 ص 227

2 - البقرة - 229

وكما ذكر من قبل أن الظلم والتعدي قد يكون من قبل الرجل وقد يكون من قبل المرأة فإن الذكر الحكيم قد أوفى كل جانب حقه حق الإيفاء فمن الآيات الواردة في ذلك أيضاً قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْتَهُنَّ عَنْ تَعْضُلُوهُنَّ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا - وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ وَنَمَاءً مُمِيسًا - وَكَفَيْتُمْ أَخْذُوهُنَّ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا<sup>(1)</sup>)

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا) استئناف تشريع في أحكام النساء التي كان سياق السورة لبيانها، وهي التي لم تزل أيها مبينة لأحكامها تأسيساً واستطراداً، وبدءاً وعوداً، وهذا حكم تابع لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من جعل زوج الميت موروثة عنه.<sup>(2)</sup>

بلاغة الأسلوب:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : افْتَتَحَ بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) للتنويه بما خوطبوا به. وخوطب الذين آمنوا ليُعْمَ الخطاب جميع الأمة، فيأخذ كل منهم بحظه منه.... وصيغة "لا يحل" صيغة نهى صريح لأن الحيل هو الإباحة في لسان العرب، ولسان الشريعة، فنفيه يُرادف التحريم.<sup>(3)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى :

كانوا يملكون النساء بضروب من البلايا ويظلموهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك: كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة، ألقى ثوبه، عليها وقال: أنا أحق بها من كل أحد. فقيل: (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا) أي: أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحار الموارث وهن كارهات لذلك، أو مكروهات، وقيل: كان يمسكها حتى تموت، فقيل: لَا يَحِلُّ لَمْ أَنْ تُمَسَّكُوهُنَّ حَتَّى تَرِثُوا مِنْهُنَّ وهن غير راضيات بإمساككم. وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء

1 - النساء - 19-21

2 - التحرير والتنوير، ج 4 ص 282

3 - المرجع نفسه (بعد التصحيح إلى هنا اليوم - 10. 4. 2014 م

العشرة والقهر، لتفتدي منه بما لها وتخلع فقيل: ولا تعضلوها لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن. والعسل: الحبس والتضييق.<sup>(1)</sup>

واستثنى منه ما إذا كان النشوز من المرأة، فقال تعالى:

(إلا أن يأتين بفاحشة مبينة).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى :

على صيغة الفاعل من "بَيَّنَّ" بمعنى: "تَبَيَّنَّ" وقُرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من "أَبَانَ" بمعنى "تَبَيَّنَّ" أي بَيَّنَّ القُبْح من النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلطة ويعضده قراءة أبي:

(إلا أن يأتين بفاحشة مبينة)... فإنَّ السببَ حيثُ يكون من جهتهنَّ وأنتم معذرون في طلب

الخلع.<sup>(2)</sup>

ما المراد بـ"فاحشة مبينة"؟

في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ....)<sup>3</sup> ؟

وهل هذا الوصف قيد للحكم في هذه الآية؟- كما هي القاعدة المشهورة - أن الصفة مقيدة للموصوف في الحكم الخاص به، فالحكم الخاص بالموصوف يكون مشروطاً بتحقيق مضمون الصفة فإذا لم يتحقق مضمون الصفة في الموصوف لا ينطبق عليه الحكم.<sup>4</sup>

وأيضاً قد لوحظ أن لفظ الفاحشة ورد في القرآن الحكيم في مواضع موصوفاً وفي أخرى مطلقاً

عن الصفة فما هو السرايلاعي في هذا الاختلاف بين مواضع التقييد بالصفة وعدم تقييدها؟

وردت الفاحشة موصوفة بكونها مبينة في ثلاث مواضع: الأولى في هذه الآية الكريمة ،

والثانية في قوله تعالى:

1 - الاكتاف، ج 1 ص 490

2 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 2 ص 158.

3 - النساء - (19)

4 - ينظر بحث فضيلة الأستاذ الدكتور عادل محمد الأكرت (من بلاغة الصفة في القرآن الحكيم ص 109)

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا بُنَاتٍ مِنْكُمْ يَفْأَحِشَةً مُبَيَّنَةً يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرًا)<sup>1</sup>

والثالثة في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَغَلَّ اللَّهِ يُخَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)<sup>2</sup>

قال فضيلة الأستاذ الدكتور عادل محمد الأكرت بالقول بأن المراد بالفاحشة في الآيات السابقة المعصية من سوء الخلق وبذاءة اللسان وإيذاء الزوج وأهله، وليس المراد بها كبيرة الزنا، هذا ظاهر من سياق الآيات<sup>3</sup>

وقال الدكتور مستدلاً على كون المراد من الفاحشة - في هذه الآيات الثلاث - بقوله:

فآية النساء تتحدث عن إكراه المرأة على الخلع برد ما أخذته للرجل، وأن هذا لا يجوز إلا إذا ساءت معاملتها للزوج وأهله، وآية الأحزاب يستحيل أن يكون المراد بالفاحشة فيها الزنا، لأن زوجات الأنبياء معصومات من الكبيرة بعصمة الأنبياء. فالمراد بها العصيان وسوء العشرة وإن كان ذلك في حق أمهات المؤمنين على سبيل الفرض والتقدير، وآية الطلاق تتحدث عن طلاق المرأة وإنها تبقى في بيت مطلقها حتى انقضاء عدتها ولا تخرج من البيت إلا إذا ساء خلقها مع الزوج وأهله.<sup>4</sup>

وجاءت الفاحشة مطلقة، غير موصوفة بكونها مبينة في تسعة مواضع في الآيات التالية:

الأولى في قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)<sup>5</sup>

1 - الأحزاب - (30)

2 - الطلاق - (1)

3 - من بلاغة الصفة في القرآن الحكيم ص 20 د/ عادل الأكرت.

4 - المرجع نفسه ص - (20 - 21).

5 - آل عمران: (135)

والثانية في قوله تعالى:

(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)<sup>1</sup>

والثالثة في قوله تعالى:

(وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)<sup>2</sup>

والرابعة في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)<sup>3</sup>

والخامسة في قوله تعالى:

(وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا)<sup>4</sup>

والسادسة في قوله تعالى:

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)<sup>5</sup>

والثامنة في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)<sup>6</sup>

والتاسعة في قوله تعالى:

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)<sup>7</sup>

وقوله تعالى:

1 - النساء: (22)

2 - الأعراف: (28 - 30)

3 - الإسراء: (32)

4 - النساء: (15)

5 - الأعراف: (80)

6 - النور: (19)

7 - النمل: (54)

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ).<sup>1</sup>

حضرة الأستاذ الدكتور عادل أخذ منها ثلاثة أمثلة:

الآية رقم -15 من سورة النساء، والآية رقم -25 من نفس السورة، والآية رقم -80 من سورة

الأعراف.

وقال: والمراد بالفاحشة في الآيات السابقة كبيرة الزنا وما في حكمها من اللواط وقد جاءت

مطلقة غير موصوفة بصفة "مُبَيَّنَّة".

واستنتج حضرة الدكتور مما سبق أن الفاحشة التي تأتيها المرأة إذا كان المراد بها المعصية من سوء

الخلق وفساد العشرة جاءت موصوفة بقوله "مبينة" بمعنى وضوحها وظهورها في كونها فاحشة، أو ظهورها

ووضوحها بشبوئها عند ولادة الأمور، فالصفة قُيِّدَتُ الأحكام السابقة فلا تطبَّق إلا إذا كان ما فعله النساء

ظاهرا بينا وليس بمجرد الادعاء، وإذا كان المراد بالفاحشة كبيرة الزنا جاءت غير موصوفة بـ "مبينة" وهذا

ما يتفق مع خصوصية كبيرة الزنا، ولا يطلع عليها أحد إلا نادرا، ولذلك لم تثبت مرة عن طريق الشهود

وكان ثبوتها عن طريق الاعتراف.<sup>2</sup>

واستنبط حضرة الدكتور من ذلك نكتتين بلاغيتين، قال:

فجاء التعبير القرآني بدون وصف الفاحشة التي يراد بها الزنا بالظهور والوضوح تصويرا دقيقا

للخصوصية التي فيه، فهو من الجرائم التي ينسريها؛ ولذلك جعل سبحانه الشهود على ثبوتها أربعة ستر

على العباد، كما أن في إطلاق الفاحشة المراد بها الزنا وعدم تقييدها بوصفٍ إشارة إلى أن كبيرة الزنا هي

الفحش الكامل، وأن مجرد ذكر الفاحشة ينصرف إليها لا شهارة في الفحش من غير حاجة إلى وصف.<sup>3</sup>

فاستنتج حضرة الدكتور استنتاج بارع، واستنباطه النكتتين البلاغيتين استنباط دقيق على ضوء

الآيات المذكورة، والذي يميل إليه رأي الباحث أيضا هو الذي ارتأى به حضرة الدكتور المكرم - أكرمه الله

-، ولكن عندما راجع الباحث كتب التفاسير في تفسر الآية المبحوث عن بلاغة القرآن الحكيم فيها في

1 - العنكبوت: (28)

2 - من بلاغة الصفة في القرآن الحكيم ص 21، 22.

3 - المرجع نفسه.

حقوق النساء المالية في سورة النساء (قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْتَهُبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ....)<sup>1</sup>، ليعرف آراء المفسرين في المراد عن الفاحشة في هذه الآية وجددهم منذ عهد الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فريقين: فريق يرى أن المراد من الفاحشة الزنا وفريق آخر يرى أن المراد منها سوء الخلق ومنهم من يرى أنه عام سواء كان الزنا أو سوء الخلق.

فهذا ابن كثير رحمه الله تعالى يذكر أسماء سبعة عشر مفسرا - منهم الصحابي الجليل ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعدد كبير من أجلة التابعين - من يرى أن المراد من الفاحشة في هذه الآية الزنا، يقول:

وَقَوْلُهُ: (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ، وَالضُّحَّاكُ، وَأَبُو قِلَابَةَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ: يَعْني بِذَلِكَ الزَّنا، يَعْني: إِذَا زَنَتْ فَلكَ أَنْ تَسْتَرْجِعَ مِنْهَا الصَّدَاقَ الَّذِي أُعْطِيَتْهَا وَتُضَاحِرَهَا حَتَّى تُتْرَكَ لَكَ وَتُحَالِفَهَا.<sup>2</sup>

ويذكر لنا ابن كثير كذلك أسماء الفريقين الآخرين أيضا، ويرجح الرأي الثالث - القائل بأنه يعم ذلك كله يقول:

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضُّحَّاكُ: الْفَاحِشَةُ الْمُبَيَّنَةُ: النُّشُوزُ وَالْعِصْيَانُ ، وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ يَعْني بِذَلِكَ كُلَّهُ: الزَّنا، وَالْعِصْيَانُ، وَالنُّشُوزُ، وَبِذَاءِ اللِّسَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. يَعْني: أَنَّ هَذَا كُلَّهُ يُبَيِّحُ مُضَاجَرَتَهَا حَتَّى تُبْرَئَ مِنْ حَقِّهَا أَوْ بَعْضِهِ وَتُفَارِقَهَا، وَهَذَا جَيِّدٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> وينحوما قال ابن كثير قال غيره من المفسرين.

1 - النساء - 19

2 - تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 241)

3 - المرجع نفسه.

ولكن قراءة أبي رضي الله تعالى عنه تعضد الرأي القائل بكون المراد بالفاحشة في هذه الآية الكريمة "النشوز وسوء الخلق"، كما قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ) على صيغة الفاعل من يَنْ بمعنى تَبَيَّنَ وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من أبان بمعنى تبين أي بيَّنة القُبْح من النشوز وشكاسة الخُلُق وإبداء الزوج وأهله بالبذاء والسَّلاطة وبعضه قراءة أبي إلا أن يُفَحِّشَنَّ عَلَيْكُمْ وقيل الفاحشة الزنا.<sup>2</sup>

وهنا نكات أخرى بلاغية كثيرة في هذه الآيات الثلاث (19، 20، 22):

الأولى منها: أَنَّ "كَرَّهَهَا" - في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَّهًا) مصدر وقع حالا.<sup>3</sup>

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

(لا يحل لكم أن تَرِثُوا النِّسَاءَ) أي ما لهن (كَرَّهًا) أي كارهين لهن، لا حامل لكم على نكاحهن إلا رجاء الإرث، وذلك أنهم كانوا ينكحون اليتامى لما لهن، وليس لهم فيهن رغبة إلا تريص الموت لأخذ ما لهن ميراثاً، أو يكون الفعل واقعاً على نفس النساء، ويكون (كرهاً) على هذا حالاً مؤكدة، أي كارهات، أو ذوات كره.<sup>4</sup>

وقال البقاعي موضحاً ذلك: وذلك لأن الرجل كان إذا مات وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فيلقي ثوبه عليها، فيصير أحقَّ بها من نفسها ومن غيرها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج، يُضَارُّهَا لتفتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت هي فيرثها.<sup>5</sup>

فهنا يمكن أن يقال بأن في وقوع المصدر حالاً هنا سرُّ بلاغي، فإنه، أولاً:

1 - ينظر المحرر الوحي لآين عطية (28/2)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (12/10)، ولباب التأويل للمحازن في معاني التنزيل (356/1)، وتفسير أبي السعود (2/158).

2 - تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/158).

3 - ينظر الخدول في إعراب القرآن وصرفه (4/469).

4 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (5/223).

5 - المرجع نفسه.

لو جاء النظم القرآني بالاسم المشتق حالا - كما هو الأصل في مجيء الحال - لما أفاد النظم ما أفاد الآن من احتمالين معاً، أي أن يكون حالا من الرجل أو من المرأة، فهو إذا من بلاغة الإيجاز في القرآن الحكيم.

وثانياً: إن في وقوع المصدر (كَرْهًا) ، حالاً من المبالغة في إظهار شناعة تورثهم إياهن حيرا ما لم يكن ممكناً في الوصف (كارهات) كأنهن من أجل شدة كراهن لتورثهم إياهن أصبحن " كَرْهًا "، ففيه تشنيع شديد لفعلهم ذلك.

ونكتة بلاغية أخرى في قوله تعالى: "ولا تعضلوهن" أشار إليها محيي الدين الدرويش، قال: (تَعْضُلُوهُنَّ) مضارع "عَضَلَ على فلان" أي ضَيَّقَ عليه أمره وحال بينه وبين ما يريد. والعضل الحبس والتضييق، وعضلت المرأة بولدها إذا احتقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه، فيكون استعمال ذلك مجازاً. ومن رائع الشعر قول أوس:

تري الأرض منا بالفضاء مريضة... معضلة منا بجمع عرمرم.

وردد النابغة هذا المعنى فقال، يَصِفُ جيشاً:

لحب يظل به الفضاء معضلاً... يدع الإكام كأنهن صحاري.<sup>1</sup>

وزاد الدرويش قائلاً:

والمراد به هنا في الآية: لا تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكنهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات. وكان الرجل إذا تزوج امرأة، ولم تكن من حاجته، حبسها مع سوء العشرة والقهر، لتفتدي منه بمالها وتختلع، فقال تعالى: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينموهن).<sup>2</sup>

وأفادنا الإمام أبو السعود بنكتين بلاغيتين في قوله تعالى (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنُمُوهُنَّ)،

قال: (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنُمُوهُنَّ) أي من الصَّدَاق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه

1 - إعراب القرآن وبيانه (2/ 185، 186)، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد

للمشتون الجامعة - حمص - سورية، (دار الهمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن

2 - المرجع نفسه.

منهن، وإنما لم يُعَرَّضَ لفعلهن إيداناً بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطراراً، وإنما عُيِّرَ عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب للمبالغة في تقييده ببيان تضمينه لأمرين كلٌّ منهما محظورٌ شنيعُ الأخذ والإذهابِ منهن لأنه عبارة عن الذهاب مستصحباً به.<sup>1</sup>

ونكتة أخرى في استخدام "إن" الشرطية في قوله تعالى: (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ)

فقد قال البلاغيون: أداة الشرط "إن" تستعمل حيث يكون وقوع الشرط من الأمور نادرة الوقوع<sup>2</sup>، فكان النظم الحكيم - باستخدام هذا الأسلوب - في الشرط أشار إلى إشارة لطيفة إلى أنه ينبغي أن لا تكرهوهن، وكذلك في قوله تعالى:

(وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا)<sup>3</sup> في أسلوب الشرط ب"إن" إشارة لطيفة إلى مدلول قوله عليه الصلوة والسلام: أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ<sup>(4)</sup> وإلى كون هذا الاستبدال غير محبَّب عند الله سبحانه وتعالى. والله سبحانه وتعالى أعلم

والاستفهام في قوله تعالى: (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينٌ) فيه تشنيع بليغ لهذا الأخذ، كما قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا) استئنافٌ مسوقٌ لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه، والاستفهامُ للإنكار والتوبيخ أي تأخذونه باهتين وآثمين أو للبهتان والإثم فإنَّ أحدهم كان إذا تزوج امرأةً بهتت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتانُ الكذبُ الذي يبهتُ المكذوبُ عليه ويُدْهَشُه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فُسِّرَ ههنا بالظلم.<sup>5</sup> وقوله تعالى: (بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا) حالان من الفاعل في "تأخذون"، كما فسرها أبو السعود رحمه الله

1 - تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 158)

2 - ينظر دلائل الإعجاز ص

3 - النساء - (20)

4 - سنن أبي داود (2/ 255)

5 - تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 159)

وكما قال الألوسي رحمه الله تعالى:

والمصدران منصوبان على الحالية بتأويل الوصف أي تأخذونه باهتين وآمين.<sup>1</sup>

ويمكن أن يقال : في وقوع المصدرين حالين أيضا تشديداً وتغليظاً في تقييح الأخذ منهن شيئا لهذا الغرض فكأن أخذ الرجال منهن شيئا بالبهتان جعلهم أنفسهم " بهتانا وإثما مينا " ، ولم يكتف حل وعلا شأنه على هذا القدر من التقيح والتشنيع لفعلهم هذا، بل وقال عزم من قائل:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا).<sup>2</sup>

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) إنكار لأخذه إثر إنكارٍ وتنفيٍ عنه غب تنفيٍ وقد بولغ فيه حيث وجه الإنكار إلى كيفية الأخذ إيداناً بأنه مما لا سبيل له إلى التحقق والوقوع أصلاً لأن ما يدخل تحت الوجود لا بد أن يكون على حال من الأحوال فإذا لم يكن لشيء حال أصلاً لم يكن له حظ من الوجود قطعاً.<sup>3</sup>

وزاد أبو السعود قائلاً:

وقوله عز وجل: (وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد أي على أي حال أو في أي حال تأخذونه والحال أنه قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرير المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك.<sup>4</sup>

الآية الثالثة في بيان حقوقهن بعد الطلاق:

قال تعالى: (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

1 - تفسير الألوسي = روح المعاني (2/ 452)

2 - النساء: 21

3 - تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 159)

4 - المرجع نفسه.

تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(1)</sup>

فيما سبق من الآيات دُرِست بلاغة النظم القرآني الحكيم في حقِّ المهر للنساء واللائي سُمِّيت مهورهنَّ وتمَّ زفافهنَّ وأعطيت مهورهنَّ وعِشْنَ - ما شاء الله من الزمان - مع أزواجهنَّ، ثم تَنَغَّصَت العلاقة وَحَدَثَ الْبِقَاشَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ حَتَّى وَصَلَتِ النُّوبَةُ إِلَى الطَّلَاقِ والفراق بينهما وبين أزواجهنَّ الذين عِشْنَ معهم زمناً - طويلاً أو قصيراً - أما في هاتين الآيتين فسيُبحث إن شاء الله تعالى عن بلاغة الذكر الحكيم في الحقوق المالية للنساء اللاتي يُطَلَّقْنَ قبل المسيس، سُمِّيَ لَهُنَّ مَهْرٌ أو لم يُسَمَّ.

فأولاً بَيَّنَّ القرآن الحكيم (في الآية الأولى) حكم الطلاق قبل المسيس، ثم بَيَّنَّ حَقَّهَا، وفي الآية الثانية بَيَّنَّ ما تستحقُّه المطلقة قبل المسيس وقد عُيِّنَ لها مهرٌ. بلاغة الأسلوب:

ما الحكمة البلاغية في قوله تعالى: (لا جناح عليكم) - وكان من الممكن أن يُبَيَّنَّ حَقُّ المتعة للمطلقة قبل المسيس ولم يُسَمَّ لها مهر، وَحَقُّ نصف المهر للتي طُلِّقَتْ قبل المسيس وقد سُمِّيَ لها مهر -؟ قال البيضاوي رحمه الله تعالى: (لا جناح عليكم) لا تبعه من مهر. وقيل من وزرٍ، لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس. وقيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ النَهْيَ عن الطلاق فَظُنُّ أَنَّ فِيهِ حَرَجاً فَنُفِيَ.<sup>(2)</sup>

وقال ابن عطية: هذا ابتداء إخبار برفع الجناح عن المطلق قبل البناء والجماع، فَرَضَ مَهراً أو لم يُفَرِّضْ، وَلَمَّا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وأَمَرَ بالتزوج طلباً للعصمة والتماس ثواب الله وَقَصَدَ دوام الصحبة وَقَعَ في نفوس المؤمنين أَنَّ مَنْ طُلِّقَ قبل البناء قد وَاقَعَ جزءاً من هذا المكروه، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك إذا كان أصلُ النكاح على المقصد الحسن.<sup>3</sup>

1 - البقرة - 236-237

2 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 1 ص 146

3 - المحرر الوجيز لآثار ابن عطية، ج 1 ص 276.

وزاد ابن عطية قائلاً:

وقال قوم: (لا جناح عليكم) معناه لا تطلب بجميع المهر، بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها، وقال قوم: (لا جناح عليكم) معناه في أن ترسلوا الطلاق في وقت حيض بخلاف المدخول بها. وقال مكّي:

المعنى لا جناح عليكم في الطلاق قبل البناء لأنه قد يقع الجناح على المطلق بعد أن كان قاصداً للذوق. وذلك مأموماً قبل المسيس.<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري:

والدليل على أن الجناح تبة المهر قوله: (وإن طلقتموهن) إلى قوله:

(فنصف ما فرضتم) إثبات للجناح المنفى ثمة.<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: (ومتعهن)

قال أبو السعود:

عطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام، أي فطلقوهنّ ومتعهنّ، والحكمة في إيجاب المتعة خبر إباحش الطلاق.<sup>(3)</sup>

انظروا إلى حكمة القرآن الحكيم وبلاغته أنه كيف راعى كلّ جانب وأعطى كلّ ذي حقّ حقه مع حفظ المراتب ورعاية جميع المواقع والجوانب، فرعاية لحقهنّ قال تعالى بصيغة الأمر الصريح: (ومتعهنّ) فقد أوجب لهن المتعة، ثم نظراً إلى الجانب الآخر كيلا يصيب الرجل أيضاً ضيماً ولا حرج وسّع الأمر عليهم فقال سبحانه وتقدّس شأنه: (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره).

قال أبو السعود: أي ما يلي بحال كلّ منهما، وقريء بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبيّنة لمقدار المتعة بالنظر إلى حال المطلق إيساراً وإقتاراً... وهذا إذا لم يكن مهر مثلها أقلّ من ذلك، فإن كان أقلّ فلها الأقلّ من نصف مهر المثل ومن المتعة، ولا يُنقص عن خمسة

1 - المرجع نفسه.

2 - الكشف، ج 1 ص 285

3 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 234.

دراهم.<sup>(1)</sup>

السِّرُّ في قوله: (متاعاً بالمعروف):

وقال تعالى: (متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين).

السِّرُّ في قوله: (متاعاً بالمعروف) وقد عُرِّفَ "المعروف" بالألف واللام، وما معنى قوله: (حقاً

على المحسنين)؟

قال أبو السعود:

(متاعاً) أي تمتيعاً (بالمعروف) أي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة.<sup>(2)</sup>

ومن الملاحظ هنا أن قول المفسر أبي السعود رحمة الله عليه في بيان معنى "المعروف" هذا معنى

جامع.

وقوله تعالى: (حقاً)

قال أبو السعود:

صفة لـ (متاعاً)، أو مصدر مؤكّد أي حقّ ذلك حقاً.

(على المحسنين) أي الذين يُحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتمتع

بالمعروف، وإنما سُموا "مُحسنين" اعتباراً للمشاركة وترغيباً وتحريضاً.<sup>(3)</sup>

ثم إنه جلّ وعلا شأنه بَيِّنَ حقّ المطلقة قبل المسيس التي سُمِّيَ لها مهرٌ فقال:

(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ)<sup>(4)</sup>

وكما قيل من قبل أن القرآن الحكيم يُريد أن يقوم المجتمع على حسن المعاشرة بين أفرادهِ. وعلى

العفو والإحسان فإن المجتمع البشري لا يمكن بقاؤه طويلاً إلا إذا قام على العدل، ولا استحكامه إلا

بإحسان، فلذلك أولاً بيّن القرآن الحكيم في هذه الآية الكريمة ما هو مقتضى العدل، ثم أتبعه

1 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 234

2 - المرجع نفسه

3 - المرجع نفسه

4 - الفقرة - 237

ما هو مقتضى العفو والإحسان، فقال: (إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح).<sup>(1)</sup>

قوله تعالى: (إلا أن يعفون) معناه واضح من الصيغة المستخدمة هنا أي: أن تترك النساء

المطلقات النصف الذي هو حَقُّهنَّ.

وأما قوله تعالى: (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح).

من المراد بـ (الذي بيده عقدة النكاح):

الزوج المطلق أو وليُّ المرأة؟

قال الخازن رحمه الله عليه:

وقوله تعالى: (إلا أن يعفون) يعني النساء المطلقات والمعنى: إلا أن تترك المرأة نصيبها من

الصداق فتعفو للزوج فيعود جميع الصداق إلى الزوج، (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) فيه قولان:

أحدهما أنه الوليُّ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاؤس والشعبي

والنخعي والزهرري والثدي وبه قال الشافعي في القلم ومالك - رضي الله عنهم -.

والقول الثاني: أنه الزوج وهو قول علي كرم الله وجهه والكريم وابن عباس في الرواية الأخرى وجبير بن

مُطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي

وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد وجهور الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين.<sup>(2)</sup>

ثم قال المفسر رحمه الله عليه مَوْضَحاً معنى "العفو" - من المرأة أو وليِّها أو من الرجل -:

فعلى القول الأوَّل يكون معنى الآية: إلا أن تعفو المرأة إذا كانت ثيباً بالغة من أهل العفو عن

نصيبها للزوج، أو يعفو وليُّها إذا كانت المرأة بكرةً صغيراً أو غيرَ جائزة التصرف فيجوزُ عفوُ وليِّها فيترك

نصيبها للزوج... وعلى القول الثاني أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج.<sup>(3)</sup>

1 - الآية نفسها. (اعتذار من الباحث: أحياناً يبدو أن الباحث يعتمد على مرجع واحد أو اثنين أو ثلاثة كثيراً، فالحقيقة أن الباحث

يتصفح كتباً كثيرة وعندما لا يجد مطلوبه (النكات البلاغية) إلا في كتاب واحد أو اثنين أو ثلاثة فيكون مضطراً إلى الاعتماد على ما

يجد فيه مقصوده.

2 - ثاب التأويل في معاني التنزيل، ج 1 ص 172.

3 - المرجع نفسه.

استنباط أبي السعود على الاحتمالين المذكورين:

قال: ... فيكون معنى الآية: أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح، يعني الزوج، فيعطي المرأة الصداق كاملاً لأن الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها، ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل أن يعفو فيؤتي لها المهر كاملاً فيعطي المرأة الصداق كاملاً لأن الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها، ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل أن يعفو فيؤتي لها المهر كاملاً.<sup>(1)</sup>

ومن هذا قد تبين لنا السير البلاغي للنظم الكريم أنه سبحانه وتقدس قد استخدم هذا التعبير الجامع لجميع هذه المعاني لحكمة بالغة وإلا لكان من الممكن أن يقول سبحانه وتعالى: (إلا أن يعفو الرجال أو الأزواج) أو نحو ذلك، ولكن من بلاغة النظم الحكيم أنه اختار هذا التعبير الجامع البالغ ترغيباً لكل واحد من المحتملين أن يحاول ليكون هو الذي يعفو للآخر، ولعله الذي يدل عليه ما غُطِفَ عليه من قوله سبحانه وتعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)<sup>(2)</sup>

ومما يمكن أن يلاحظ هنا أن التعبير بـ "إن" في الآيات السابقة للإشارة إلى أن الطلاق والكره والاستبدال ينبغي أن يكون نادراً قليل الحدوث.

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: وتسمية الزيادة على الحق "عفواً" فيها نظر، إلا أن يُقال: كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها، أو سمّاها "عفواً" على طريق المشاكلة.<sup>(3)</sup>

وذكر الزمخشري هنا روايتين تؤيدان ما قال الباحث آنفاً، قال:

وعن جبير بن مطعم أنه تزوّج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال: أنا أحق بالعفو، وعنه رضي الله عنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما فعرض عليه بنتاً له فتزوّجها، فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملاً، فقيل له: لم تزوّجها؟ قال: عرضها عليّ

1 - المرجع نفسه.

2 - البقرة - 237

3 - الكشاف، ج 1 ص 286

فكرهت رده، قيل: فلم بعث بالصدّاق؟ قال: فأين الفضل؟ والفضل: التفضّل. أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمرّوا ولا تستقصوا.<sup>(1)</sup>

وقد رَغِبَ القرآن الحكيم جميع المؤمنين بالتفضل والإحسان فيما بينهم قال: (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

قال ابن عطية:

وقوله: (إنه بما تعملون بصير) خبرٌ في ضمنه الوعد للمحسن والجرمان لغير المحسن.<sup>(2)</sup>

حقوق المعتدة الحامل والمرضعة :

والمرأة المطلقة قد تكون حاملة أو مرضعة، فإن القرآن الحكيم في نظمه البليغ المعجز قد بيّن هُنَّ أيضاً حقوقهن في حالتي الحمل والرضاع أبلغ بيانٍ فقال في سورة الطلاق:

(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُنْفِقُونَ وَإِنْ تَعَاَسَ رِئْصُكُمْ فَسْتَرْضِعُوا لَهُنَّ أَرْضَعُوا لَهُنَّ رِزْقَهُنَّ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا تُكَلِّفُوا اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا مَا آتَاهَا سَبْعُ مِائَةٍ بَعْدَ عَشْرٍ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(3)</sup>

هاتان الآيتان الكريمتان بيّن سبحانه وتعالى فيهما حقوق المطلقات من السكنى والنفقة أثناء عدّتهن أبلغ وأجمع بيانٍ فأولاً أمر سبحانه وتعالى - أمراً صريحاً يقتضى وجوب المأمور به - بإسكانهنّ وقال: (من وُجِدَكم) فتقييد أمر الإسكان بهذا القيد غاية العدل بين المطلق والمطلقة، ثم لما كان من عادة أهل الجاهلية إضرارهن والتضييق عليهن حالة العدة بطرق عديدة فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، ثم قد تكون المطلقة حاملة بولَدٍ مُطَلَّقِهَا وقد تطول مدّة وضعها فقال تعالى: (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُنْفِقُونَ وَإِنْ تَعَاَسَ رِئْصُكُمْ فَسْتَرْضِعُوا لَهُنَّ رِزْقَهُنَّ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا تُكَلِّفُوا اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا مَا آتَاهَا سَبْعُ مِائَةٍ بَعْدَ عَشْرٍ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ)

1 - المرجع نفسه.

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1 ص 322

3 - سورة الطلاق - 6-7

فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى).<sup>(1)</sup>

هذه ثلاث جُمَلٍ، أولها وثالثها جملتان شرطيتان وأداة الشرط في كليهما "إن" وعطفت على الجملة الشرطية الأولى: (فإن أرضعن لكم فآتوهنَّ أجورهنَّ)، جملة الأمر قوله تعالى: (وأتمروا بينكم بمعروفٍ) وفي الجملة الشرطية الأولى قُيِّدَ فعلُ الشرط (أرضعن) بـ"لكم" وأضيفت الأجور إليهنَّ في (أجورهنَّ) ونُكِّرَ "معروف" في قوله: (وأتمروا بينكم بمعروفٍ) ولم يقل: "بالمعروف" ففي كُلِّ ما ذُكِرَ أسرارُ بلاغية. و"إن" حرفُ شرطٍ لا يكون وقوع مدحولها متيقِّناً، فذلَّ ذلك على أن إرضاعها لولدٍ مُطْلَقاً ليس واجباً عليها شاءت أو لم تشأ بل لها اختيار أن تُرضع أو لا تُرضع، فإن أرضعت فإنها تستحق الأجر من والد الصبي، ولذلك قال تعالى: (لكم) يعني إن الولد لكم (أيها الرجال) فإرضاعها لكم فآتوهنَّ أجورهنَّ التي هي حقُّهنَّ عليكم عوضاً عن الإرضاع لكم.

وما هو مقدار أجورهنَّ ؟

لما كان تحديده تحديداً عاماً لكل امرأة وفي كُلِّ زمانٍ وكُلِّ بيئة وفي كُلِّ الأحوال فمن بلاغة الذكر الحكيم أنه سبحانه وتعالى قال : (وأتمروا بينكم بمعروفٍ). - بتنكير "معروفٍ" أي: ما يقتضيه العدل حسب رعاية الزمان والبيئة وأحوال الرجل والمرأة ، كما قال من قبل: (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم)<sup>(2)</sup> لذلك لم يقل: "بالمعروف" - معرفة - وأمر الفريقين في ذلك بالالتزام أي المشاوره فما اتفق عليه الفريقان فهو معروف يعني مطابق لحكم الشريعة المطهرة. ولما كان من الممكن أن لا يتفق الفريقان على شيءٍ بمعروفٍ بل تعاسراً فقال جل وعلا شأنه: (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى).<sup>(3)</sup>

قال الزمخشري رحمه الله عليه:

(أسكنوهنَّ) وما بعده بيانٌ لما شُرِطَ من التقوى في قوله: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)، كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات؟ فقيل: (أسكنوهنَّ). فإن قلت: "من" في (من حيث سكنتم) ما هي؟

1 - الطلاق - 6

2 - الطلاق - 6

3 - الآية نفسها

قلت: هي "من" التبعية مبعضة محذوف، معناه: أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم. أي بعض مكان سكنكم... فإن قلت فقوله: (من وجدكم)؟ قلت: هو عطف بيان لقوله: (من حيث سكنتم) وتفسير له، كأنه قيل: أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه. و"الوجد": الوسع والطاقة، وقُرى بالحركات الثلاث.<sup>1</sup>

وقال الزمخشري أيضاً: فإن قلت: فإذا كانت كلُّ مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله: (وإن كنَّ أولاتٍ حملٍ فأنفقوا عليهنَّ)؟<sup>(2)</sup> قلت: فائدته أنَّ مدة الحمل ربما طالَّت فظنَّ ظانٌّ أنَّ النفقة تسقط إذا مضى مقدارُ عدَّة الحائِل<sup>(3)</sup> فتَنفَى ذلك الوهم.<sup>(4)</sup>

وقال البقاعي: ولَمَّا غَيَّ سبحانه وجوب الإنفاق بالوَضْع وكانت تريد إرضاع ولدها، وكان اشتغالها بإرضاعه يُقَوِّت عليها كثيراً من مقاصدها ويكسرهما، خبرها بأن قالَ حاثاً على مكافأة الإخوان على الإحسان مُشيراً بأداة الشك<sup>(5)</sup> إلى أنه لا يجب عليها الإرضاع: (فإن أرضعن) وَبَيَّنَّ أنَّ النسب للرجال بقوله: (لكم) أي بأجرة بعد انقطاع عُلقة النكاح: (فأتوهنَّ أجورهنَّ) على ذلك الإرضاع.<sup>(6)</sup>

وقال البقاعي مبيناً الأسرار البلاغية في قوله تعالى:

(وأتمروا بينكم بمعروف): ولما كان ما يتعلق بالنساء من مثل ذلك موضع المشاجرة لا سيما أمر الرضاع، وكان الخطر في أمره شديداً، وكان الله قد رَجَمَ هذه الأمة بأنه يحرك لِكُلِّ متشاحِجٍ من يأمرها بخير لا سيما في أمر الولد رحمةً له قال مُشيراً إلى ذلك: (وأتمروا) أي ليأمر بعضكم بعضاً في الإرضاع والأجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم أمرَ بعض. وزادهم رغبة في ذلك بقوله: (بينكم) أي إن هذا الخير لا يعدوكم، وأكَّد ذلك بقوله: (معروف)، ونكَّره سبحانه تحقيقاً على الأمة بِالرَضَى بالمستطاع،

1 - الكشف ج 4 ص 558

2 - الطلاق - 6

3 - قوله: (الحائِل) معناه: غير الحامل (انظر التفسير "روح البيان" المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوي المولى أبو الفداء المتوفى 1127هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت.

4 - الكشف، ج 4 ص 558

5 - هذا يؤيد ما قيل: من كَوْنِ "إن" أداة شرط لا يكون مدخوله متيقن الوقوع.

6 - نظم الدرر، ج 2 ص 160

وهو يكون مع الخلق بالإنصاف ومع النفس بالخلاف ومع الحق بالاعتراف.<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى: (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى).

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

عِتَابٌ وموعظة للأب والأم بأن يُنَزَّلَ كُلُّ منهما نفسه منزلة مالواحيثليت للطفل ظئر، فلا تسأل الأم أكثر من أحر أمثالها، ولا يَشُحُّ الأب عما يبلغ أحر أمثال أم الطفل، ولا يسقط حق الأم إذا وجد الأب من يرضع له بجاناً لأن الله تعالى قال: (فسترضع له أخرى)، وإنما يقال: "أرضعت له" إذا استوجرت لذلك كما يقال: استرضع أيضاً، إذا أجز من يرضع له ولده.<sup>(2)</sup>

وقال ابن عاشور أيضاً: وسين الاستقبال في قوله تعالى: (فسترضع له أخرى) مستعمل في معنى التأكيد، كقوله تعالى: قال: (سوف أستغفر لكم ربي)<sup>(3)</sup> وهذا المعنى ناشيء عن جعل علامة الاستقبال كناية عن تجدد ذلك الفعل في أزمنة المستقبل تحقيقاً لتحقيقه، وهذا الخبر (فسترضع له أخرى) مستعمل كناية أيضاً عن أمر الأب باستحضار ظئر للطفل بقرينة تعليق "له" بقوله: (فسترضع). فاجتمع فيه ثلاث كنايات: كناية عن موعظة الأب، وكناية عن موعظة الأم، وكناية عن أمر الأب بالاسترضاع لولده.<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَشْرِ يُسْرًا)<sup>(5)</sup>

قال البقاعي:

ولما كانت المعاصرة في الغالب في ترك السماح، وكان ترك السماح من خوف الإعدام لله سبحانه على أن ذلك ليس بعذر بتقسيم الناس إلى موسع عليه وغيره، ولأن الأليق بالموسع عليه أن يُوسَّعَ ولا يُسَيء الظن برئه وقد جرب رفته، وأن المقتر عليه لا ينبغي أن يفعل فعل من يخاف أن يخلف وعده، فقال شارحاً للمياسرة: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ) أي مال واسع ولم يكلفه سبحانه جميع وسعه بل قال:

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 2 ص 161

2 - التحرير والتنوير، ج 28 ص 329

3 - يوسف - 98

4 - التحرير والتنوير، ج 28 ص 230

5 - الطلاق - 7

(من سعت) التي أوسعها الله عليه. ولما كان الإعطاء من غير تقدير ملزوماً للسعة، كان التقدير كناية عن الضيق فقال: (ومن قُدِّرَ عليه) أي ضيق وسكنت عليه حركته ورقدت عنه معيشته.<sup>(1)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى : وجملته (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) تعليلٌ لقوله تعالى: (ومن قُدِّرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) لأن مضمونَ هذه الجملة قد تقرر بين المسلمين من قبل في قوله تعالى: (لا يُكَلِّفُ الله نفساً إلا وُسْعَهَا) في سورة البقرة، وهي قبل سورة الطلاق والمقصود منه إقناع المنفق عليه بأن لا يطلب من المنفق أكثر من قدرته.<sup>(2)</sup>

والسر البلاغي في قوله تعالى: (سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً).

قال ابن عاشور رحمه الله عليه:

وجملته (سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً) تكملة للتذييل، فإن قوله: (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) يناسب مضمون جملة: (لينفق ذو سعة من سعته) وقوله: (سيجعل الله) الخ يناسب مضمون: (ومن قدر عليه رزقه) الخ، ومن بلاغة القرآن الإتيان بـ"عسرٍ" و"يسراً" تكرتين غير معرّفين باللام لئلا يتوهّم من التعريف معنى الاستغراق.<sup>(3)</sup>

ومن بلاغة القرآن الحكيم أنه كله ككلمة واحدة، جميع سورته وآياته مترابطة بعضها مع بعض ويفسر بعضه بعضه.<sup>(4)</sup>

فإن كان الله سبحانه وتعالى قال في سورة الطلاق: (....) فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن... الخ أمر الرجال المطلّقين بإعطاء أجور مطلقاتهم إن أرضعن لهم أولادهم، وبأن سبحانه وتعالى لهم مسألة مقدار أجورهنّ أبلغ بيان، فإنه سبحانه وتعالى قد بيّن مدّة إرضاعهنّ أولادهنّ مع بيان تفاصيل أخرى من حقوقهنّ الواجبة على المولود له وعلى الوارث وجميع التفاصيل المتعلقة بإرضاعهن

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 2 ص 162

2 - التحرير والتنوير، ج 15 ص 163

3 - المرجع نفسه، ص 164

4 - انظر: الكشف، ج 3 ص 124، والقرطبي، ج 13 ص 353، واللباب لابن عادل، ج 20 ص 76، وتفسير ابن كثير ج 5 ص 477 وتفسير حقي ج 14 ص 31، وزهرة التفاسير، ج 1 ص 2767

واسترضاعهم ورعاية حقوقهن وحقوقهم في سورة البقرة، فقال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)<sup>(1)</sup>

هذه الآية الكريمة فيها أسرار بلاغية كثيرة قد نبّه عليها المفسرون في تفاسيرهم ، كما سننظر إن شاء الله تعالى .

فالنكتة البلاغية الأولى في قوله تعالى: (والوالدات يُرْضِعْنَ) فهذه الجملة المباركة أسلوبها خبريٌ ومدلولها إنشائيٌ، كما قال أبو السعود رحمه الله عليه: (والوالدات يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ) شروع في بيان الأحكام المتعلقة بأولادهنَّ خصوصاً واشتراكاً، وهو أمرٌ أُخرج مُخْرَجَ الخبر مبالغةً في الحمل على تحقيق مضمونه، ومعناه التذنب أو الوجوب إنْ خُصَّ بمادة عَدَم قبول الصبيّ ثدى الغير أو فَقْدَانِ الطَّيْر أو عجزِ الوالد عن الاستحجار، والتعبير عنهنَّ بالعنوان المذكور (الوالدات دُونَ النساء أو المطلقات)<sup>(2)</sup> هُزَّ عَطْفُهُنَّ نحو أولادهنَّ، والحكم عامٌ للمطلقات وغيرهنَّ وقيل خاصٌّ إذ الكلام فيهنَّ.<sup>(3)</sup>

والنكتة الثانية في قوله تعالى: (حولين كاملين)

قال أبو الليث السمرقندي:

قوله تعالى:

(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) يعني ستين كاملتين، (لمن أراد أن يُنِمَّ الرضاعة)

يعني أن يُكْمِل الرضاعة. فإن قيل: لَمَّا ذَكَرَ الحولين، فما الحاجة إلى "الكاملين"؟ قيل له: هذا للتأكيد،

1 - البقرة - 233

2 - الباحث

3 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 230

لأنَّ بعض الحولين يُسمَّى "حولين" كما قال في آية أخرى: (الحج أشهر معلومات)،<sup>(1)</sup> وإنما هي شهران وعشرة أيام. فهذا هنا لما ذكر الحولين الكاملين، علِّم أنه أراد الحولين بغير نقصان.<sup>(2)</sup> وأيضاً تقدّم المسند إليه على الخير الفعلي في قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن) للتأكيد وتقوية الإسناد.

والنكته الثالثة في قوله تعالى: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف).

قال الزمخشري رحمه الله عليه:

(وعلى المولود له) وعلى الذي يُؤلّد له وهو الوالد. و(له) في محلّ الرفع على الفاعلية، نحو (عليهم) في (المغضوب عليهم)، فإن قلت: لم قيل: (المولود له) دون الوالد؟ قلت: ليعلّم أنّ الوالدات إنما وُلِدْنَ لهم، لأنّ الأولاد للآباء، ولذلك يُنسبون إليهم، لا إلى الأمّهات. وأنشد للمأمون الرشيد: فإنما أمّهات الناس أوعية.... مُستودعات وللآباء أبناء.

فكان عليهم أن يرزقوهنّ ويكسوهُنّ إذا أرضعن وُلدَهُنّ، كالأظفار.... (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه. وهو أن لا يُكلّف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارّ.<sup>(3)</sup>

فالتعبير باسم المفعول (المولود له)، فيه حتّ للوالد على دفع نفقة الإرضاع والكسوة لأن الولد وُلِدَ له وإليه يُنسب.

والنكته الرابعة في قوله تعالى:

(لا تُضارّ والدّة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك).<sup>(4)</sup>

قال أبو إسحاق الثعلبي:

ومعنى الآية: لا تُضارّ والدّة بولدها فيُترع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه وألفها الصبي، ولا مولود له بولده: ولا تُلقِيَه هي إلى أبيه بعد ما عرفها تُضارّه بذلك. وقيل: معناه لا تُضارّ

1 - البقرة - 197

2 - عمر العلوم، ج 1 ص 153

3 - الكشف، ج 1 ص 279

4 - البقرة - 233

والدة فيكرهها على الرضاعة إذا قِيلَ مِنْ غَيْرِهَا، وَكَرِهَتْ هِيَ إِرْضَاعَهُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهَا، وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلَدِهِ: فَيُحْمَلُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الْأُمُّ - إِذَا لَمْ يَرْضَعْ الْوَلَدُ إِلَّا مِنْهَا - أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ لَهَا عَلَيْهِ، فَهَذَا الْقَوْلَانِ عَلَى مَذْهَبِ الْفَعْلِ الْمَجْهُولِ.<sup>(1)</sup>

وفي قوله تعالى (لا تضارّ) احتمالان:

أحدهما: أَنَّ "لا" ناهية وهذا الفعل فعل النهي والجملة إنشائية - حسب ما مرّ تفسيره -.

والثاني: أَنَّ "لا" نافية، وهذا الفعل مضارع منفي والجملة خبرية.

فقال الراغب الأصفهاني:

وقوله: (لا تضارّ) حُجِّلَ الْخَيْرَ عَلَى الْأَمْرِ، <sup>(2)</sup> فَأَمَّا إِذَا حُجِّلَ عَلَى الْخَيْرِ فَهُوَ تَنْبِيهِ عَلَى مَا بَنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْغَرَائِزَ فِي حُبِّهِ الْأَبَوَيْنِ لِلْوَلَدِ وَمِيلِهِمَا إِلَيْهِ وَإِثَارِهِمَا لَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا... فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا بَنَى الطَّبَاعَ عَلَيْهِ تَنْبِيْهُهَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَلَا يَتَّبِعُهُمُ الْآخَرُ فِي وَلَدِهِ إِذْ قَدْ يَبْلُغُ مِنْ شَغَفِ كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ لَا يَأْمَنَ الْآخَرُ عَلَيْهِ.<sup>(3)</sup>

فيما مرّ من هذه الآية الكريمة بيّن القرآن الحكيم أن المرأة المطلقة إن أرضعت وَلَدَ مُطَلِّقِهَا فعليه رزقها وكسوتها، ولكن بقي السؤال أن لو مات أبو الرضيع فعلى مَنْ يكون نفقة مُرْضِعَتِهِ؟ فمن بلاغة الذكر الحكيم أنه حلّ هذه المشكلة أيضاً وأجاب عن هذا السؤال فقال: (وعلى الوارث مثل ذلك).

قال الزمخشري:

(وعلى الوارث) عطف على قوله: (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) وما بينهما تفسير للمعروف معترّض بين المعطوف والمعطوف عليه، فكان المعنى: وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه

1 - الكشف والبيان عن تفسير القرآن - تفسير الثعلبي، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى 427هـ) تحقيق:

الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة

الأولى: 1422هـ في 10 أجزاء

2 - يريد المفسر رحمه الله هنا بـ "الأمر" "النهي" (الساحب)

3 - تفسير الراغب الإصفهاني، ج 1 ص 483

من الرزق والكسوة، أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشرطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرر. وقيل: هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه.<sup>(1)</sup>

ومن بلاغة النظم القرآني وجامعية هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى لم يترك في أي جانب إخفاء من هذه المسألة ولم يترك لأحد من الأبوين سبيلاً لحفاء أحدهما على الآخر ولا على المولود، فإحدهما بعد ما اتفقا على إرضاعها ابنها قد يُريدان كلاهما أو يريد أحدهما الفصال قبل تمام حولين - وقد قال تعالى في بداية هذه الآية الكريمة (والوالدات يُرضعن أولادهنّ حولين كاملين) - فهل عليهما جناح في ذلك أم هل لهما أو لأحدهما اختيار ذلك؟

فقال تعالى: (فإن أرادا فصلاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما).<sup>(2)</sup> فقد أذن سبحانه وتعالى لهما في ذلك ولكن بشرط تراضيهما معاً وتشاورٍ بينهما، لا يرى أحدهما دون الآخر لذلك استُخدمت صيغة التثنية في قوله: (فإن أرادا فصلاً) وثبتت إرادتهما بتراضيهما وتشاورهما.

قال ابن كثير رحمه الله عليه:

أي: فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه فلا جناح عليهما في ذلك فيؤخذ منه أن إنفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحدٍ منهما أن يستبدّ بذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره، وهذا فيه احتياط للطفل والزام للنظر في أمره وهو من رحمة الله بعباده.<sup>(3)</sup>

وأشار أبو السعود رحمه الله عليه إلى نكاتٍ بلاغية في هذا الجزء من الآية الكريمة:

الأولى: في تنكير "فصلاً" قال:

(فصلاً) أي: فطاماً عن الرضاع قبل تمام الحولين، والتنكير للإيذان بأنه فصلاً غير معتادٍ.

1 - الكشف، ج 1 ص 280

2 - البقرة - 233

3 - تفسير ابن كثير، ج 1 ص 635

الثانية: في تنكير (تَشَاوُرٍ) قال: (وتَشَاوُرٍ) في شأن الولد وتفحص عن أحواله وإجماع منهما على استحقاقه للقطام... وتنكيرها (أي تنكير "نراضٍ" و"تشاور")<sup>(1)</sup> للتفخيم.<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعَ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)<sup>(3)</sup> في هذا الجزء من الآية الكريمة أيضاً نكات بلاغية.

الأولى: في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعَ أَوْلَادَكُمْ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ.... الآية

قال أبو السعود:

بيان لحكم عدم اتفاقهما على القطام، والالتفات إلى خطاب الآباء لهُزِّهِمْ إلى الامتثال بما أُمروا به. (أن تسترضعوا أولادكم) بحذف المفعول الأول استغناء عنه،..... (إِذَا سَلَّمْتُمْ) أي: إلى المراضع (ما آتَيْتُمْ) أي: ما أردتم إيتاءه... (بِالْمَعْرُوفِ) متعلق بـ(سَلَّمْتُمْ) أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً (واتقوا الله) في شأن مراعاة الأحكام المذكورة. (واعلموا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم بذلك، وإظهار الاسم في موضع الإضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى.<sup>(4)</sup>

(قد تَمَّ بفضل الله وتوفيقه الفصل الأول من الباب الثاني ويليه الفصل الثاني منه إن شاء الله تعالى).

1 - الباحثة

2 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج 1 ص 231

3 - البقرة - 233

4 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 231.

## الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام المعاملات المالية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام البيع والشراء.

المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الدين والنهي عن الربا.

المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الدين في أطول آية منه.

## المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام البيع والشراء

كما دُرِسَ و بُحِثَ في الفصل الأول من هذا الباب عن الأسرار البلاغية للنظم الحكيم في بيان الحقوق المالية كذلك الآن سَيُدرَسُ ويُبَحِثُ إن شاء الله تعالى عن بلاغة القرآن الحكيم في الآيات التي يبيِّن القرآن الحكيم فيها الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

### الآية الأولى في بيان أحكام المعاملات :

قال الله جل شأنه: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(1)</sup>

قال ابن عاشور رحمه الله عليه في تفسير هذه الآية:

تحذير من المرأة على مخالفة حكم الصيام بالإفطار غير المأذون فيه وهو ضرب من الأكل فُعْطِفَ عليه أكلٌ آخرٌ محرَّمٌ وهو أكل المال بالباطل، والمشكلة زادت المناسبة قوة. وهذا من جملة عداد الأحكام المشروعة لإصلاح ما احتلَّ من أحوالهم في الجاهلية، ولذلك عُطِفَ على نظائره، وهو مع ذلك أصل تشريع عظيم للأموال في الإسلام.<sup>(2)</sup>

### الاستعارة في قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل):

قال ابن عاشور: والأكل حقيقة إدخال الطعام إلى المعدة من الفم وهو هنا استعارة للأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع، لأن ذلك الأخذ يُشبه الأكل من جميع جهاته... وليس الأكل هنا استعارة تمثيلية إذ لا مناسبة بين هيئة أخذ مال غيره لنفسه بقصد عدم إرجاعه وهيئة الأكل كما لا يخفى.<sup>(3)</sup>

وقوله تعالى: (وتدلو بها إلى الحكام)

قال البغوي رحمه الله تعالى:

أي: تُلْقُوا أُمُورَ تِلْكَ الْأَمْوَالِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَرْبَابِهَا إِلَى الْحُكَّامِ، وَأَصْلُ الْإِذْلَاءِ إِرسَالُ الدَّلْوِ،

1 - البقرة - 188

2 - التحرير والتنوير، ج 2 ص 187

3 - المرجع نفسه

وَالْقَاوَةُ فِي الْبَيْتِ، يُقَالُ: أَذْلَى دَلْوُهُ إِذَا أَرْسَلَهُ، وَدَلَاةٌ يَدْلُوهُ إِذَا أَخْرَجَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَيَحْجِدُ الْمَالَ، وَيُخَاصِمُ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ أَثِمَ بِمَنْعِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَا تُخَاصِمُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ أَنْ يُقِيمَ شَهَادَةً الزُّورَ.<sup>1</sup>

السَّرُّ فِي إِضَافَةِ الْأَمْوَالِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ:

قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ):

قال ابن عطية:

الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فأضيفت الأموال إلى ضمير المنهيين لما كان كل واحدٍ منهيًا عنه.

وكما قال تعالى: (...تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ...) (2) ويدخل في هذه الآية القمار والخداع والغصب ووجد الحقائق وغير ذلك. (3)

وقوله تعالى: "...وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (4)

قال ابن عطية: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي: أنكم مبطلون آثمون، وهذه مبالغة في المعصية والجرأة. (5)  
فهذا من بلاغة الذكر الحكيم أنه سبحانه وتعالى نهي صريحاً عن أكل أموال الناس بالطرق الباطلة وخص منها التحاكم إلى الحكام بالقضايا الباطلة التي يكون القصد منها أخذ أموال الناس بالقضاء بالباطل سواء كان باطلاً ظاهراً أو باطلاً بإرشاء الحكام لطلب القضاء غير الحق، أو فقط باطلاً بإقامة شهادة الزور أو الحلف على الزور.

1 - تفسير الموي - إحياء التراث (1/ 234)

2 - القرية - 85

3 - تفسير ابن عطية، ج 1 ص 260

4 - القرية - 188

5 - تفسير ابن عطية، ج 1 ص 260

وإظهاراً لشناعته قال سبحانه وتعالى: (... لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم) وزيادة في تشنيعه

وتقبيحه وتوبيخاً لمرتكبيه وتبكيته لهم قال: (وأنتم تعلمون)

كما قال الزمخشري رحمه الله عليه:

وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبها أحق بالتوبيخ.<sup>(1)</sup>

الآية الثانية في بيان أحكام المعاملات :

وقال تعالى ناهياً عن طرق مبادلة المال الباطلة وأخذ الأموال بغير حق ومبيناً للطريقة المشروعة

لمبادلة المال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ

مِنْكُمْ....)<sup>(2)</sup>

قال الزمخشري رحمه الله عليه:

(بالباطل) بما لم يُبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (إلا أن

تكون تجارة) إلا أن تقع تجارة... (عن تراضٍ منكم) معناه: ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم...

وخصّ التجارة بالذكر، لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها. والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدوا عليه في

حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وعند الشافعي رحمه الله تعالى

تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين.<sup>(3)</sup>

السرّ في استخدام "إلا" مكان "لكن" :

وذكر البقاعي رحمه الله تعالى هنا سرّاً بلاغياً لاستخدام أداة الاستثناء "إلا" مكان "لكن" في

قوله تعالى: (إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم)<sup>(4)</sup>

قال: ولعل الإتيان بأداة الاستثناء المتصل - والمعنى على المنقطع - للإشارة إلى أن تصرفات

الدنيا كلّها جديرة بأن يجري عليها اسم "الباطل" ولو لم يكن إلا معنيّاً بها، ترهيداً فيها وصدّاعاً

1 - الكشف، ج 1 ص 233

2 - النساء - 29

3 - الكشف، ج 1 ص 502

4 - النساء: 29

الاستكثار منها، وترغيباً فيما يدوم نفعه ببقائه، وهكذا كل استثناء منقطع في القرآن، مَنْ تأمله حقَّ التأمل وَجَدَ للعدول عن الحرف الموضوع له - وهو "لكن" - إلى صورة الاستثناء حكمة بالغة - والله الموفق. (1)

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى:

وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يُجَلُّ تناول مال الغير، لأنها أغلب وأرقق لِذَوِي المروءات، ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً. (2)

وأشار أبو السعود رحمه الله تعالى إلى سِرِّ بلاغيٍّ لتصدير الآية بالنداء، قال:... وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه، والمراد بالباطل ما يخالف الشرع... أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعي. (3)

وذكر أحمد بن مصطفى المراغي رحمه الله تعالى فوائد ونكاتٍ من بلاغة الذكر الحكيم في هذه الآية المباركة لم يعثر عليها الباحث في أي تفسيرٍ آخر - رغم البحث في كتب كثيرة من التفاسير، يودُّ الباحث إفادة القارئ بها.

قال المراغي:

الباطل من البطل والبطلان وهو الضياع والخسار، وفي الشرع أخذ المال بدون عوض حقيقي يُعْتَدُّ به، ولا رِضاً ممن يُؤخذ منه، أو إنفاقه في غير وجهٍ حقيقيٍّ نافعٍ فيدخل في ذلك الغصب والغش والخِدَاع والربا والغبن وإنفاق المال في الوجوه المحرَّمة والإسراف بِوَضْعِ المال فيما لا يرضى به العقلاء. (4)

وقال في بيان سِرِّ قوله تعالى (بينكم) وكذلك سِرِّ إضافة الأموال إلى ضمير المخاطبين: في قوله: (بينكم):

رمز إلى أنَّ المال المحرم يكون عادة موضع النزاع في التعامل بين الأكل والمأكول منه، كُلُّ

1 - نظم الدرر، ج 5 ص 259

2 - تفسير البيضاوي، ج 2 ص 70

3 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 170

4 - تفسير المراغي، ج 5 ص 16

منهما يريد جذبه إليه... وأضاف الأموال إلى الجميع ولم يقل:

(لا يأكل بعضكم مال بعض)، تنبيهاً إلى تكافل الأمة في الحقوق والمصالح، كأنَّ مال كُلٍّ واحدٍ منها مالُ الأمة جميعها، فإذا استباح أحدهم أن يأكل ماله، فالحياة قصاص، وإرشادٌ إلى أنَّ صاحب المال يجب عليه بذل شيء منه للمحتاج وعدم البخل عليه به، إذ هو كأنما أعطاه شيئاً من ماله.<sup>(1)</sup>

بلاغة الجمع بين الأموال والأنفس في النهي عن الجناية عليهما :

ومن بلاغة الذكر الحكيم في هذه الآية الكريمة الجمع بين الأموال والأنفس في النهي عن أكل الأموال بالباطل وقتل الأنفس بنفس الأسلوب. فكما قال سبحانه وتعالى:

(لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) عطف عليه قوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) وجاءت فاصلة الآية قوله جل وعلا شأنه: (إن الله كان بكم رحيماً)، فأسلوب الوصل بين النهيين، وهذه الفاصلة التي صُدرت بـ"إنَّ" التي تدل على تعليل ما بعدها لما قبلها في مثل هذه الموضع في القرآن الحكيم. هذا الأسلوب كله يدل على أهمية الأمور المتعلقة بالمال من الحقوق والمعاملات،

قال البقاعي رحمه الله تعالى: في بيان بلاغة هذا الوصل: ولما كان المال عدل الروح ونهى عن إتلافه بالباطل، نهي عن إتلاف النفس، لكون أكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الأموال وما كان بسببها وتسببها على أن من أكل ماله ثارت نفسه فأدَّى ذلك إلى الفتن التي ربما كان آخرها القتل، فكان النهي عن ذلك أنسب شيء لما بُيِّنَ عليه السورة من التعاطف والتواصل. فقال تعالى:

(ولا تقتلوا أنفسكم) أي: حقيقة بأن يباشر الإنسان قتل نفسه، أو مجازاً بأن يقتل بعضكم بعضاً... ثم علَّله بما يُلين أقدسى الناس. فقال: (إنَّ الله كان بكم رحيماً) أي بليغ الرحمة... فأبلغ سبحانه الترغيب في الامتثال،<sup>(2)</sup>

وقال المراغي:

(إن الله كان بكم رحيماً) أي إنه بنهيكم عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتلكم أنفسكم، كان رحيماً بكم، إذ حفظ دماءكم كما حفظ أموالكم التي عليها قوام المصالح واستمرار المنافع، وعلمكم أن

1 - تفسير المراغي، ج 5 ص 17

2 - نظم الدرر، ج 5 ص 260

تتراحوا وتتواذوا ويكون كُلُّ منكم عَوْنًا لِلآخَرِ بِمَا يَحْفَظُ عَلَى مَالِهِ وَيُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا جَدَّ الْجَدُّ وَدَعَبَ الْحَاجَةُ إِلَى الدِّفَاعِ عَنْهُ. (1)

### الآية الثالثة في بيان أحكام المعاملات :

من بلاغة القرآن الحكيم أنه تبيان لكل شيء ويتعلق به فوز الإنسان وفلاحه في الدارين فتتعلق آياته وتكامل موضوعاته ويُفسر بعضه بعضه، فقد رأينا أن الله سبحانه وتعالى نهي المؤمنين في الآية التي مرَّ البحث عليها (آية رقم 29 من سورة النساء) عن أكل أموال الناس بالباطل وأحلَّ لهم التجارة عن تراضٍ منهم، ولكن لما كان ذوو القلوب المرضى ينجب المال يأكلون أموال الناس في صورة التجارة التي تكون - في الظاهر - عن تراضٍ المتعاقدين بالنقص والبخس بعدم إيفاء الكيل والوزن، فأمرهم بالوزن بالقسط المستقيم ونهاهم عن بخسهم الناس أشياءهم وبين لهم أنه وَضَعَ الميزان لئلا يَطغى الناس في الميزان،

فقال تعالى في سورة الأنعام:

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (2)

### بلاغة السياق:

فمن بلاغة السياق أن الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالقسط - في هذه الآية الكريمة - قد جاء في سياق الأوامر والنواهي المهمة غاية الأهمية، حيث إنه عزَّ وجلَّ بدأ بإعلانٍ وتبيينٍ شديدٍ حيث قال لنبيه الكريم عليه أفضل الصلوات وأكرم التحيات والتسليم: (قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ) (3)

قال أبو زيد الثعالبي رحمه الله عليه في بيان أهمية ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر

والنواهي:

1 - تفسير المراغي، ج 5 ص 19

2 - الأنعام - 152

3 - الأنعام - 151

هذا أمرٌ من الله عزوجل لنبيه عليه السلام أن يدعُو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم بشرع الإسلام المبعوث إلى الأسود والاحمر. (1)

وذكر روايتين عن الصحابين الجليلين كعب الأحبار وابن عباس رضي الله عنهما، قال:  
وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: هذه الآية هي مُفَتِّحُ التَّوْرَةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قل  
تعالوا أتل ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ - إلى آخر الآيات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الآيات هي  
المحكمات المذكورة في آل عمران، اجتمعت عليها شرائع الخلق، ولم تُنسخ قط في مِلَّة، وقد قيل: إنها  
العشر الكلمات المنزلة على موسى عليه السلام. (2)  
وقال الطبري:

قوله: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)  
قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: (وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ  
أَشُدَّهُ)

ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتشميره، كما قال حدثني الثني قال: حدثنا الحماني قال حدثنا  
شريك عن ليث عن مجاهد: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) قال: التجارة. (3)  
وبما يمكن أن يلاحظ هنا أنَّ في قوله تعالى (إلا بالتي هي أحسن) إيجازاً بحذف الموصوف وإقامة  
الصفة مقامه، أي بالطريقة التي هي أحسن. وفي الحذف تعميم عن طريق تقدير المحذوف، وفيه إشارة إلى  
أهمية الصفة ومكانتها وبلوغها الغاية في معناها.  
وقال الزمخشري رحمه الله تعالى في بيان مناسبة ومطابقة قوله تعالى: (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)  
لمقتضى المقام وإظهار سِرِّه البلاغي:

...إلا ما يسعها ولا تعجز عنه. وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك، لأنَّ مراعاة الحد من

1 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 2 ص 529

2 - المرجع نفسه.

3 - جامع البيان في تأويل القرآن، ج 12 ص 221

القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج، فأمر ببلوغ الوُسْع وأن ما وراءه

معفو<sup>(1)</sup>.

وبهذا القول قال النسفي<sup>(2)</sup> وابن عطية<sup>(3)</sup> والبيضاوي<sup>(4)</sup>.

وزادنا فخرالدين الرازي رحمه الله تعالى فائدة بلاغية أخرى وهو السرُّ في قوله تعالى: (بالقسط)

بعد قوله تعالى: (وأوفوا الكيل والميزان)، قال:

إعلم أن كلَّ شيءٍ بَلَغَ تمامَ الكمالِ فقد وَفَى وَتَمَّ ، يُقال: "درهمٌ وافيٌ" و"كيلٌ وافيٌ"

و"أوفيته حَقَّهُ ووَقَّيْتُهُ" إذا أتمَّته، و"أوفى الكيل" إذا أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً. وقوله: والميزان أي الوزن

بالميزان، وقوله: (بالقسط) أي: بالعدل لا بخس ولا نقصان. فإن قيل: إيفاء الكيل والميزان هو عَيْنُ

القسط فما الفائدة في هذا التكرير؟ قلنا: أمر الله المعطي بإيفاء ذي الحق حَقَّهُ من غير نقصانٍ، وأمر

صاحب الحق بأخذ حَقَّهُ من غير طلب الزيادة.<sup>(5)</sup>

وزاد الفخر الرازي قائلاً:

واعلم أنه لما كان يجوز أن يتوهم الإنسان أنه يجب على التحقيق وذلك صعب شديد في العدل

أتبعه الله تعالى بما يُزيل هذا التشديد. فقال: (لا تُكَلِّفُ نفساً إلا وسعها).<sup>(6)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: (لا نكلف نفساً إلا وسعها) ظاهرٌ تعقيب

جملة (وأوفوا الكيل....) بجملة (لا نكلف نفساً إلا وسعها) أنها متعلقة بالتي وليتها فتكون احتراضاً...

والمقصود من هذا الاحتراض أن لا يترك الناس التعامل بينهم خشية الغلط أو الغفلة فيفضي ذلك إلى

تعطيل منافع جمّة.<sup>(7)</sup>

وزادنا وزودنا ابن عاشور رحمه الله تعالى نكتة بلاغية أخرى.

1 - الكشف، ج 2 ص 79

2 - تفسير النسفي، ج 1 ص 548

3 - تفسير ابن عطية، ج 2 ص 363

4 - تفسير البيضاوي، ج 2 ص 189

5 - مفاتيح الغيب، ج 13 ص 180

6 - المرجع نفسه

7 - التحرير والتنوير، ج 18 - ص 165

قال: وقد عُذِلَ في هذا الاحتراس عن طريق الغيبة الذي بُيِّنَ عليه المقول ابتداءً في قوله: (ما حَرَّمَ ربكم عليكم)<sup>(1)</sup> لِمَا في هذا الاحتراس من الامتنان، فتَوَلَّى الله خطاب الناس فيه بطريق التكلم مباشرة زيادة في المِنَّة، وتصديقاً للمبْلَغ.<sup>(2)</sup>

وذكر احتمالاً آخر ربما لم يلتفت إليه غيره من المفسرين قال: ويجوز أن تكون جملة: (لا تكلف نفساً إلا وسعها) تذيلاً للجمل التي قبلها، نسجياً عليهم بأنَّ جميع ما دُعُوا إليه هو في طاقتهم ومُكِنَّتِهِمْ.<sup>(3)</sup>

بلاغة فواصل الآي الثلاث: (رقم: 151، 152، 153) من سورة الأنعام).

ومن بلاغة السياق والسباق الذي ورد فيه الأمر بإيفاء الكيل والوزن فواصل هذه الآي الثلاث (ذلك وصّاكم به لعلكم تعقلون) و(ذلك وصّاكم به لعلكم تذكرون) و(ذلك وصّاكم به لعلكم تتقون).

قال الفخر الرازي في بيان حكمة الاختلاف في فواصل هذه الآيات المباركات:

ولما ذكر تعالى هذه الأقسام قال: (ذلك وصّاكم به لعلكم تذكرون). فإن قيل: فما السبب في

أن يجعل خاتمة الأولى بقوله: (لعلكم تعقلون)<sup>(4)</sup> وخاتمة هذه الآية بقوله: (لعلكم تذكرون)<sup>(1)</sup>؟

1 - الأنعام - 151

2 - المرجع نفسه، ص 166

3 - المرجع نفسه. والفرق بين التذييل والاحتراس: قال الزركشي رحمه الله تعالى: "الاحتراس": هو أن يكون الكلام محتجباً لشيء، بعينه فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال، كقوله تعالى: (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) (القصص-32) فاحتسب سبحانه بقوله: (من غير سوء) عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبصر، وقوله تعالى: (إِذْ أَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) (المائدة-54) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالدُّلَّة وهو السهولة لثُوِّهَتْ أن ذلك لضعفهم، فلما قيل: (أعزة على الكافرين) عَلِمَ أنَّها منهم تواضع، ولهذا عُدِّي الدُّلُّ بعلى لتضمينه معنى العطف. (البرهان في علوم القرآن للزركشي ج 3 ص 63-64) المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمّد الزركشي، المتوفى 794 هـ. المحقق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى 1376 هـ. 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني الحلبي وشركاؤه، ثم صُوِّرَتْ دار المعرفة بيروت لبنان. والتذييل، قال الزركشي رحمه الله تعالى: "التذييل" مصدر "ذَيَّلَ" وهي لغة جعل الشيء ذليلاً للآخر. واصطلاحاً أن يُؤتى بعد تمام الكلام بكلام مُسْتَقْبَلٍ في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليطهر المعنى عند مَنْ لا يفهم، ويكتمل عند من فهمه، كقوله تعالى: (ذلك جزيناهم بما كفروا) (سبا - 17)، ثم قال عَزَّسَ قائل: (وهل يُجَازِي إلا الكفور) (الآية نفسها) أي هل يُجَازِي ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور، إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة. (البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 68-69).

4 - الأنعام - 151

قلنا: لأنَّ التكاليف الخمسة المذكورة في الأول أمورٌ ظاهرة جليَّة فوجبَ تعقُّلُها وتفهُّمُها، وأما التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية فأمورٌ خفيَّة غامضة لا بُدَّ فيها من الاجتهاد والفكر حتى يقف على موضع الاعتدال فلهذا السبب قال: (لعلَّكم تذكرون)<sup>(2)</sup>

وكلُّ ما مرَّ من الأسرار البلاغية في سياق هذه الآية والأمر بإيفاء الكيل والوزن والأسرار البلاغية في أسلوبها، المستفاد منها جميعاً يدل على أهمية هذا الأمر عند ربنا الرحمن الذي يريد من عباده أن يقوموا بالقسط في جميع شؤون حياتهم، كما أخبرنا سبحانه وتعالى أنه هو الغرض والمهدف الأكبر الذي من أجله أرسل رُسله وأنزل كتبه عليهم، كما قال تعالى:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ).<sup>(3)</sup>

ولذلك نجد أنه قد تكرر الأمر بإيفاء الكيل والوزن في القرآن الحكيم أكثر من مرَّة، كما قال تعالى في سورة الإسراء:

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).<sup>(4)</sup>

فمن بلاغة السياق الذي ورد فيه الأمر هنا بإيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم أنه قد ورد في سياق الأوامر والنواهي التي ابتدأت بقوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)<sup>5</sup> وانتهت بقوله تعالى (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة)<sup>6</sup> وكما أنه جل وعلا شأنه قبل هذه الأوامر والنواهي قال: (لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً)<sup>7</sup>، قال في نهايتها: (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)<sup>8</sup>. ولعل هذا مما يسميه البلاغيون "التصدير" أو "رد العجز على الصدر".

1 - الأنعام - 152

2 - التفسير الكبير، ج 13 ص 181

3 - الحديد - 25

4 - الإسراء - 35

5 - الإسراء - 23

6 - الإسراء - 39

7 - الإسراء - 22

8 - الإسراء - 39

فهذا السياق الذي - ورد فيه الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم - في غاية الجلالة والبلاغة.

قال ابن عطية: وقوله تعالى:

(وأوفوا الكيل...) الآية، أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التجار والكيل والوزن أن يعطوا الحق

في كيلهم ووزنهم. ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقف في السوق ويقول:

يا معشر الموالى إنكم ولّيتُم أمرين، بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال وهذا الميزان.<sup>1</sup>

و"القسطاس": قال الحسن: هو القبان، ويقال: القفان، وهو القلسطون، ويقال: القرسطون، وقيل:

"القسطاس": الميزان صغيراً كان أو كبيراً.

وقال مجاهد: "القسطاس": العدل، وكان يقول: هي لغة روميّة، فكأن الناس قيل لهم: زنوا

بمعدلة في وزنكم".<sup>(2)</sup>

وذكر ابن عطية "رأي مجاهد رحمه الله تعالى، عن القاضي أبي محمد، قال: قال القاضي أبو

محمد: وكان مذهب مجاهد في هذا وفي ميزان القيامة وكل ذلك أنها استعارات للعدل.<sup>(3)</sup>

وأفادنا أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى بنكتة بلاغية في قوله تعالى: (إذا كيلتم)،

قال: والتقييد بقوله: (إذا كيلتم) أي وقت كيلكم على سبيل التأكيد، وأن لا يتأخر الإيفاء بأن

يكيل به بنقصانٍ ما ثم يؤقّيه بعد فلا يتأخّر الإيفاء عن وقت الكيل.<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى: (ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً)<sup>(5)</sup>

قال أبو حيان: (ذلك خيرٌ أي: (الإيفاء والوزن) لأنّ فيه تطيب النفوس بالانقسام بالعدل

والإيصال للحق، وأحسن تأويلاً أي عاقبة، إذ لا يبقى على الموقف والوازن تبعه، لا في الدنيا ولا في

1 - أخرج هذه الرواية الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه ج 2 ص 512 (في باب ماحاء في المكيال والميزان).

2 - تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 3 ص 455)

3 - المرجع نفسه.

4 - البحر المحیط، ج 7 ص 47

5 - الإسراء - 34

الآخرة، وهو من المآل وهو المرجع.<sup>(1)</sup>

سِرُّ وَصَفِ الْقِسْطِ بِ(المستقيم) :

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

وزاد في تأكيد معناه، فقال تعالى: (المستقيم) دون شيء من الخيف.<sup>2</sup>

ولكن قال أبو السعود:

ولعلَّ الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أنَّ عند استقامته لا يُتَصَوَّرُ الجورُ غالباً بخلاف الكيل فإنه كثيراً ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أنَّ الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أنَّ إيفاءه لا يُتَصَوَّرُ بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً في قوله تعالى: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط)<sup>(3)</sup>

وهذا - كما مرَّ - من بلاغة الذكر الحكيم أنَّ بعضه يُفسر بعضه، ومضامينه الواردة في آيات عديدة وفي مواضع مختلفة يتكامل بعضها مع بعض. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فائدة بلاغية أخرى في تقييد قوله تعالى: (وأوفوا الكيل) بـ"إذا" الظرفية الشرطية:

كما تقدم ما أشار أبو حيان رحمه الله تعالى إلى فائدة هذا القيد بقوله:

(إِذَا كَلْتُمْ) أَي: وَقَدْ كَيْلْتُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ، وَأَنَّ لَا يَتَأَخَّرُ الْإِيفَاءُ بِأَنْ يَكِيلَ بِهِ يُنْقِصَانِ مَا تُمُّ يُوَفِّيهِ بَعْدُ فَلَا يَتَأَخَّرُ الْإِيفَاءُ عَنْ وَقْتِ الْكَيْلِ.<sup>4</sup>

ولكن ابن عاشور رحمه الله تعالى قد أشار إلى نكتة بلاغية أخرى لهذا التقييد، قال:

وزيادة الظرف في هذه الآية وهو (إذا كَلْتُمْ) دون ذكر نظيره في آية الأنعام.<sup>(5)</sup> لما في "إذا" من

معنى الشرطية فتقتضى بَحْثَ ما تَضَمَّنَهُ الأمر في جميع أزمنة حُصُولِ مضمون شرط "إذا" الظرفية الشرطية

1 - المرجع نفسه (البحر المحيط، ج 7 ص 47) المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أمير الدين الأندلسي

لتوفي 745هـ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة 1420هـ

2 - نظم الدرر ج 11 ص 412

3 - الأنعام - 152، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 5 ص 171

4 - البحر المحيط في التفسير (7/ 47)

5 - فإن في آية الأنعام قال تعالى: (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) - ولم يقل هناك: (إذا كَلْتُمْ) (الأنعام - 152)

للتنبية على عدم التسامح في شيء من نقص الكيل عند كل مباشرة له، ذلك أن هذا خطاب للمسلمين بخلاف آية الأنعام فإن مضمونها تعريض بالمشركون في سوء شرائعهم وكانت هنا أجدد بالمبالغة في التشريع.<sup>(1)</sup>

وقال ابن عاشور، بل معظم المفسرين قالوا نحوه:

و"القسطاس": بضَمّ القاف في قراءة الجمهور، وقراه بالكسر حفص وحمزة والكسائي وخلف رحمهم الله تعالى أجمعين رحمة واسعة، وهما لغتان فيه وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل، قيل: هو مُعَرَّبٌ من الرومية مُرَكَّبٌ من كلمتين: "قسط": أي عدل، و"طاس" وهو كفة الميزان، وفي "صحيح البخاري": وقال مجاهد: "القسطاس": العدل بالرومية. ولعل كلمة "قسط" اختصار لـ "قسطاس" لأن غالب الكلمات الرومية تنتهي بحرف السين.<sup>(2)</sup>

الحكمة والبلاغة في تكرّر الأمر بإيفاء الكيل والوزن في القرآن الحكيم:

قد ورد الأمر بإيفاء الكيل والوزن والنهي عن البخس في مواضع شتى من القرآن الحكيم، وإن هذا التكرار لا يخلو من حكمة بالغة، وقد كتب العلماء كثيراً عن حكمة التكرار في القرآن الحكيم في كتب علوم القرآن، منها ما أفادنا به الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله عليه في كتابه "الفوز الكبير في أصول التفسير":

فإنه رحمه الله تعالى - اهتماماً بهذه المسألة - طرح السؤال التالي:

لو سُئِلنا: لماذا تكررّت مطالب العلوم الخمسة ومباحثها في القرآن العظيم، ولم يُكْتَفَ ببيانها في موضع واحد؟

ثم أجاب عنه جواباً مفصلاً، قال:

قلنا: إن ما نريد أن نعرضه على السامع ونفهمه ينقسم عادة إلى قسمين:

1 - التحرير والتنوير، ج 15 ص 98

2 - المرجع نفسه (وانظر: صحيح البخاري، ج 19 ص 28، المطبوع 1422 هـ في دار طوق النجاة)

الأول: هو ما لا يكون القصد منه إلا تعليم ما لم يعلم السامع وتلقينه فيكون المخاطب - مثلاً - لا يدري حكماً من الأحكام ولم يدركه عقله وفكره، فأنت تفيده ذلك الحكم، فيصبح المجهول عنده باستماع كلامك معلوماً ويعرف ما تريد.

الثاني: أن يكون الغرض هو استحضار صورة العلم في قوته المدركة حتى يجد لها لذة موفورة، وتفتي جميع قواه القلبية والعقلية في ذلك المعلوم، وتنصب به جميع قواه الفكرية والعملية، كما نكرر بيتاً من الشعر علمنا معناه ومحتواه سلفاً ولكننا رغم ذلك نكرر ونجد كل مرة في إنشاده لذة جديدة ونحب ترداداً وتكراره لأجل هذه اللذة الذوقية.<sup>(1)</sup>

فلذلك نكرر الأمر بإيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم في القرآن الحكيم ولكن في سياقات وأساليب مختلفة كما مرّت منها آيتان - الأولى في سورة الأنعام، والثانية في سورة الإسراء - ومرّ البحث عليهما وبيان الفرق بين سياقاتهما، ومنها قوله تعالى: على لسان نبي الله سيدنا شعيب عليه السلام في خطابه لقومه أصحاب الأيكة:

(أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ \* وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ \* وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ).<sup>(2)</sup>

فها هنا ورد هذا المضمون في صورة قصة من قصص الأنبياء السابقين عليهم السلام - الذين بين القرآن الحكيم قصصهم عبرة للأمم المحمدية على صاحبها آلاف آلاف سلام وتحية - كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ خَدِيشًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).<sup>(3)</sup>

فإن كان القرآن الحكيم قد أمر المؤمنين من هذه الأمة بإيفاء الكيل والميزان في آية سورة الأنعام

1 - الفوز الكبير في أصول التفسير (الفصل الثالث في ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف ب"ولي

الله الدهلوي" المتوفي 1176هـ، ص 159، عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، الناشر: دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الثانية

- 1407هـ - 1986م.

2 - التنوير - 181-184

3 - يوسف - 111

مباشرة، فهنا ذكر لهم هذا الأمر في صورة قصة لإحدى الأمم الماضية أن نبيهم عليه السلام أيضاً أمرهم ونهاهم بما أمركم ونهاكم نبيكم الكريم عليه الصلاة والتسليم فعصوا نبيهم فهلكوا فإياكم وأن تعصوا نبيكم صلى الله عليه وسلم فتكون عاقبتكم كعاقبتهم.

وأما بلاغة الأسلوب في هذه الآية الكريمة:

فإنه أولاً أمرهم بإيفاء الكيل، وأكد ذلك بالنهي من الإحسار، ثم عطف عليه الأمر بالوزن بالقسطاس المستقيم، ثم أكد المضمون السابق كله بقوله:

(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) - على طريقة التعميم بعد التخصيص، في النهي كليهما بعد كلا الأمرين -، حيث إنه عندما أمرهم بإيفاء الكيل - وهذا أمر خاص يختص بالكيل - نهاهم عن الإحسار بأيما شكل وأيما طريقة وفي أيما شيء، ولأيما إنسان كان - بحذف مفعولي الإحسار - نهاهم مطلقاً عن الإحسار بأبلغ وأجمع وأشمل أسلوب بقوله: (ولا تكونوا من المخسرين) وبعد أمره بإيأهم بالوزن بالقسطاس المستقيم، أيضاً مرة أخرى نهاهم نهياً عاماً جامعاً شاملاً، قال:

(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي بأيما طريقة من البخس سواء كان.

بعد إيفاء الكيل أو الوزن بالميزان غير المستقيم، أو بأيما طريقة أخرى من الغش والبخس، ثم عطف عليه قوله:

(ولا تعثوا في الأرض مفسدين) تعريضاً بهم بأنهم بمخالفتهم لهذه الأوامر والنواهي مفسدون نظام المجتمع كله، والإفساد في الأرض سبب لهلاكهم ودمارهم أنفسهم والمجتمع كله، ثم أمرهم بملاك الأمر كله وما هو المقنضى للامثال بأوامر الله والانتهاه من نواهيه، أنه المحسن الديان الذي خلقهم وآبأهم الأولين فعليهم أن يتقوه ولا يعصوه، فقال: (واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولين).<sup>(1)</sup>

فهذا أسلوب في غاية البلاغة جامع بين الإيجاز والإطناب معاً في نفس العبارة - كما شُرِحت مواضع الإيجاز والإطناب في تحليل الآية الكريمة - والله أعلم. شيء من التحليل اللغوي في الآية الكريمة:

قوله تعالى: (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)<sup>(1)</sup>

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله تعالى:

و"البخس": الظلم، تَبَخَسُ أَخَاكَ حَقَّهُ فتنقصه كما ينقص الكَيْل مكياله فينقصه. وقوله

عز وجل: (يَتَمَنَّي بَخْسٍ)<sup>(2)</sup> أي ناقص. وقوله عز وجل: (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوا.<sup>(3)</sup>

وقال الخطابي رحمه الله تعالى:

أصل البخس النقصان قال الله تعالى: "وَشَرَّوه بَشْمَنٍ بَخْسٍ"<sup>(4)</sup> وإنما أريد به المكس وما يأخذه

الوُلاة باسم العُشر ويتأولون فيه معنى الزكاة والصدقات وهو مكس وظلم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة صاحب مكس<sup>(5)</sup>

قال الشاعر:

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ماباغ امرؤ بخص درهم<sup>(6)</sup>

ويروى: "مكس درهم" وأصل المكس النقصان، يُقال:

مكسني حقي وبخسني، ومنه أخذ المكاس في البيع، وهو أن يستوضعه المشتري شيئاً من

التمن.<sup>(7)</sup>

إذاً، فقد أفادنا الخطابي رحمه الله في فهم الآية الكريمة وإدراك بلاغتها - من حيث كونها جامعة

لمعانٍ جمة وأغراض شتى تتعلق بأحكام البيع - وأطلعنا بعيب آخر من العيوب التي كانت في قوم شعيب

1 - الشعراء - 181

2 - يوسف 20

3 - كتاب العين، ج 4 ص 203

4 - يوسف - 20

5 - أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما. برواية عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه. (مسند أحمد ج 28 ص 526 وسنن أبي داود ج 3 ص 132)

6 - الشاعر هو جابر بن حقي التغلبي. (ينظر لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 168) وهو جابر بن حقي بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غم بن تغلب بن وائل. شاعر جاهلي قديم، كان صديقاً لامرئ القيس، وهذا البيت بيت رقم 17 من قصيدته التي تبدأ بقوله:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْحَدِيدِ الْمُسَرَّمِ وَلِلْجَلَمِ، بَعْدَ الرَّزْلِ، الْمُسَوَّمِ

7 - غريب الحديث للخطابي، ج 1 ص 219، (المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسنِي المعروف بالخطابي المتوفى

388هـ المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، وخرج أحاديثه عبد القويم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1402هـ -

1982م عدد الأجزاء (3).

عليه السلام. ويكون في المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، وهو ظلم المشتري القوي على البائع الضعيف بنقصه في ثمن ما يشتريه منه، وعدم إيفائه ثمن المبيع الذي يستحقه بالعدل، فمن جامعة هذه الآية الكريمة وبلاغتها أنه سبحانه وتعالى كما أمرهم في هذه الآية بإيفاء الكيل والوزن إذا باعوا شيئاً على الناس، كذلك أمرهم أيضاً بإيفاء الثمن للناس إذا اشتروا منهم شيئاً، فقال: (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)<sup>(1)</sup> أي لا تنقصوا من أثمانها التي يستحقها أشياءهم حسب السعر الرائج - بالعدل - في السوق، فإنَّ حَطَّ المشتري من ثمن المبيع إلى حدٍّ يصيب به البائع ضرراً أيضاً ظلم كما أن نقص الكيل والوزن من البائع ظلم.

وقوله تعالى: (ولا تعثوا في الأرض مفسدين)<sup>(2)</sup>

قال ابن دُرَيْد: عَثَّ، يَعْثُ وَيَعْثُ يَعْنِي مَثَلُ شَقِيٍّ يَشْقَى، إذا أفسد، وقالوا: عَثَا، يَعْثُو، وفي التنزيل: (ولا تعثوا في الأرض مفسدين).<sup>(3)</sup>

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يقال: عَثَيْتَ، تُعْثِي، عُثُوًّا، وهي أشدُّ الفساد والخراب.<sup>(4)</sup>

السُّرُّ فِي الْإِتْيَانِ بِالْحَالِ (مُفْسِدِينَ) بعد قوله: (وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ):

إذاً فما هو السُّرُّ في الإتيان بالحال (مفسدين) بعد قوله تعالى: (ولا تعثوا في الأرض)؟ رغم أن معنى الفساد موجود في العُثُو؟

قال جلال الدين المحلي:

(مفسدين) حال مؤكِّدة لمعنى عاملها.<sup>(1)</sup>

وقد وردت قصة شعيب عليه السلام في مواضع عديدة من القرآن الحكيم:

1 - الشعراء - 18

2 - نفس الآية

3 - الشعراء-18، جبهة اللغة، ج3 ص، 1255، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى 321هـ، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1987م، (في 3 أجزاء)

4 - مجاز القرآن، ج3 ص90 (المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المتوفى 209هـ، المحقق: فواد سركين، الناشر: مكتبة الخايمي - القاهرة - الطبعة 1381هـ.

1 - تفسير الجلالين ص 491

في سورة الأعراف<sup>(1)</sup> وفي سورة هود<sup>(2)</sup> وفي سورة الشعراء<sup>(3)</sup> وفي سورة العنكبوت<sup>(4)</sup> وفي ثلاثة مواضع منها قد كُتِبَ أمره عليه السلام لقومه بإيفاء الكيل والوزن ونَهْيُهُ إِيَّاهُمْ عَنِ الْبَحْسِ وَالْفَسَادِ، وهلاك قومه بسبب عصيانهم النبي عليه السلام في ذلك وهذا يدل على غاية أهمية هذه المسألة لدى القرآن الحكيم، كما مرَّ من بلاغة التكرار في القرآن قول الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى: فهذا من بلاغة الذكر الحكيم في الاهتمام بإصلاح نظام البيع والشراء في المجتمع البشري والقضاء على الفساد الناشئ في المجتمعات بسبب الظلم والفساد في نظام البيع والشراء. ومن أجل ذلك لم يكتفِ القرآن الحكيم بذكر هذه المسألة في قصة شعيب عليه السلام ليعتبر بها أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل أمر هذه الأمة أيضاً بما أمر قوم شعيب عليه السلام - كما مرَّ البحث على ذلك في آيات سورتي الأنعام والإسراء -، وكما قال تعالى في سورة الرحمن، التي كُلُّها في بيان آلاء الله تعالى على عباده، فمن تلك الآلاء التي امتنَّ الله عز وجل بها على عباده قوله تعالى:

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ \* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ \* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ\*)<sup>(5)</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(والسمااء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة، حيث جعلها منشأ أحكامه، ومصدر قضاياه ومُنْتَزِلَ أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه - عليهم الصلوات والتسليمات - وبَنَى بذلك على كبرياء شأنه ومُلْكِهِ وسلطانه، (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) وفي قراءة عبدالله: (وَوَحَّفَضَ الْمِيزَانَ)،<sup>6</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى مبيناً المراد من "الميزان":

وأراد به كُلَّ ما تَوَزَّنَ به الأشياء وتُعَرَّفَ مقاديرُها مِن ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس، أي

1 - الأعراف - 85-93

2 - هود - 89-95

3 - الشعراء - 176-191

4 - العنكبوت - 36-37

5 - الرحمن - 7-9

6 - الكشاف، ج 4 ص 444

خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض: حيث علّق به أحكام عباده وقضايهم وتعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم. (ألا تطغوا): لئلا تطغوا، أو هي "أن" المفسّرة. وقرأ عبدالله: (لا تطغوا) بغير "أن" على إرادة القول، (وأقيمو الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل، (ولا تحسروا الميزان) ولا تنقصوه. أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان.<sup>(1)</sup>

وبعد هذا الشرح والتفسير للآيات الثلاث أشار الزمخشري إلى نكتة بلاغية في تكرار لفظ "الميزان" في الآيات الثلاث، قال:

وكرّر لفظ "الميزان" تشديداً للتوصية، وتقويةً للأمر باستعماله والحثّ عليه.<sup>(2)</sup>

ومن هذه النكتة البلاغية التي أشار إليها الزمخشري في تكرار كلمة الميزان في هذه الآيات المباركات الثلاث استنباط ما أشير إليه، قبل من السر البلاغي في تكرار الأمر بإيفاء الكيل والوزن والنهي عن البخس والإخسار في القرآن الحكيم في مواضع شتى وأساليب عديدة، أي التأكيد والتشديد في هذا الأمر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وبنحو قول الزمخشري قال النسفي والبيضاوي والخازن وغيرهم.<sup>(3)</sup>

اعتذار من الباحث:

إنّ الباحث عند كلّ آية - من الآيات المبحوث فيها المدروسة في هذه الرسالة - يجلس ساعاتٍ وساعاتٍ يفحص ويبحث عن الأسرار البلاغية في كل ما ينسّر لديه من كتب التفسير فيأخذ ما يجد فيها من لآلى البلاغة وعموماً يجد معظم المفسرين يطردون في ما يذكرون من الأسرار البلاغية والمعاني التفسيرية الأخرى، إلّا المفسرين العظمين: إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله تعالى صاحب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وابن عاشور التونسي رحمه الله تعالى صاحب "التحرير والتنوير" فإنّ لهما شأنًا خاصاً، وأسلوباً بارِعاً في إظهار الأسرار البلاغية لنظم الذكر الحكيم، ثم إنّ لكل منهما

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه

3 - انظر: تفسير التسمي - مدارك التنزيل، ج3 ص410، وتفسير البيضاوي، ج5 ص170-171، ولباب التأويل، ج4 ص226

أسلوباً ممتازاً ومنفرداً عن الآخر وعن سائر المفسرين، فالبقاعي رحمه الله تعالى يذكر الأسرار البلاغية لكن لا بعنوانين ومصطلحات علوم البلاغة، بل بعنوان التناسب بين أجزاء النظم الكريم بحيث يُدرك دارس البلاغة الأسرار البلاغية منها، وأما الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى - لله دُرّه - فإنه يغوص في أعماق النظم الحكيم ويستخرج منه لآلي فريدة بلاغية، بمقادير غزيرة ويضعها أمام دارس البلاغة بمصطلحات بلاغية واضحة صريحة بحيث يهزه سروراً، ويجعل الباحث لا يستطيع - مهما حاول - الاستغناء وصرف النظر عنها، ولا يكاد الباحث أن يجد منها في تفاسير أخرى - وحتى الكشف للزمخشري - إلا شيئاً يسيراً، لذلك فإن الباحث يجد نفسه مضطراً - بعد تطوافه بجميع ما تيسر له من كتب التفسير - إلى أن يُعرج على باب هذا الجواد الكريم لينال منه حظاً وافراً من فرائد البلاغة القرآنية، كما سيلاحظ القارئ المحترم في تفسير هذه الآيات المباركة من الأسرار البلاغية التي أفادنا بها الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله تعالى خير ما جرى خادماً من خُدام الكتاب الحكيم يكشف أسرار البلاغية، ولئن لم يُقنّد الباحث ولم يُثبّه بالمبالغة فإن ابن عاشور رحمه الله تعالى يبدو أكثر بلاغياً من الزمخشري رحمه الله تعالى وكُلًّا من المفسرين جرى الله خيراً على ما قدّم من خدمة جليلة لكتاب الله العظيم.

فقال ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات الثلاث:

(والسما رفعها... إلى ولا تحسروا الميزان)<sup>(1)</sup>: اطرّد في هذه الآية أسلوب المقابلة بين ما يُشبه

الضِدّين بعدّ مقابلة ذكر الشمس بذكر النجم والشجر، فجاء بذكر خلق السماء وخلق الأرض.<sup>(2)</sup>

وقال في تفسير "الميزان": والميزان أصله اسم آلة الوزن، والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط

مقادير ثقلها، وهو مفعول من الوزن... وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على

وجه تشبيه المعقول بالمحسوس. والميزان هنا المراد به العدل مثل الذي في قوله تعالى: (وأنزلنا معهم الكتاب

1 - الرحمن - 7-9

2 - التحرير والتنوير، ج 27 ص 237

والميزان<sup>(1)</sup> لأنه الذي وَضَعَهُ اللهُ، أي عَيَّنَهُ لإقامة نظام الخلق، فالوضع هنا مستعارٌ للجعل فهو كالإنزال في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)<sup>(2)</sup> ..

وبعد بيان معنى "الميزان" أفادنا ابن عاشور بنكته بلاغية في مجيء وضع الميزان بعد ذكر رفع السماء، قال:

فإطلاق الوضع في الآية بعد ذكر رفع السماء مشكلة ضديّة وإهمام طباق مع قوله تعالى: (رفعها) ففيه مُحَسَّنَانِ بديعَيَان. وقرن ذلك مع رفع السماء تنويهاً بشأن العدل بأن تُسَبَّ إلى العالم العلويّ وهو عالم الحقّ والفضائل، وإذ قد كان الأمر بإقامة العدل من أهمّ ما أَوْحَى اللهُ به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم قُرِنَ ذِكْرُ جَعْلِهِ بذكر خلق السماء. فكأنه قيل: (وَوُضِعَ فِيهَا الْمِيزَانُ).<sup>(3)</sup>

وقال ابن عاشور أيضاً مُخْرِجاً أسراراً بلاغية أخرى في النظم الحكيم:

ولفظ "الميزان" يَسْمَحُ بإرادة المعنيتين على طريقة استعمال المشترك في معنيتين، وفي لفظ "الميزان" وما قارَنَهُ مِنْ فِعْلٍ "وَضَعَ" وَفِعْلَيْنِ "أَلَّا تَطْغَوْا" و"أَقِيمُوا" وحرفُ الباءِ في قوله: "بِالْقِسْطِ" وحرفُ "فِي" مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "فِي الْمِيزَانِ" وَلَفْظُ "بِالْقِسْطِ" كُلُّ هَذِهِ تَظَاهَرَتْ عَلَى إِفَادَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي وَهَذَا مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ.<sup>(4)</sup>

وأفاد ابن عاشور بأسرارٍ بلاغية مبرزة قائلاً:

وَالطُّغْيَانُ: دَحْضُ الْحَقِّ عَمْدًا وَاحْتِقَارًا لِأَصْحَابِهِ، فَمَعْنَى "الطُّغْيَانِ فِي الْعَدْلِ": الْاسْتِخْفَافُ بِإِضَاعَتِهِ وَضَعْفُ الْوِازِعِ عَنِ الظُّلْمِ، وَمَعْنَى "الطُّغْيَانِ فِي وَزْنِ الْمَقْدَرَاتِ" تَطْفِيفُهُ، وَ"فِي" مِنْ قَوْلِهِ: (فِي الْمِيزَانِ) ظَرْفِيَّةٌ مُجَازِيَّةٌ تُفِيدُ النِّهْيَ عَنْ أَقْلِّ طُغْيَانٍ عَلَى الْمِيزَانِ.<sup>(5)</sup>

فهذا بعض اللآلي البلاغية الفريدة التي قد غاص المفسر العظيم محمد الطاهر بن عاشور في بحر بلاغة النظم الكريم فاستخرج لنا شيئاً من جواهرها اللطيفة التي لا حدَّ لها ولا نهاية. ولم يُطْلَعْ أو لم

1 - الحديد - 25

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه

4 - التحرير والتنوير، ج 27 ص 239

5 - المرجع نفسه

يُطْلَعنا غيره من المفسرين إلا على شيء قليل منها. أما ابن عاشور فقد كانت في تفسيره بعض نكات بلاغية أخرى أيضاً ولكن خوفاً من التطويل قد اكتفى الباحث على المذكور منها، وترك بعضها للاختصار.

سَبَّ آيات من سورة المطففين :

ومن بلاغة الذكر الحكيم وغاية اهتمامه بهذا الأمر أنه لم يكتفِ بالأمر بإيفاء الكيل والوزن والنهي عن البخس وإحسار الكيل والوزن، بل أوعَدَ المخسرين المطففين أشدَّ وعيدٍ وذمَّهم على فعلهم الشنيع هذا أبلغَ مَدْمَةً وألَدَعَهَا، فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة بعنوان "المطففين" وبدأها - بدون أيّ تمهيدٍ آخر - بذمَّهم وبيان الوعيد الشديد لهم وتصوير فعلهم الشنيع هذا أبلغ تصويرٍ، فقال:

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ إِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَّا يَظُنُّوا أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>(1)</sup>

قال الزمخشري وغيره من المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين :

رُوي..... الخ - وقال القرطبي - : رَوَى النسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحبَّتِ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: (ويلٌ للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك. قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.<sup>(2)</sup>

وقال ابن عطية: قال القاضي أبو محمد: وأمر الكيل والوزن وَكَيْدٌ جَدًّا وتصرفه في المدن ضروري في الأموال التي هي حرام بغير حقِّ والفساد فيه كبير لا تنفع فيما وَقَعَ عنه التوبة، ولا يخلص إلا ردُّ المظلمة إلى صاحبها. وقال مالك بن دينارٍ رحمه الله تعالى: احتَضِرَ جَارٌ لي فجعل يقول: جَبَلَانٍ من نَارٍ. فقلتُ: ما هذا؟ فقال لي: يا أخي، كان لي مِكْيَالَانِ، آخِذٌ بِالْوَفَى وأعطى بالناقص.<sup>(3)</sup>

مسائل الفخر الرازي في سورة المطففين :

قال الفخر الرازي : (ويلٌ للمطففين) والمراد الزجر عن التطفيف، وهو البخس في المكيال

1 - المطففين - 1-6

2 - انظر: الكشف، ج 4 ص 718، والجامع لأحكام القرآن القرطبي، ج 9 ص 250.

3 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 5 ص 449.

والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفة.... وها هنا مسائل :

### المسألة الأولى:

"ويل" كلمة تُذكر عند وقوع البلاء يُقال: "ويل لك" و"ويل عليك".

### المسألة الثانية:

في انشقاق لفظ المطفف قولان: الأول: أنَّ "طف الشيء" هو جانبه وحرفه، يقال: "طف الوادي والإناء": إذا بَلَغ الشيء الذي فيه حرفه ولم يمتلئ فهو طِفافه، وطَفافه وطَفُّه. ويقال: هذا طفُّ المكيال وطفافه: إذا قَارَبَ ملأه لكنه بعد لم يمتلئ، ولهذا قيل: الذي يُسيء الكيل ولا يُوقِّيه "مُطَفِّفٌ" يعني أنه إنما يبلغ الطفاف، والثاني هو قول الزجاج: أنه إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان "مُطَفِّفٌ" لأنه يكون الذي لا يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.<sup>(1)</sup>

وهنا نكتة بلاغية في تنكير "ويل" رغم كونه عند المفسرين مبتدأ كما قال ابن عطية:

"ويل" معناه: الشور والحزن والشقاء الأدم، وقد روى عن ابن مسود رضي الله عنه وغيره أنَّ

واديًا في جهنم يُسمَّى "ويلاً" وُفِّعَ "ويل" على الإبتداء.<sup>(2)</sup>

وقال النحاس: رُفِّعت "ويل" بالابتداء و"للمطففين" خبره.<sup>(3)</sup>

فتكيره للتهويل والتعظيم، كأنه قيل: "ويلٌ عظيمٌ" ويؤيد، هذا ما قال البقاعي رحمه الله تعالى

"ويل" أي هلاك ثابت عظيم في كل حالٍ من أحوال الدنيا والآخرة.<sup>(4)</sup> والله أعلم

وقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>(5)</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(ألا يظن) إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف، كأنهم لا يخطر ببالهم

1 - التفسير الكبير، ج 31، ص 82

2 - المحرر الوجيز، ج 5 ص 449

3 - إعراب القرآن، ج 5 ص 108، المؤلف أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المتوفي 338هـ، وضع

حواشيه وعلّق عليه عبدالمعزم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى -

1421هـ.

4 - التحرير والتنوير ج 21 ص 311

5 - المطففين - 4-6.

ولا يحمنون تخميناً أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة... وفي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصفه ذاته بـ"رب العالمين" بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل.<sup>(1)</sup>

وقال البقاعي رحمه الله تعالى:

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير<sup>2</sup>: لما قال سبحانه وتعالى في سورة الإنفطار:  
(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ)<sup>(3)</sup>

وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال وأنه لا يفوت كما قال تعالى:  
(وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)<sup>(4)</sup>

أتبع الآية المتقدمة بجزاء عمل يتوهم فيه قرب المرتكب وهو من أكبر الجرائم، وذلك التطفيف في المكيال والميزان والانحراف عن إقامة القسط في ذلك فقال تعالى: (ويل للمطففين)

ثم أردف تهديدهم وتشديد وعيدهم فقال: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ - لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)<sup>(5)</sup>

فما مر من بيان الربط والمناسبة عند البقاعي كان من بلاغة السياق بين بداية هذه السورة والتي قبلها، ثم إنه رحمه الله تعالى بيّن لنا بلاغة النظم القرآني فيما بعد هذه الآيات الخمس الأولى من سورة المطففين إلى آخرها بأبلغ عبارة - مؤضحة بلاغة السياق وبلاغة الأسلوب معاً - فقال:

ثم التحمت الآية مناسبة لما افتتحت به السورة إلى ختامها، ولما ذكر سبحانه وتعالى أنهم أدمنوا على هذه الرذائل حتى صارت لهم خلقاً مزناً عليه وأنسوا به وتسكنوا إليه، وكان ذلك لا يكون إلا بمن آمن العقاب وأنكر الحساب، أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل

1 - الكشف، ج 4 ص 720

2 - هو الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الفرناطي 627 . 708 هـ (صاحب كتاب " ملاك التأويل الفاطم بذي الإحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل " طبعه دار النشر: دار الكتب العلمية . بيروت .

3 - الإنفطار - 10 ، 11

4 - الأنبياء - 47 6 - المطففين: 1

5 - المطففين - 4 ، 5 ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 21 ص 315

لأنَّ يَتَعَجَّبَ منه، وَيُسْتَفْهَمَ، عنه، وَأَنَّ الْمُسْتَفْهَمَ عن حصوله عندهم الظن، وَأَمَّا الْيَقِينُ فَلَا يُخَيَّلُ فِيهِمْ  
لِبُعْدِ أَحْوَالِهِمُ الْجَافِيَةِ وَأَفْهَامِهِمُ الْجَامِدَةِ عَنْهُ<sup>1</sup>

وزاد البقاعي رحمه الله تعالى قائلا:

فقال تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ) أي الأَخْسَاءُ البُعْدَاءُ الأَرْجَاسُ الأَرْدَالُ... (أَنَّهُمْ) وعبر باسم  
المفعول فقال: (مَبْعُوثُونَ) إشارة إلى القهر على أَهْوَنِ وَجْهِهٍ بِالْبُعْثِ الَّذِي قَدْ أَلْفَوْا مِثْلَهُ مِنَ الْقَهْرِ بِالْقِظَةِ  
(<sup>2</sup>) بعد القهر بالنوم (ليوم) أي لأجله وفيه، وزاد التهويل بقوله: (عَظِيمٍ) أي لعظمة ما يكون فيه من  
الجمع والحساب الذي يكون عنه الثواب والعقاب بِمَّا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. (<sup>3</sup>)  
فهذه أكثر من خمسين آية وردت في بيان أحكام المعاملات المالية قد بين القرآن الحكيم فيها  
أحكام المعاملات المالية بأبلغ الأساليب ومعظم هذه الآيات قد وردت في الأمر بإيفاء الكيل والوزن  
والنهي عن بخس الناس. والله سبحانه وتعالى أعلم .

## المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الدين والنهي عن الربا

لما كان عِبَادُ الْمَالِ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِإِدْلَائِهَا إِلَى الْحُكَامِ، وَالنَّقْصُ فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ وَبُخْسِ  
النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ - وَهَكَذَا كَانُوا يَفْسِدُونَ نِظَامَ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ وَيُذَمَّرُونَ - نَهَاَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ  
جَمِيعِ تِلْكَ الطَّرِيقِ الْبَاطِلَةِ لِكَسْبِ الْمَالِ بِأَبْلَغِ أَسْلُوبٍ وَهَدَّدَهُمْ أَشَدَّ تَهْدِيدٍ وَأَنْذَرَهُمُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَمَنْ  
الطَّرِيقِ الْخَبِيثَةِ بَلْ أَحَبَّتِ الطَّرِيقَ كُلَّهَا لِكَسْبِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَالْإِضْرَارِ بِالنَّاسِ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ "الرِّبَا"  
فَنَهَاَهُمُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ مَنْ أَخَذَ الرِّبَا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ وَأَسَالِيبَ شَتَّى فَيُطَالَعُ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ وَيُحْتَضَرُ عَنْ  
بَلَاغَةِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فِي النَّهْيِ عَنِ الرِّبَا وَبَيَانِ أَحْكَامِ الدِّينِ وَبَعْضِ أَحْكَامِ الْبَيْعِ الَّتِي لَمْ يُحْتَضَرُ عَنْهَا فِي  
المبحث الأول.

الآيَتَانِ الْأُولَيَانِ فِي دَمِّ أَكْلِي الرِّبَاءِ:

1 - نظم الدرر، ج 21 ص 315-316.

2 - المرجع نفسه.

3 - نظم الدرر، ج 21 ص 315-316.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق:

وردت هاتان الآيتان الكريمتان في سياق الإنفاق في سبيل الله، فإن أربع عشرة آية متوالية قبلهما كانت في الإنفاق في سبيل الله - في الأمر به، وفي بيان أحكامه وفضائله - ثم جات هاتان الآيتان في ذم أكلي الربا وبيان عاقبتهم الوخيمة والوعيد الشديد لهم بعذابٍ مُهين مع بيان نظيرتهم وفكرتهم الفاسدة التي على أساسها يأكلون الربا والتي بسببها يستحقون الخلود في النار، وفي رد عقيدتهم الفاسدة وفكرتهم الباطلة. ثم مرة أخرى أعيدت البشارة بالبركة في المال الذي يُتَصَدَّقُ منه على سبيل المقابلة بمحق الأموال المكتسبة بالربا، فهذا سياق في غاية البلاغة في ذم الربا، كما قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكّر النفقة بما فاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغب فيها بأنواع من الترغيب في فنونٍ من الأساليب، وكان الرزق يشتمل الحلال والحرام، وكان مما يسترزقون به قبل الإسلام الربا - وهو أخذٌ بجنائنا - وهو في الصورة زيادة وفي الحقيقة نقصٌ وعيبٌ ضد ما تقدّم الحث عليه من الإعطاء بجنائنا، وهو في الظاهر نقصٌ وفي الباطن زيادة وخير، ناهم عن تعاطيه ونفّرهم منه، وبين لهم حكمه وأنه خبيث لا يصلح لأكل ولا صدقة، وجعل ذلك في أسلوب الجواب لمن قال: هل يكون النفقة المحبوبة المخبوث عليها من كل مالٍ؟ فأجاب بقوله.....<sup>(1)</sup>

هذه بلاغة السياق عند البقاعي، وعند الحرالي كالآتي:

قال البقاعي: وقال الحرالي: ولما كان حال المثقفي، لا سيما المبتغى وجه الله سبحانه وتعالى

أفضل الأحوال، وهو الحال الذي دُعُوا إليه، نُظِمَ به أدق الأحوال، وهو الذي يتوصل به إلى

الأموال بالربا، فأفضل الناس المنفق وشَرُّ الناس المُربِّي، فنُظِمَ به خطاب الربا فقال: (الذين... الخ)<sup>(1)</sup>

بلاغة الأسلوب:

أولاً: تعريف المسند إليه بالموصلية في قوله تعالى: (الذين يأكلون الربا....)<sup>(2)</sup>

فإنه كان من الممكن أن يُقال: "أكلوا الربا..." ولكن النظم الحكيم جاء بالاسم الموصول

(الذين)، وقال الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى: اعلم أن لك في "الذي" علماً كثيراً وأسراراً جمّة

وخفاباً إذا بحثت عنها وتصوّرتها أطلعت على فوائد تُونس النفس وتُليج الصدر بما يُفضي به إليه من

اليقين ويؤدّيه إليك من حُسن التبيين.<sup>(3)</sup>

ثم زاد الإمام الجرجاني قائلاً - مُوضّحاً قوله السابق -:

والوجه في ذلك أن تتأمّل عبارات لهم فيه لم يُضِعْ، ولأيّ غرضٍ اجْتَلِبَ؟ وأشياء وصفوه بها

(أي بـ"الذي")<sup>(4)</sup> فمن ذلك قولهم: إنَّ "الذي" اجْتَلِبَ ليكونَ وصلةً إلى وصف المعارف بالجمُل، كما

اجْتَلِبَ "ذو" ليتوصّل به إلى الوصف بأسماء الأجناس، يعنون بذلك أنكَ تقول: "مررتُ بزيد الذي أبوه

مُنطَلِقٌ" و "بالرجُل الذي كان عندنا أمس" فتحدّك قد توصّلت بـ"الذي" إلى أن أبنت زيدا من غيره

بالجملة التي هي قولك: "أبوه مُنطَلِقٌ"، ولو لا "الذي" لم تَصِلَ إلى ذلك...<sup>(1)</sup>

وقال الخطيب القزويني رحمه الله تعالى في بيان بلاغة تعريف المسند إليه بالموصلية:... وإمّا لزيادة

التقرير نحو قوله تعالى: (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)<sup>(2)</sup> فإنه مسوقٌ لتزيه يوسف عليه السلام

عن الفحشاء والمذكور أدلُّ عليه من "امرأة العزيز" وغيره. وإمّا للتفخيم كقوله تعالى: (فغشيهم

1 - المرجع نفسه

2 - البقرة - 275

3 - دلائل الإعجاز، ص 199

4 - الساحت

1 - دلائل الإعجاز، ص 199

2 - يوسف - 23

من اليَمِّ ما غشيهم<sup>(1)</sup>

إذاً فما هو السر البلاغي في استخدام اسم الموصول "الذين" في قوله تعالى: "الذين يأكلون الربا..."<sup>(2)</sup>

يمكن أن يُقال:

الأغراض التي ذكرت آنفاً، ولا سيما زيادة التقرير والتفخيم (تقرير جرميتهم وتفخيمها) أرادتهما معاً.

وأيضاً دلالة اسم الموصول: التسجيل عليهم بما في حيز الصلة (يأكلون الربا) إذ من شأن الصلة أن تكون معلومة للمتكلم والمخاطب.

وقد جاءت صلة الموصول قوله تعالى: (يأكلون الربا) بصيغة الفعل المضارع فقد أفادنا البقاعي رحمه الله تعالى بفائدة مهمة جداً في هذا المقام قائلاً:

ولما كان من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مَنْ أَكَلَ الربا - قبل تحريمه - عبّر بالمضارع إشارة إلى أَنَّ هذا الجزاء يُحْصَى المَصْرُ، فقال تعالى: (يأكلون الربا)<sup>(1)</sup> ويؤيد رأي البقاعي رحمه الله تعالى قوله تعالى في الآية نفسها:

(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ)<sup>(2)</sup>

ودليل أن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد أكل الربا قبل تحريمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: "وإنَّ كُلَّ رِبَا كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وإنَّ الله قضى أنَّ أَوَّلَ رِبَا يُوضَعُ رِبَا العباس بن عبدالمطلب، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون"<sup>(3)</sup>

1 - طه - 78 (الإيضاح في علوم البلاغة ج2 ص9)، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجليل - بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: 3

2 - البقرة - 275

1 - نظم الدرر، ج1 ص441

2 - البقرة - 275

والنكتة الثالثة في التعبير عن أخذهم بـ "الأكل"، قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى: (الذين يأكلون الربا) أي يأخذون، والتعبير عنه بالأكل لما أنه معظم ما قُصِدَ به ولشيعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم، وهو الزيادة في المقدار أو الأجل حسبما فُصِّلَ في كتب الفقه.<sup>(2)</sup>

وأيضاً: أفاد التعبير بالأكل دون الأخذ لزيادة تقييح صنيعهم فهم كالأنعام يأكلون كل ما يقع أما مهم دون تفرقة بين حلالٍ وحرام.

وما معنى قوله تعالى: (لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)<sup>(3)</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى :

وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فوردَ على ما كانوا يعتقدون. والمسُّ: الجنون، ورجلٌ ممسوسٌ، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأنَّ الجنيَّ يمسه فيختلط عقله، وكذلك: "جُنَّ الرجلُ": معناه: ضربته الجنُّ. ورأيُهم لهم في الجنِّ قصصٌ وأخبارٌ وعجائبٌ وإنكار ذلك كإنكار المشاهدات.<sup>(4)</sup>

وعلى رأى الزمخشري يكون التشبيه في الآية الكريمة تشبيهاً وهمياً، لأنه لا وجود له في الواقع، وإنما هو موجود في الوهم.

وبنحو قول الزمخشري قال البيضاوي وأبو السعود إلا أنَّ الألوسيَّ والبقاعيَّ -رحمهما الله وإياهم جميعاً - قد ردَّا على الزمخشري رأيه وأثبتَ الألوسي بدلائل طَبَّيَّةً علمية أنَّ له حقيقة لا ينبغي إنكارها.<sup>(1)</sup>

على كل حال، هذا أسلوب في غاية البلاغة في دَمَّهم وتقييح حالهم.

وقوله تعالى: (مِنَ الْمَسِّ).

1 - مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ج 24 ص 300، المؤلف: أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المتوفى 241هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1431هـ - 2001م

2 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 1 ص 266

3 - البقرة - 275

4 - الكشاف، ج 1 ص 320

1 - وانظر: تفسير البيضاوي، ج 1 ص 162. وتفسير أبي السعود ج 1 ص 266 ونظم الدرر ج 4 ص 111 وروح المعاني ج 2 ص 47-48.

قال الزمخشري: فإن قلت: يم يتعلق قوله: (من المس)؟ قلت: ب (لا يقومون) أي: لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع. ويجوز أن يتعلق ب(يقوم) أي: كما يقوم المصروع من جنونه. والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخيلين كالمصروعين، تلك سيماهم يُعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل: الذين يخرجون من الأحداث يوفضون، إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنهم أكلوا الربا فأرياه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرّون على الإيفاض.<sup>(1)</sup>

قال تعالى: (لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)<sup>(2)</sup> ولم يذكر في النظم الحكيم وقت قيامهم ولا مكانه، فنقل البقاعي هنا عن الحرالي<sup>3</sup> رحمهما الله نكتة بلاغية، قال:

وقال الحرالي: في إطلاقه إشعاراً بحالهم في الدنيا والبرزخ والآخرة، ففي إعلامه إيذاناً بأن أكله يُسلب عقله ويكون بقاءه في الدنيا بحرق، لا بعقل، يقبل في محلّ الإدبار ويدبر في محلّ الإقبال.<sup>(1)</sup> قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)<sup>(2)</sup>

هنا نكتة بلاغية في أسلوب القصر بـ "إنما" حيث قصروا البيع على كونه مثل الربا. وجاء القصر

1 - الكشف ج 1 ص 320

2 - البقرة - 275

3 - الحرالي: قال شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى: الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الشجيري \* هو: العلامة الحنفى، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الشجيري، الأندلسي. وحزله: فرقة من عمل مربية. ولده بمراكش، وأخذ النحو عن ابن خروف، ولقي العلماء، ونال في البلاد، ولهج بالفقييات، وسكن حماة، وعمل (تفسيراً) عجيباً ملاء باحتالات لا يقتله الخطأ العربي أصلاً، وتكلم في علم الخروف والأعداد، وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال وقت طلوع الشمس من مغربها، ووعظ بحماة، وأقبلوا عليه، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحشنى، وكان شيخنا يحدّث الذين التؤنسي يتعالى في تعظيم (تفسيره)، ورأيت علماء يخطون عليه - والله أعلم بغيره - وكان يضرب بجليه المثل. توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة.

(ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج 23 ص 47.

"سير أعلام النبلاء"

المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)

المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م

عدد الأجزاء: 25 (23 ومحمدان مھارس)

1 - نظم الدرر، ج 4 ص 110

2 - البقرة - 275

ب"إنما" للدلالة على اعتقادهم الباطل في أن كون البيع مثل الربا أمر واضح معلوم لا يخفى على أحد، على الأصل في استعمال "إنما" في المعاني المعلومة التي لا ينكرها المخاطب، وذلك على تنزيل هذا المعنى المنكر منزلة المعنى المعلوم.

كما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني:

إِغْلَمْ أَنَّ مَوْضُوعَ "إِنَّمَا" عَلَى أَنَّ نَجْيَةً لِحَقِّهِ لَا يَجْهَلُهُ الْمَخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ،<sup>(1)</sup>

وتشبيه البيع بالربا - عندهم - على سبيل التشبيه المقلوب،

قال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتَ هَلَّا قِيلَ:

(إنما الربا مثل البيع)؟ لَأَنَّ الْكَلَامَ فِي الرِّبَا، لَا فِي الْبَيْعِ. فَوَجِبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا شَبَّهُوا الرِّبَا بِالْبَيْعِ فَاسْتَحْلَوْا، وَكَانَتْ شَبَهُهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ اشْتَرَى الرَّجُلُ مَا لَا يُسَاوِي دِرْهَمًا بِدَرْهَمَيْنِ جَازٍ، فَكَذَلِكَ إِذَا بَاعَ دِرْهَمًا بِدَرْهَمَيْنِ؟

قلت: جيئ به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بَلَغَ من اعتقادهم في حِلِّ الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحِلِّ حَتَّى شَبَّهُوا بِهِ الْبَيْعَ. وقوله تعالى: "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"<sup>(2)</sup> إنكاراً لتسويتهم بينهما، ودلالة على أَنَّ الْقِيَاسَ يَهْدِمُهُ النَّصُّ، لَأَنَّهُ جَعَلَ الدَّلِيلَ عَلَى بَطْلَانِ قِيَاسِهِمْ إِحْلَالَ اللَّهِ وَتَحْرِيمَهُ.<sup>(1)</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: والذي يتخبطه الشيطان هو المحنون الذي أصابه الصرع

فيضطرب به اضطراباتٍ ويسقط على الأرض إذا أراد القيام، فلما شَبَّهَتْ الْهِيَاةُ بِالْهِيَاةِ جِيئَ فِي لَفْظِ الْهِيَاةِ الْمَشْبُوبَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا فِي كَلَامِهِمْ وَإِلَّا لَمَا فُهِمَتِ الْهِيَاةُ الْمَشْبُوبَةُ بِهَا، وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ عَنْدهم، قَالَ الْأَعَشَى يَصِفُ نَاقَتَهُ بِالنَّشَاطِ وَسُرْعَةِ السَّيْرِ بَعْدَ أَنْ سَارَتْ لَيْلًا كَامِلًا:

وَتُصْبِحُ عَنْ غَيْبِ السُّرَى وَكَأَنَّهَا --- أَلَمْ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقِ

والمس في الأصل هو اللمس باليد كقولها: "المس مس الأرنب"<sup>(2)</sup>

1 - دلائل الإعجاز ت شاكر (1/ 330)

2 - البقرة - 275

1 - الكشاف، ج 1 ص 321

2 - في حديث أم زرع من صحيح البخاري، ج 16 ص 189

وهو إذا أُطْلِقَ معرّفاً بدون عهد مَسٍّ معروفٍ دَلٌّ عندهم على مَسٍّ الجن فيقولون:

"رَجُلٌ ممسوس"، أي مجنون.<sup>(1)</sup>

السّرُّ البلاغيُّ في قوله تعالى: (مِنَ الْمَسِّ) :

ما هو السّرُّ البلاغيُّ في زيادة قوله تعالى: (مِنَ الْمَسِّ) بعد قوله تعالى: (يتخبطه الشيطان)؟

قال ابن عاشور مُبيّناً السّرَّ البلاغيُّ لهذه الزيادة:

وإنما احتيجَ إلى زيادة قوله: (مِنَ الْمَسِّ) ليظهر المراد من تخبط الشيطان فلا يظن أنه تخبط مجازيًّا

بمعنى الوسوسة، و"مِنَ" ابتدائية متعلقة بـ(يتخبط) لا محالة.<sup>(2)</sup>

وفي أسلوب القصر في قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا)<sup>(3)</sup>

رأى ابن عاشور مختلفاً عن رأي الزمخشري رحمهما الله تعالى، فقال ابن عاشور:

وقولهم: (إنما البيع مثل الربا) قصرٌ إضافيٌّ للرّدِّ على من زعم تخالف حكمهما فحرّم الربا وأحلَّ

البيع، ولمّا صرّح فيه بلفظ "مثل" ساغ أن يُقال: البيعُ مثلُ الربا. كما يسوغ أن يقال: "الربا مثلُ البيع"،

ولا يقال: إنّ الظاهر أن يقولوا: "إنما الربا مثلُ البيع" لأنه هو الذي قُصِدَ إلحاقه به، كما في سؤال

الكشاف، وبني عليه جعل الكلام من قبيل المبالغة<sup>(1)</sup>

واستدل ابن عاشور على رأيه قائلاً:

لأننا نقول: ليسوا هم بصدد إلحاق الفروع بالأصول على طريقة القياس، بل هم كانوا يتعاطون

الربا والبيع فهما في الخطور في أذهانهم سواء، غير أنهم لما سمعوا بتحريم الربا وبقاء البيع على الإباحة

سبق البيع حينئذٍ إلى أذهانهم فأحضره لِيُثبتوا به إباحة الربا، أو أنهم جعلوا البيع هو الأصل تعريضاً

بالإسلام في تحريمه الربا على الطريقة المُسمّاة في الأصول بقياس العكس، لأنَّ قياس العكس إنما يُلْتَجَأُ

إليه عند كفاح المناظرة، لا في وقت استنباط المجتهد في خاصة نفسه.<sup>(2)</sup>

1 - التحرير والتنوير، ج 3 ص 82

2 - التحرير والتنوير، ج 3 ص 82

3 - البقرة - 275

1 - التحرير والتنوير، ج 3 ص 83.

2 - المرجع نفسه.

وقوله تعالى: (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ)<sup>(1)</sup>

قال محمود الألوسي رحمه الله تعالى:

أي فمن بلغه وعظّم وزجرٌ كالنهي عن الربا واستحلاله... (من ربّه) متعلّق بـ(جاءه) أو بمحذوفٍ وقع صفة لـ"موعظة" وعلى التقديرين فيه تعظيمٌ لشأنها، وفي ذكر الربّ تأنيس لقبول الموعظة إذ فيه إشعارٌ بإصلاح عبده.<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: (وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)<sup>(3)</sup>

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(ومن عاد) إلى تحليل الربا (فأولئك) إشارة إلى (من عاد) والجمع باعتبار المعنى كما أنّ الأفراد في (عاد) باعتبار اللفظ، وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشرّ والفساد (أصحاب النار) أي ملازموه. (هم فيها خالدون) ماكنون فيها أبداً، والجملة مقررّة لما قبلها.<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)<sup>(1)</sup>

شيء مزيد من بلاغة السياق والأسلوب:

أما بلاغة السياق فإن القرآن الحكيم بين في الآية السابقة عاقبة آكلي الربا الوحيمة في الآخرة من القيام كالمتهبطين والخلود في النار للمُصِرِّين على أكله المُحِلِّين له، ولكن الطبائع العامّة قد جُبلت على حُبّ المال وطلب الزيادة من المال في الدنيا - الذي قد يجعل الإنسان رغم إيمانه بالآخرة يجعله حُبّ التكاثر العاجل في الدنيا غافلاً وذاهلاً عما يؤمن به من ثواب الآخرة وعقابها وعذابها - فبيّن جلّ وعلا شأنه عاقبة الربا العاجلة في الدنيا من المحق وذهاب البركة من المال بسبب الربا وبأسلوب رشيق على طريق المقابلة بين الربا والصدقة، فقال تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ).<sup>(2)</sup>

قال الراغب الأصفهاني: المحق نقصان الشيء حالاً فحالاً، بحيث تخفى تفاصيله، يقال: محقه

1 - البقرة - 275

2 - روح المعاني، ج 2 ص 49

3 - البقرة - 275

4 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 266

1 - البقرة - 276

2 - البقرة - 276

فالمحقق، ومنه قيل: "المحاق" لآخر الشهر، وتربية الصدقات في الدنيا أن يُثمر مأل صاحبها...

ويُذخر له بواحد سَبْع مائة، ثم قد يزيد زيادة بلا حساب كما وُعِدَ، وعلى هذا ما رَوَى عَنْ النبي صلى الله عليه وسلم: رَبِّ زد أمتي" قال: فَأَنْزَلَ اللهُ: (إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

(يمحق الله الربا)<sup>(1)</sup> أي يذهب بركته ويذهب المال الذي يدخل فيه. رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال ابن جُبَيْر، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الربا وإن كَثُرَ فعاقبته إلى قِلٍّ، وروى الضحاك رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه أن محاقه إبطال ما يكون منه من صدقة وصلة رحم وجهاد ونحو ذلك. (ويرى الصدقات)<sup>(2)</sup>، قيل:

الإرباء حقيقة. وهو أنه يَزِيدُهَا وَيُسَمِّيُهَا في الدنيا بالبركة، وكثرة الأرباح في المال الذي خرجت منه الصدقة. وقيل: الزيادة معنوية، وهي تضاعف الحسنات والأجور الحاصلة بالصدقة كما جاء في كثير من الآيات والأحاديث.<sup>(3)</sup>

ثم بيّن أبو حيان رحمه الله تعالى النكات البلاغية في الآية الكريمة، فقال:

وفي ذكر المحق والرباء بديع الطباق، وفي ذكر الربا ويرى بديع التجنيس المغاير، (والله لا يُحب كلَّ كفارٍ أثيم)<sup>(1)</sup> فيه تغليظ أمر الربا وإيدان أنه من فعل الكفار، لا من فعل أهل الإسلام، وأتى بصيغة المبالغة في الكافر والأثم، وإن كان تعالى لا يحب الكافر تنبيهاً على عظم أمر الربا ومخالفة الله وقولهم: (إنما البيع مثل الربا) وأنه لا يقول ذلك ويسوّى بين البيع والربا ليستدل على أكل الربا إلا مبالغ في الكفر، مبالغ في الإثم، وذكر الأثم على سبيل المبالغة والتوكيد من حيث اختلف اللفظات.<sup>(2)</sup>

تعليق على قوله تعالى: (والله لا يحب كل كفارٍ أثيم) هذا الأسلوب تقدّم فيه النفي على لفظ العموم "كل" وأفاد كما ذهب إليه الامام عبدالقاهر رحمه الله تقلص النفي على العموم سلب العموم، أي

1 - البقرة - 276

2 - الآية نفسها

3 - البحر المحيط، ج 2 ص 709-710

1 - البقرة - 276

2 - البحر المحيط، ج 2 ص 710

نفى البعض وإثبات البعض الآخر. ولكن ماذهب إليه الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى لا يستقيم مع هذه الآية الكريمة، لأنه لايمكن أن يكون معنى الآية أنه سبحانه وتعالى يحب بعض كفارائهم.

قال الجرجاني رحمه الله تعالى في كتابه دلائل الإعجاز:

وذلك أننا إذا تأملنا وجدنا إعمال الفعل في "كل" والفعل منفى، لا يصلح أن يكون إلا حيث يُراد بعضاً كان وبعضاً لم يكن. تقول: "لم ألق كل القوم"، و "لم آخذ كل الدراهم"، فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع، وأخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم، ولم تأخذ شيئاً من الدراهم.<sup>1</sup>

ثم قال الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى موضحاً قوله هذا:

وإذ قد عرفت ذلك، فهنا أصل، وهو أنه من حكم النفي إذا دخل على كلام، ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجهه من الوجوه، أن يتوجه إلى ذلك التقييد، وأن يقع له خصوصاً. تفسير ذلك: أنك إذا قلت: "أتاني القوم مجتمعين"، فقال قائل: "لم يأتك القوم مجتمعين"، كان نفيه ذلك متوجهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان دون الإتيان نفسه، حتى إنه إن أراد أن ينفي الإتيان من أصله، كان من سبيله أن يقول: "إنهم لم يأتوك أصلاً، فما معنى قولك: مجتمعين". هذا مما لا يشك فيه عاقل.<sup>1</sup>

وزاد الإمام الجرجاني قائلاً:

وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد، فإن التأكيد ضرب من التقييد. فمتى نقيت كلاماً فيه تأكيد، فإن نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصاً ويقع له. فإذا قلت: "لم أر القوم كلهم" أو "لم يأتني القوم كلهم" أو "لم يأتني كل القوم" أو "لم أر كل القوم"، كنت عمدت بنفيك إلى معنى "كل" خاصة، وكان حكمه حكم "مجتمعين" في قولك: "لم يأتني القوم مجتمعين" وإذا كان النفي يقع "لكل" خصوصاً، فواجب إذا قلت: "لم يأتني القوم كلهم" أو "لم يأتني كل القوم"، أن يقع

1 - دلائل الإعجاز ت شاكر (1/ 278)

1 - دلائل الإعجاز ت شاكر (1/ 279)

"لكل" خصوصاً، فواجب إذا قلت: "لم يأتي القوم كلهم" أو "لم يأتي كل القوم"، أن يكون قد أتاك بعضهم.<sup>1</sup>

ولكن ما قال الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى لا يمكن تطبيقه هنا فلا بد لنا من أن نأول هنا تأويلاً مناسباً لمفهوم الآية الكريمة، والذي يخطر ببال الباحث هو أن نحمل قوله تعالى: (والله لا يحب كل كفار أثيم) على معنى: "والله يبغض كل كفار أثيم"، فيستقيم المعنى ولا يبقى أي إشكال والله أعلم  
أماماً ذكر الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى من قاعدة وقوع النفي على الجملة المقيدة بقيد فسيأتي البحث عليه بالتفصيل في صفحة رقم 335 بعنوان "الصفة في أسلوب النفي والنهي"

وقد شرح لنا أبو العباس السمين الحلبي رحمه الله تعالى هذا الطباق والجناس قائلاً:

"وقد اشتملت هذه الآية على نوعين من البديع:

أحدهما: الطباق في قوله تعالى (يُحَقِّقُ وَيُزَيِّ) فإنهما ضدان نحو: (أضحك وأبكى)<sup>(2)</sup>

والثاني: تجنيس التغاير في قوله (الربا ويُزَيِّ) إذ أحدهما اسم والآخر فعل.<sup>(1)</sup>

حق ما قالوا من جعل هذا الأسلوب من الطباق، ولعلنا لو أمعنا قليلاً ودققنا في النظر فإن هذا

الأسلوب مما سماه البلاغيون بـ "المقابلة" كما قال القزويني رحمه الله تعالى:

ومن الطباق نوع يخص باسم "المقابلة"، وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما

يُقابل ذلك على سبيل الترتيب، فمقابلة اثنين باثنين كقوله عليه السلام لأم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها: "عليك بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه"<sup>2</sup> وقول النابغة

الجعدي:

1 - دلائل الإعجاز ت شاكر (1/ 280)

2 - النجم - 43

1 - الدر المنصور في علوم الكتاب المكنون، ج2 ص636 للمؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدايم المعروف بالسمين الحلبي المتوفي 756، المحقق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق (في أحد عشر جزءاً)

2 - أخرج هذه الرواية الإمام البحاري في الأدب المفرد ص240، والإمام أحمد في مسنده (مسند أحمد ط الرسالة ج21 ص167)، وأبو داود الطيالسي في مسنده ج3 ص110، وإسحاق بن راهويه في مسنده ج3 ص900، والبرار في مسنده (البحر الزخارج ج13 ص359)، والخراط في كتابه "مكارم الأخلاق" ص231، والطبراني في كتابه "المعجم الأوسط ج2 ص344"، والبيهقي في شعب

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ --- عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا. (1)

ثم قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (2)

كان السياق والسباق في موضوع الربا كما مرَّ تفصيله في الآيات السابقة وتفسيرها، وكما سيأتي تفصيله كذلك في الآيات التالية - إن شاء الله تعالى - فما هو السرُّ البلاغي للنظم الكريم في إيراد هذه الآية الكريمة ضمن هذا الموضوع المستمر موضوع النهي عن الربا وبيان الوعيد لأكلي الربا، وما مناسبة هذه الآية الكريمة بما قبلها وبما بعدها؟ قال أبو حفصٍ الدمشقي رحمه الله تعالى:

اعلم أنَّ من عاداته تعالى في القرآن الكريم مهما ذَكَرَ وَعِيداً، ذكر بعده وعداً، فلَمَّا بَلَغَ ها هنا في وعيد المرابي، أتبعه بهذا الوعد. (1)

وفسَّر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى هذه الآية الكريمة تفسيراً تبيَّن به ربط كلِّ جزءٍ من أجزائها بما قبلها ووَضَّحت به مناسبتها ومطابقتها بمقتضى مقامها غايةً وُضوح. قال:

وهذا خبر من الله عزوجل بأن الذين آمنوا، يعني الذين صدَّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به من عند ربِّهم من تحريم الربا وأكليه وغير ذلك من شرائع دينه، (وعملوا الصالحات) التي أمرهم الله عزوجل بها والتي ندَّهم إليها، (وأقاموا الصلاة) المفروضة بحدودها، وأدَّوها بسُنَّها، (وآتوا الزكاة) المفروضة عليهم في أموالهم، بعد الذي سَلَفَ منهم من أكلِ الربا قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربِّهم، (لهم أجرهم) يعني ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدَّقَتِهم، (عند ربِّهم) يوم حاجتهم إليه في معادهم، (ولا خوف عليهم) يومئذٍ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة من ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من إنابتهم، وتوبتهم إلى الله عزوجل من ذلك عند مجيئهم موعظة

الإيمان ج 11 ص 10، والإمام مسلم في صحيحه ج 4 ص 2004، والفَضاعي في مسند الشهاب ج 2 ص 16، والإمام البغوي في كتابه "شرح السنة" ج 13 ص 75، والإمام الترمذي في سننه ج 4 ص 349، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق، والإمام أبوداؤد السجستاني في سننه ج 3 ص 3. - رحمه الله تعالى عليهم أجمعين.

1 - الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1 ص 321

2 - البقرة - 277

1 - الباب في علوم الكتاب، ج 4 ص 459

من رهم، وتصديقهم بوعده ووَعِيدِهِ، (ولا هم يحزنون) على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى.<sup>1</sup>

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ \* وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٌ فَمُطْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ \*)<sup>(2)</sup>

من بلاغة السياق ما قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

إعلم أنه تعالى لما بيّن في الآية المتقدمة أنّ من انتهى عن الربا فله ما سلف، فقد كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمّة القوم، فقال تعالى في هذه الآية: (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ - فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ)<sup>(3)</sup>

بلاغة الأسلوب:

وقال الرازي رحمه الله تعالى مبيّناً بلاغة الأسلوب في هذه الآية الكريمة:

وإنما شدّد تعالى في ذلك، لأنّ من انتظر مُدَّة طويلة في حلول الأجل، ثم حضر الوقت وظنّ نفسه على أنّ تلك الزيادة قد حصلت له، فيحتاج في منعه عنه إلى تشديد عظيم، فقال: (اتقوا الله) واتقوا ما غي عنه، (وذروا ما بقي من الربا) يعني إن كنتم قبضتم شيئاً فيعفو عنه، وإن لم تقبضوه، أو لم تقبضوا بعضه، فذلك الذي لم تقبضوه كلّاً كان، أو بعضاً فإنه محرّم قبضه.<sup>(1)</sup>

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)<sup>(2)</sup>

بلاغة "إن" الشرطية في قوله تعالى: (إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ):

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) إن صحّ إيمانكم يعني أنّ دليل صحة الإيمان

1 - تفسير الطبري ج 1 ص 22.

2 - البقرة - 278-280

3 - مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ج 7 ص 82

1 - مفاتيح الغيب، ج 7 ص 83

2 - البقرة - 278

وثباته امتثال ما أمُرُّم به من ذلك.<sup>(1)</sup>

وقال الفخر الرازي: فإن قيل: كيف قال: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) ثم قال في آخره: (إن

كنتم مؤمنين)؟

الجواب من وجوه:

الأول: أن هذا مثل ما يقال: إن كنت أحمأ فأكرمني، معناه: إن من كان أحمأ أكرم أحمأ.

والثاني: قيل: معناه: إن كنتم مؤمنين قبله.

الثالث: إن كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالإيمان.

الرابع: يأيها الذين آمنوا بلسانهم ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم.<sup>(2)</sup>

وقال تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُيُوفٌ أَمْوَالُكُمْ لَا

تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)<sup>(3)</sup>

من بلاغة السياق والأسلوب أنه سبحانه وتعالى قد نهي في هذه الآيات المباركات عن الربا

مراراً وتكراراً بأساليب شتى، ففي الآية السابقة أولاً خطابه لعباده المؤمنين ب(يأيها الذين آمنوا) فيه تنبيه

لهم وتقريع بتذكيرهم صفة الإيمان فيهم كأن يقول الوالد لابنه: "يا بُنَيَّ لا تؤذي" ثم زادهم تنبيهاً بأمره

إياهم بالتقوى بقوله: (اتقوا الله)، ثم مرة أخرى هزأهم هزأً شديداً إذ قال لهم: (وذروا ما بقي من الربا إن

كنتم مؤمنين) إذ ذكرهم الإيمان - الذي هم يدعون - مرة أخرى للانتهاك من أخذ الربا، والامتنال بهذا

الأمر.

كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(إن كنتم مؤمنين) إن صح إيمانكم يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمُرُّم به من

ذلك.<sup>(4)</sup>

1 - الكشف، ج 1 ص 322

2 - مفاتيح الغيب، ج 7 ص 83

3 - القرآ - 279

1 - الكشف، ج 1 ص 322

ثم بلغ تهديده وتخويله نهايته حتى قال للذين لا يمتنعون من أخذ الربا بعد النهي المؤكد والتنبيهات التي قد مرّت في الآيات السابقة: (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله).

وذكر المفسرون في قوله تعالى: (فأذنوا) قراءتين كما قال الفخر الرازي:

قرأ عاصم وحمزة (فأذنوا) مفتوحة الألف ممدودة مكسورة الذال على مثال (فآمنوا) والباقيون (فأذّنوا) بسكون الهمزة مفتوحة الذال مقصورة.<sup>(1)</sup>

ثم ذكر الرازي هنا نكتة بلاغية - لم يجدها الباحث في غيره من كتب التفسير - قال: وزوي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله تعالى عنه أنهما قرءا كذلك (فأذنوا) ممدودة، أي أعلموا من قوله تعالى: (فقل أذنتكم على سواء)<sup>(2)</sup>

ومفعول الإيذان محذوف في هذه الآية، والتقدير: فأعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله ورسوله، وإذا أمروا بإعلام غيرهم فهم أيضا قد علموا ذلك، لكن ليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم. فهذه القراءة في البلاغة أكّد، وقال أحمد بن يحيى: قراءة العامة من الإذن، أي كونوا على علم وإذن، وقرأ الحسن: (فأيقنوا) وهو دليل لقراءة العامة.<sup>(1)</sup>

ويمكن أن يقال: إن السرّ البلاغي الذي ذكره الإمام الرازي رحمه الله تعالى من كون القراءة بمدّ الألف وكسر الذال أكّد على الرأس والعين، ولكن قراءة عامة القراء (بسكون الهمزة وفتح الذال) أوفق للسياق وهو قوله تعالى: (فإن لم تفعلوا) وأبلغ في الزجر والتهديد، إذ وجّه سبحانه وتعالى الخطاب بالوعيد والتهديد وإعلان الحرب للمُصرّين على أخذ الربا مباشرة بدون توسط أحدٍ بينه وبينهم بإعلامهم وإعلانه لهم بالحرب، فلعلّ التهديد في قراءة العامة أبلغ وأكد والله سبحانه وتعالى أعلم.

السرفي تنكير "حرب" في قوله: (فأذنوا بحرب...) .

وذكر الزمخشري رحمه الله تعالى نكتة بلاغية في تنكير "حرب" - بدلاً من تعريفه بالإضافة - ،

قال: فإن قلت: هلاً قيل: "بحرب الله ورسوله"؟

1 - التفسير الكبير، ج 7 ص 83

2 - الأنبياء - 109

1 - مفاتيح الغيب، ج 7 ص 84

قلت: كان هذا أبلغ، لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله.<sup>(1)</sup>

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى:

وتنكير "حرب" للتعظيم وذلك يقتضى أن يُقاتل المُربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله

كالباغي ولا يقتضى كفره.<sup>(2)</sup>

وقال تعالى: (وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)<sup>(3)</sup>

بلاغة "إن" في قوله تعالى: (وَإِنْ تُبْتُمْ ...):

ما فائدة "إن" الشرطية هنا وما هو السر البلاغي في هذا الشرط؟

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(وإن تبتم) من الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) بأخذ الزيادة

(ولا تظلمون) بالمطل والنقصان، ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم، وهو سديد

على ما قلناه، إذ المصير على التحليل مُرتد وما له في.<sup>(1)</sup>

وكذلك قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا، فما حكمهم لو لم يتوبوا؟

قلت: قالوا: يكون ما لهم فيما للمسلمين.<sup>(2)</sup>

ومن بلاغة الذكر الحكيم وغاية كرم الرب الرحيم أنه لم يكتفِ بنهي آكل الربا من أكله

وزجرهم وتوبيخهم ووعيدهم أشد وأبلغ وعيد، - بل زيادة في رحمته ولطفه وكرمه بالضعفاء والفقراء

المعسرين من عبادته - أمر الدائنين الموسرين بإنظار المدينين المعسرين وإمهالهم إلى وقت يسارهم، بل

ورغبتهم في التصدق عليهم بأصل الدين كله أو بعضه، فقال عز من قائل:

(وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٌ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)<sup>(3)</sup>

1 - الكشف، ج 1 ص 322

2 - تفسير البيضاوي، ج 1 ص 163

3 - البقرة - 279

1 - أنوار التبريل وأسرار التأويل، ج 1 ص 163

2 - الكشف، ج 1 ص 322

قال الإمام أبو السعود العمادي رحمه الله تعالى:

(وإن كان ذو عسرة) أي إن وقع غريمٌ من غُرْمائكم ذو عُسرة - على أن "كان" تامة - وقُرئ:  
(ذَا عُسْرَةٍ) - على أنها ناقصة - (فنظرة) أي فالحكم نظرة، أو فعليكم نظرة، أو فلتكن نظرة وهي  
الإنظار والإمهال وقُرئ: (فناظره) فالمستحق ناظره أي منتظره، أو فصاحبُ نظره على طريق النسب،  
وقُرئ: (فناظره) - أمراً من المفاعلة - أي فسامحه بالنظرة (إلى ميسرة) أي إلى يسار... (وأن تصدقوا) -  
بحذف إحدى التاءين - وقُرئ بتشديد الصاد أي:

وأن تصدقوا على مُعسِرِي غُرْمائكم بالإبراء.<sup>(2)</sup>

وكما قيل آنفا:

إن الله سبحانه وتعالى حثهم على التصديق بأصل الدين كله أو بعضه، كذلك قال الإمام أبو  
السعود رحمه الله تعالى:

(خيرٌ لكم) أي أكثر ثواباً من الإنظار، أو خيرٌ مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه، فهو ندبٌ  
إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم كلاً أو بعضاً على غُرْمائهم المعسرين، كقوله تعالى: (وأن تعفوا أقرب  
للتقوى)<sup>(1)</sup> (إن كنتم تعلمون)، جوابه محذوفٌ أي إن كنتم تعلمون أنه خيرٌ لكم عَمِلْتُمُوهُ.<sup>(2)</sup>

ثم قال حلٌ وعلا شأنه زيادة في الترغيب والترهيب:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)<sup>(3)</sup>

ما أجل ختام الموضوع (موضع النهي عن الربا والدعوة إلى الإحسان بالإنظار والتصديق على  
المعسرين) وما أبلغه فقد استخرج لنا الإمام أبو السعود لآلى فريدة من بلاغة النظم الحكيم في الآية  
الكريمة قائلاً:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا) هو يوم القيامة، وتنكيره للتفخيم والتهويل، وتعليق الانتقاء به للمبالغة في التحذير

1 - البقرة - 280

2 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 1 ص 268

1 - البقرة - 237

2 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 268

3 - البقرة - 281

عَمَّا فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ (تُرجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجوع، وقُرئَ على البناء للفاعل من الرجوع، والأول أدخل في التهويل، وقُرئَ بالياء على طريق الالتفات، وقُرئَ تُردُّونَ، وكذا تُصَيِّرونَ (إلى الله) لمحاسبة أعمالكم (ثم توفى كُلُّ نفسٍ) من النفوس، والتعميم للمبالغة في تحويل اليوم أي تُعطى كَمُلًا (ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من خير أو شرٍّ (وهم لا يُظَلِّمونَ) حالٌ من (كُلِّ نفسٍ) تفيد أن المعاقبين وإن كانت عقوباتهم مُؤَبَّدَةً غير مظلومين في ذلك لِمَا أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء، كما أن الأفراد أوفق بحال الكسب.<sup>(1)</sup>

وكما أنه سبحانه وتعالى نهي عن أكل الربا مطلقاً في الآيات السابقة في سورة البقرة وَهَدَّدَ أَكْلَهُ تَهْدِيداً شديداً على عدم تركه، كذلك مرةً أخرى قال جلَّ شأنه في سورة آل عمران: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)<sup>(1)</sup> الإعراب: قال النحاس رحمه الله تعالى: (أضعافاً) مصدر في موضع الحال، و(مضاعفة) نعت.<sup>(2)</sup>

قال الزمخشري:

نهي عن الربا مع توبيخه بما كانوا عليه من تضعيفه، كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون.<sup>(3)</sup>

بلاغة السياق والأسلوب:

أولاً: ما مناسبة الآية الكريمة بسياقها الذي وردت فيه؟

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

هذا النهي عن أكل الربا اعتراضٌ بينَ أثناء قصة أحد... قال مجاهد: كانوا يبيعون البيع إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل زادوا في الثمن على أن يُؤخَّروا، فأنزل الله عزَّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً)، قلتُ: وإنما خصَّ الربا من بين سائر المعاصي لأنه الذي أذن الله فيه بالحرب في

1 - تفسير أبي السعود، ج 1 ص 268

1 - آل عمران - 130-131

2 - إعراب القرآن للنحاس، ج 1 ص 180 (المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، المتوفي

338هـ، وضع حواشيه وعلّق عليه عبدالمعتمد خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت،

الطبعة الأولى 1421هـ

3 - الكشف، ج 1 ص 414

قوله: (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله...) <sup>(1)</sup> والحرب يؤذن بالقتل، فكأنه يقول: إن لم تتقوا الربا هُزِمْتُمْ وقُتِلْتُمْ، فأمرهم بتركه، لأنه كان معمولاً به عندهم، والله أعلم. <sup>(2)</sup>

هذه هي مناسبة الآية الكريمة بسياقها الذي وردت فيه عند القرطبي رحمه الله تعالى:

### بلاغة الأسلوب:

في قوله تعالى: (لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً وَقَعَ فعلُ النهي على مفعولٍ موصوفٍ مقيدٌ بحالٍ موصوفةٍ (أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً) والقاعدة المشهورة عند النحاة والبلاغيين أَنَّ النفي والنهي عند ما يقعان على شيءٍ مقيدٍ بقيدٍ فإنهما ينصبَّان على القيد، دُونَ المقيد، فهل المقصود بالنهي هنا أيضاً الربا المضاعف، أم لهذه الصفة الواقعة في الآية الكريمة دلالة أخرى وحكمة بلاغية غير تقييد النهي بالربا المضاعف؟ <sup>1</sup>

1 - البقرة - 279

2 - تفسير القرطبي، ج 4 ص 202

<sup>1</sup> - أولاً ينبغي أن نتأكد من كون القاعدة المذكورة مطردة أو غير مطردة.

قال شبحي المكرم فضيلة الأستاذ الدكتور عادل محمد الأكرت في كتابه "من بلاغة الصفة في القرآن الكريم":

### الصفة في أسلوب النفي والنهي:

كثيراً ما يقع الموصوف والصفة في حيز النفي، والصفة - كما هو معروف - قيدٌ للموصوف في الإثبات أو النفي، والذي يتبادر إلى الذهن عند وقوع الموصوف والصفة في حيز النفي أن يكون المقصود نفي الصفة لا نفي الموصوف، أي نفي القيد لا المقيد، وهذا ما صرح به الإمام عبدالقاهر في أكثر من موضع. <sup>(1)</sup> من بلاغة الصفة في القرآن الكريم، ص 54 (المؤلف: فضيلة الدكتور عادل محمد محمد الأكرت مدرس البلاغة والنقد بحامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم النقد والبلاغة، الطبعة الأولى 1424هـ - 2002م، دار السعادة للطباعة، القاهرة).

ثم إن الدكتور - حفظه الله تعالى - نقل في ذلك نصاً من كتاب الإمام الجرجاني

(دلائل الإعجاز) قوله:

فهما أصل: وهو أنه من حكم النبي إذا دخل على كلام ثم كان في ذلك التقييد، وأن يقع له خصوصاً، تفسير ذلك: أنك إذا

قلت: "أناي القوم مجتمعين" فقال قائل:

"لم يأتك القوم مجتمعين". كان نفيه ذلك متوجّهاً إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان دون الإتيان نفسه، حتى إنه إن أراد

أن ينفي الإتيان من أصله كان من سبيله أن يقول:

"إنهم لم يأتوك أصلاً"، فما معنى قولك: "مجمعين"؟ هذا مما لا يتلّك فيه عاقل.

(المرجع نفسه ودلائل الإعجاز، ص 279)

وكذلك نصّ آخر للإمام الجرجاني رحمه الله تعالى، قال:

وجملة الأمر أنه ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشيء إلا كان الغرض الخاص من الكلام والذي يقصد إليه ويُرعى القول فيه، فإذا قلت: "جاءني زيد ركباً"، و"ما جاءني زيد ركباً"، كنت وضعت كلامك لأن تُثبت مجيئه ركباً أو تنفي ذلك، لا لأن تُثبت المجيء وتنفيه مطلقاً، هذا مما لا سبيل إلى الشك فيه. (دلائل الإعجاز ص 28).

وناقش فضيلة الدكتور عادل حفظه الله قول الإمام الجرجاني فقال:

وما صرّح به الإمام عبدالقاهر - وإن كان هو المتبادر عند سماع الجملة - ليس مُطرداً في كلّ التراكيب، فهناك كثير من التراكيب المقصود بالنفي فيها المقيّد والقيد معاً، أو المقيّد دون القيد كما سترى. (من بلاغة الصفة في القرآن الكريم، ص 54-55) وزاد فضيلة الدكتور قائلاً:

ومع عدم إطراد كلام الشيخ نحوه متناقضاً مع كلامه نفسه في أكثر من موضع، ففي حديث الشيخ عن التقديم والتأخير في أسلوب الاستفهام والنفي صرّح بأن الاستفهام والنفي ينصّان على المقدّم دون بقية أجزاء الجملة، سواء كان المقدّم ركناً أساسياً في الجملة أو قيّداً من قيودها، وسواء كان المؤخّر ركناً أساسياً أو قيّداً من القيود.

(المرجع نفسه، ص 55، ومن دلائل الإعجاز استبط الدكتور هذا من كلام الشيخ من، ص 111 إلى ص 127)

وقال فضيلة الدكتور عادل الأكرت مُعلقاً على المذكور آنفاً:

ومعنى هذا أن القيود في الجملة المنفية إذا لم تُقدّم لا تتوجّه إليها النفي خصوصاً، وهذا يُناقض مع قوله السابق في أن المقصود بالنفي هو القيد أينما وقع.

(من بلاغة الصفة في القرآن الكريم، ص 55)

قال الدكتور عادل محمد الأكرت:

وصرّح (أي الإمام عبدالقاهر) في موضع آخر بأن النفي يتوجّه إلى الموصوف دون الصفة، أي نفي المقيّد دون القيد، وهذا عكس ما ذكره، وذلك في قوله: "أنك إذا كذبت قائلاً في كلام أو صدّقته فإنما ينصرف التكذيب منك والتصديق إلى إثباته ونفيه، والإثبات والنفي يتناولان الخبر دون الصفة، بذلّك على ذلك أنك تجد الصفة ثابتة في حال النفي كثبوتها في حال الإثبات. (المرجع نفسه، ص 55 ودلائل الإعجاز، ص 377)

وقال الدكتور عادل محمد الأكرت:

أنصح مما سبق أن القول بتوجيه النفي إلى القيد وحده في كلّ الأحوال ليس سديناً، وكذلك بتوجيه النفي إلى القيد وحده في كلّ الأحوال. والوجه أن النفي يتوجّه نازة إلى القيد وحده، ويتوجّه نازة أخرى إلى المقيّد والقيد معاً، والسياق هو الذي يُحدّد المراد بالنفي.

(من بلاغة الصفة في القرآن الكريم، ص 55-56)

إذاً فما معنى قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً" (1)

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

وقوله عز وجل: (أضْعَافًا مُضَاعَفَةً) ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخاً

لهم بذلك إذ كان الرجل يرى إلى أجل فإذا حلَّ قال للمدين:

زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل، وهكذا عند محلِّ كلِّ أجل فيستغرق بالشئ

الطفيف ماله بالكُلِّية. (1)

وحمل الزمخشري أيضاً هذا الوصف على التوبيخ كما مرَّ قوله من قبل. (2) وكذلك القرطبي وابن

عطية. (3)

وقال تعالى في آخر الآية: (واتقوا الله لعلكم تفلحون). (4)

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

لما نهاهم عن أمرٍ صعبٍ عليهم فراقه وهو الربا، أمرَ بتقوى الله إذ هي الحاملة على مخالفة ما

تَعَوَّدَهُ المرءُ ممَّا نَهَى الشرعُ عنه. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ التَّقْوَى سَبَبٌ لِرَجَاءِ الْفَلَاحِ وهو الفوز، وأمرٌ بما مطلقاً لا

مُقَيَّدًا بفعل الربا، لأنَّه لما نَهَى عن الربا كان المؤمنون أسرعَ شيءٍ لِبَطْوَاعِيَّةِ اللَّهِ تعالى، فلم يأت: (واتقوا

الله في أكلِ الربا)، بل أَمَرُوا بِالتَّقْوَى، لا بالنسبة إلى شيء خاصٍّ مُنْعَوْه من جهة الشريعة. (5)

ومن بلاغة الذكر الحكيم في تحويل أمر الربا قوله تعالى بعد ذلك: (واتقوا النار التي أُعِدَّتْ

للكافرين). (6)

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول:

1 - آل عمران - 130

1 - تفسير أبي السعود، ج 2 ص 84

2 - انظر: صفحة رقم

3 - انظر: تفسير للقرطبي، ج 4 ص 202 وتفسير ابن عطية، ج 1 ص 507

4 - آل عمران - 130

5 - البحر المحيط، ج 3 ص 340

6 - آل عمران - 131

هي أخوف آية في القرآن حيث أوعَدَ الله المؤمنين بالنار المُعدَّة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه. وقد أمدَّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.<sup>(1)</sup>

والذي أشار إليه الرمخشري في قوله: وقد أمدَّ ذلك... إلخ هو قوله تعالى: (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون).<sup>(1)</sup>

السرفي قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) :

وذكر الرمخشري رحمه الله تعالى نكتة بلاغية في قوله جَلَّ وعلا شأنه: (لعلكم ترحمون)

قال: وفي ذكره تعالى "لعلَّ" و"عسى" في هذه المواضع - وإن قال الناس ما قالوا - ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضا الله، وعِزَّة التوصل إلى رحمته وثوابه.<sup>(2)</sup>

لعلَّ القارئ أيضاً يشعر من كلام الرمخشري - كما شعر الباحث فعلاً - شيئاً من: الضيق، ويشم منه - مثل الباحث - رائحة اليأس من كرم الرحيم الودود الذي ينادي عباده قائلاً: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)<sup>(3)</sup>

والذي يقول: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاءه سيئة أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة... إلخ)<sup>(4)</sup>

لذلك فالسر البلاغي في استخدام كلمة "لعلَّ" في مثل هذا الموضع في القرآن الحكيم ما ذكره الفخر الرازي هو الذي يبدو للباحث أقرب وأجدر وأنسب بمجود وكرم ورحمة الرحمن الرحيم الودود.

قال الرازي رحمه الله تعالى:

1 - الكشاف - ج 1 ص 414

1 - آل عمران - 132

2 - المرجع نفسه.

3 - الزمر - 53

4 - أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في مسنده الصحيح برواية أبي دَرَّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: صحيح مسلم، ج 4 ص 2068 (بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - في خمسة أجزاء).

ثم قال تعالى: (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

إعلم أنَّ اتقاء الله في هذا النهي واجب، وأنَّ الفلاح يتوقَّف عليه، فلو أكل ولم يتَّقِ زال الفلاح، وهذا تنصيص على أن الربا من الكبائر لا من الصغائر. وتفسير قوله تعالى: (لعلكم) تقدَّم في سورة البقرة في قوله تعالى: (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)<sup>(1)</sup> وهناك قال الرازي:

المسألة الخامسة: في قوله تعالى: (لعلكم تتقون) بحثان:

البحث الأول: أن كلمة "لعل" للترجي والإشفاق، تقول: لعلَّ زيداً يُكرمني، وقال تعالى: لعله يتذكر أو يخشى،<sup>(2)</sup> لعل الساعة قريب.<sup>(3)</sup> والترجي والإشفاق لا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة وذلك على الله محال، فلا بد فيه من التأويل.<sup>(4)</sup>

ثم ذكر الرازي رحمه الله خمسة تأويلات، قال: وهو من وجوه:

أحدها: أنَّ معنى "لعلَّ" راجع إلى العباد لا إلى الله تعالى، فقوله: (لعله يتذكر أو يخشى) أي اذهبوا على رجائكم وطمعكم في إيمانه، ثم الله تعالى عالم بما يؤول إليه أمره. ثانيها: أنَّ من عادة الملوك والعظماء أن يقتصروا في مواعيدهم التي يُوطَّنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا: "لعلَّ" و"عسى" ونحوهما من الكلمات، أو للظفر منهم بالرمزة، أو الابتسامة أو النظرة الخلوة، فإذا عُرِّت على شيء من ذلك لم يبق للطالب شك في الفوز بالمطلوب فعلى هذا الطريق ورد لفظ "لعلَّ" في كلام الله تعالى.<sup>5</sup>

هذا التأويل وكذلك التأويل الآتي (الثالث) جيلان جدا ولعلهما مناسبان بكرم ملك الملوك رب

العالمين جل شأنه وعمَّ نواله.

1 - البقرة - 21، التفسير الكبير -

2 - طه - 44

3 - الشورى - 17

4 - مفاتيح الغيب، ج 2 ص 334

5 - المرجع نفسه.

وقال الرازي:

وثالثها: ما قيل أنَّ "لعلَّ" بمعنى "كَي"، قال صاحب الكشف:

"ولعلَّ" لا يكون بمعنى "كَي"، ولكنَّ كلمة "لعلَّ" للإطماع، والكريم الرحيم إذا أطمع فعلى ما يُطمع فيه لا محالة تجري أطماعه مجرى وعده بالحنوم، فلهذا السبب قيل: "لعلَّ" في كلام الله تعالى بمعنى "كَي".

ورابعها: أنه تعالى فعلٌ بالمتكلمين ما لو فعله غيره لاقتضى رجاء حصول المقصود، لأنه تعالى لما أعطاهم القدرة على الخير والشر وخلق لهم العقول الهادية وأزاح أعذارهم، فكلُّ من فعلَ بغيره ذلك فإنه يرجوا منه حصول المقصود، فالمراد من لفظة "لعلَّ" فعلٌ ما لو فعله غيره لكان مُوجباً للرجاء.<sup>(1)</sup>

ونقل الرازي تأويلاً خامساً عن القفال، قال: قال القفال: "لعلَّ" مأخوذ من تكرار الشيء كقولهم: عللاً بعد غلٍ، واللام فيها هي لام التأكيد كاللام التي تدخل في "لقد"، فأصل "لعلَّ": غلَّ، لأنهم يقولون: علَّك أن تفعل كذا، أي: لعلَّك، فإذا كانت حقيقته التكرير والتأكيد كان قول القائل: افعل كذا لعلَّك نظير بحاجتك. معناه:

افعله فإنَّ فعلك له يؤكِّد طلبك له ويُقوِّيك عليه.<sup>(2)</sup>

فعلى ضوء تفسير الفخر الرازي رحمه الله تعالى وتأويلاته المذكورة آنفاً السُّرِّ البلاغي في استخدام كلمة "لعلَّ" في قوله تعالى:

(واتقوا الله لعلكم تفلحون)<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)<sup>(4)</sup>

الترغيب من الله الكريم لعباده لتعميل أحكامه وتوكيد الرجاء لهم في الفلاح والفوز برحمته تعالى إذا اتقوا ربَّهم الكريم وأطاعوه وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم.

1 - معاني الغيب، ج 2 ص 334-335

2 - المرجع نفسه، ص 335

3 - آل عمران - 130

4 - آل عمران - 132

والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما كان الناس يأخذون الربا ليُرَبُّوا أموالهم بالربا ويزيدوا فيه ويكثروها قال تعالى رداً على فكرهم

الباطلة:

(وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّنا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق:

قال تعالى في الآية السابقة على هذه الآية الكريمة:

(قَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>(2)</sup>

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى مبيناً الربط بين الآيتين و بلاغة السياق:

لما جرى الترغيب والأمر ببذل المال لذوى الحاجة وصلة الرحم وما في ذلك من الفلاح أعقب بالترهيد في ضرب آخر من إعطاء المال لا يرضى الله تعالى به. وكان الربا فاشياً في زمن الجاهلية وصدر الإسلام وخاصة في ثقيف وقريش فلما أرشد الله المسلمين إلى مواساة أغنيائهم فقراءهم أتبع ذلك بتهئية نفوسهم للكف عن المعاملة بالربا للمقترضين منهم، فإن المعاملة بالربا ثنائي المواساة لأنَّ شأن المقترض أنَّه ذو خلة، وشأن المقرض أنَّه ذو جدَّة فمعاملته المقترض منه بالربا افتراضٌ لحاجته واستغلالٌ لاضطراره وذلك لا يليق بالمؤمنين. (3)

وزاد ابن عاشور رحمه الله قائلاً - مبيناً بلاغة الأسلوب في الآية الكريمة -:

و"ما" شرطية تُفيد العموم، فالجملة معترضة بعد جملة: (قَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ...) الخ<sup>(3)</sup> والواو

اعتراضية ومضمون هذه الجملة بمنزلة الاستدراك للتنبيه على إتياء مالٍ هو ذميمٌ وجيء بالجملة شرطية

1 - الروم - 39

2 - الروم - 38 - التحرير والتنوير ج 21 ص 105

3 - الروم - 38

لأنها أنسب بمعنى الاستدراك على الكلام السابق، فالخطاب للمسلمين الذين يريدون وجه الله، الذين كانوا يقرضون بالربا قبل تحريمه.<sup>(1)</sup>

وهذا يدل على أن هذه الآية نزلت قبل آيات سورتي البقرة، وآل عمران - التي قد مرَّ البحث عليها - ويدل عليه أيضاً كون سورة الروم مكية وكونها مدينتين. والله تعالى أعلم .

وفي الآية الكريمة أسرار بلاغية أخرى أفادنا بها ابن عاشور رحمه الله تعالى، قال:

وجملة: (فأولئك هم المضعفون) جوابٌ (وما آتيتم من زكاة) أي فمؤثوهم هم المضعفون، أي أولئك الذين حصل لهم الإضعاف وهو إضعاف الثواب. وضمير الفصل لقصر جنس المضعفين على هؤلاء وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بإضعاف من عداهم لأنَّ إضعاف من عداهم إضعاف دنيوي زائل، واسم الإشارة في قوله: (فأولئك هم المضعفون) للتنويه هؤلاء والدلالة على أنهم أحرىء بالفلاح. واسم الإشارة إظهارٌ في مقام الإضمار اقتضاءً مقام اجتلاب اسم الإشارة.<sup>(2)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

هذه الآية في معنى قوله تعالى: (بحق الله الربا ويرى الصدقات)<sup>(3)</sup> سواء بسواء يُريد: وما أعطيتم أكلة الربا من ربا ليربوا في أموالهم: ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يُبارك فيه. وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يُهدي له ليعوّضه أكثر مما وهب أو أهدى، فليست تلك الزيادة بحرام، ولكن المعوّض لا يُتاب على تلك الزيادة.<sup>(4)</sup>

وهناك رأى آخر في تفسير هذه الآية كما مرَّ آنفاً قول الزمخشري الذي رواه بـ"قيل" وقوله: وقالوا: الربا ربوان: فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجزئ منفعة، والذي ليس بحرام: أن يستدعى بهبته أكثر منها.<sup>(5)</sup>

وابن عاشور أيضاً - مثل الزمخشري - أولاً حمل الآية على الربا المعروف عموماً، قال:

1 - المرجع نفسه

2 - التحرير والتوير، ج 21 ص 106-107

3 - البقرة - 276

4 - الكشف - ج 3 ص 481

5 - الكشف، ج 3 ص 481

و"من" في قوله: "من ربا" وقوله: "من زكاة" بيانية مبيّنة لإيهام "ما" الشرطية في الموضوعين. وتقدّم الربا في سورة البقرة، ومعنى (فلا يربو عند الله) أنه عمل ناقص عند الله، غير زاكٍ عنده، والنقص يُكَيِّدُ به عن المذمّة والتحقيق. وهذا التفسير هو المناسب لمحمّل لفظ "الربا" على حقيقته المشهورة، ولموافقة معنى قوله تعالى: (يحقق الله الربا ويؤري الصدقات)،<sup>(1)</sup> ولمناسبة ذكر الأضعاف في قوله هنا: (فأولئك هم المضعفون) وهذا المعنى مروى عن السدي والحسن.<sup>(2)</sup>

ثم ذكر المحمل الآخر لهذه الآية الكريمة فقال:

وبحوز أن يكون لفظ "ربا" في الآية أطلّق على الزيادة في مالٍ لغيره، أي إعطاء المال لذوي الأموال قصد الزيادة في أموالهم تقرباً إليهم، فيشمل هبة الثواب والهبة للزلفى والملقى، ويكون الغرض من الآية التنبيه على أن ما كانوا يفعلون من ذلك لا يُغني عنهم من موافقة مرضاة الله تعالى شيئاً وإنما نفعه لأنفسهم. ودَرَج على هذا المعنى حَمَّ غفير من المفسرين فيصير المعنى: وما أعطيت من زيادة لتزيدوا في أموال الناس، وتصير كلمة (لتربوا) توكيداً لفظياً ليعلق به قوله: (في أموال الناس).<sup>(3)</sup>

ومن بلاغة القرآن الحكيم في ذمّ الربا أنه قد ذكره في عِدَادِ جرائم اليهود وخبائثهم التي حلّت بهم من أجلها أنواع من العذاب. قال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)<sup>(4)</sup>

لقد تضمنت الآية الكريمة أسراراً بلاغية جمّة من حيث سياقها ومن حيث أسلوبها أفاد بها المفسرون كلّ بقدر ما فتح الله عليه كما سنرى - إن شاء الله تعالى - .

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

(فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ)<sup>(5)</sup>

1 - البقرة - 276

2 - التحرير والتنوير، ج 21 ص 106

3 - المرجع نفسه.

4 - النساء - 160-161

5 - النساء - 160

وهذا يدل على أن هذه الآية نزلت قبل آيات سورتي البقرة، وآل عمران - التي قد مرَّ البحث عليها - ويدل عليه أيضاً كون سورة الروم مكية وكونها مدينتين. والله تعالى أعلم .

وفي الآية الكريمة أسرار بلاغية أخرى أفادنا بها ابن عاشور رحمه الله تعالى، قال:

وجملة: (فأولئك هم المضعفون) جوابُ (وما آتيتكم من زكاة) أي فمؤثووه هم المضعفون، أي أولئك الذين حصل لهم الإضعاف وهو إضعاف الثواب. وضمير الفصل لقصر جنس المضعفين على هؤلاء وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بإضعاف من عداهم لأنَّ إضعاف من عداهم إضعاف دُنيوي زائل، واسم الإشارة في قوله: (فأولئك هم المضعفون) للتنويه بهؤلاء والدلالة على أنهم أحرىء بالفلاح. واسم الإشارة إظهار في مقام الإضمار اقتضاء مقام اجتلاب اسم الإشارة.<sup>(2)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

هذه الآية في معنى قوله تعالى: (بحق الله الربا ويرى الصدقات)<sup>(3)</sup> سواء بسواء يُريد: وما أعطيتكم أكلة الربا من ربا ليربوا في أموالهم: ليزيد ويركوي أموالهم فلا يركو عند الله ولا يبارك فيه. وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يُهدي له ليَعُوْضَه أكثر مما وهب أو أهدى، فليست تلك الزيادة بحرام، ولكن المعوْض لا يُثاب على تلك الزيادة.<sup>(4)</sup>

وهناك رأى آخر في تفسير هذه الآية كما مرَّ آنفاً قول الزمخشري الذي رواه "بقي" وقوله: وقالوا: الربا ربوان: فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجزئ منفعة، والذي ليس بحرام: أن يستدعى بهبته أكثر منها.<sup>(5)</sup>

وابن عاشور أيضاً - مثل الزمخشري - أولاً حمل الآية على الربا المعروف عموماً، قال:

و"من" في قوله: "من ربا" وقوله: "من زكاة" بيانية مبيّنة لإيهام "ما" الشرطية في الموضوعين. وتقدّم الربا في سورة البقرة، ومعنى (فلا يربو عند الله) أنه عمل ناقص عند الله، غير زاكٍ عنده، والنقص

2 - التحرير والتنوير، ج 21 ص 106-107

3 - البقرة - 276

4 - الكشاف - ج 3 ص 481

5 - الكشاف، ج 3 ص 481

يُكْنَى به عن المذمة والتحقير. وهذا التفسير هو المناسب لحمل لفظ "الربا" على حقيقته المشهورة، ولموافقة معنى قوله تعالى: (يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ)،<sup>(1)</sup> ولمناسبة ذكر الأضعاف في قوله هنا: (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ) وهذا المعنى مروى عن السدى والحسن.<sup>(2)</sup>

ثم ذكر المحمل الآخر لهذه الآية الكريمة فقال:

ويجوز أن يكون لفظ "رباً" في الآية أُطْلِقَ على الزيادة في مالٍ لغيره، أي إعطاء المال لذوي الأموال قصد الزيادة في أموالهم تقريباً إليهم، فيشمل هبة الثواب والهبة للزلفى والملق، ويكون الغرض من الآية التنبيه على أن ما كانوا يفعلون من ذلك لا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْئاً وإنما نفعه لأنفسهم. ودَرَجَ على هذا المعنى جَمٌّ غفير من المفسرين فيصير المعنى: وما أعطيتكم من زيادة لتزيدوا في أموال الناس، وتصير كلمة (لتربوا) تأكيداً لفظياً ليعَلِّقَ به قوله: (في أموال الناس).<sup>(3)</sup>

ومن بلاغة القرآن الحكيم في ذمّ الربا أنه قد ذكره في عداد جرائم اليهود وخبائثهم التي حلّ بهم من أجلها أنواع من العذاب. قال تعالى: (فِظْلُمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)<sup>(4)</sup>

لقد تضمنت الآية الكريمة أسراراً بلاغية جمّة من حيث سياقها ومن حيث أسلوبها أفاد بها المفسرون كلّ بقدر ما فتح الله عليه كما سنرى - إن شاء الله تعالى - .

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

(فِظْلُمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)<sup>(5)</sup>

المعنى: فبظلمٍ عظيم، أو فبظلمٍ أي ظلمٍ. وحذف الصفة لفهم المعنى جائز كما قال:

1 - البقرة - 276

2 - التحرير والتنوير، ج 21 ص 106

3 - المرجع نفسه.

4 - النساء - 160-161

5 - النساء - 160

"لقد وقعت على لحمٍ أيٍّ لحمٍ مُتَّبِعٍ"، ويتعلق بـ(حَرَمْنَا) وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فُحش الظلم وتقييحا له وتحذيراً منه. (وأخذهم الربا وقد نُحُوا عنه)<sup>(1)</sup> وهذه الجملة حالية تُفيد تأكيد قُبْح فعلهم وسوء صنيعهم، إذ ما نهي الله عنه يجب أن يُعَدَّ عنه. قالوا: والربا محرم في جميع الشرائع.<sup>(2)</sup>

وزاد أبو حيان قائلاً: موضّحاً بلاغة السياق:

وفي هذه الآية فَصَّلَتْ أنواعُ الظلم الموجبٍ لتحريم الطيبات قيل: كانوا كلما أحدثوا ذنباً حُرِّم عليهم بعض الطيبات، وأُهِمِلَ هُنَا تفصيل الطيبات، بل ذُكِرَتْ نكرة مبهمة وفي المائدة فَصَّلَ أنواع ما حُرِّم ولم يُفَصَّل السبب. فقيل: (ذلك جزيناهم ببيعهم).<sup>(3)</sup>

وبهذا أشار أبو حيان رحمه الله تعالى إلى ما يُسمى في علم نحو النص بـ"التناص" بين آيتي "سورة النساء" و"سورة المائدة". أي تكامل بعضهما مع بعضٍ وتعاثفهما - على حدّ تعبير شيخى في علم نحو النص فضيلة الأستاذ الدكتور محمود عبدالسلام شرف الدين متّعنا الله وجميع تلاميذه بطول حياته - آمين.

وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى - مبيّناً بلاغة سياق الآيتين الكريمتين -:

واعلم أنه تعالى لما شرح فضائح أعمال اليهود وقبائح الكافرين وأفعالهم ذكر عقيه تشديده تعالى عليهم في الدنيا وفي الآخرة، أما تشديده عليهم في الدنيا فهو أنه تعالى حرّم عليهم طيبات كانت محللة لهم قبل ذلك..... ثم إنه تعالى بيّن ما هو كالعلة الموجبة لهذه التشديدات.<sup>(4)</sup>

وزاد الفخر رحمه الله تعالى قائلاً:

واعلم أنّ أنواع الذنوب محصورة في نوعين: الظلم للخلق، والإعراض عن الدين الحق، أما ظلم الخلق فالإشارة بقوله: (وبصدّهم عن سبيل الله)، ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص في طلب المال، فتارة يُحَصِّلُونَهُ بالربا مع أنهم نُحُوا عنه، وتارة بطريق الرشوة وهو المراد بقوله: (وأكلهم أموال الناس

1 - النساء - 161

2 - البحر المحيط، ج 1 ص 133

3 - الرجع نفسه

4 - مفاتيح الغيب، ج 11 ص 264

بالباطل)، ونظيره قوله تعالى: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)<sup>(1)</sup> فهذه الأربعة هي الذنوب الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا وفي الآخرة.<sup>(2)</sup>

وقال السيد الآلوسي رحمه الله تعالى - وزادنا فائدة بلاغية -:

(فبظلم من الذين هادوا) أي تابوا من عبادة العجل. والتعبير عنهم بهذا العنوان<sup>(3)</sup> إيداناً بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد تلك التوبة الهائلة إثر بيان عظمه بالتنوين التفخيمي، أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والنظائر صادر عنهم حرماً عليهم طيبات أُحِلَّت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا.<sup>(4)</sup>

وزاد الآلوسي رحمه الله تعالى قائلاً:

(وَبَصَّغَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا...) وهذا معطوف على الظلم. وجعله وكذا ما عطف عليه في الكشف بياناً له، وهو - كما قال بعض المحققين - لدفع ما يُقال: إن العطف على المفعول المتقدم يُنافي الحصر، ومن جعل "الظلم" بمعناه وجعل "بَصَّغَهُمْ" متعلقاً بمحذوف فلا إشكال عليه، ومن هذا يُعلم تخصيص ما ذكره أهل المعاني من أنه مُنافٍ للحصر بما إذا لم يكن الثاني بياناً للأول كما إذا قلت: "بذنوب ضربت زيدا وبسوء أدبه" فإن المراد فيه: لا بغير ذنب، وكذا خصصوا ذلك بما إذا لم يكن الحصر مستفاداً من غير التقديم.<sup>(5)</sup>

وذكر الآلوسي فائدة أخرى في إعادة الباء السببية في (وبصَّغَهُمْ) وعدم إعادتها في قوله تعالى:

(وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا) قال:

وأعيدت الباء هنا يعني في قوله تعالى (وَبَصَّغَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)<sup>(6)</sup>

ولم تُعد في قوله تعالى: (وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا) وقد هُوا عنه) لأنه فُصِّلَ بين المعطوف والمعطوف عليه بما

ليس معمولاً للمعطوف عليه وحيث فُصِّلَ بمعموله لم تُعد.<sup>(1)</sup>

1 - المائة - 43.

2 - المرجع نفسه.

3 - أي: الذين هادوا. (الباحث)

4 - روح المعاني، ج 3 ص 189

5 - المرجع نفسه

6 - الباحث

من بلاغة القرآن الحكيم في بيانه أحكام الديون :

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رُسُلَهُ عليهم الصلوات والتسليمات وعلى آحَرَهُم خاتم الأنبياء ومصدقاً لما بين يديه من الرسل عليه أفضل صلواتِ الله وأكرم تحيَّاتِه وتسليماته وأعظم بركاته وعلى آله وأصحابه ليقوم الناس بالقسط، وكان من مقتضيات القيام بالقسط الحفاظ الكامل على أموال الناس من الضياع كانت في أيديهم أو أيدي المقترضين، لذلك نرى أنَّ الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته المباركة قد اهتمَّ بأمر الدين اهتماماً غير عاديٍّ حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما كان يُدعى للصلاة على جنازة كان يسأل: هل عليه دينٌ، إن كان فهل ترك مالاً يُؤدِّي منه دينه أو هناك مَنْ يضمن عن الميت أداء دينه فكان يُصَلِّي عليه وإلا لا. وقد وَرَدَ بذلك أحاديث كثيرة. منها ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُصَلِّي على رجلٍ مات وعليه دينٌ، فَأَتَيْتُ بِمَيْتٍ فقال - صلى الله عليه وسلم - أعلية دينٌ؟ قالوا: نعم ديناران قال: صَلُّوا على صاحبكم. فقال أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه: هُما عليٌّ يا رسول الله. قال: فَصَلَّيْ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه فمن ترك ديناً فعَلَيْ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته. (2)

وأشدُّ منه ما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يُغْفَرُ للشَّهِيدُ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ. (3)

فكذلك القرآن الحكيم قد دل على أهمية الدين في نظمه الكريم بأساليب شتى.

منها تكريره في آيتين من آيات الموارث أربع مرَّاتٍ، ومنها ثلاث مرَّاتٍ في آية واحدة. قال تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ

1 - المرجع نفسه.

2- سنن أبي داود، ج 9 ص 176

3- مسند أحمد، ج 2 ص 220

وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَكُمْ يَصْنَفُ مَا تَرَكُوا لِأَزْوَاجِكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنَ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ<sup>(1)</sup>

ففي الآية الأولى بيّن القرآن الحكيم فروض الأولاد، والأبوين والإخوة والأخوات وقيد تلك الفروض كلها بقوله: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) فأولاً يؤدّى الدين وتنفذ الوصية، ثم يُقسّم الميراث.

وكذلك في الآية الثانية بيّن القرآن الحكيم ما يستحقه الرجل من تركة امرأته وقيدته، بكونه من بعد وصية توصي بها المرأة أو الدين، ثم بيّن القرآن الحكيم ما تستحقه المرأة من تركة زوجها وقيدته بكونه بعد أداء الدين وتنفيذ الوصية إن أوصاها، ثم بين القرآن الحكيم ميراث الكلاله وقيدته أيضاً بكونه من بعد وصية يُوصي بها أو دين. فتكرير هذا القيد ثانياً وثالثاً ورابعاً - حيث كان من الممكن أن يذكر في الأول أو في الآخر مرة واحدة - فيه لأبلغ دلالة على أهمية الدين والوصية في الذكر الحكيم.

كما قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً وتشديداً من أمره، وإنما يُفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كرّرت فيه كلامك إمّا مبالغة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك.<sup>(2)</sup>

وقال أبو هلال العسكري:

وكلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز والإطناب والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط لئلاّ يستدلّ بالقصد على العالي وليخرج السامع من شيء إلى شيء فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته

1- النساء - 11، 12

2- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 3 ص 3، المؤلف ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد، المتوفى 637هـ، المحقق: أحمد الحوفي وبدوي طيانة، الناشر: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

فيصرفون في وجوه الكلام إيجازه وإطنابه حتى استعملوا التكرار ليتوَدَّد القول للسامع.<sup>(1)</sup>

وهناك شيء آخر لا بُدَّ ألا نغفل عنه أنَّ الدين ولو أُخِّر ذكره على الوصية ولكن الشارح الأول لكتاب الله العزيز، الذي قال الله سبحانه مخاطباً إياه: ".... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"<sup>(2)</sup> إنه صلى الله عليه وسلم قدَّم الدين على الوصية (في العمل).

كما روى ابن ماجه في سننه عن سيدنا عليٍّ كرم الله تعالى وجهه أنه قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية، وأنتم تقرؤونها: "من بعد وصية يوصي بها أو دين."<sup>(3)</sup>

وروى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: أخبرنا سفيان عن هشام بن حجير عن طاؤس عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قيل له: كيف تأمر بالعمرة قبل الحج والله يقول:

"وأتموا الحج والعمرة؟"<sup>(4)</sup> فقال: كيف تقرؤون؟ إنَّ الدينَ قبل الوصية أو الوصية قبل الدين؟ قالوا: الوصية قبل الدين، قال: فبأيَّهما تبدؤون؟ قالوا: بالدين، قال: فهو ذلك.<sup>(5)</sup>

وهنا ينشأ سؤال، وهو أنه إن كان أمر الدين مقدماً على الوصية فكان من مقتضى المقام في الظاهر أن يُقدَّم الدين على الوصية في النظم الحكيم، فلأَيِّ سِرٍّ بلاغيٍّ خولف مقتضى الظاهر هذا؟

أجاب الزمخشري عن هذا السؤال، قال:

فإن قُلْتُ: لِمَ قُدِّمَتِ الوصية على الدين والدين مُقَدَّمٌ عليها في الشريعة؟ قُلْتُ: لما كانت الوصية مشبَّهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عَوْضٍ، كان إخراجها مما يَشُقُّ على الورثة ويتعاضمهم ولا تطيب أنفسهم، فكان أداؤها مظنةً للتفريط، بخلاف الدين فإنَّ نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قُدِّمَت على الدين بعثاً على وجوبها والمصارعة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة

1- الصاغتین (باب الحاجة إلى الإيجاز والإطناب ص 193، المؤلف: أبو هلال الحسين بن عبدالله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران

المسكوي المتوفى 395هـ، المحقق: علي محمد الجهادي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ.

2- النحل - 44

3- سنن ابن ماجه ج 2 ص 906

4- البقرة - 196

5- مسند الإمام الشافعي رحمه الله - ج 1 ص 384

"أو" للتسوية بينهما في الوجوب، <sup>(1)</sup>.

ثم زادنا النظم الحكيم في قوله تعالى: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) <sup>(2)</sup> قال

الزمخشري رحمه الله تعالى :

ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ وَرَغَّبَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) أَي لَا تَدْرُونَ

مَنْ أَنْفَعَ لَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ، أَمَّنْ أَوْصَى مِنْهُمْ أَمَّنْ لَمْ يُوصَ؟

(فريضة) نُصِبَتْ نَصَبُ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكَّدِ، أَي فَرَضَ ذَلِكَ فَرَضًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ

حَكِيمًا فِي كُلِّ مَا فَرَضَ وَقَسَمَ مِنَ الْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا. <sup>(3)</sup>

لَعَلَّ أَحَدًا يَظُنُّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (فَرِيضَةٌ) تَوْكِيدٌ لِأَمْرِ الْوَصِيَّةِ فَقَطْ أَوْ تَقْسِيمِ الْمِيرَاثِ فَقَطْ! فَهَذَا

الظَنُّ يُخَالِفُ مَقْتَضَى الْمَقَامِ مِنَ السِّيَاقِ، بَلْ إِنْ هَذَا التَّوْكِيدُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَا فِي آيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ نُصَبِ

الْمِيرَاثِ وَالْوَصِيَّةِ وَالْدِّينِ، بَلْ إِنْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الدِّينِ أَهْمًا جَمِيعًا مَا قَالَ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ

اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ). <sup>(4)</sup> :

المعنى: أَنَّ قِسْمَةَ الْمَالِ بَيْنَ مَا ذُكِرَ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ خُرُوجِ مَا يَجِبُ إِخْرَاجُهُ بِوَصِيَّةٍ أَوْ دِينٍ. وَلَيْسَ

تَعَلُّقُ الدِّينِ وَالْوَصِيَّةِ بِالْتَّرَكَةِ سَوَاءً، إِذْ لَوْ هَلَكَ مِنَ التَّرَكَةِ شَيْءٌ قَبْلَ الْقِسْمَةِ ذَهَبَ مِنَ الْوَرِثَةِ وَالْمَوْصَى لَهُ

جَمِيعًا، وَيَقَى الْبَاقِي بَيْنَهُم بِالشَّرَكَةِ، وَلَا يَسْقُطُ مِنَ الدِّينِ شَيْءٌ بِهَلَاكِ شَيْءٍ مِنَ التَّرَكَةِ. <sup>(5)</sup>

وما قال أبو حيان أيضاً مبيناً السرَّ البلاغي في تقديم الوصية على الدين في النظم الحكيم:

والمعنى: مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ أَوْصَى بِهَا، وَمَعْنَى: (أَوْ دِينٍ)، لَزِمَهُ، وَقَدَّمَ الْوَصِيَّةَ عَلَى الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ أَدَاءُ

الدِّينِ هُوَ الْمَقْدَّمُ عَلَى الْوَصِيَّةِ بِإِجْمَاعِ اهْتِمَامًا بِهَا وَبَعَثًا عَلَى إِخْرَاجِهَا... <sup>(6)</sup>

1- الكشف ج 1 ص 484

2- النساء - 11

3- الكشف، ج 1 ص 484

4- النساء - 11

5- البحر المحيط ج 3 ص 541

6- المرجع نفسه ص 542

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

(من بعد وصية أوصى بها أو دين) المجرور في موضع الحال، فهو ظرفٌ مستقرٌّ، وهو قيد يرجع إلى الحمل المتقدمة، أي تقتسمون المال على حسب تلك الأنصاء لكل نصيبه حالة كونه من بعد وصية أو دين.<sup>(1)</sup>

وزاد ابن عاشور قائلاً ومبيناً السر البلاغي لهذا القيد:

وجيء بقوله: (من بعد وصية يوصى بها أو دين) بعد ذكر صنفين من الفرائض:

فرائض الأبناء وفرائض الأبوين، لأن هذين الصنفين كصنف واحد إذ كان سببهما عمود النسب المباشر، والمقصد هنا التنبيه على أهمية الوصية وتقدمها، وإنما ذكر الدين بعدها تمييزاً لما يتعين تقديمه على الميراث مع علم السامعين أنه يتقدم على الوصية أيضاً لأنه حق سابق عن دين دائنه فموقع عطف (أو دين) موقع الاحتراس، ولأجل هذا الاهتمام كرّر الله هذا القيد أربع مرات في هذه الآيات.<sup>(2)</sup> والاحتراس عند البلاغيين هو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال كقوله تعالى: (اسئلك يذك في جيبك تخرج يبيضاء من غير سوء)<sup>(3)</sup> فاحترس سبحانه وتعالى بقوله: (من غير سوء) عن إمكان أن يدخل في ذلك البهق والبرص.<sup>(4)</sup>

السر البلاغي في ختم هذا المضمون بقوله (غير مضار وصية من الله والله عليم خليم) وقال تعالى في النهاية - بعد ذكر جميع الأنصاء -: (غير مضار وصية من الله والله عليم خليم)<sup>(5)</sup>

ما بلاغة هذا الكلام الذي ختم به هذا المضمون لله؟ قال البقاعي: ولما كان الميت قد يُضار ورثته، أو بعضهم بشيء يخرجهم ظاهراً أو باطناً كأن يُقر من ماله لأجنبي، أبو يدين لا حقيقة له، أو يدين كان له بأنه استوفاه؛ ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله: (غير مضار) مع ما تقدم من الإشارة

1- التحرير والتنوير، ج 4 ص 261

2- المرجع نفسه.

3- القصص-32

4- القصص - 33

5- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج 3 ص 64-65

إلى ذلك أول القصة بقوله: (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا)،<sup>(1)</sup> ثم أكد ذلك بقوله مصدراً "ل'يوصيكم": (وصية من الله) أي الذي له الأمر كله مع تأكيده بجميع ما في الآيات تعظيماً للأمر باكتناف الوصية بأولها وآخرها.<sup>(2)</sup>

فقوله جلّ وعلا شأنه: (غير مضار وصية من الله) - على ما فسّر البقاعي رحمه الله تعالى - مما سماه البلاغيون "الإرصاد أو التسهيم".<sup>3</sup>

بلاغة فاصلة الآية بقوله جلّ وعلا شأنه: (والله عليم حلیم)<sup>(4)</sup>

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما بين سبحانه الأصول وفصل النزاع، وكان ذلك خلاف مألوفهم كان الفطام عن المؤلف في الذروة من المشقة: اقتضى الحال الوعظ بالترغيب والترهيب فحتم القصة بقوله: "عليم" أي فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل أو نية أو غيرها، "حليم" فهو من شأنه أن لا يعاجل بالعقوبة فلا يُغترّ بإمهاله، فإنه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يُفْلِت فاحذروا غضب الحليم. وفي الوصفين مع التهديد استحلاب للتوبة.<sup>(5)</sup>

فما أبلغ وما أجمل هذا التذييل للآية الكريمة.

1- النساء - 11

2- نظم الدرر ج 5 ص 212

3 - قال المراغي رحمه الله تعالى: الإرصاد، التسهيم: الإرصاد لغة نصب الرقيب في الطريق والتسهيم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سهام، واصطلاحاً أن يجعل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمهما عند معرفة الروي، كقوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ أَلْفُ الْكَافُورِ} 2، وقول البحتري: أحلت دمي من غير جرم وحرمت... بلا سبب يوم اللقاء كلامي (من الطويل) فليس الذي حللته محلل... وليس الذي حرمته بمرام. فالسامع إذا وقف على قوله تعالى: {وَهُلْ يُجَازِي}، بعد الإحاطة، بما تقدم علم أنه ليس "إلا الكفور"، والهاذاق بمعنى الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في بني البحتري أن ليس عجزه إلا ما قاله. (علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 324)

4- النساء - 12

5- نظم الدرر، ج 5 ص 213

أطول آية في بيان أحكام الدين:

قال الله تبارك وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(1)</sup>)

فمما يدلُّ على أهمية مسألة الديون وحفاظها من الضياع نزول أطول آية في القرآن الحكيم في

بيان أحكامها، بأبلغ أسلوب قد اشتمل على نكات وأسرار بلاغية جمَّة:

فمنها أنه جل وعلا شأنه قال: (إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ).

بَيِّنُ الرَّمَحْشَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ نَكْتَيْنِ.

الأولى: في قوله: (بدین) والثانية في قوله: (إلى أجلٍ مسمى).

قال الرمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت: هَلَّا قِيلَ: "إِذَا تَدَايَنْتُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى" وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى ذِكْرِ الدِّينِ، كَمَا قَالَ:

"دَايَنْتُ أَرَوَى"، وَلَمْ يَقُلْ: "بِدِينٍ"؟

قلت: ذَكِّرَ لِيَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: (فَاكْتُبُوهُ)، إِذْ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ لَوَجَبَ أَنْ يُقَالَ: "فَاكْتُبُوا

الدِّينَ"، فَلَمْ يَكُنِ النِّظْمُ بِذَلِكَ الْحُسْنَ، وَلَأنَّهُ أَبَيَّنَ لَتَنْوِيعِ الدِّينِ إِلَى مُؤَجَّلٍ وَحَالٍ. فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ

قوله: (مسمى)؟ قلت: ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام.<sup>(1)</sup>

إذاً فعلى هذا قوله سبحانه (إلى أجل مسمى) فيه إدماج، كما قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:  
وقوله: (إلى أجل مسمى) طلب تعيين الآجال للديون لئلا يقعوا في الخصومات والتداعي في المرادات، فأدمج تشريع التأجيل في أثناء تشريع التسجيل<sup>(2)</sup>، والأجل مدة من الزمان محدودة النهاية بمجولة ظرفاً لعمل غير مطلوب فيه المبادرة لرغبة تمام ذلك العمل عند انتهاء تلك المدة أو في أثنائها.  
وزاد ابن عاشور في توضيح معنى "المسمى" قائلاً:

و"المسمى" حقيقته: المميز باسم يميزه عما يشابهه في جنسه أو نوعه، فمنه أسماء الأعلام وأسماء الأجناس، و"المسمى"، هنا مستعار للمعين المحدود، وإنما يقصد تحديده بنهاية من الأزمان المعلومة عند الناس، فشبه ذلك بالتحديد بوضع الاسم بجامع التعيين، إذ لا تميزه عن أمثاله إلا بذلك، فأطلق عليه لفظ التسمية.<sup>(3)</sup>

وقوله تعالى: (وليكتب بينكم بالعدل)

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب السوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتدائنين باختيار كاتب فقيه ديني حتى يحىء مكتوبه موثقاً به معدلاً بالشرع.<sup>(4)</sup>  
والسر البلاغي في زيادة هذا القيد في النظم الحكيم الاهتمام بالحفاظ على أموال الناس من الضياع ودفع النزاع. والله أعلم.

ومن شدة الاهتمام بذلك قوله تعالى: (ولا يأت كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب)

1- الكشف (ج 1 ص 325)

2- التحرير والتنوير (99/3)

3- المرجع نفسه.

4- تفسير البيضاوي (164/1)

قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى مبيّناً فائدة تنكير "كاتب" في قوله تعالى: (ولا يأب كاتب) وبلاغة قوله: (أن يكتب كما علمه الله): ولا يمتنع أحدٌ من الكُتّاب: (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله من كتبه الوثائق، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابه كما نفعه الله بتعليمها، كقوله تعالى: (وأحسن كما أحسن الله إليك)<sup>(1)</sup> أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيداً.<sup>(2)</sup>

ومن غاية الاهتمام بهذا الأمر بين القرآن الحكيم طريقة الكتابة أيضاً بالتفصيل بما لا يزيد عليه، قال تعالى: (وليملل الذي عليه الحق) ونَبَّهه، كيلا يضر بصاحبه بخيانة في الإملاء فقال: (وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئاً) أمره بتقوى الله، وذكره بصفة ربوبيته التي مقتضاها أن لا يعصيه وأن يتوكل عليه وأن يسترزقه رزقاً حلالاً طيباً غير مكتسب بخيانة وجورٍ على عباد الله.

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

قوله: (وليتق الله ربه) جُمع ما بين الاسم الجليل والنعمة الجميل للمبالغة في التحذير، أي: وليتق المملئ دون الكتاب الذي يملئ عليه على الكاتب (شيئاً)، فإنه الذي يُتَوَقَّع منه خاصة، وأما الكاتب فيَتَوَقَّع منه الريادة كما يتوقع منه النقص فلو أريد نهي لَنُهي عن كليهما، وقد فعل ذلك حيث أمر بالعدل، وإنما شدد في تكليف المملئ حيث جُمع فيه بين الأمر بالاتقاء والنهي عن البغض لما فيه من الدواعي إلى المنهي عنه.<sup>(3)</sup>

وأفادنا هنا ابن عاشور رحمه الله تعالى بأسرار بلاغية مزيدة للنظم الكريم، الأولى في توجيه الأمر بالكتابة إلى الكاتب:

قال: فعل الأمر به إلى الكاتب مبالغة في أمر المتعاقدين بالاستكتاب. والعرب تعتمد إلى المقصود فتترله منزلة الوسيلة مبالغة في حصوله، كقولهم في الأمر:

"ليكن ولذكَ مُهَذَّباً" وفي النهي: "لا تنس ما أوصيتك" و"لا أعرفنك تفعل كذا"، فمتعلق فعل

1- القصص - 77

2- للمرجع نفسه.

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (270/1)

الطلب هو ظرف "بينكم" وليس هذا أمراً للكاتب، وأما أمر الكاتب فهو قوله: (ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب)<sup>(1)</sup>

والنكته الثانية التي أفادها ابن عاشور في قوله تعالى: (فليكتب)،

قال ابن عاشور:

وقوله: (فليكتب) تفریع على قوله: (ولا يأب كاتب) وهو تصريح بمقتضى النهي وتكرير للأمر في قوله: (فاكتبوه)، فهو يفيد تأكيد الأمر وتأكيد النهي أيضاً، وإنما أُعيدَ لِیُرْتَّبَ عليه قوله: (وليممل الذي عليه الحق) ليعُد الأمر بما وليه.<sup>(2)</sup>

والنكته الثالثة التي تفرّد بها ابن عاشور، هي إعادة ضميري الفاعل في فعلی (وليتق الله) و(ولا يخس) إلى الكاتب دون المملی وجعله إيجازاً بديعاً، قال:

ويحتمل أن يعود الضميران إلى كاتب بقرينة أن هذا النهي أشد تعلقاً بالكاتب فإنه الذي قد يغفل عن بعض ما وقع إملأؤه عليه. والضمير في قوله: (منه) عائد إلى الحق وحق لكلا المتدائنين، فإذا بخس منه شيئاً أضّر بأحدهما لا محالة. وهذا إيجاز بديع.<sup>(3)</sup>

ومن شدة الاهتمام بالحفاظ على حقوق بعض الناس على بعضهم ولا سيما الديون أمره سبحانه وتعالى للوليّ بإملاء الدين عند عجز من عليه الحق في قوله تعالى:

(فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَئَ هُوَ فَلْيُمْلَأْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ)،

وكما أمر الكاتب أن يكتب بالعدل ولا يجور أحد المتدائنين كذلك أمر الولي أن يمل بالعدل.

وزيادة في التوثق بحفاظة الحق أمرهم بالاستشهاد، فقال تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) وهنا نكته بلاغية في إضافة الرجال إلى ضمير المخاطبين المؤمنين الذين قد وُجّه إليهم الخطاب والأمر بالكتابة والاستشهاد منذ بداية الآية الكريمة في قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين...) الآية.

1- التحرير والتنوير (101/3)

2- التحرير والتنوير (103/3)

3- التحرير والتنوير (104/3)

قال ابن كثير: أمر بالاستشهاد على الكتابة لزيادة التوثيق.<sup>(1)</sup>

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

وفي الآية مسائل: ....

المسألة الثانية: الإضافة في قوله: (من رجالكم) فيه وجوه،

الأول: يعني من أهل ملئتكم وهم المسلمون.

الثاني: قال بعضهم: يعني الأحرار.

والثالث: من رجالكم الذين تعتدونهم للشهادة بسبب العدالة.<sup>(2)</sup>

واهتماماً بأمر الاستشهاد أمرهم في صورة عدم توفر رجلين - باستشهاد امرأتين مع رجل،

قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ يَمْنُنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: (ومن ترضون من الشهداء) فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود، وهذا مقيد، حكم

به الشافعي رحمه الله تعالى على كل مطلق في القرآن من الأمر بالاستشهاد من غير اشتراط.<sup>(3)</sup>

وقوله تعالى: (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فيه مجاز مرسل من قبيل إطلاق

السبب وإرادة المسبب، كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى مبينا إعراب قوله تعالى:

(أن تضل إحداهما): أن لا تهدي إحداهما للشهادة بأن تنساها. من: "ضل الطريق" إذا لم

يهتد له. وانتصابه على أنه مفعول له، أي: إرادة أن تضل.<sup>(4)</sup>

ثم شرح هذا المجاز المرسل قائلاً:

فإن قلت: كيف يكون ضلالها مراداً لله تعالى؟

قلت: لما كان الضلال سبباً للإذكار، والإذكار مسبباً عنه، وهم ينزلون كل واحدٍ من السبب

والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة

1- مختصر تفسير ابن كثير (252/1)

2- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (94/7)

3- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (724/1)

4- الكشاف (326/1)

للإذكار، فكأنه قيل: إرادة أن تُذكر إحداهما الأخرى، إن ضلّت، ونظيره قولهم: "أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه"، و"أعددت السلاح أن يجيء عدوّ فأدفعه".<sup>(1)</sup>

وكما أنه سبحانه وتعالى قد نهي الكاتب من الإباء عن الكتابة، وأمره أمراً مؤكداً بأن يكتب كما علمه الله، كذلك قد نهي جل مجده الشهيد "من الإباد عن الشهادة، فقال تعالى: (ولا يَأْب الشهداء إذا ما دُعوا).

وفي هذه الجملة أيضاً مجاز مرسل في تسميتهم "شهداء" باعتبار ما يكون، قال الزمخشري :

(إذا ما دُعوا) ليقموا الشهادة، وقيل: ليستشهدوا، وقيل لهم "شهداء" قبل التحمل، تنزيلاً لما يُشارف منزلة الكائن.<sup>(2)</sup>

وهذا نهي الشهداء من الإباء عن الشهادة، كنهى الكاتب عن الإباء عن الكتابة، كلّ اهتمام شديد بالحفاظ على أموال المسلمين من الضياع.

ثم مرة أخرى - مبالغة في التأكيد بأمر الكتابة - قال سبحانه وتعالى: (ولا تسموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله).

وأفادنا هنا الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود وغيرهم رحمهم الله تعالى بنكتة في قوله تعالى:

(ولا تسأموا) بدلاً من "ولا تكسلوا" قالوا :

كنى بالسأم عن الكسل، لأن الكسل صفة المنافق. ومنه الحديث: "لا يقول المؤمن "كسلت". ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته فاحتاج أن يكسب لكل دين صغيراً أو كبير كتاباً فرمما ملّ كثرة الكتب.<sup>(3)</sup>

ومن غاية لطف ربنا الكريم بعباده أنه بعد أمرهم بالكتابة والإشهاد مراراً وتكراراً بيّن لنا سرّاً ذلك وحكمته، قال عزّ برّهانه وعمّ نواله:

(ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا)

1- المرجع نفسه

2- الكشاف (326/1)

3- الكشاف (236/1) البيضاوي (164/1) أبو السعود (271/1)

قال المراغي رحمه الله تعالى: مبينا أسلوب القرآن الحكيم في بيان الأحكام:

ثم بين الحكمة في الأوامر والنواهي المتقدمة بعد ذكرها، وتلك سنة القرآن يذكر الأحكام، ثم يذكر أسرارها وفوائدها لتكون أثبت في النفس وأثلج للقلب.<sup>(1)</sup>

وزاد المراغي رحمه الله تعالى قائلاً في تفسير هذه الجملة من الآية الكريمة: أي ذلك الحكم أخرى بإقامة العدل بين المتعاملين، وأعون على إقامة الشهادة على وجهها.<sup>(2)</sup>

ثم استثنى القرآن الحكيم منه بقوله تعالى:

(إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا)

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

استثناء منقطع من الأمر بالكتاب، أي لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم حاضرة بحضور البديلين تديرونها بكم بتعاطيها يبدأ بيد. (فليس عليكم جناح ألا تكتبوها)، أي فلا بأس بأن لا تكتبوها لبُعده عن التنازع والنسيان.<sup>(3)</sup>

ومما يدل على شدة الاهتمام والاحتياط في المعاملات المالية في الكتاب الحكيم الأمر بالإشهاد مرة أخرى على التبايع في قوله تعالى: (وأشهدوا إذا تبايعتم).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: أمر بالإشهاد على التبايع مطلقاً، ناجزاً أو كائناً لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف، ويجوز أن يراد: وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة. على أن الإشهاد كافٍ فيه دون الكتابة.<sup>(4)</sup>

ومن أبلغ إيجاز وألطفه قوله جل وعلا شأنه:

(وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ)

قال ابن عطية رحمه الله تعالى:

1- تفسير المراغي (76/3)

2- المرجع نفسه

3- تفسير أبي السعود (271/1)

4- الكشاف (327/1)

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: (ولا يضار كاتب ولا شهيد)

فقال الحسن وقتادة وطاؤس وابن زيد وغيرهم:

المعنى: ولا يضار الكاتب بأن يكتب ما لم يُمل عليه ولا يضار الشاهد بأن يزيد في الشهادة أو

ينقص منها، وقال مثله ابن عباس ومجاهد وعطاء إلا أنهم قالوا: لا يضار الكاتب والشاهد بأن يمتنع.<sup>(1)</sup>

وزاد ابن عطية رحمه الله تعالى قائلاً:

قال القاضي أبو محمد:<sup>(2)</sup> ولفظ الضرر يُعْم هذا والقول الأول، والأصل في "يضار" على هذين

القولين "يضار" بكسر الراء ثم وقع الإدغام وفتحت الراء في الحزم لحققة الفتحة، وقال ابن عباس أيضاً

ومجاهد والضحاك والسدي وطاؤس وغيرهم: معنى الآية: ولا يضار كاتب ولا شهيد بأن يؤذيه طالب

الكتابة أو الشهادة فيقول: "اكتب لي أو اشهد لي" في وقت عُذر أو شغل للكاتب والشاهد فإذا اعتذرا

بعذرهما حرج وآذاهما، وقال: "خالفت أمر الله ونحو هذا من القول. ولفظ المضارة إذ هو من اثنين

يقتضى هذا المعاني كلها.<sup>(3)</sup>

فهذا من أجل إيجاز وألفه أن كلمة واحدة من النظم الحكيم قد أفادت في نفس الوقت معاني

شئ كلها مقصودة وإرادة كل منها حق.

كما قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

نَهَى عَنِ الْمَضَارَةِ وَهِيَ تَحْتِمِلُ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ مَصْدَرًا لِلْإِضْرَارِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمَكْتُوبُ لَهُ

وَالْمَشْهُودُ لَهُ مَصْدَرًا لِلْإِضْرَارِ: لِأَنَّ يُضَارَّ يَحْتِمِلُ الْبِنَاءَ لِلْمَعْلُومِ وَلِلْمَجْهُولِ، وَلَعَلَّ اخْتِيَارَ هَذِهِ الْمَادَّةِ هُنَا

مَقْصُودٌ، لِاخْتِمَالِهَا حُكْمَيْنِ، لِيَكُونَ الْكَلَامُ مُوَجَّهًا فَيَحْتَمِلُ عَلَى كِلَا مَعْنَيْهِ لِعَدَمِ تَنَافُيهِمَا، وَهَذَا مِنْ

وَجْهِ الْإِعْجَازِ .... وَقَدْ أَخَذَ فَقَهَاؤُنَا مِنْ هَاتِهِ الْآيَةِ أَحْكَامًا كَثِيرَةً تَتَفَرَّعُ عَنِ الْإِضْرَارِ.<sup>(4)</sup>

وبعد النهي عن مضارة الكاتب والشهيد قال تعالى: (وَأَنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ) مما يلاحظ هنا أنه قد

حذِف مفعول الفعل، "تفعلوا" فما السر في ذلك؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى: (فإنه فسوق بكم)؟

1- المهرر الوجير في تفسير الكتاب العزيز (384/1)

2- يريد نفسه (الباحث)

3- المرجع نفسه

4- التحرير والتنوير (117/3)

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

(وإن فعلوا) أي ما نهيكم عنه من الضرار وغيره (فإنه فسوق) أي: خروج (بكم) عن الشرع

الذي نهيكم الله لكم، قال الحرالي: وفي صيغة "فعل" تأكيد وتشديد في النذارة.<sup>(1)</sup>

ويلاحظ أنه قد كرّر اسم الجلالة ثلاث مرات في آخر الآية في قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ

اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

قال بيضاوي رحمه الله تعالى:

كرر لفظة "الله" في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد

بإنعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولأنه أدخل في التعظيم من الكناية.<sup>(2)</sup>

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى:

كرّر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإدخال الروعة وتربية المهابة وللتنبية على استقلال كل منها

بمعنى على حياله، فإن الأولى حث على التقوى والثانية وعد بالإنعام والثالثة تعظيم "لشأنه تعالى".<sup>(3)</sup>

مسألة الرهن :

وربما لا يتوفر أسباب الكتابة والإشهاد - وقد أكد أمر الكتابة والإشهاد كما لوحظ في الآية

السابقة - فقد حل الذكر الحكيم هذه المشكلة أيضاً فقال تعالى:

(وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَغْضًا فليؤدِّ الَّذِي

أُوْتِنَتْ أَمَانَتُهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)<sup>(4)</sup>

الغرض من قوله تعالى: (وإن كنتم على سفر) :

جميع الأئمة على جواز الرهن في الحضر كجوازه في السفر إلا مجاهد والضحاك رحمهما الله تعالى

فقد قيّدا جوازه بالسفر مستدلين بظاهر الآية ولكن غيرها فقد استدلوا بأن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قد رهن درعه عند يهودي في المدينة المنورة.

1- نظم (159/4)

2- تفسير البيضاوي (165/1) وأراد المفسر بالكناية الضمار مكان الإظهار. (الباحث)

3- تفسير أبي السعود (271/1)

4- البقرة - (284)

إذا فما الحكمة في هذا الشرط في الآية الكريمة؟

قال الزمخشري رحمه الله تعالى :

فإن قلت: لم شُرِّطَ السفر في الارتحان ولا يختصُّ به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر؟

قلت: ليس الغرض تجويز الارتحان في السفر خاصة، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أُمرَ على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر، بأن يُقيم التوثيق بالارتحان مقام التوثيق بالكتب والإشهاد.<sup>(1)</sup>

وقال تعالى: (فإن أمن بعضهم بعضاً فليؤدِّ الذي أُمنَ أمانته)

سِرُّ تسمية الدين أمانة:

ما سرُّ تسمية الدين أمانة رغم أنه مضمون والأمانة لا تكون مضمونة؟

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

حثُّ المديون على أن يكون عند ظنِّ الدائن به وأمنه منه واثمّانه له، وأن يؤدِّي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتكن منه. وسمِّي الدين "أمانة" وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتحان منه.<sup>(2)</sup> ومن الاهتمام الشديد لدى الذكر الحكيم بحفظ أموال الناس أنه أمر المديون بالتقوى، فقال: (وليتق الله ربه).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وليتق الله ربه) في رعاية حقوق الأمانة، وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصِفَةِ الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى.<sup>(3)</sup>

ثم نهي جل مجده عن كتمان الشهادة وبيّن الوعيد لمن كتمها، قال: (ولا تكتُموا الشهادة ومن يكتبها فإنه آثم قلبه).

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

1- الكشاف (328/1)

2- الكشاف (329/1)

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (272/1)

(ولا تكتسوا الشهادة) أيها الشهود أو المدينون، والشهادة شهادتهم على أنفسهم. (ومن يكتسبها فإنه آثم قلبه) أي: يأثم قلبه أو قلبه يأثم، والجملة خبر "إن" وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان مقتطفه، ونظيره: العين زانية والأذن زانية. أو للمبالغة، فإنه رئيس الأعضاء، وأفعاله أعظم الأفعال، وكأنه قيل: تمكن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه.<sup>(1)</sup>

وجاءت فاصلة الآية الكريمة قوله عز برهانه: (والله بما تعملون عليم)<sup>(2)</sup>

قال البيضاوي رحمه الله تعالى: تهديد<sup>(3)</sup>

وقال الثعالبي رحمه الله تعالى:

(والله بما تعلمون عليم) توعّد، وإن كان لفظها يعمّ الوعيد والوعد.<sup>(4)</sup>

بتوفيق الله سبحانه وتعالى قد تمّ الباب الثاني وسيليه الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

1- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1/165)

2- البقرة - 283

3- المرجع نفسه

4- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (1/556)

### الباب الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في حديثه عن الإنفاق

وفيه ثلاثة فصول: -

- الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق والأمر به.
- الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم البخل والإمساك.
- الفصل الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الإنفاق.

قد ورد في القرآن الحكيم عدد كبير من الآيات، في الأمر بالإنفاق وبيان أهميته والترغيب فيه، وفي ذم البخل والإمساك، وفي بيان أحكامه.

## الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق والأمر به

قد لوحظ في الفصل الأول من الباب الأول أن عددا كبيرا من آيات القرآن الحكيم قد دل دلالة بليغة على أهمية المال، فهل المراد بأهمية المال في نظر القرآن الحكيم أن يجمع الإنسان - بأيما طريقة - مالا كثيرا ويمسكه عنده ويصبح من أثرى الناس؟

كلا، بل القرآن الحكيم إنما رغب الإنسان في أن يكتسب مالا حلالا طيبا ليؤدي به ما يجب عليه من حقوق الله وحقوق العباد وينفقه في سبيل مرضاة الله سبحانه وتعالى، كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:

لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا. <sup>(1)</sup>

من الآيات الواردة في بيان أهمية الإنفاق قوله تعالى:

الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) <sup>(2)</sup>

فما أبلغ هذه الآيات دلالة على أهمية الإنفاق حيث إنه مفتتح كتاب الله العزيز الذي عرّف سبحانه وتعالى فيه القرآن الحكيم بأنه هدى للمتقين، ثم عرّف جل وعلا شأنه المتقين - المهتدين بالقرآن - بأنهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، فكانه جل وعلا شأه جعل إنفاق المال في سبيل الله شرطا من شروط الاهتداء بالقرآن الحكيم. ثم بشر سبحانه وتعالى الذين ينجزون تلك الشروط - التي منها الإنفاق - بكونهم على هدى من ربهم وكونهم هم المفلحين، ثم من

1- أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى برواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (صحيح البخاري - (3/ 416)

2- البقرة: 1 - 5

بلاغته أيضا أنه استخدم أسلوب القصر في تبشيرهم بالفلاح بأن قصر الفلاح عليهم بتعريف طرفي الجملة واستخدام ضمير الفصل، ليس هذا فقط بل و- تنويها بشأنهم - استخدم لهم اسم الإشارة للبعيد مكان اسم الإشارة للقريب إشارة إلى علو شأنهم ورفعة مكانتهم عند ربهم، وفي جعل اسم الإشارة مسنداً إليه في قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أيضاً سريلاً غيّي، وهو الإشعار بعلية الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة لما بعده.

كما قال القزويني رحمه الله تعالى:

وإن كان بالإشارة فيما لتمييزه أكمل تمييز.... وإما للتنبيه - إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور وعُقب بأوصاف- على أن ما يرد بعد اسم الإشارة جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف.<sup>1</sup>  
فكذلك في قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح.

وقال التفتازاني رحمه الله تعالى:

أو للتنبيه - عند تعقيب المشار إليه بأوصاف - على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها، أي تحقيق بذلك لأجل الأوصاف التي ذكرت بعد المشار إليه نحو: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) إلى قوله (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)، عُقب المشار إليه وهو (الذين يؤمنون) بأوصاف متعددة من الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وغير ذلك. ثم عُرِفَ بالإشارة تنبيهها على أن المشار إليهم أحقّاء بما يرد بعد (أولئك) وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز بالفلاح آجلاً من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة.<sup>2</sup>

وشرفهم أيضاً بنسبتهم إلى ذاته الأقدس باستئثار صفة ربوبيته - المضافة إليهم - في قوله:

(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) بدل أن يقول: " أولئك على هدى من الله"، كما قال البلاغيون:

1 - الإيضاح في علوم البلاغة ص 43-45.

2 - مختصر المعالي لسعد الدين التفتازاني ص 48

وإن كان بالإضافة فإما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أحصر منها، وإما لتضمنها تعظيماً لشأن المضاف إليه.<sup>(1)</sup>

فأي شيء يكون أدلّ وأبلغ دلالة على أهمية الإنفاق من هذا الأسلوب الحكيم؟ وذكر الزمخشري رحمه الله تعالى هنا نكات بلاغية أخرى أيضاً، في قوله تعالى: (ومما رزقناهم ينفقون)، قال:

واسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله، ويسمى رزقاً منه. وأدخل "من" التبعية صيانة لهم وكفاً عن الإسراف والتبذير المنهى عنه. وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم، كأنه قال: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به.<sup>(2)</sup>

والإنفاق أنواع وأصناف فما هو المراد من الإنفاق في هذه الآية الكريمة؟ قال الزمخشري أيضاً:

وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة، لافتترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة، وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير، لمحيته مطلقاً يصلح أن يتناول كل منفق.<sup>(3)</sup> وذكر ابن عطية أقوالاً مختلفة لأئمة التفسير، قال:

(وينفقون) معناه هنا يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وما نديهم إليه من غير ذلك. قال ابن عباس: (ينفقون) يؤتون الزكاة احتساباً لها. وقال غيره: الآية في النفقة في الجهاد. قال الضحاك: هي نفقة كانوا يتقربون بها إلى الله عز وجل على قدر يُسرهم. قال ابن مسعود وابن عباس أيضاً: هي نفقة الرجل على أهله. قال القاضي أبو محمد: والآية تعم الجميع. وهذه الأقوال تمثيل لا خلاف.<sup>(4)</sup>

وقول القاضي أبي محمد أحبُّ إلى الباحث، لأن الله سبحانه وتعالى لما لم يخصصها بنفقة دون غيرها فأبى حاجة إلى أن نخصصها ببعض صورها وكلها نفقات مطلوبة ومأمور بها في الشرع. والله أعلم.

الآية الرابعة الدالة على أهمية الإنفاق:

1- الإيضاح في علوم البلاغة - (1 / 48)

2- الكشاف - (1 / 23)

3- المرجع نفسه.

4- المحرر الوجيز - (1 / 20)

ومن الآيات الدالة بأسلوبها البليغ على أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ  
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).<sup>(1)</sup>

في هذه الآية الجامعة بين القرآن الحكيم عشرة من أعمال البرِّ بأبلغ أسلوب، فإنه أولاً رد على أهل الكتاب ما كانوا يزعمون من كون التوجه قبل المشرق والمغرب في العبادة من أسس البر، قال: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). ثم قال استدراكاً على زعمهم الباطل: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ.... الآية)

ففي ذكر أمور البرِّ بدأ بالإيمان وثني بإيتاء المال على حبه، ثم ذكر بعده ثمانية أعمال أخرى من أعمال البر، ثم بشر سبحانه وتعالى القائمين بتلك الأعمال ببشرى عظيمة، قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.<sup>(2)</sup>

فهنا مرة أخرى استخدم القرآن الحكيم لهم اسم الإشارة للبعد وأسلوب القصر بتعريف طرقي الجملة واستخدم ضمير الفصل. فقصر الاتصاف بالصدق والتقوى على القائمين بأمور البر - التي من بينها إيتاء المال - وفيه أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق.

كما أن أسلوب الآية كله فيه أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق.

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). "البر" كل فعل مرضي، والخطاب لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّلت، وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه إلى قبلته، فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ، ولكن البر ما بينه الله واتباعه المؤمنون. وقيل

1- البقرة: 177

2- البقرة: 177

عامّ لهم وللمسلمين، أي ليس البر مقصوراً بأمر القبلة، أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره. (1)

معنى قوله تعالى: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ):  
ما معنى (على حبه) ؟

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

و"على " في قوله: (على حُبِّهِ) مجاز في التَّمَكُّنِ مِنْ حُبِّ الْمَالِ مِثْلَ (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى) (2) وهي في مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَبْعَدِ الْأَحْوَالِ مِنْ مَظَنَّةِ الْوَصْفِ فَلِذَلِكَ تُفِيدُ مُفَادَ كَلِمَةِ مَعَ وَتَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْإِخْتِرَاسِ كَمَا هِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا) (3) وَقَوْلُ زُهَيْرٍ:  
مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا... يَلْقَ السَّمَاحَةَ فِيهِ وَالنَّدَى خُلْفًا. (4)

وزاد ابن عاشور قائلا:

وَلَيْسَ هَذَا مَعْنَى مُسْتَقِيلًا مِنْ مَعَانِي عَلَى بَلْ هُوَ اسْتِعْلَاءٌ بِجَارِيٍّ أُريدَ بِهِ تَحَقُّقُ ثُبُوتِ مَذْلُولٍ مَذْخُولًا لِمَعْمُولٍ مُتَعَلِّقًا، لِأَنَّهُ لِيُعْدَ وَقُوعِهِ يَحْتَاجُ إِلَى التَّحْقِيقِ، وَالضَّمِيرُ لِلْمَالِ لَا حَالَةَ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يُعْطَى الْمَالَ مَعَ حُبِّهِ لِلْمَالِ وَعَدَمَ زَهَادَتِهِ فِيهِ فَيَبْدُلُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يُعْطِيهِ مَرْضَاةً لِلَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ كَانَ فِعْلُهُ هَذَا بَرًّا. (5)

ويمكن أن يقال: (على حبه) استعارة تبعية في متعلق الحرف "على" للدلالة على تمكن حبه للمال.

ولكن البغوي رحمه الله تعالى قال:

وَأَتَى الْمَالَ، أَي: أُعْطِيَ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ. اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِتَابَةِ فَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ:

1- تفسير البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1/ 121)

2- البقرة: 5

3- الإنسان: 8

4- التحرير والتنوير (2/ 130)

5- المرجع نفسه

إِنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَالِ أَيْ: أُعْطِيَ الْمَالُ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَحَبَّتِهِ الْمَالُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّ ثَوْبِيهِ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ. وَقِيلَ: هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيْ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى. (1)

الآية الخامسة الدالة على أهمية الإنفاق :

وقال تعالى: وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. (2)

في هذه الآية الكريمة أمر سبحانه وتعالى - أمراً صريحاً - بالإنفاق في سبيله وعطف عليه قوله: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) وعطف على هذا النهي الأمر بالإحسان، قال: (وَأَحْسِنُوا). وقال معللاً لأمره بالإنفاق: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

الباء في بِأَيْدِيكُمْ مزيدة مثلها في أعطى بيده للمتقاد. والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة أيديكم، أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل (بأيديكم) بأنفسكم: وقيل تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها. والمعنى: النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك. (3)

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى مبينا النكات البلاغية في عطف قوله تعالى:

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) على قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) عَطْفُ غَرَضٍ عَلَى غَرَضٍ، عَقَّبَ الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَهَا عَوَاقِبُ ضَارَّةٌ إِبْلَغًا لِلتَّصْبِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ لِقَلَّا يَدْفَعُ بِهِمْ يَقِينُهُمْ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ إِبَّاهُمْ إِلَى التَّفْرِيطِ فِي وَسَائِلِ الْحَذَرِ مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ، فَالنَّهْيُ عَنِ الْإِلْقَاءِ بِالنَّفُوسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ

1- تفسير البغوي - إحياء التراث (1/ 204)

2- البقرة - (195)

3- تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 237)

يَجْمَعُ مَعْنَى الْأَمْرِ بِالْإِنْفَاقِ وَغَيْرِهِ مِنْ تَصَارِيفِ الْحَرْبِ وَحِفْظِ النَّفُوسِ، وَلِذَلِكَ فَالْجُمْلَةُ فِيهَا مَعْنَى "التَّذْيِيل" وَإِنَّمَا عُطِفَتْ وَلَمْ تُفْصَلْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا غَرَضٌ آخَرُ مِنْ أَغْرَاضِ الْإِزْشَادِ.<sup>(1)</sup>

وزاد ابن عاشور قائلا:

وَالْمَعْنَى وَلَا تُعْطُوا الْهَلَكَ أَيْدِيَكُمْ فَيَأْخُذَكُمْ أَحَدُ الْمَوْتِ، وَجَعَلَ التَّهْلُكَةَ كَالْأَحْزِ وَالْأَسْرِ اسْتِعَارَةً بِجَمَاعِ الْإِحَاطَةِ بِالْمُلْقِي، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْيَدُ مَعَ هَذَا بِحَازًا عَنِ الذَّاتِ بِعَلَاَقَةِ الْبَعْضِيَّةِ لِأَنَّ الْيَدَ أَهَمُّ شَيْءٍ فِي النَّفْسِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَهَذَا فِي الْأَمْرَيْنِ كَقَوْلِ لَيْبِد:

"حَتَّى إِذَا أَلَقْتُ يَدًا فِي كَافِرٍ" أَيْ أَلَقْتُ الشَّمْسُ نَفْسَهَا. وَقِيلَ الْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ وَالْأَيْدِي مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَى الذَّاتِ كِنَايَةً عَنِ الْإِخْتِيَارِ وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ أَيْ لَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ بِإِخْتِيَارِكُمْ.<sup>(2)</sup>

الآية السادسة الدالة على أهمية الإنفاق :

قال تعالى ترغيبا في الإنفاق وتحريضا عليه أ بلغ ترغيب وأشد تحريض:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).<sup>(3)</sup>

فمن الأسرار البلاغية في هذه الآية الكريمة أن الملك العزيز الذي له ما في السماوات وما في الأرض يخاطب عباده ويسألهم سؤال تحضيض وتحريض: من ذا الذي ينفق في سبيله؟ ويسمي ذلك الإنفاق "قرضًا حسنًا" ويعدّهم ويشهرهم بمضاعفته إضعافا كثيرة، فما أبلغ ذلك التحضيض والتحريض وما أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة:

صدر سبحانه الآية بالطف بأنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر. والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن، فيجازي عليه أضعافا مضاعفة؟<sup>(4)</sup>

1- التحرير والتنوير (2/ 213)

2- التحرير والتنوير (2/ 213- 214)

3- البقرة - (245)

4- التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: 151)

وزاد ابن القيم رحمه الله عليه قائلا:

وسمي ذلك الإنفاق قرضا حسنا حثا للنفس، وبعثا لها على البذل. لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه فلا بد طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجها، فإن علم أن المستقرض ملئ وفي محسن، كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجرله بما اقترضه، ويؤتميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح.<sup>(1)</sup>

وأما قوله جل وعلا شأنه في هذه الآية: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا: يَقْبِضُ الْعَطَايَا وَالصَّدَقَاتِ وَيَبْسُطُ الْجَزَاءَ وَالْثَوَابَ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ يَقْبِضُ نَفُوسًا عَنِ الْخَيْرِ وَيَبْسُطُ نَفُوسًا لِلْخَيْرِ، وَفِيهِ تَغْرِيزٌ بِالْوَعْدِ بِالتَّوْبَةِ عَلَى الْمُتَنَفِقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالتَّقْتِيرِ عَلَى الْبَحِيلِ. وَفِي الْحَدِيثِ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:

"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: "اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْقًا مَخْتَصِرًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُتَمَسِكًا تَلَفًا".<sup>(2)</sup>

ولبيان النكتة البلاغية في فاصلة الآية الكريمة قال ابن عاشور رحمه الله تعالى :

وَقَوْلُهُ: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ بِأَنَّ مَا أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِمَّا وُعِدُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ تَغْرِيزٌ بِأَنَّ الْمُتَمَسِّكَ الْبَحِيلِ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْزَوْمٌ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ.<sup>(3)</sup>

الآية السابعة في بيان أهمية الإنفاق :

1- المرجع نفسه. (الكتاب: تفسير القرآن الكريم لابن القيم) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية

(المتوفى: 751هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان الناشر: دار ومكتبة الهلال -

بيروت الطبعة: الأولى - 1410 هـ

2- التحرير والتنوير (2/ 483)، أخرج هذا الحديث الإمام البخاري رحمه الله تعالى برواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. ينظر

صحيح الإمام البخاري (1/ 421، 422)

3- المرجع نفسه

وورد التحريض على الإنفاق في سبيل الله بعنوان القرض الحسن في مواضع عديدة من القرآن

الحكيم - غير هذه الآية أيضا -، منها قوله تعالى:

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ).<sup>(1)</sup>

ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه وتعالى أخذ ميثاق بني إسرائيل على أمور مهمة للغاية، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسول، ومن بين تلك الأمور الهامة الإنفاق في سبيل الله - الذي عبّر عنه بإقراض الله قرضا حسنا - ووعدهم عليه وعدا مؤكدا بمؤكدين (لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة) بتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم هدد ووعد من كفر بعد ذلك.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

قَالَ (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) أَيُّ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ). وَاللَّامُ فِي "لَئِنْ" لَامُ تَوْكِيدٍ وَمَعْنَاهَا الْقَسَمُ، وَكَذَا (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ)، (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ).<sup>(2)</sup>

وذلك الميثاق الذي أخذه الله جل وعلا شأنه من بني إسرائيل، - الذي كان من موثيقه الإنفاق في سبيل الله بعنوان "إقراض الله قرضا حسنا" - قال السيد الطنطاوي مبينا شيئا من بلاغة أسلوبه:

وأكد- سبحانه- ما أخذه على بني إسرائيل من عهود بقدر وباللام، للاهتمام بشأن هذا الخبر، ولترغيب المؤمنين في الوفاء بعهودهم مع الله تعالى حتى لا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل من عقوبات بسبب نقضهم لموآثيقهم. وأسند- سبحانه- الأخذ إليه، لأنه هو الذي أمر به موسى - عليه السلام- ولأن في إسناد أخذ الميثاق إليه- سبحانه- زيادة في توثيقه، وتعظيم توكيده وأى عهد يكون أقوى وأوثق من عهد يكون بين العبد والرب ؟<sup>(3)</sup>

1- المائدة: 12

2- تفسير القرطبي (6/ 113)

3- التفسير الوسيط لطنطاوي (4/ 79)

وزاد السيد الطنطاوي قائلا - مينا معنى الإقراض لله سبحانه وتعالى - :

(وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بأن أنفقتم جانباً من أموالكم في وجوه الخير والبر، لئن فعلتم ذلك لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ بأن أغفرها لكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها وبساتينها الأنهار فأنتم ترى أن الله تعالى قد كلف بني إسرائيل بخمسة أمور نافعة ووعدهم على أدائها بتكفير سيئاتهم في الدنيا، وبإدخالهم جناته في الآخرة.<sup>(1)</sup>

والأمور التي أخذ سبحانه وتعالى عليها ميثاق بني إسرائيل كلها مطلوبة من هذه الأمة وأمور بما أيضاً، كما رأينا في الآيات السابقة.

الآية الثامنة قوله تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ).<sup>(2)</sup>

فهذا هو نفس الأسلوب الذي كان في آية سورة البقرة - التي مر البحث عليها إلا أن فاصلة هذه الآية الكريمة اختلفت من فاصلتها، فقد كانت فاصلتها (وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَسْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). - وقدمر البحث عن بلاغتها، وأما فاصلة هذه الآية فهي (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ). وآية البقرة زادت عن آية الحديد بالتعبير بالمفعول المطلق (أضعافاً كثيرة) زيادة في تأكيد المضاعفة.

وقال المراغي رحمه الله تعالى مينا بلاغة هذا الأسلوب (من ذا الذي يقرض الله؟):

وهذا الأسلوب يستعمل في الأمر العزيز النادر فيقال: من ذا الذي يفعل كذا، إذا كان أمراً عظيماً، وعلى هذا جاء قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)<sup>(3)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

القرض الحسن: الإنفاق في سبيله. شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أى يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً (أضعافاً) من فضله (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) يعنى: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريمة في نفسه. وقرئ: فيضعفه. وقرئنا منصوبين

1- التفسير الوسيط لطنطاوي (4/ 80)

2- الحديد: 11

3- من آية الكرسي، تفسير المراغي (27/ 167)

على جواب الاستفهام والرفع عطف على "يُقْرَضُ"، أو على "قِيْضَاعِفَةٌ".<sup>1</sup>

فَعَبَّرَ عن الإنفاق بالقرض على طريق الاستعارة التصريحية.

الآية التاسعة في بيان أهمية الإنفاق:

ومن بلاغة السياق أنه سبحانه وتعالى بعد ست آيات من هذه الآية الكريمة قال مرة أخرى

مبشرا عباده المنفقين في سبيله:

(إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)<sup>(2)</sup>

قال الشعلي رحمه الله تعالى:

قال الحسن:

كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع وإنما عطف بالفعل على الاسم لأنه في تقدير

الفعل، مجازه: إن الذين تصدقوا وأقرضوا بضاعف لهم أمثالها. (وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)، وهو الجنة.<sup>(3)</sup>

والتعبير عن الإقراض بالفعل الماضي فيه دلالة على تحقق الإقراض.

وقال السمعاني رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ: (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قيل: لَا تَكُونُ الصَّدَقَةُ قَرْضًا حَسَنًا حَتَّى يَجْتَمِعَ فِيهَا خِصَالُ:

أُولَاهَا: أَنْ تَكُونَ مِنْ حَلَالٍ، وَأَنْ يُعْطِيَهَا طَيِّبَةً بِمَا نَفْسُهُ، وَأَنْ لَا يَتْبَعَهَا مَنًّا وَلَا أَدَى، وَأَنْ يَتَيَمَّمَ

الْحَيِّدَ مِنْ مَالِهِ لَا الْخَبِيثَ وَالرَّدِيءَ، وَأَنْ يُعْطِيَهَا ائْتِعَاءً وَجْهَ اللَّهِ لَا مَرَاءَةً لِلْخَلْقِ، وَأَنْ يَخْرُجَ الْأَحَبُّ مِنْ

مَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَتَصَدَّقَ وَهُوَ صَاحِبُ بَأْمَلِ الْعَيْشِ وَيَخْشَى الْفَقْرَ، وَأَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ مَا فَعَلَهُ بَلْ

يَسْتَفْلَهُ، وَأَنْ يَتَصَدَّقَ بِالكَثِيرِ.<sup>(4)</sup>

الآية العاشرة في بيان أهمية الإنفاق :

ومن الآيات التي عبر فيها عن الإنفاق في سبيل الله بالقرض الحسن قوله تعالى:

1 - تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 474)

2- الجديد 18

3- تفسير الشعلي - الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج 9 ص 243 (المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلي، أبو إسحاق (المتوفى 427

هـ: تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذانظر الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت -

لبنان. (الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2002م، في عشرة أجزاء.

4- تفسير السمعاني ج 5 ص 373

(إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.)<sup>(1)</sup>

وقال تعالى في الآية السابقة عليها:

(وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.)<sup>(2)</sup>

بلاغة السياق والأسلوب:

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

وَلَمَّا أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ، أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ: إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ تَضْعِيفَ الْقَرْضِ وَغُفْرَانَ الذُّنُوبِ. وَفِي لَفْظِ الْقَرْضِ تَلَطُّفٌ فِي الْإِسْتِدْعَاءِ، وَفِي لَفْظِ الْمَضَاعَفَةِ تَأْكِيدٌ لِلتَّبَدُّلِ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ أَتْبَعَ جَوَابِي الشَّرْطِ بِوَضْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَائِدٌ إِلَى الْمَضَاعَفَةِ، إِذْ شَكَرَهُ تَعَالَى مُقَابِلَ الْمَضَاعَفَةِ، وَحِلْمُهُ مُقَابِلَ لِلْغُفْرَانِ. قِيلَ: وَهَذَا الْحُضُّ هُوَ فِي الرِّكَاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَقِيلَ، هُوَ فِي الْمُنْدُوبِ إِلَيْهِ.<sup>(3)</sup>

وقال الألوسي رحمه الله تعالى:

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ تَصَرَّفُوا الْمَالَ إِلَى الْمَصَارِفِ الَّتِي عَيْنُهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ قَرْضًا حَسَنًا مَقْرُونًا بِالْإِحْلَاصِ وَطِيبِ النَّفْسِ يَضَاعِفُهُ لَكُمْ يَجْعَلُ لَكُمْ جَلَّ شَأْنُهُ بِالْوَاحِدِ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ وَأَكْثَرٍ، وَقَرَأَ - يُضَاعَفُهُ - وَيَغْفِرْ لَكُمْ بِرَكَّةِ الْإِنْفَاقِ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَاللَّهُ شَكُورٌ يَعْطِي الْجَزِيلَ بِمُقَابَلَةِ النَّزْرِ الْقَلِيلِ حَلِيمٌ لَا يَعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ، .... وَفِي الْآيَةِ مِنَ التَّرغِيبِ بِالْإِنْفَاقِ مَا فِيهَا.<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.) في تفسير ابن عباس رضي الله تعالى عنه:

(عَالِمُ الْغَيْبِ) مَا فِي قُلُوبِ الْمُتَصَدِّقِينَ مِنَ الْمَنِّ أَوْ الْخَشْيَةِ (وَالشَّهَادَةِ) عَالِمٌ بِصِدْقَاتِهِمْ (الْعَزِيزُ) بِالنِّقْمَةِ

لِمَنْ يَمُنُّ بِصِدْقَتِهِ أَوْ لَا يُعْطِي الصَّدَقَةَ (الْحَكِيمُ) فِي أَمْرِهِ وَقَضَائِهِ وَيُقَالُ: (الْحَكِيمُ) فِي قَبُولِ الصَّدَقَاتِ

1- التباين: 17، 18

2- التباين: 16

3- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ج 10 ص 193.

4- تفسير الألوسي - روح المعاني ج 14 ص 323

وإضعافها. (1)

الآية الحادية عشرة في بيان أهمية الإنفاق:

والسادسة من الآيات التي عبر فيها عن الإنفاق في سبيل الله بالقرض قواه تعالى:

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (2)

في هذه الآية الكريمة أولاً خفف سبحانه وتعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ما أمروا

به أولاً من القيام نصف الليل أو نحوه في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (3)

ثم أمرهم سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال بعد ذلك:

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ

أَجْرًا). (4)

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وَأَقْرِضُوا اللَّهَ هُوَ الصَّدَقَاتُ غَيْرُ الْوَاجِبَةِ، شُبَّهَ إِعْطَاءُ الصَّدَقَةِ لِلْفَقِيرِ بِقَرْضٍ يُقْرِضُهُ اللَّهُ لِأَنَّ اللَّهَ

وَعَدَ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ فَشَابَهَ حَالَ مُعْطِي الصَّدَقَةِ مُسْتَجِيبًا رَغْبَةً اللَّهُ فِيهِ بِحَالٍ مَنْ أَقْرَضَ

مُسْتَقْرِضًا فِي أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ مَا أَقْرَضَهُ، وَذَلِكَ فِي الثَّوَابِ الَّذِي يُعْطَاهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ. (1)

1- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص: 475

2- المزمّل (20)

3- المزمّل (1 - 4)

4 - المزمّل (20)

وقال ابن عاشور أيضاً:

(وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً).

تَذْيِيلٌ لِمَا سَبَقَ مِنَ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: (فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً)، فَإِنَّ قَوْلَهُ: (مِنْ خَيْرٍ) يَتِمُّ جَمِيعُ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَفِي الْكَلَامِ إِجْتَارُ حَذْفِ تَقْدِيرِ الْمَحْذُوفِ: وَافْعَلُوا الْخَيْرَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْهُ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ،

فَاسْتَعْنَى عَنِ الْمَحْذُوفِ بِذِكْرِ الْجَزَاءِ عَلَى الْخَيْرِ.<sup>(2)</sup>

وورد في القرآن الحكيم في آيات كثيرة الأمر الصريح بالإنفاق في سبيل الله والتحريض عليه

وفضل الإنفاق في سبيل الله والزجر والوعيد على الامتناع منه، منها قوله تعالى:

الآية الثانية عشرة في بيان أهمية الإنفاق :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَنْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>(3)</sup>

في هذه الآية الكريمة أمر سبحانه وتعالى عباده أمراً صريحاً بالإنفاق بأبلغ أسلوب، كما بيّن

المفسرون الأسرار البلاغية في هذه الآية الكريمة.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى مبيناً السر البلاغي في فاصلتها:

(والكافرون هُمُ الظالمون) أراد: والناكرون الزكاة هم الظالمون، فقال: (والكافرون) للتغليظ، كما

قال في آخر آية الحج: (وَمَنْ كَفَرَ)<sup>(4)</sup> مكان: (ومن لم يحج)، ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار

في قوله: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ).<sup>(5)</sup>

فقد عُرِفَ من تفسير الزمخشري رحمه الله تعالى أن القرآن الحكيم عبر في هذه الآية الكريمة عن

تاركي الزكاة بـ"الكافرين" زيادة في التقييد والتشنيع من صنيعهم. وقد جاء الأسلوب مؤكداً بأسلوب

1- التحرير والتنوير ج 29 ص 287

2- التحرير والتنوير ج 29 ص 288

3- البقرة: 254

4- الحج 97

5- الكشاف ج 1 ص 224

القصر، بتعريف طرفي الجملة وإيراد ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، حيث قصر الظلم على الكفار، ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله: (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ).<sup>(1)</sup>

وأفادنا البقاعي رحمه الله تعالى بفائدة في قوله تعالى: (أَنْفِقُوا بِمَا رَزَقْنَاكُمْ)، قال:

ولما أمر بذلك هوّنه عليهم بالإعلام بأنه له لا لهم فقال: (مما) أي الشيء الذي ورد القول إلى مظهر العظمة حثاً على المبادرة إلى امتثال الأمر وتقيحاً بحال من أبطأ عنه فقال: (رزقناكم) بما لنا من العظمة، وحزم هنا بالأمر لأنه لما رغب في النفقة من أول السورة إلى هنا مرة بعد أخرى في أساليب متعددة صارت دواعي العقلاء في درجة القبول لما تُندب إليه من أمرها وإن كان الخروج عما في اليد في غاية الكراهة إلى النفس.<sup>(2)</sup>

### الآية الثالث عشرة في بيان أهمية الإنفاق :

ومن الآيات التي أمر سبحانه وتعالى فيها أمراً صريحاً بالإنفاق في سبيله، قوله تعالى:

(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَنْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ)<sup>(3)</sup>

فهذا أسلوب في غاية البلاغة واللطافة في الحث على الإنفاق في سبيل الله فقد وجّه سبحانه وتعالى الخطاب إلى نبيه الكريم عليه الصلوة والتسليم وقال له: (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...) ، فقد شرفهم أولاً بإضافتهم إلى نفسه الكريم في قوله: (عِبَادِي)، ثم ذكرهم بالاسم الموصول الذي صلته الفعل "آمنوا". وهذا تشريف ثانٍ لهم منه جلّ وعلى شأنه، كما قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) خصّهم بالإضافة تنويهاً لهم وتنبيهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية، ومفعول "قُلْ" محذوف يدل عليه جوابه، أي: قل لعبادي الذين آمنوا: أقيموا الصلاة وأنفقوا. يُقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم. فيكون إيذاناً بأنهم لفرط مُطَاعَتِهِم للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره، وأنه كالسبب الموجب له، ويجوز أن يقدر بلام الأمر ليصح

1- فصلت (6-7) المرجع نفسه، (الكشاف، 224/1)

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (22/4)

3- إبراهيم (31-32)

تعلق القول بهما. (1)

وكما قال البقاعي رحمه الله تعالى:

قال: (قل لعبادي) فوصفهم بأشرف أوصافهم، وأضافهم إلى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه، ثم أتبع هذا الوصف ما يناسبه من إزعاجهم لسيدهم فقال: (الذين آمنوا) أي أوجدوا هذا الوصف. (2)

وهنا أيضاً قال تعالى: (مما رزقناهم)، - وقد مرَّ بيان فائدته البلاغية في الآية السابقة - وقال: (سراً وعَلَانِيَةً) أي في جميع الأحوال، ثم أكَّد الأمر بالإلفاق والتحريض عليه بقوله تعالى: (مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا حِلَالٌ).

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ فَيَسْتَعِزُّ بِالْمَقْصَرِّ مَا يَتَذَكَّرُ بِهِ تَقْصِيرَهُ أَوْ يَفْدَى بِهِ نَفْسَهُ. وَلَا حِلَالٌ وَلَا مَخَالَةَ فَيَسْتَعِزُّ لَكَ خَلِيلٌ، أَوْ مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا انْتِفَاعَ فِيهِ بِمُبَايَعَةٍ وَلَا مَخَالَةَ وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ فِيهِ بِالْإِنْفَاقِ لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى. (3)

وذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى هنا نكتة وسراً بلاغياً في قوله تعالى:

(يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا...) الخ، قال:

ولمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ مِنْ قَبْلُ وَيُنْفِقُونَ مِنْ قَبْلُ تَعَيَّنَ أَنْ الْمُرَادَ الْإِسْتِزَادَةَ مِنْ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ اخْتِيارُ الْمُضَارَعِ مَعَ تَقْدِيرِ لَامِ الْأَمْرِ دُونَ صِيغَةِ فَعَلٍ الْأَمْرِ لِأَنَّ الْمُضَارَعِ دَالٌّ عَلَى التَّجَدُّدِ، فَهُوَ مَعَ لَامِ الْأَمْرِ يُلَاقِي حَالَ الْمُتَلَبِّسِ بِالْفِعْلِ الَّذِي يُؤْمَرُ بِهِ بِخِلَافِ صِيغَةِ (افْعَلْ) فَإِنْ أَصْلُهَا طَلَبُ إِيجَادِ الْفِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مُتَلَبِّساً بِهِ، فَأَصْلُ (يَقِيمُوا الصَّلَاةَ) "لِيَقِيمُوا"، فَحُذِفَتْ لَامُ الْأَمْرِ تَخْفِيفاً. (4)

وزاد ابن عاشور قائلاً:

1- تفسير البيضاوي - أنوال التنزيل وأسرار التأويل (199/3)

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (418/10)

3- المرجع نفسه.

4- التحرير والتنوير (232/13)

وهذه هي نكتة مثل هذا التركيب في مواضع وروده، كما في هذه الآية وفي قوله:

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) في سورة الإسراء، <sup>(1)</sup> أي قل لهم ليقوموا وليقولوا، فحكي

بالمعنى. <sup>(2)</sup>

الآية الرابع عشرة في بيان أهمية الإنفاق:

قوله تعالى:

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ

أَجْرٌ كَبِيرٌ). <sup>(3)</sup>

في هذه الآية الكريمة أسرار بلاغية:

الأول: في الوصل بالعطف بين الأمر بالإيمان والأمر بالإنفاق،

والثاني: في قوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه)،

والثالث: في قوله تعالى: (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير).

بلاغة الوصل:

في هذه الآية الكريمة أولاً أمر سبحانه وتعالى بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعطف

عليه الأمر بالإنفاق، فما هو السر البلاغي في هذا الوصل - الوصل بين الأمر بالإيمان والأمر

بالإنفاق-؟

ويقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى:

ثم إن الذي يوجه النظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا إذا قلنا: "زيد قائم وعمرو

قاعد"، فإننا لا نرى هاهنا حكماً نزعاً أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإننا نرى أمراً آخر

نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أنا لا نقول: "زيد قائم وعمرو قاعد" حتى يكون عمرو بسبب من

زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عنه أن يعرف

1- الإسراء (52)

2- التحرير والتنوير (232/13)

3- الحفيد (7)

حال الثاني. (1)

لذلك فلا بد أن يكون بين الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين الإنفاق علاقة تقتضي الجمع والوصل بينهما، ففي هذا الوصل أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق. إلى تلك العلاقة بين الإيمان والإنفاق أشار البقاعي رحمه الله تعالى، حيث قال: لما كان الإيمان أساساً، والإنفاق وجهاً ظاهراً ورأساً، قال جامعاً بين الأساس الحامل الخفي والوجه الظاهر الكامل البهي: (وأنفقوا) أي في إظهار دينه. (2)

السُّرُّ البَلاغِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ):

وقال سبحانه وتعالى تسهلاً عليهم ذلك الإنفاق وتطويعاً لنفوسهم وترغيباً لها إليه وترهيداً لنفوسهم في المال الذي أمرهم بإنفاقه: (مما جعلكم مستخلفين فيه).  
كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مَوْلَكُمْ إياها، وحَوْلَكُمْ الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصريف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وَلْيَهْنُ عَلَيْكُمُ الْإِنْفَاقُ مِنْهَا كما يَهْنُ عَلَى الرَّجُلِ النِّفْقَةُ مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ إِذَا أُذِنَ لَهُ فِيهِ. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم - بتوريثه إياكم -، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به. (3)

وكما قال المراغي رحمه الله تعالى:

(وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) أي وأنفقوا مما هو معكم من المال على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي مَنْ قَبْلَكُمْ ثم صار إليكم، واستعملوه في طاعته وإلا حاسبكم على ذلك حساباً عسيراً، والله درّ لبيد إذ يقول:

1- دلائل الإعجاز (64/1)

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (262/19)

3- تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (473/4)

وما المال والأهلون إلا ودائع..... ولا بد يوماً أن تردّ الودائع (من الطويل)<sup>1</sup>

وفي هذا ترغيب أيما ترغيب في الإنفاق، لأن من علم أن المال لم يبق لمن قبله - وانتقل إليه - علم أنه لا يدوم له بل ينتقل إلى غيره، وبذا يسهل عليه إنفاقه.<sup>(2)</sup>

ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك الترغيب بوعد أحر كبير على الإيمان والإنفاق، بقوله: (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير).

كما قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما أمر بالإنفاق ووصفه بما سهّله، سبّب عنه ما يرغب فيه فقال مبالغاً في تأكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعسير عنه بالجملة الاسمية وبناء الحكم على الضمير بالوصف بالكبير وغير ذلك: (فالذين آمنوا) وبَيَّن أن هذا خاص بهم لضيق الحال في زمانهم فقال: (منكم وأنفقوا) أي من أموالهم في الوجوه التي ندب إليها على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق (لهم أجر كبير) أي لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الإنفاق في أيام استخلاصكم قبل عزلكم وإتلافكم.<sup>(3)</sup>

الآية الخامسة عشرة في بيان أهية الإنفاق :

ومن بلاغة النظم الحكيم في التأكيد في الأمر بالإنفاق أنه بعد التأكيد الشديد بالإيمان مرة أخرى قد أكد الأمر بالإنفاق بنفس الأسلوب الذي أكد به الأمر بالإيمان، فقال:

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا

<sup>1</sup> - ديوان لبيد ج 1 ص 56 . الكتاب: ديوان لبيد بن ربيعة العامري

المؤلف: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ)

اعتنى به: حمدو طمّاس

الناشر: دار المعرفة

الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م

عدد الأجزاء: 1

2- تفسير المراغي (163/27)

3- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (263/19)

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ\* مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ<sup>(1)</sup>

فَقوله تعالى: (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السماوات والأرض)

استفهام تعجيب في غاية البلاغة، فيه زجرٌ وتوبيخٌ شديد على الممتنعين من الإنفاق بعد أمره

البلوغ به.

كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

وما لكم ألا تنفقوا في أن لا تنفقوا والله ميراث السماوات والأرض يرث كل شيء فيهما لا يبقى

منه باق لأحد من مال وغيره، يعني: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله

والله مهلككم فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله.<sup>(2)</sup>

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى مبيناً بلاغة السياق:

وقوله تعالى: (وما لكم ألا تُنْفِقُوا في سبيل الله) توبيخٌ لهم على ترك الإنفاق المأمور به بعد

توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذرٌ من الأعذار.<sup>(3)</sup>

وحذف المفعول لظهور أنه الذي بُيِّنَ حاله فيما سبق وتعيين المُتَقَيِّ فيه لتشديد التوبيخ، أي:

وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا فيما هو قرية إلى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه في

صرفه إلى ما عيَّنه من المصارف.

وزاد أبو السعود قائلاً مبيناً الأسرار البلاغية في قوله تعالى: (والله ميراث السماوات والأرض).

حالٌ من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الإنفاق بغير سببٍ قبيح منكراً ومع

تحقق ما يوجب الإنفاق أشدُّ في القبح وأدخل في الإنكار... كأنه قيل: وما لكم في ترك إنفاقها في

سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى، وإظهار الاسم الجليل في موقع

الإضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة.<sup>(4)</sup>

1- الحديد: (10 ، 11)

2- تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (474/4)

3- تفسير أبي السعود (273/6)

4- المرجع نفسه.

وقول الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وأظهارُ الاسم الجليل في موقع الإضمار) يعني في قوله تعالى (ولله ميراث السماوات والأرض:

بدل أن يقال: "وله ميراث السماوات والأرض" كما قال البقاعي بوضوح أكثر:

وأظهر موضع الإضمار في جملة حالية باعثاً على الإنفاق بأبلغ بعث فقال: (ولله) تأكيداً

للعظمة بالندب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لا سيما صفة الإرث المقتضية

للزهد في الموروث.<sup>(1)</sup>

وقوله تعالى في هذه الآية نفسها:- (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ

أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

ثم لما بين تعالى أن الإنفاق فضيلة بين أن المسابقة في الإنفاق تمام الفضيلة فقال: (لَا يَسْتَوِي

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا). وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تقدير الآية: "لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح، ومن أنفق من بعد

الفتح" كما قال:

(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة)<sup>(2)</sup> إلا أنه حذف لوضوح الحال.<sup>(3)</sup>

وقال أبو البقاء العكبري رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (من أنفق) في الكلام حذف، تقديره: ومن لم يُنفق، ودل على المحذوف قوله

تعالى: (من قبل الفتح).<sup>(4)</sup>

1- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (267/19)

2- الحشر (20)

3- تفسير الرازي - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (452/29)

4- التبيان في إعراب القرآن (1207/2) المؤلف: أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (المتوفى: 616هـ) المحقق: علي محمد

البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: اثنان (في ترقيم مسلسل واحد)

وعُدَّ الإمام السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحذف من الاختزال - الذي هو من المحسنات

البديعية.<sup>1</sup>

الآية السادسة عشرة في بيان أهمية الإنفاق:

ومن الآيات التي ورد فيها الأمر بالإنفاق صراحة قوله تعالى:

(وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)<sup>(2)</sup>

بلاغة السياق:

قال تعالى في الآية التي قبلها:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)<sup>(3)</sup>

نحى الله المؤمنين في هذه الآية من الانتهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله ونبيه الملتهمين بالخسران بأبلغ أسلوب - بأسلوب القصر بتعريف طريقي الجملة الاسمية وإيراد ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر وتعريف المسند إليه باسم الإشارة المنبئة بعليه ما قبل الإشارة لما بعدها -، ثم أمر في الآية التالية بالإنفاق - أمراً صريحاً - وقال: (مما رزقناكم) يعني: إن إنفاقكم هذا ليس منكم ممّا تمثّلون به علينا، فإن المال الذي تنفقونه ليس بملككم حقيقة بل نحن رزقناكموه، فما تنفقونه إنما تنفقونه من رزقنا فليس لكم أن تبخلوا به وتمتنعوا من إنفاقه، فإنه أمانتنا عندكم تزدونها إلينا.

ثم قال - عز وجل - زيادة في التأكيد وتنبهاً على ضرر التغافل والتكاسل في الامتثال بهذا الأمر وأداء هذه الأمانة:

(وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

1 - قال السيوطي رحمه الله تعالى: النوع الرابع: ما يسمى بالاختزال هو ما ليس واحداً مما سبق وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة: اسم أو فعل أو حرف أو أكثر.... وحذف المعطوف مع العاطف (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي: ومن أنفق بعده.  
س (الإتيان في علوم القرآن ج3 ص206-208)

2- المنافقون (10-11)

3- المنافقون (9)

فَأَصْدَقَ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ<sup>1</sup>

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا ربِّ هَلَّا أَخَّرْتَنِي فَتُنْهَلَّ لِي فِي الْأَجَلِ قَرِيبٍ ،

فَأَصْدَقَ يقول: فَأَزْكِي مَا لِي (وأكن من الصالحين) يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك.

وقيل: عَنَى بقوله: (وأكن من الصالحين) وأحج بيتك الحرام، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

التأويل.<sup>(2)</sup>

وشدّد سبحانه وتعالى في التهديد والتوبيخ للممتنعين من الإنفاق، فقال: (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا

إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)<sup>(3)</sup>

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) اعتراض في آخر الكلام

فالواو اعتراضية تذكيراً للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها... و"لن" لتأكيد نفى

التأخير، وعُمُومُ "نفساً" في سياق النفي يعمُّ نفوسَ المؤمنين وغيرهم... (والله خبير بما تعملون) عطف

على جملة (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ)، أو تذييل والواو اعتراضية.<sup>(4)</sup>

الآية السابع عشرة في أهمية الإنفاق :

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

<sup>1</sup> - المنافقون - 10

<sup>2</sup> - تفسير الطبري - جامع البيان ت شاكر (410/23)، الكتاب: جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ

- 2000م، عدد الأجزاء: 24

<sup>3</sup> - المنافقون (11)

<sup>4</sup> - التحرير والتنوير (255/28) 4 - (التغابن: 16) س

هذه الآية الكريمة بدأت بالفاء الفصيحة فهي مرتبطة بالتي قبلها أشد ارتباطاً ومرتبة عليها، لذلك فلا بد أن يُدرس أولاً تلك الآية التي قبلها ليسهل فهم هذه الآية - التي ورد فيها الأمر الصريح بالإِنفاق -، وقد اشتملت الآيتان على أسرار بلاغية جمة ولكن لم يتحدث عنها إلا ابن عاشور رحمه الله تعالى فالباحث مضطر لأن ينقلها جميعاً منه.

فأولاً الآية الأولى:

قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)<sup>(1)</sup>

فقال المفسر ابن عاشور رحمه الله تعالى - مبيناً أسرار بلاغة السياق في هذه الآية الكريمة -:

تذييل لأنّ فيه تعميم أحوال الأولاد بعد أن ذُكر حال خاصّ ببعضهم.<sup>(2)</sup>

وأفادنا ابن عاشور رحمه الله تعالى بست خصوصيات للأسلوب المستخدَم في هذه الآية الكريمة، وأسرارها البلاغية، فقال:

وأدّيج فيه الأموال لأنها لم يشملها طلب الحذر ولا وصف العداوة. وقُدّم ذكر الأموال على الأولاد لأن الأموال لم يتقدم ذكرها بخلاف الأولاد.

ووجه إدماج الأموال هنا أن المسلمين كانوا قد أصيبوا في أموالهم من المشركين فغلبوهم على أموالهم ولم تُذكر الأموال في الآية السابقة لأن الغرض هو التحذير من أشدّ الأشياء اتصالاً بهم وهي أزواجهم وأولادهم ولأن فتنة هؤلاء مضاعفة... وجُردّ عن ذكر الأزواج هنا اكتفاءً لدلالة فتنة الأولاد عليهن بدلالة فحوى الخطاب.<sup>(3)</sup>

وقال ابن عاشور - شارحاً القصر بـ"إنما" ومبيناً فائدته وفائدة الإخبار بالمصدر (فتنة) مكان اسم الفاعل، وموضّحاً السر البلاغي فيهما -:

والقصر المستفاد من "إنما" قصر موصوفٍ على صفة، أي ليست أموالكم وأولادكم إلا فتنة، وهو قصر

1- التغبين: (15)

2- التحرير والتنوير (28/285)

3- التحرير والتنوير ج 28 ص 286.

4- المرجع نفسه .

ادّعائي للمبالغة في كثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف إذ يندر أن تخلو أفراد هذين النوعين، وهما أموال المسلمين وأولادهم عن الاتصاف بالفتنة لمن يتلبس بهما. والإخبار بـ "فتنة" للمبالغة. والمراد: أنهم سبب فتنة سواء سعوا في فعل الفتن أم لم يسعوا، فإن الشغل بالمال والعناية بالأولاد فيه فتنة.<sup>1</sup> ثم إن المفسر (ابن عاشور رحمه الله تعالى) بنفسه لحّص لنا تلك الخصائص البلاغية وأضاف فائدة أخرى من بلاغة الفصل، قائلاً:

ففي هذه الآية من خصوصيات علم المعاني التذليل والإدماج، - وكلاهما من الإطناب -، والإكتفاء وهو من الإيجاز، وفيها الإخبار بالمصدر وهو "فتنة"، والإخبار به من المبالغة فهذه أربعة من المحسنات البديعية، وفيها القصر، وفيها التعليل، - وهو من خصوصيات الفصل، وقد يُعدّ من محسنات البديع أيضاً - فتلك ست خصوصيات. وفُصِّلَت هذه الجملة عن التي قبلها لأنها اشتملت على التذليل والتعليل وكلاهما من مقتضيات الفصل.<sup>(2)</sup>

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه.

يؤدّ الباحث أن يقدم لحصرة القارئ شرحاً للمصطلحات البلاغية - المذكورة في الآية السابقة -، من كتب البلاغية وعلوم القرآن :

فمن النكات البلاغية التي ذكرها ابن عاشور رحمه الله تعالى التذليل.

قال الزركشي رحمه الله تعالى:

"التذليل" مَصْدَرٌ (دَلَّلَ) لِلْمَبَالِغَةِ وَهِيَ لَعْنَةُ جَعَلَ الشَّيْءَ ذَبِيلًا لِأَخْرَجَ، وَاصْطِلَاحًا أَنْ يُؤْتَى

بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ بِكَلَامٍ مُسْتَقِيلٍ فِي مَعْنَى الْأَوَّلِ تَحْقِيقًا لِدَلَالَةِ مَنْطَوِي الْأَوَّلِ أَوْ مَقْهُومِهِ لِيَكُونَ مَعَهُ كَالدَّلِيلِ لِيُظْهِرَ الْمَعْنَى عِنْدَ مَنْ لَا يَفْهَمُ وَيَكْمُلُ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ. (الرهان في علوم القرآن 68 / 3 / 69)

ومثّل الزركشي للتذليل بأجزاء الآيات التالية:

قَوْلِهِ تَعَالَى: (دَلَّكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) ثُمَّ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (وَهَلْ تُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) (سأ من الآية رقم 17)، أَيْ هَلْ تُجَازِي

ذَلِكَ الْجَزَاءَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الْكَافِرُ إِلَّا الْكَافِرُ فَإِنْ جَعَلْنَا الْجَزَاءَ عَامًّا كَانَ الثَّانِي مُفِيدًا قَائِدَةً وَابْتِدَاءً.

وَقَوْلِهِ: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا). (الإسراء - 81)

وَقَوْلِهِ: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَانِ يَتَّ فَمَنْ خَالِدُونَ). (الأنبياء - 34).

والإدماج:

قال الخطيب القزويني رحمه الله تعالى:

الإدماج أن يُضَمَّنَ كلام سبق لمعنى معنى آخر فهو، أعم من الاستتباع ومثاله قول أبي الطيب

(أُثْلِبَ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي -- أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا)

( يَظُنُّ دِيوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي ص55 (الطُّبُوعُ فِي الْمَكْتَبَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ، لَاهُور) تَارِيخَ الطَّبْعِ لَيْسَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ.)

فَإِنَّهُ ضَمَّنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّوْلِ الشَّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ.

(الإبصاح في علوم البلاغة - (1 / 348 / 349)

وقال القزويني رحمه الله تعالى:

الإدماج أعمُّ من الاستتباع.

فلنعرف ما هو الاستتباع؟ لنفهم قولَ القزويني رحمه الله تعالى.

قال السكاكي رحمه الله تعالى:

الاستتباع، المدح بشيء على وجه يستتبع مدحاً آخر كقوله:

نَحَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَبْتُ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ حَالِدٌ

ألا تراه كيف مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكمال السخاء وجلال القدر من وجه آخر ويوضح لك ما ذكرت إذا

نستع على قولك نَحَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ اجْتَمَعَ لَكَ لَبِيتُ مَخْلُودًا. (مفتاح العلوم (ص: 428))

(بحث الباحث عن هذا البيت في النسخة التي عنده من ديوان المتنبي فلم يعثر عليه فيها ولكنه وجدته في الوساطة بين المتنبي وخصومه ص109 ، (الوساطة بين المتنبي وخصومه) المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البحايوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه وفي شرح ديوان المتنبي للعسكري ج1 ص227 (شرح ديوان المتنبي) المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العسكري البغدادي محب الدين (المتوفى: 616هـ) المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي الناشر: دار المعرفة - بيروت وفي شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفلحي - السفر الأول - ج1 ص387 (شرح ديوان المتنبي) المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العسكري البغدادي محب الدين (المتوفى: 616هـ) المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي الناشر: دار المعرفة - بيروت)

ولكن الحموي رحمه الله تعالى جعل الاستتباع أعم من ذلك - أي من المدح بشيء يستتبع مدحاً آخر-، فإنه قال:

الاستتباع: هو استفعال من تبع الرجل، إذا اتقى أثره. وفي الاصطلاح: هو أن يذكر الناظم أو النائر معنى مدح أو دم أو

غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفرض، كقول أبي الطيب المتنبي:

نَحَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ... لَهَبْتُ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ حَالِدٌ

فإنه مدحه بالشجاعة، على وجه استتبع مدحه بكونه سيئاً لإصلاح الدنيا، حيث جعلها مهتأةً مخلوذة. ( خزنة الأدب وغاية الأرب لاس

حجة الحموي (2 / 394)، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزاري (المتوفى: 837هـ) المحقق:

عصام شقيو الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت الطبعة الأخيرة 2004م عدد الأجزاء: 2)

وزاد الحموي قائلا:

ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي:

نَحَبْتُ الدُّنْيَا لَيْسَ بِمَسْكَ لَعَطَةٍ فَكَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ مِنْ مَالِهِ

وقال تعالى بعد هذه الآية:

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>1</sup>

ففي هذه الآية الكريمة أمر سبحانه وتعالى بالتقوى والسمع والطاعة وعطف عليه الأمر بالإِنفاق بصيغة الأمر الصريح، قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ...)

قال الزمخشري رحمه الله تعالى - مفسر هذه الجملة ومبين إعرابها وبلاغتها:-

(وَأَنْفِقُوا) في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ) نصب بمحذوف، تقديره: "اتقوا خيراً لأنفسكم"، وافعلوا ما هو خير لها وأنفع؛ وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات

(هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي أصله من طبرستان، ولد في خوارزم سنة ٢٢٢ هـ ونشأ فيها، وفارقها في حداثة سنه وضرب في البلاد ونقل في فارس والعراق، ووصل حلب ولقي سيف الدولة الحمداني وخدمه فأكرمه سيف الدولة وأدى محله وأقام في بلاطه ثم غادره، وعاد إلى بخارى ومنها إلى نيسابور فاستوطنها حتى توفي بها سنة ٣٨٣ هـ.)

لقد بحث الباحث كثيرا عن ديوان أبي بكر الخوارزمي ولكن للأسف أنه لم يفرز به.

فإنه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استعص الكرم.

وبت الشيخ صفى الدين في بدعيته على هذا النوع قوله:

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى والصانعو العرض صون الجار والحرم. - (المرجع نفسه). (والشيخ صفى الدين: هو صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي قاسم بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز ابن سرايا بن باقى بن عبد الله بن العريض الحلبي الطائي السبسي (م) بن سنس بن طي). ولادته ووفاته: أطبقت المعاجم على أن المترحم "الصفى" ولد في 5 ربيع الآخر سنة 677 هـ وعلى أنه توفي ببغداد غير أن الخلاف في تاريخ وفاته بين سنة 750 هـ و 752 هـ فأرجحها كل فريق وتردد جميع بينهما). والاكتفاء:

قال الزركشي رحمه الله تعالى:

الاكتفاء: أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلاؤم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويخص بالارتباط العطفى غالبا والارتباط خمسة أنواع وجودي ولزومي وخبري وجوابي وعطفى... (ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق، بل لأن فيه نكتة تقتضى الاختصار عليه، والمشهور في مثال هذا النوع قوله تعالى (سرايل تقيكم الحر) (النحل - 81) أي والبرد - هكذا قدروه - وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر وأجابوا بأن الخطاب للعرب ولبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد من البرد عندهم. (البرهان في علوم القرآن (3 / 118)

وزخارف الدنيا.<sup>1</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى مفسراً الآية الكريمة و مبيناً بلاغة الأمر بالإِنفاق فيها:

وَالْأَمْرُ بِالسَّمْعِ أَمْرٌ يَنْتَلِقِي الشَّرِيعَةَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى سَمَاعِ مَوَاعِظِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ وَسِيلَةُ التَّقْوَى... وَعُطِفَ عَلَيْهِ (وَأَطِيعُوا): أَيْ أَطِيعُوا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ أَمْرِ وَنَهْيٍ. وَعُطِفَ (وَأَنْفِقُوا) تَخْصِصٌ بَعْدَ تَخْصِصٍ فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ. وَصِيغَةُ الْأَمْرِ تَشْتَمِلُ وَاجِبَ الْإِنْفَاقِ وَالْمَنْدُوبَ، فَفِيهِ التَّخْرِيصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ بِمَرْتَبَتَيْهِ وَهَذَا مِنَ الْاهْتِمَامِ بِالنِّزَاهَةِ عَنْ فِتْنَةِ الْمَالِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ).<sup>2</sup>

وأفادنا البقاعي رحمه الله تعالى بسرّاً بلاغي في تخصيص الإِنفاق بكونه "خيراً" حيث قيل: (خيراً

لأنفسكم) - بعد قوله: (وَأَنْفِقُوا)، قال:

ولما كان الإِنفاق شديداً أكد أمره بتخصيصه بالذكر.<sup>3</sup>

ليس هذا فقط بل وقال عزّ من قائل: (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>4</sup>

ويلاحظ هنا أن النظم الحكيم استخدم الفعل "يوق" مبنياً للمجهول وأضاف الشح إلى

"النفس" وفيه حكمة وسر بلاغي أفادنا به أيضاً البقاعي رحمه الله تعالى، قال:

ولما ذكر ما في الإِنفاق من الخير عم في جميع الأوامر فقال: (ومن يوق)، بناء للمفعول تعظيماً

للتغريب فيه نفسه مع قطع النظر عن الفاعل أي: يقية وإي أي وإي كان، وأضافه إلى ما، الشؤم كله منه

فقال: (شحّ نفسه)<sup>5</sup>

ثم في ما بُشِّر به الأسخياء - الأبرياء من الشحّ - في قوله تعالى:

1 - الكشف - (78 / 7)

2 - (التغابن: 15)، التحرير والتنوير (288 / 28)

3 - نظم الدرر للبقاعي - (48 / 9)

4 - التغابن - (16)

5 - نظم الدرر للبقاعي - (48 / 9)

(وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>1</sup> استُخدم فيها أسلوب القصر - بتعريف طرفي الجملة - قصرت صفة الفلاح على الذي يوقى شح نفسه، يعني: إن الفلاح مقصور عليهم لايتعداهم إلى غيرهم. ولعل هذا قصر إضافي أي لم يفلح من لم يوق شح نفسه. وجيء بضمير الفصل، وجعل اسم الإشارة المبني للبعد مسندا إليه، ربما للإشارة إلى رفعة شأنهم وعلو مكانهم، كما قال البلاغيون: وإن كان بالإشارة فيما لتمييزه أكمل تمييز.... وإما لبيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط وربما لجعل البعد ذريعة إلى التعظيم كقوله تعالى (الم ذلك الكتاب)<sup>2</sup> ذهابًا إلى بعد درجته ونحوه (وتلك الجنة التي أورثتموها)<sup>3</sup> ولذا قالت (فذلكن الذي لمتني فيه)<sup>4</sup> - لم تقل: "فهذا" وهو حاضر رفعًا لمنزلته في الحسن.<sup>5</sup>

فهذا الأسلوب كله يدل أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق. والله أعلم.

ومن الآيات الواردة في بيان أهمية الإنفاق قوله تعالى:

الآية الثامن عشرة في أهمية الإنفاق:

وتمثيل جميل لأجر الإنفاق في سبيل الله:

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).<sup>6</sup>

في هذه الآية الكريمة بين سبحانه وتعالى تمثيلا جميلا للأجر المتضاعف الذي يستحقه الذين

ينفقون أموالهم في سبيل الله.

فقد شبه حال من ينفق شيئا يسيرا من ماله في سبيل الله بإخلاص نيته ابتغاء لوجه ربه الكريم

فيستحق به عند الله سبحانه وتعالى أجرا عظيما، شبه حاله بحال من يزرع حبة واحدة في أرض طيبة

1 - التناين - (16)

2 - البقرة - (2)

3 - الأعراف - (43)، (الزحرف - (72)

4 - يوسف - (32)

6 - الإيضاح في علوم البلاغة - (1 / 43، 44)

6 - البقرة - (261).

فتنتج له سبع مائة حبة.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى مبينا النكات البلاغية في الآية الكريمة:

(مثل الذين يُفْقُونَ) لا بد من حذف مضاف، أي مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذرخبة. والمنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقاً يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر.<sup>1</sup>

وزاد الزمخشري قائلاً - دافعا لإشكالين ناشئين في هذا التمثيل:-

فإن قلت: كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرحت ساق الذرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير: فإن قلت: هلاً قيل: سبع سنبلات، على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال: (وَسَبْعَ سِنْبَلَاتٍ خُضْرٍ)<sup>2</sup>؟ قلت: هذا كما قدمت عند قوله: (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)<sup>3</sup> من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها.<sup>4</sup>

وهناك قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟

قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية. ألا ترى إلى قوله: (بِأَنْفُسِهِنَّ) وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القراء كانت أكثر استعمالاً في جمع "قرء" من الأقراء، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل، فيكون مثل قولهم: ثلاثة شسوع.<sup>5</sup> وينحو تفسير الزمخشري لهذه الآية الكريمة فسرهما أبو السعود والبيضاوي رحمهما الله تعالى.<sup>1</sup>

وغيرهما من المفسرين رحمهم الله أجمعين.

1 - الكشف - (1 / 231)

2 - يوسف (53)

3 - البقرة (228)

4 - الكاف - (1 / 231)

5 - الكشف - (1 / 200)

وأفادنا أبو السعود والبيضاوي رحمهما الله تعالى ببلاغة تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى:

(وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)<sup>2</sup>، قال:

(والله يضاعف) تلك المضاعفة أو فوقها إلى ما شاء الله تعالى (لِمَنْ يَشَاءُ) أن يضاعف له بفضلته على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال في مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عَلِيمٌ) بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفق.<sup>3</sup>

و يمكن أن يقال: إن هذا الجزء من الآية الكريمة نصفه الأول، أي قوله تعالى:

(وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) تذييل للآية وقوله تعالى: (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) تذييل ثانٍ لدليل للتذييل الأول، لأن الجزء الأول تأكيد لمعنى التمثيل المذكور في الآية الكريمة، والجزء الثاني جاء دليلاً عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثلاث آيات في بيان شرط قبول الصدقة واستحقاق الأجر عليه :

ثم في الآيات الثلاث التالية، بين سبحانه وتعالى في الأولى: شرط قبول الصدقة واستحقاق الأجر عليها وهو عدم اتباع الصدقة المن والأذى، وفي الثانية بين أن قولاً معروفاً ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى، وذيلها بقوله: (والله غني حلیم)

قال الألوسي رحمه الله تعالى:

(وَاللَّهُ غَنِيٌّ) عن صدقات العباد وإنما أمرهم بها بمصلحة تعود إليهم أو عن الصدقة بالمن والأذى فلا قبلها، أو غني لا يحوج الفقراء إلى تحمّل مؤونة المن والأذى ويرزقهم من جهة أخرى (حَلِيمٌ) فلا يعجل بالعقوبة على المن والإيذاء لا أنهم لا يستحقونها بسببهما، والجملة تذييل لما قبلها مشتملة على الوعد والوعيد مقررّة لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعاً.<sup>4</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

1 - ينظر في تفسير أبي السعود (321/1) وفي تفسير البيضاوي (157/1، 158)

2 - (البقرة: 261)

3 - المرجعان أنفسهما.

4 - تفسير الألوسي - روح المعاني (2/ 34)

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ رَدَّ جَمِيلٌ وَمَغْفِرَةٌ وَعَفْوٌ عَنِ السَّائِلِ إِذَا وُجِدَ مِنْهُ مَا يَثْقِلُ عَلَى الْمَسْئُولِ أَوْ نَيْلٌ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ الرَّدِّ الْجَمِيلِ، أَوْ عَفْوٌ مِنْ جِهَةِ السَّائِلِ لِأَنَّهُ إِذَا رَدَّهُ رَدًّا جَمِيلًا عَذَرَهُ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَّةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَصَحَّ الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُبْتَدِئِ الْنُكْرَةَ لِإِحْتِصَاصِهِ بِالصِّفَةِ. (وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى مَنْفِقٍ يَمَنُّ وَيُؤْذِي (حَلِيمٌ) عَنْ مَعَاجِلَتِهِ بِالْعُقُوبَةِ، وَهَذَا سَخَطٌ مِنْهُ وَوَعِيدٌ لَهُ، ثُمَّ بَالَعَ فِي ذَلِكَ بِمَا أَتْبَعَهُ (كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ....) أَيْ لَا تَبْطُلُوا صِدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كإِبْطَالِ الْمَنَافِقِ الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ.<sup>1</sup>

وفي الآية الثالثة نهي المؤمنين عن إبطالهم الصدقات بالمن والأذى كالمنافقين،

وذكر تمثيلاً بليغاً للمنافق الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر،

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ).<sup>2</sup>

تمثيل لحال المنافق الذي يبطل صدقته بالمن والأذى:

ذكر الألوسي رحمه الله تعالى في هذا التشبيه احتمالين، أي أنه تشبيه مفرق أو تشبيه مركب،

قال:

وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرقاً فالنفاق المنافق كالحجر في عدم الانتفاع ونفقته كالتراب لرجاء النفع منهما بالأجر والإنبات، ورياءه كالوابل المذهب له سريعاً الضار من حيث يُظَنُّ النفع. ولو جعل مركباً لصح، وقيل: إنه هو الوجه والأول ليس بشيء.<sup>3</sup>

و يمكن أن يقال: إن في الآية الكريمة تشبيهين تمثيليين: أولاً شبهت حال المؤمن الذي يتصدق ويؤذي من يتصدق عليه أو يمنُّ عليه فتبطل صدقته بسبب المن والأذى بحال المنافق الذي ينفق ماله سُمعة ورِئاء بدون إيمان وإخلاص ويرجو أنه سينال من الله عليه أجراً كأجر المؤمن المخلص الذي ينفق ماله ابتغاء وجه الله تعالى، ولكن لا يكون كذلك بل يضيع إنفاقه ولا يترتب عليه أي أجر عند الله

1 - تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 312)

2 - (البقرة: 264)

3 - تفسير الألوسي - روح المعاني (2/ 35)

سبحانه وتعالى، فشَبَّهت حاله بحال من يرى على الحجر الأملس تراباً فيزرع فيه حباً ويرجو أنه سوف ينبت ويحصل له منه نفع فلا يلبس أن ينزل مطر شديد، يذهب بالتراب وما زرع الرجل فيه من الحب، والوصف المشترك بينهما هو قيام إنسان بعمل يرجو منه نتيجة جميلة ولكن بسبب خطأ منه يضيع عمله ويبقى محروماً كأن لم يعمل شيئاً. فهنا تشبيهان متداخلان أولاً: تشبيه حال المؤمن الميطل صدقته بالإن والأذى بحال المنافق الذي لا إيمان له أصلاً.

وثانياً تشبيه حال المنافق بحال الزارع في تراب بسيط على صفوان ينزل عليه مطر شديد ويذهب بالتراب وبما زرع الرجل فيه. ووجه الشبه في التشبيهين كليهما خيبة أمل العامل بسبب خطأ منه في عمله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

قد روعي في هذا التمثيل عكس التمثيل لمن ينفق ماله في سبيل الله بحجة أغلث سبعمئة حجة. فالتشبيه تشبيه مركب معقول بمركب محسوس. ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث ألا تأتي لآملها بما أمَّله فحباب أملة.<sup>1</sup>

تمثيل آخر لحال من ينفق ماله ابتغاء مرضات الله :

وبعد بيان التمثيلين المذكورين، عاد النظم الحكيم مرة أخرى إلى بيان فضل المنفقين في سبيل الله ابتغاء مرضات الله تعالى في أبلغ تمثيل وأجمله، فقال تعالى:

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَنَّةٍ إِذَا أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).<sup>2</sup>

بلاغة السياق:

قال أبوحيان الأندلسي رحمه الله تعالى:

لَمَّا ضَرَبَ مَثَلٌ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، ذَكَرَ ضِدَّهُ بِتَمَثُّلٍ مُحْسُوسٍ لِلذَّهْنِ،

1 - التحرير والتنوير - (2 / 453)

2 - البقرة (265)

حَتَّى يَتَصَوَّرَ السَّامِعُ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَ الضَّادَيْنِ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ أَسَالِيبِ فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ. وَلَمَّا وَصَفَ صَاحِبُ التَّفَقُّةِ بِوَصْفَيْنِ، قَابَلَ ذَلِكَ هُنَا بِوَصْفَيْنِ، فَقَوْلُهُ: (إِثْنَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: (رِئَاءَ النَّاسِ) وَقَوْلُهُ: (وَتَنْبِيئاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ) مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: (وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّشْيِيبِ تَوْطِئُ النَّفْسِ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ وَتَرْكِ مَا يُفْسِدُهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ يَقِينٍ بِالْآخِرَةِ.<sup>1</sup>

وزاد أبوحيان رحمه الله تعالى قائلا:

وَالْتَفَادِيرُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ جَارِيَةٍ هُنَا، أَيْ: وَمَثَلُ الْمُنَافِقِينَ كَمَثَلِ غَارِسٍ حَبَّةٍ، أَوْ: مَثَلُ نَفَقَتِهِمْ كَحَبَّةٍ، أَوْ: مَثَلُ الْمُنْفِقِينَ وَنَفَقَتِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ وَغَارِسِهَا).<sup>2</sup>

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى مبينا بلاغة السياق:

من أساليب فصاحة القرآن أنه يأتي فيه نقيض ما يتقدم ذكره لتبيين حال التضاد بعرضها على الذهن، فلما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المؤمنين عن موافقة ما يشبه ذلك بوجهٍ ما عُمِّبَ في هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين تَرَكُوا صدقاتهم وهي على وجهها في الشرع فضرب لها مثلاً.<sup>3</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

عُطِفَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ عَلَى مَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ، لزيادة بيان ما بين المرتبتين مِنَ الْبُؤْسِ وَتَأْكِيداً لِلنَّشَاءِ عَلَى الْمُنْفِقِينَ بِإِحْلَاصٍ، وَتَفَنُّنًا فِي التَّمْثِيلِ. فَإِنَّهُ قَدْ مَثَّلَهُ فِيمَا سَلَفَ بِحَبَّةٍ أَنْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلٍ، وَمَثَّلَهُ فِيمَا سَلَفَ تَمْثِيلاً غَيْرَ كَثِيرٍ التَّرْكِيبَ لِتَحْصُلِ السَّرْعَةِ بِتَخْيِيلِ مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ.<sup>4</sup>

وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلا:

1 - البحر المحيط في التفسير (2 / 665)

2 - المرجع نفسه (2 / 666)

3 - المحرر الوجيز - (1 / 328)

4 - التحرير والتنوير - (2 / 454)

فلما مثَّل حال المنفق رثاءً بالتمثيل الذي مضى أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيُّل؛ فإنَّ الأمثال تُبهج السامع كلما كانت أكثر تركيباً وضمَّنت الحياة المشبه بها أحوالاً حسنة تُكسبها حسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبه، وهذا من جملة مقاصد التشبيه.<sup>1</sup>

شرح هذا التمثيل عند الزمخشري:

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

والمعنى: ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) وهي البستان (بِرِزْوَةٍ) مكان مرتفع. -  
 وخصَّها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرأ - (أصابتها وابل) مطرٌ عظيم القطر (فَأَثَّتْ أَكْلَهَا) ثمرتها  
 (ضِعْفَيْنِ) مثلي ما كانت تثمر بسبب الوايل (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَايِلٌ فَطَلَّ) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم  
 منبتها. أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الرتبة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوايل والطل، وكما أن كلَّ  
 واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة - بعد أن يطلب بها وجه  
 الله ويبذل فيها الوسع - زاكية عند الله، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده.<sup>2</sup>

معنى قوله تعالى: (تَنْبِيئًا):

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) وليشتوا منها بئذ المال الذي هو شقيق الروح. وبئذله أشقُّ شيء على  
 النفس على سائر العبادات الشاقَّة وعلى الإيمان لأن النفس إذا رِيضت بالتحامل عليها وتكليفها ما  
 يصعب عليها ذلَّت خاضعة لصاحبها وقلَّ طمعها في اتباعه لشهواتها، وبالعكس، فكان إنفاق المال  
 تنبيئاً لها على الإيمان واليقين. ويجوز أن يراد: وتصديقاً للإسلام، وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم لأنه  
 إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله، علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه.<sup>3</sup>

و يُمكن أن يقال: إن في هذه الآية من المحسنات البديعية ما سماه البلاغيون "الإدماج".

ففي هذه الآية دُكِّر شرط قبول الصدقة وهو الإخلاص لله وابتغاء مرضاته ضِمَّنَ بيان فضل

1 - المرجع نفسه.

2 - تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 313)

3 - تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 313)

الإنفاق في سبيل الله وأهميته. والله أعلم.

الآية الثانية والعشرون في أهمية الإنفاق :

ومن الآيات الواردة في بيان أهمية الإنفاق قوله تعالى :

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).<sup>1</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى :

أى يعدكم في الإنفاق الْفَقْرَ ويقول لكم إِنَّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا. وقُرئ :

"الْفَقْرَ"، بالضم. والْفَقْرَ - بفتحين - والوعد يُستعمل في الخير والشر. قال الله تعالى: (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)<sup>2</sup>. (وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) ويفريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الأمر للمأمر، والفاحش عند العرب: البخل. (وَاللَّهُ يَعِدُكُم) في الإنفاق (مَغْفِرَةً) لذنوبكم وكفارة لها (وَفَضْلًا) وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، أو وثوبا عليه في الآخرة.<sup>3</sup>

هنا قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "والفاحش عند العرب: البخل". وذكر ابن المنير الإسكندري رحمه الله تعالى في حاشية الكشف المسمى بـ "الانتصاف فيما تضمنه الكشف" في تأييده قول الشاعر:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى... عقيلة مال الفاحش المتشدد<sup>4</sup>

وقال الراغب الأصفهاني:

1 - البقرة - (268)

2 - الحج (من الآية 72)

3 - تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 315)

4 - بنظري هامش الكشف في نفس الصفحة. البيت لطرفة بن العبد. بنظر ديوان طرفة بن العبد ص: 26 ديوان طرفة بن العبد

المؤلف: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)

المحقق: مهدي محمد ناصر الدين

الناشر: دار الكتب العلمية

الطبعة: الثالثة، 1423 هـ - 2002 م

عدد الأجزاء: 1

والفحشاء كل مُنكر من المقال والفعال وإن كان قد خصّها بعضهم هاهنا بالبخل، كقول

شاعر:

أرى الموت يعنّام الكرام ويصطفي... عقيلة مال الفاحش المتشدد

فقوله: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ)، قيل: عني فقر الآخرة وهو أن يحيل إليه أن لا جزاء ولا شكور

وقيل هو بأن يُخَوِّفه، الفقر في آخر عمره.<sup>1</sup>

وفي الآية الكريمة نكات بلاغية أخرى أيضا كثيرة، من اللازم بياها والإفادة منها.

الأولى: المقابلة الجميلة التي اشتملت عليها الآية بين قوله تعالى:

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) وقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا).

والثانية: في قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ...).

والثالثة: في تنكير "مغفرة".

والخامسة: في تنكير "فضلا".

والسادسة: في حذف وصف "فضلا".

والسابعة: في تذييل الآية بقوله تعالى: (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

أما النكتة البلاغية في قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ...)، فقال المراغي وأبو السعود والآلوسي

رحمهم الله تعالى - واللفظ هنا للمراغي رحمه الله تعالى -:

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) أي إن الشيطان يخوِّف المتصدقين الفقر ويغريهم

بالبخل، ويحيل إليهم أن الإنفاق يذهب بالمال، ولا بد من إمساكه والحرص عليه استعدادا لحاجات

الزمان، وسمّى ذلك التخويف "وعدا"، والوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة المخير، والشيطان لم

يُضِف مجيء الفقر إليه مبالغة في الإخبار بتحقيق وقوعه، وكأن مجيئه بحسب إرادته وطُوع مشيئته.<sup>2</sup>

وقال أبو السعود والآلوسي رحمهما الله تعالى:

1 - تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 565)

2 - تفسير المراغي (3/ 41)، وينظر في تفسير أبي السعود (1/ 161، 162) وروح المعاني (2/ 39)

.....ولوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشكلة.<sup>1</sup>

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

وسمّي الإخبار بحصول أمر في المستقبل "وعداً" مجازاً لأنّ الوعد إخبارٌ بحصول شيء في المستقبل من جهة المخبر، ولذلك يقال: أنجز فلان وعده أو أحلف وعده، ولا يقولون أنجز خبره، ويقولون صدق خبره وصدق وعده، فالوعد أحصن من الخبر، وبذلك يؤذن كلام أئمة اللغة. فشبه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقّع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة، ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقق، وحسن هذا المجاز هنا مشاكلته لقوله:

(والله يعدكم مغفرة) فإنّه وعد حقيقي.<sup>2</sup>

وأفادنا ابن عاشور في هذه الجملة (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) بنكتة بلاغية أخرى أيضاً في تقديم المسند إليه (الشَّيْطَانُ)، قال:

وَقَدَّمَ اسْمَ الشَّيْطَانِ مُسْنَدًا إِلَيْهِ لِأَنَّ تَقْدِيمَهُ مُؤْذِنٌ بِدَمِّ الْحُكْمِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ الْكَلَامُ وَشُرُوبِهِ لِتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ، كَمَا يُقَالُ فِي مِثَالِ عِلْمِ الْمَعَانِي "السَّفَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ"، وَلِأَنَّ فِي تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْخَبَرِ الْفَعْلِي تَقْوِي الْحُكْمِ وَتَحْقِيقَهُ.<sup>3</sup>

وأما النكات الأربعة: (الثالثة: في تنكير "مغفرة" والرابعة: في وصف "مغفرة" بـ"منه" والخامسة: في تنكير "فضلاً". والسادسة: في حذف وصف "فضلاً")، فقد أشار إليها الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى في قوله:

(والله يعدكم) أي في الإنفاق (مَغْفِرَةً) لذنوبكم والجاء في قوله تعالى (منه) متعلقٌ بمحذوفٍ هو صفة لـ"مغفرة" مؤكّدة لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة، مغفرة كائنة منه عز وجل. و(فضلاً)، صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى: (فانقلبوا بِنِعْمَةِ مَنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) ونظائره. أي: وفضلاً كائناً منه تعالى. أي: خلّفاً مما أنفقتم زائداً عليه في الدنيا، وفيه تكذيبٌ للشيطان، وقيل:

1 - روح المعاني (2/ 39) وتفسير أبي السعود (1/ 161، 162)

2 - التحرير والتنوير - (2/ 460)

3 - المرجع نفسه.

ثواباً في الآخرة.<sup>1</sup>

والنكتة البلاغية السابعة في الآية الكريمة: تذييلها بقوله تعالى: (وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).<sup>2</sup>

فقال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

(والله واسع) قدرة وفضلاً فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه

(عليهم) مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة

والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله.<sup>3</sup>

الآية الثالث والعشرون في بيان أهمية الإنفاق:

ومن الآيات الواردة في بيان أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ

وَالْمُسْتَفِيقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)<sup>4</sup>

بلاغة السياق:

من بلاغة السياق في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أولاً ذكر بعض عيوب الناس من

حُبِّ الشهوات النفسانية، من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها..... قال:

(رَبِّئِ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).<sup>5</sup>

ثم - في مقابلة أولئك محبي الشهوات -، ذكر سبحانه تعالى المتقين وأجورهم من جنات وأزواج

مطهرة، قال تعالى:

(قُلْ أُوْبَتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).<sup>1</sup>

1 - " تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مرابا الكتاب الكريم (1/ 262)

2 - البقرة - (268)

3 - المرجع نفسه.

4 - آل عمران - (16، 17)

5 - آل عمران - (14)

الآيتين الرابع والعشرون والخامس والعشرون :

ثم بيّن سبحانه وتعالى أوصافهم وخصائصهم التي من أجلها استحقوا ذلك الأجر العظيم وما بُشّروا به من نعيم في الجنة، فقال تعالى:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)<sup>2</sup>

في هاتين الآيتين أولاً ذكر دعاء لهم يدعون الله بهم الكريم به، ثم ذكر لهم خمس خصال: الصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار بالأسحار.

بلاغة الأسلوب:

ومن بلاغة الأسلوب في هاتين الآيتين الكريمتين أن الاسم الموصول (الذين)، في قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)<sup>3</sup>

إما مجرور على البدلية من الاسم الموصول في الآية السابقة أو منصوب على المدح، وكذلك الصفات الخمس التي وصفهم الله بها، - ومن بينها الإنفاق في سبيل الله -.

كما قال محي الدين الدرويش رحمه الله تعالى:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ) الاسم الموصول يجوز فيه الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هم الذين، والنصب على المدح بفعل محذوف أي أمدح الذين، والجر على أنه بدل من الاسم الموصول في الآية السابقة أو نعت له..... (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) الصابرين منصوب على المدح بفعل محذوف وما بعده عطف عليه، وهي في الأصل صفات قُطعت عن الوصفية بتوسط واو العطف بينها للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات كما سيأتي في باب البلاغة.<sup>4</sup>

ثم قال الدرويش في باب البلاغة:

1 - آل عمران - (15)

2 - آل عمران - (16، 17)

3 - آل عمران - (133-134)

4 - إعراب القرآن وبيانه (1/ 473)

في دخول الواو على الصفات مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف لأنه إيدان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف.<sup>1</sup>

فهذا السياق وهذا الأسلوب كلاهما يدل دلالة بليغة على أهمية الإنفاق في سبيل الله.

الآيتان السادس والعشرون والسابع والعشرون في أهمية الإنفاق :

ومن الآيات الواردة في أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).<sup>2</sup>

في الآية الأولى - من هاتين الآيتين الكريمتين - دعا القرآن الحكيم عباد الله المؤمنين إلى المسارعة

إلى مغفرة من ربهم وجنة. ووصف الجنة بوصفين، الأولى: (عرضها السماوات والأرض).

والثانية: (أعدت للمتقين). ثم وصف المتقين بأنهم ينفقون في السراء والضراء أي في جميع

الأحوال، كما قال أبو الفداء إسماعيل الحقي:

(السَّراءُ وَالضَّرَّاءُ) أي في حالتي الرخاء والشدة أي الغنى والفقر واليسر والعسر وفي الأحوال

كلها.<sup>3</sup>

من بلاغة النظم القرآني في البشري التي بُشِّر بها المتقون المنفقون في جميع الأحوال من السراء

والضراء أنه سبحانه وتعالى بشّرهم بالجنة ووصف الجنة بأنَّ عرضها السماوات والأرض. وقوله تعالى:

(عرضها السماوات والأرض) تشبيه بليغ.

كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أي عرضها عرض السموات والأرض، كقوله:

(عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشُبِّهَتْ بأوسع ما علمه

1 - المرجع نفسه (1 / 474) الكتاب: إعراب القرآن وبيانه الكتاب: إعراب القرآن وبيانه المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى

درويش (المطوى: 1403 هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن

كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، 1415 هـ عدد المجلدات: 10

2 - (آل عمران: 133، 134)

3 - روح البيان (2 / 94)

الناس من خلقه وأبسطة، وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول، للمبالغة.<sup>1</sup>

وقال محيي الدين الدرويش رحمه الله تعالى مبينا بلاغة هذا التشبيه:

اشتملت هذه الآية على فنٍّ جليل القدر وهو التنكيث في التشبيه، وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدُّ مسدَّهُ لأجل نكتة، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية، وهو هنا في قوله تعالى: (عرضها السموات والأرض)، فقد أراد وصفها بالسعة فخصَّ عرضها بالذكر دون الطول، وإنما عدل عن ذكر الطول لأن المستقر في البداهة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها!<sup>2</sup>

وأفادنا الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: (الذين ينفقون في السراء والضراء) بنكتة بلاغية جميلة، قال:

(السَّراء والضَّراء) إشارة إلى حالي السعة والضيق، كاليسر والعسر، وإلى حالي السرور والاغتمام، وقد فسَّرَ بهما. واللفظ يتناولهما، فإن السراء يقابلها الغم، والضراء يقابلها النفع، فأخذ اللفظان

1 - تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 415)

2 - إعراب القرآن وبيانه (2/ 54، 55) تعريف التنكيث من كتب البلاغة والنقد:-

قال ابن أبي الإصبع العدواني في كتابه "تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر"، في تعريف التنكيث:

هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسد مسده، لنكتة في ذلك الشيء المقصود تُرَجِّح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده، ولولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد.<sup>2</sup>

وزاد قائلا:

ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله سبحانه: (وأنه هو رب الشعري) فإنه سبحانه وتعالى خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو ربُّ كل شيء، لأن العرب كان قد ظهر فيهم رجل

يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعري، ودعا خلقاً إلى عبادته، فأُنزل الله سبحانه:

(وأنه هو رب الشعري) التي ادَّعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم.<sup>2</sup>

ومثل قول ابن أبي الإصبع العدواني قال أبو المظفر الكنائي في كتابه "البدیع في نقد الشعر" إلا إنه عزا هذه الرواية - المتعلقة

بعد الشعري إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنه.<sup>2</sup>

وكذلك قال الحموي رحمه الله تعالى في كتابه "حزنة الأدب وغاية الأرب".<sup>2</sup>

المختلفا التقابل ليدل كل واحد على مقابله، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة، فمن نظر إلى

معنى السراء قال: السرور والغم، ومن نظر إلى معنى الضراء قال النفع والضر.<sup>1</sup>

ففي هذا الأسلوب البديع أبلغ تحريض على الإنفاق في سبيل الله.

الآية الثامن والعشرون في أهمية الإنفاق :

ومن الآيات الواردة في أهمية الصدقة والإنفاق في سبيل الله قوله تعالى:

(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)<sup>2</sup>

في هذه الآية الكريمة ذم القرآن الحكيم كثيرا من نجوى الناس ونفى عنه الخير - ب"لا النافية

للجنس" ولكن استثنى منها بعض النجوى، وهي النجوى بثلاثة: بالأمريصدقة أو معروف أو إصلاح بين

الناس. ولم يكنف بإباحة النجوى بهذه الأمور الثلاثة بل وحثهم وحرّضهم عليها أيضا فقد بشرهم بأجر

عظيم - إذا فعلوا ذلك ابتغاء مرضات الله تعالى -، قال:

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا).<sup>3</sup>

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) من تناجي الناس (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ) إلا نجوى من أمر، على أنه

مجرور بدل من كثير، كما تقول: لا خير في قيامهم إلا قيام زيد. ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع،

بمعنى: ولكن من أمر بصدقة، ففي نجواه الخير. وقيل: المعروف القرض. وقيل إغاثة الملهوف. وقيل هوعام

في كل جميل. ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع.<sup>4</sup>

قال الطبري رحمه الله تعالى:

1 - تفسير الراغب الأصفهاني (3/ 859)

2 - النساء - (114)

3 - الآية نفسها.

4 - تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 564)

(فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا)، يقول: فسوف نعطيه جزاء لما فعل من ذلك عظيمًا، ولا حدًا لمبلغ

ما سمى الله "عظيمًا" يعلمه سواه.<sup>1</sup>

وأفادنا ابن عطية رحمه الله تعالى بنكتة بلاغية، بلاغة الإيجاز في الآية الكريمة، قال:

الضمير في (نَجَّوَاهُمْ) عائد على الناس أجمع، وجاءت هذه الآيات عامة التناول، وفي عمومها

يندرج أصحاب النازلة، وهذا عن الفصاحة والإيجاز المضمن الماضي والغابر في عبارة واحدة.<sup>2</sup>

مامعنى "النجوى"؟

قال ابن عطية: النجوى: المسارة، مصدر، وقد تُسمَّى به الجماعة، كما يقال: "قوم عدلٌ

ورضًا"، وتحتل اللفظة في هذه الآية أن تكون الجماعة وأن تكون المصدر نفسه، فإن قدرناها الجماعة

فلاستثناء متصل، كأنه قال: لا خير في كثير من جماعاتهم المنفردة المتسارة إلا من، وإن قدرنا اللفظة

المصدر نفسه، كأنه قال: لا خير في كثير من تناجيهم، فالاستثناء منقطع بحكم اللفظ، ويقدر اتصاله

على حذف مضاف، كأنه قال: إلا نجوى من، قال بعض المفسرين: النجوى كلام الجماعة المنفردة كان

ذلك سرًّا أو جهراً.<sup>3</sup>

وأفادنا ابن عطية رحمه الله تعالى هنا بنكتة بلاغية أخرى في هذه الآية الكريمة مما يدل على أهمية

الإنفاق، قال:

و"المعروف": لفظ يعم الصدقة والإصلاح، ولكن خصًا بالذكر اهتمامًا بهما، إذ هما عظيمتا

الغناء في مصالح العباد، ثم وعد تعالى "بالأجر العظيم" على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضا الله

تعالى.<sup>4</sup>

الآيات من التاسع والعشرين إلى الثلاثين في أهمية الإنفاق :

1 - تفسير الطبري - جامع البيان ت شاكر (9/ 202)

2 - تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 112)

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

ومن الآيات الواردة في أهمية الإنفاق قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَحْمَةٍ يُتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)<sup>(1)</sup>

في هذه الآيات المباركات وصف الله المؤمنين بخمس صفات - من بينها الإنفاق في سبيل الله - ثم شهد لهم بالإيمان حقاً ثم بشرهم بثلاث بُشريات: بدرجات عند ربهم، ومغفرة، ورزق كريم. وكل ذلك قد ورد بأسلوب بليغ عظيم.

فأولاً: ابتدأت الآيات بأسلوب القصر بـ "إنما" - التي قال عنها البلاغيون: المقصور عليه مع "إنما" المؤخَّر المستقل في الجملة سواء كان فاعلاً أم مفعولاً أم حالاً أم صاحب حال أم ظرفاً.<sup>(2)</sup> وفي فائدة القصر بما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى: اعلم أن موضوع "إنما" على أن تحيء الخبر لا يجمله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة.<sup>(3)</sup>

إذن فمعنى ذلك أنه سبحانه وتعالى قصر صفة الإيمان على المتصفين بتلك الصفات الخمس - التي من بينها الإنفاق -، ومن الظاهر أن المراد بذلك هو الإيمان الكامل، لا نفس الإيمان، كما قال الرمحشري رحمه الله تعالى:

ومعنى قوله (إن كنتم مؤمنين)<sup>(4)</sup>: إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله تعالى: (إنما المؤمنون)<sup>(5)</sup> إشارة إليهم، أي: إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله: (أولئك هم المؤمنون حقا)<sup>(6)</sup> ونقل الرمحشري في تأييد ذلك رواية عن الحسن رضي الله تعالى عنه، قال: وعن الحسن أن رجلاً سأله: أؤمن أنت؟ قال: فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة

1- الأنفال (2-4)

2- ينظر كتاب: أسلوب القصر قاعدة ونظيماً، ص 82 (لحضره الدكتور عادل محمد محمد الأكرت . والمراد من الجزء المستقل في الكلام أن لا يكون من التوابع (من الصفة والتوكيد وغير ذلك) ينظر نفس المرجع.

3- دلائل الإعجاز، ص 330.

4- الأنفال (1)

5- الأنفال (2)

6- الأنفال (4) انطروا: الكشف (2/195)

والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: (إنما المؤمنون) فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا. (1)

فمعنى ذلك أن الإنفاق - حسب دلالة أسلوب القصر بـ"إنما" - من الصفة التي قُصِرَ عليها كمال الإيمان. ومرة أخرى ، عند ما بشرهم القرآن الحكيم استخدم أسلوب القصر بتعريف الطرفين في قوله: (أولئك هم المؤمنون حقا) (2) وحيء بضمير الفصل - هم - بين المبتدأ والخبر، وعُرفَ المسند إليه باسم الإشارة (أولئك) الذي قال عنه البلاغيون: أنه قد يأتي لبيان حاله (أي حال المشار إليه) في القرب والبعث أو التوسط... وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم كقول امرأة العزيز: (فذلكن الذي لمتني فيه) (3)، لم تقل: "فهذا...." رفعا لمنزله في الحسن، وإما للتنبيه - إذا ذُكرَ قبل المسند إليه مذكورٌ وعُقِبَ بأوصافه - على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جديرٌ باكتسابه من أجل تلك الأوصاف. (4)

فيمكن القول بأن الغرضين كليهما مقصود في هذه الآية الكريمة ويكون هذا من بلاغة الإيجاز للنظم الحكيم، لأن المسند إليه اسم الإشارة هنا وقع كذلك، واختير أيضاً ما هو موضوع للمشار إليه البعيد سواء كان بُعداً حسيّاً أو معنوياً - .

ولذلك قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الإشارة:

(أولئك) إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث أنهم متصفون بها. وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عن عداهم أكمل تميّز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلوّ رتبهم وبعد منزلتهم في الشرف. (5)

نكتة بلاغية أخرى:

خطر ببال الباحث سؤال عن بلاغة النظم الحكيم عن إعادة الاسم الموصول في قوله تعالى:

1- الكشف (196/2)

2- الأنفال (4)

3- يوسف (32)

4- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للقرطبي رحمه الله، ص 43-44.

5- تفسير أبو السعود (4/4)

(الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)<sup>(1)</sup> وفصله، أي ترك العطف بينه وبينما قبله، فبعد التحول الكثير والبحث في كتب التفسير وجدَّ جواب هذا السؤال أيضاً في "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" للإمام أبي السعود رحمه الله تعالى، قال:

(الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)<sup>(2)</sup> مرفوعٌ على أنه نعتٌ للموصول الأول أو بدلٌ منه أو بيانٌ له، أو منصوبٌ على القطع المنبي عن المدح.<sup>(3)</sup> ذكر أولاً من أعمالهم الحسنة أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل، ثم عَقَّبَ بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.<sup>(4)</sup> ويمكن أن يقال:

لعله أعيد بالاسم الموصول مقطوعاً ومفصلاً دلالة على الاهتمام الأزيد منه تعالى بهذين العاملين الجليلين، فإنه قد أحيط بهما جانباً حياة المؤمنين، المتعلقين بالخالق والخلق. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ويؤيد هذا التأويل ما قال البقاعي رحمه الله تعالى، قال:

ولما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع لهم الدافع للمانع منهما، منتقلاً من عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبيناً أنَّ هِمَّتَهُم إنما هي العبادة والمكارم، (الذين يقيمون الصلاة) أي يفترون عن تحديد ذلك، ولما كانت صلة بين الخلق والخالق، أتبعها الوصلة بين الخلائق فقال:

(ومما رزقناهم) أي على عظمتنا وهو لنا دونهم ينفقون.<sup>(5)</sup>

### الآية الثالث والثلاثون في أهمية الإنفاق :

ومن الآيات الواردة في أهمية الإنفاق في سبيل الله قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ....)<sup>(6)</sup>

1- الأنفال (3)

2- الأنفال (3)

3- إلى هنا جواب عن الجزء الثاني من سؤال الباحث، وما بعده جواب عن الجزء الأول من سؤاله.

4- المرجع نفسه.

5- نظم الدرر (221/8)

6- التوبة (111)

إن هذا لمن أبلغ الأساليب للحث على الإنفاق في سبيل الله.

ومن الملاحظ أن المراد من الإنفاق في سبيل الله في القرآن الحكيم الإنفاق في الجهاد، وكما

صُرح به في هذه الآية المباركة.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

مَثَلُ اللَّهِ إِيَابَتَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِهِ بِالْشُرَى وَهَذَا عَلَى طَرِيقَةِ

الاستعارة التصريحية.<sup>(1)</sup>

الآيات من الرابع والثلاثين إلى السادس والثلاثين :

قوله تعالى: (الَّذِينَ يوفون بعهد الله.....وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا

مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)<sup>(2)</sup>

بلاغة السياق:

أولاً جاء الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى:

(أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)<sup>(3)</sup>

كما قال الزمخشري رحمه الله: دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: (أفمن يعلم) لإنكار أن

تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من عليم أن ما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب، بمعزل

من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب.<sup>(4)</sup>

يعني لا يستوي العالم والجاهل - الذي استعير له " الأعمى " - بل وقال تعالى مستخدماً

أسلوب القصر بـ "إنما": (إنما يتذكر أولوا الألباب) أي: قُصِرَت صفة التذكر على أولى الألباب ثم عُرِفَ

القرآن الحكيم بأولى الألباب بذكر صفاتهم وخصائصهم؛ من الإيفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق

1- الكشاف (313/2) وقال المحشى ابن منير الاسكندري في هامش: قوله: "بالشورى" كالتحوى في الصحاح والوشاح هي المثل

والظن أنما هنا اسم للاشتراء (هامش الصفحة نفسها).

2- الرعد (22/20)

3- الرعد: (19)

4- الكشاف (524/2)

وصلة الأرحام - وكلّ ما أمر الله به أن يوصل... وخشية ربهم وخوف سوء الحساب، والصبر ابتغاء وجه ربهم وإقامة الصلاة، حتى أتى تلك الصفات الحسنة التي اتصف أولوا الألباب بها بقوله: (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذِرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ) ثم بشرهم بقوله: (أولئك لهم عقبى الدار)<sup>(1)</sup> وفي الجملة التي بُشِّروا فيها بعقبى الدار جيء بالمسند إليه اسم الإشارة للبعيد - الذي قد مرّ عنه من قبل قول البلاغيين أنه يأتي للتنبيه، - إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور وعُقِّب بأوصافٍ - على أن ما يرد بعد اسم الإشارة المذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف.<sup>(2)</sup> فهنا أيضاً جاء اسم الإشارة كذلك ففيه أبلغ دلالة على أهمية تلك الصفات الجليلة التي منها الإنفاق في سبيل الله.

الآيات من السابع والثلاثين إلى التاسع والثلاثين في أهية الإنفاق:

ومن الآيات الواردة في أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ\* وَإِذَا بُشِّرَ عَلَيْهِمْ قَالَوا أَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ\* أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذِرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ\*)<sup>(3)</sup>

في هذه الآيات الثلاث مدح القرآن الحكيم مؤمنى أهل الكتاب بأنهم يؤمنون بالقرآن الحكيم، وبشّرهم بأنهم يؤتّون أجرهم مرتين، بما صبروا على الإيمان وعلى ما أصابهم من أذى الكفار من المشركين واليهود على إيمانهم بالقرآن الحكيم. وذكر سبحانه وتعالى لهم وصفين آخرين،

أحدهما: ذرء السيئة بالحسنة.

والثاني: الإنفاق في سبيل الله.

قال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(أولئك يؤتّون أجرهم مرتين) مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن، (بما صبروا)

بصبرهم وثباتهم على الإيمانين. أو على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعده، أو على أذى المشركين

1- الرعد (22)

2- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، ص 44.

3- القصص (52-54)

ومن هاجرهم من أهل دينهم... الخ<sup>(1)</sup>

وما أحسن تفسير البقاعي رحمه الله تعالى في هذا المقام حيث قال:

.... ولما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوي، قال عاطفاً على (يؤمنون) مشيراً إلى تجديد هذه الأفعال كلّ حين: (ويدروون بالحسنة) من الأقوال والأفعال (السيئة) أي من ذلك كله محوئها بها، ولما كان بعض هذا الدرء لا يتم إلا بالجود قال: (مما رزقناهم ينفقون)<sup>(2)</sup> وبهذا اتضحت بلاغة الآية الكريمة في الدلالة على أهمية الإنفاق في سبيل الخير.

ويزداد ذلك وضوحاً بما قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

واعلم أنه تعالى مدحهم أولاً بالإيمان ثم بالطاعات البدنية في قوله: (ويدروون بالحسنة السيئة) ثم بالطاعات المالية في قوله: (ومما رزقناهم ينفقون)<sup>(3)</sup>

الآيتان التاسعة والثلاثون والأربعون في أهمية الإنفاق:

ومن الآيات الدلالة ببلاغتها على أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَخَفَىٰ خُنُوبُهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)<sup>(4)</sup>

في هاتين الآيتين الكريمتين قُصِرَ وصفُ الإيمانِ بآيات الله سبحانه وتعالى على المتصفين بصفات من بينها الإنفاق في سبيل الخير، ففي هذا القصر أبلغ دلالة على أهمية الإنفاق في سبيل مرضات الله سبحانه وتعالى حيث جعل من الصفات التي اقتصر الإيمان بآيات الله عز وجل على المتصفين بها.

وأشار إلى بلاغة السياق الإمام أبو السعود والآلوسي رحمهما الله تعالى حيث قال:

وقوله تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا....) الخ استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لإتياء الهدى

والإشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر، كأنه قيل: إنكم لا تؤمنون بآياتنا

الدالة على شؤوننا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو أرجعناكم إلى الدنيا وإنما يؤمن الذين

1- تفسير البضاوي (181/4)

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (316/14)

3- معاني النيب المعروف بالتفسير الكبير (608/24)

4- السجدة (15-16)

إذا ذُكِّروا بها... الخ<sup>(1)</sup>

الآيتان الحادي والأربعون والثاني والأربعون في أهمية الإنفاق:

ومن الآيات الواردة في أهمية الإنفاق قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)<sup>(2)</sup>

قال محمد صديق حسن خان البخاري القنوجي رحمه الله تعالى:

(وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعَلَانِيَةً) فيه حثٌّ على الإنفاق كيفما تهيأ سرًّا فهو أفضل، وإلا فعَلَانِيَةً، ولا يمنعه ظنه أن يكون رياءً، فإنَّ ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء، و أن يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية: الزكاة... (يرجون تجارة) أي: ثواب الطاعة (لن تبور) أي: لن تكسد ولن تهلك، والإخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم.<sup>(3)</sup>

وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى:

(يرجون تجارة لن تبور) يعني: لن تهلك ولن تخسر. ومعناه: يرجون تجارة رابحة وهي الجنة مكان

الحياة الدنيا.<sup>(4)</sup>

وزاد السمرقندي قائلاً:

ثم قال عزوجل: (لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ) يعني يُؤَفِّرُ ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) يعني: من رزقه من الجزاء والثواب في الجنة ويُقال: من فضله يعني: من تفضُّله (إنه غفور) لذنوبهم (شكور) لأعمالهم اليسيرة.<sup>(5)</sup>

1- روح المعاني (128/11) وإرشاد العقل السليم (84/7)

2- فاطر (29-30)

3- فتح البيان في مقاصد القرآن (246/11) المؤلف: أبو الطيب محمد صديق حسن خان بن حسين بن علي بن لطف الحسيني البخاري القنوجي المتوفى 1307هـ، عني بطبعة وقدم له وراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيداء بيروت. عام النشر (1412هـ - 1992م) (15 جزءاً)

4- بحر العلوم (106/3) المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى 373هـ، (لم يكتب على الكتاب متى طبع وأين طبع).

5- المرجع نفسه.

ثم فسّر السمرقندي معنى الشكر على حسب مراتب الشاكرين، فقال:

والشكر على ثلاثة أوجه:

الشكر ممن يكون دونه: الطاعة لأمره وترك مخالفته.

والشكر ممن هو شكله: يكون الجزاء والمكافأة، والشكر ممن فوقه: يكون رضى منه باليسير.<sup>(1)</sup>

و يمكن أن يقال: إن في قوله سبحانه وتعالى: (يرجون تجارة لن تبور) استعارة تصريحية،

ترشيفية، فإنه قد استعير أولاً اسم "التجارة" - الذي أصله تبادل المال بالمال - للأجر الذي يستحقه

المؤمنون عند ربحهم الكريم على ما عملوا من الأعمال الصالحة من تلاوة كتاب الله وإقامة الصلاة والإنفاق

في سبل مرضات الله تعالى، ثم ذكر معه أيضاً معه ما يلائم المشبه به من البوار - على سبيل النفي -

فهذا ترشيح. فإن ترشيح الاستعارة على ما عرّفه البلاغيون ذكر ملائم المستعار منه، كما قال أحمد بن

عبد الوهاب النويري في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" - في بيان الاستعارة -:

ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجردها، أما ترشيحها: فهو أن ينظر فيها إلى المستعار، ويُراعى

جانبه ويؤليه ما يستدعيه ويضمُّ إليه ما يقتضيه كقول كثير:<sup>2</sup>

رمتني بسهم ريشه المذهب لم يصب - بظاهر جسمي وهو في القلب جراح<sup>3</sup>

وكقول النابغة:

وصدراً راح الليل عازب همّه - تضاعف فيه الحزن من كل جانب.<sup>4</sup>

1- المرجع نفسه.

2 - كثير عزة كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. شاعر منهم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، ولد عام 23 للهجرة في قرية حجازية تدعى (كُثَيْلَة) من قرى عذرة، وفي رواية أخرى سنة 40 هـ، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليل اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكفله رعي قطيع له من الإبل حتى يحمله من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كانها كثير في شعره بأم عمرو وبسببها تارة الضميرية وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة. وفاته: ذكرت المصادر أن وفاة كثير عزة كانت مختلفة تراوحت ما بين 105 هـ إلى 115 هـ وهو بذلك عاش أكثر من ثمانين حولاً، والمرجح حسب المصادر أنه توفي في المدينة المنورة سنة 105 هـ، في نفس اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس فصلي عليهما في موضع واحد، وقيل مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس..

3 - لتحقيق هذا البيت قد حاول الباحث كثيراً الرجوع إلى ديوان كثير ولكن للأسف لو يتوفر له ديوان كثير.

4 - لم يتوفر للباحث ديوان النابغة ليرجع إليه لتحقيق هذا البيت ولكن عزاه إلى النابغة كل من ذكره من العلماء في كتبهم مثل النويري هنا وكذلك الزمخشري في كتابه "أساس البلاغة" ج 1 ص 393. (توفي سنة 18 ق. هـ 605 م والنابغة. هو النابغة الذبياني رباد من معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضرّي، أبو أمامة شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قة من حلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء

فالمستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظور إليهما في لفظ السهم والعازب.<sup>(1)</sup>

وأفادنا ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة بفوائد بلاغية جمة من بلاغة السياق والأسلوب، - مبيناً السر البلاغي في مجيء صيغة الماضي في قوله تعالى: (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا...) الخ - قال:

وجيء في جانب إقامة الصلاة والإنفاق بفعل المضى لأن فرض الصلاة والصدقة قد تقرر وعملوا به فلا تجدد فيه، وامتنال الذي كلفوا به يقتضي أنهم مداومون عليه.<sup>2</sup>  
وأرشدنا ابن عاشور أيضاً إلى سرّين بلاغيين في قوله تعالى (ومما رزقناهم)، فقال:

وقوله: (مما رزقناهم) إدماج للامتنان وإيماء إلى أنه إنفاق شكر على نعمة الله عليه بالرزق فهم يعطون منه أهل الحاجة. ووقع الالتفات من الغيبة من قوله: كتاب الله إلى التكلم في قوله: مما رزقناهم لأنه المناسب للامتنان.<sup>(3)</sup>

و قال في بيان حكمة قوله جلّ وعلى شأنه (سراً وعلانية) وتقديم "سراً" على "علانية":  
وانتصب (سراً وعلانية) على الصفة لمصدر "أنفقوا" المحذوف، أي: إنفاق سرّ وإنفاق علانية. والمصدر مبيّن للنوع، والمعنى: أنهم لا يريدون من الإنفاق إلا مرضاة الله تعالى لا يراءون به، فهم ينفقون حيث لا يراهم أحد وينفقون بمزأى من الناس فلا يصدّهم مشاهدة الناس عن الإنفاق. وفي تقديم السرّ إشارة إلى أنه أفضل لانقطاع شائبة الرياء منه، وذكر العلانية للإشارة إلى أنهم لا يصدّهم مرأى المشركين عن الإنفاق فهم قد أعلنوا بالإيمان وشرائعه حبّ من حبّ أو كره من كره.<sup>(4)</sup>

فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والحسان من يحرص شعره على النافعة كان حظاً عند النعمان بن المنذر، حتى شب في قصيدة له بالمنحرفة (زوجة النعمان) فعرض منه النعمان، فقر النافعة ووفد على الغسانيين. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. على عمر طويلاً بالشام، وعاب رصاً.

1- نهاية الأرب في فنون الأدب (54/7) للمؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفى 733هـ، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة الأولى 1432هـ (في 33 جزءاً)

2 - التحرير والتنوير (306/22)

3- المرجع نفسه.

4- التحرير والتنوير (307/22)

وقال ابن عاشور - مبيناً الأسرار البلاغية في قوله تعالى: (يرجون تجارة لن تبور)-:

و(يرجون تجارة) هو خَبَرُ "إِنْ"، والخبر مستعمل في إنشاء التبشير كأنه قيل: ليرجوا تجارة، وزاده التعليل بقوله: (ليوفيههم أجورهم)، قرينة على إرادة التبشير. والتجارة مستعارة لأعمالهم من تلاوة وصلاة وإنفاق. ووجه الشبه مشابهة ترتب الثواب على أعمالهم بترتب الربح على التجارة، والمعنى: ليرجوا أن تكون أعمالهم كتجارة رابحة، والبوار: الهلاك. وهلاك التجارة: خسارة التاجر. فمعنى (لن تبور): أنها رابحة،

و(لن تبور) صفة تجارة. والمعنى: أنهم يرجون عدم بوار التجارة. فالصفة مناط التبشير والرجاء، لا أصل التجارة، لأن مشابهة العمل الفطيع لعمل التاجر شيء معلوم.<sup>(1)</sup>

ولعل قول المفسر الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى:

"والتجارة مستعارة لأعمالهم من تلاوة وصلاة وإنفاق ووجه الشبه مشابهة ترتب الثواب على أعمالهم بترتب الربح على التجارة." يؤيد قول الباحث المذكور آنفاً: "إن قوله تعالى: (يرجون تجارة لن تبور) استعارة تصريحية ترشيحية.

وكان من الممكن أن يخطر ببال القارئ سؤال أنه عزّاه قال: - بصيغة التكلم - (مما رزقناهم) ثم قال: (ليوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)<sup>(2)</sup> - بصيغة الغائب -، فما هو السرُّ في هذا الالتفات؟ فأجاب عنه ابن عاشور قائلاً:

و(ليوفيههم) متعلق بـ(يرجون)، أي بشرناهم بذلك وقدرناهم لهم ليوفيههم أجورهم.

ووقع الالتفات<sup>3</sup> من التكلم في قوله: (مما رزقناهم) إلى الغيبة رجوعاً إلى سياق الغيبة من قوله: (يتلون كتاب الله أي ليوثق الله الذين يتلون كتابه). والتوفية: جعل الشيء وافيّاً، أي تاماً لا نقیصة فيه

1- التحرير والتنوير (307/22)

2- الفاطر: (30)

3- ما هو الالتفات وما فائدته عند البلاغيين؟

قال ابن المعتز رحمه الله تعالى:

هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. قال الله جل ثناؤه: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَحَمَلَكُمُ الْبَرَجُ طَیِّبَةً) (يونس-22) وقال: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ خَدِيدٍ) (إبراهيم-19)، ثم قال: (وَتَرْزُقُوا لِّلَّهِ جَمِيعًا) (إبراهيم-21) وقال جرير "من الوافر":  
مَنْ كَانَ الْحَبِيبُ بَدَىٰ طُلُوحٍ... سَقَيْتِ الْغَيْثَ أَبْنَاهَا الْحَيَامَ

ولا غين. وأسجل عليهم الفضل بأنه يزيدهم على ما تستحقه أعمالهم ثواباً من فضله،<sup>(1)</sup>

ثم بيّن لنا ابن عاشور فائدة تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (إنه غفور شكور) فقال:

ودليل هذا الوعد بما يحققه وهو أنّ الغفران والشكران من شأنه، فإن من صفاته "الغفور الشكور"، أي الكثير المغفرة والشديد الشكر، فالمغفرة تأتي على تقصير العباد المطيعين، فإن طاعة الله الحق التي هي بالقلب والعمل والخواطر لا يبلغ حق الوفاء بما إلا المعصوم ولكن الله تجاوز عن الأمة فيما حدثت به أنفسها، وفيما همّت به ولم تفعله، وفي اللبس، وفي محو الذنوب الماضية بالتوبة. والشكر كناية عن مضاعفة الحسنات على أعمالهم فهو شكر بالعمل لأن الذي يجازي على عمل المجزي بجزاء وافر يدلّ جزاؤه على أنه حمدٌ لفاعل فعله. وأكد هذا الخبر بحرف التأكيد زيادة في تحقيقه، ولما في التأكيد من الإيدان بكون ذلك علّة لتوفية الأجور والزيادة فيها.<sup>(2)</sup>

هذه اثنان وأربعون آية من الآيات التي قد دلت بأبلغ أساليبها وأجملها على أهمية الإنفاق في

سبيل الله، وبما قد تمّ الفصل الأول من الباب الثالث وسيله الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

أتسى يوم تصقل عارضيه... يعود بشامة سقى البشام.

(البدیع فی البدیع لابن المعتز ص 152-153). (المؤلف: أبو العباس، عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي. (المتوفى سنة 296 هـ). الناشر: دار الجليل، (الطبعة الأولى 1410 هـ، 1990 م) وما قال السيوطي رحمه الله تعالى في تعريف الالتفات وفائدته واضح جداً، أولاً تعريفه عند السيوطي: ، قال: الإلتفات: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أغني عن التكلّم أو الخطاب أو العبارة إلى آخر منها بعد التغيير بالأول وهذا هو المشهور وقال الشكاكي: إما ذلك أو التغيير بأحدهما فيما حقه التغيير بغيره. ثانياً فائدته: قال السيوطي رحمه الله تعالى: وله فوائد: منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والتملّح لما جيلت عليه النفوس من حبّ التعلّلات والشامة من الإستهزاء على منوال وأجود وقديرة الفائدة، ويختص كل موضع ينكب ولطائف باختلاف محلّه كما سيبيته. مثاله من التكلّم إلى الخطاب - ووجهه حثّ السامع ونهضة على الإستماع حيث أقبل التكلّم عليه وأعطاه فضل عناية تخصّص بالمواجّهة - قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يس: 22) والأصل "وَالَيْهِ أَرْجِعُ" فالتفت من التكلّم إلى الخطاب وتكثته أنّه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصّح قومه نطقاً وإعلاناً أنّه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى. (الإتقان في علوم القرآن ج 3 ص 289)

1- التحرير والتنوير (307/22)

2- التحرير والتنوير (307/22)

## الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم البخل والإمساك

كما أن القرآن الحكيم بين أهمية الإنفاق بأساليب شتى كذلك إنه ذم البخل والبخلاء أبلغ مذمة بأساليب متنوعة من بيان الوعيد للبخلاء وعَدَّ البُخل وصفاً خاصاً للكفار والمنافقين، وعلامة للكفر والنفاق.

ذمُّ البخلاء وبيانُ الوعيد لهم:

الآيات الأربع في ذمِّ البخلاء :

قوله تعالى: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً بُضَاعِفَهَا بَيُوتٍ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق:

في الآية السابقة - قبل هذه الآيات الأربع - أمر سبحانه وتعالى بعبادته ونهى عن الشرك وأمر بالإحسان إلى الوالدين وبذى القرى واليتامى والمساكين والجاري ذي القرى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل والمماليك، وفي آخر تلك الآية قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)<sup>(2)</sup>

فإن الله سبحانه وتعالى ذم المختال الفخور.

قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى:

والمختال: ذو الخيلاء والكبر.<sup>(3)</sup>

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله تعالى:

(مختالاً) المختال: ذو الخيلاء والخال، وهما واحد ويحيى مصدرأ، قال العجاج، والخال ثوب من

ثياب الجهال.

1- النساء (37-40)

3 - غريب القرآن لابن قتيبة ج 1 ص 111

2- النساء، (36)

وقال العبدى<sup>1</sup>:

فإن كنت سيدنا فسدنا... وإن كنت للخال فاذهب فخل.

أي: اختل.<sup>(2)</sup>

ثم قال تعالى: (الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل...) الخ

قال الراغب الأصفهاني:

قيل: المختال هو الذي يظن أن له كرماءً من قوهم: "حِلْتُ". وكأنا إلى معناه أشار تعالى بقوله: (الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ - يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)<sup>(3)</sup> والفخور: من يتبجح بالقنيات الزائلة، فيبين تعالى أن من أمسك ما له وصرفه عن الوجوه المذكورة فذلك لظنه، أن له بما له خيلاء وفخراً فيضن به وتبين أن هذين سبب البخل - ولهذا عقبه بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ....) الآية، فجعله تفسير الاختيال والفخر بالمال والإنفاق على وجه الرياء.<sup>(4)</sup>

بلاغة الأسلوب:

من بلاغة الأسلوب في الآية الكريمة أن بعد تفسير المختال الفخور، ب(الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)، قال تعالى: (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)<sup>(5)</sup> فهنا بدلاً من قوله (وأعتدنا لهم عذاباً مهيناً) قال: تعالى: (للـكـافـريـن) ففي استئثار الاسم الظاهر على الضمير إدماج بليغ بأنه سبحانه وتعالى ضمر بيان وعيدهم بالعذاب المهين معنى آخر، وهو أن البخل والأمر بالبخل وكتمان فضل الله سبحانه وتعالى من أوصاف الكفار، أو أنهم بأفعالهم الفبيحة هذه كفروا بالله وبنعمه. والله تعالى أعلم.

قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى:

1 - الشاعر العبدى هو أبو أمامة العبدى المعروف برباد الأعجم. وقد مرّت ترجمته الكاملة في الصفحة رقم: 172. فلينظر هناك.

2 - مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ج 1 ص 127

3 - سورة المزة (2-3)

4 - تفسير الراغب الأصفهاني (1235/3)

5 - النساء (37)

(وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) وَضِعَ الظاهر فيه موضع المضمر إشعاراً بأن مَنْ هذا شأنه فهو

كافر لنعمة الله ومن كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يُهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(الذين يبخلون) بدلٌ من قوله: (من كان مختالاً فخوراً) أو نصب على الذم. ويجوز أن يكون

رفعاً عليه، وأن يكون مبتدأً خبره محذوفٌ، كأنه قيل: الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقَاء بكل

ملامة.... أي يبخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم فيأمرؤهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء بمن

وُجِدَ.<sup>(2)</sup>

في الآية الأولى ذكر سبحانه وتعالى للبخل ثلاث حصائل ذميمة:

1-البخل.

2-وأمر الناس بالبخل.

3- وكتمان نعم الله.

ثم قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)<sup>(3)</sup>

فذكر لهم جرمتين أحريين وهما الإنفاق رياءً وفخراً، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر، أي: إنهم

من غاية خبيثهم وخساستهم ودنائتهم أولاً لا ينفقون، بل يبخلون ولا يكتفون ببخلهم، بل يمنعون

غيرهم أيضاً من الإنفاق في سبيل الله، وبسبب كفرهم وحقدهم فإنهم ينفقون في مقاصد الشرّ وبيئة

الشمعة والرياء، كما قال الزمخشري:

(رئاء الناس) للفخار، وليُقَال: ما أسخاهم وما أجودهم، لا ابتغاء وجه الله.<sup>(4)</sup>

وقال تعالى في آخر هذه الآية الكريمة: (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا).

1- تفسير البصاوي (74/2)

2- الكشاف (509/1)

3- النساء (38)

4- الكشاف (511/1)

قال ابن عجيبة:

فلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ قَرِينَهُمْ زَيَّنَ لَهُمُ التَّهَالُكَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالرِّيَاءِ فِي الْأَعْمَالِ. (1)

وأفادنا ابن عجيبة رحمه الله تعالى هنا بنكتة بلاغية أخرى في عطف قوله جل وعلا شأنه:

(والذين ينفقون أموالهم رياء الناس... الآية) على قوله تعالى:

(الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل)، قال:

وإنما أشرك أهل الرياء مع البخلاء في الوعيد من حيث إنهما طرفا تفريط وإفراط وهما سواء في

القبح واستحلاب الذم. (2)

ثم قال تعالى توبيخاً لهم:

(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا) (3)

قال الرمخشري رحمه الله تعالى:

(وماذا عليهم.... الآية) وأيُّ تَبِعَةٍ وَوَبَالٍ عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ والمراد الذمُّ

والتوبيخ، وإلا فكلُّ منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم: "ما ضرَّكَ لو عفوت؟" وللعاقب:

"ما كان يرزؤك لو كنت باراً؟" وقد عُلم أنه لا مَضَرَّةَ ولا مَرْزَأَةَ في العفو والبرِّ ولكنه ذمٌّ وتوبيخٌ وتجهيلٌ

بمكان المنفعة. (4)

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا ذَمٌّ وَتُوبِيخٌ فِي صُورَةِ التَّعْرِيزِ - الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ التُّوبِيخِ الْمُبَاشَرِ -.

وجاء تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (وكان الله بهم عليماً) وهذا تعريضٌ آخر بالوعيد لهم،

كما يقول السيد لعبد الذي يرتكب جرائم ويظن أن سيده لا يعلم: "أنا أعلم بفعالِكَ".

1- البحر المديد - تفسير ابن عجيبة (504/1)

2- المرجع نفسه

3- النساء (39)

4- الكشاف (511/1)

5 - ما هو التعريض وما مكانته في الكلام عند البلاغيين؟ قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: ومن هذا الباب التعريض والعرب تستعمله في

كلامها فتبلغ إرادتها بوجه هو اللفظ وأحسن من الكشف والتصريح. ويعيون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء، (تأويل متشكل

القرآن ص 163) المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى 276 هـ بتحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب

العلمية بيروت لبنان. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالى:... استعمال الكتابة والتعريض مذهب العرب في كلامها معروف

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليما) فهو وعيدٌ لهم بالعقاب...<sup>(1)</sup>

الآية الخامسة في ذمّ البخلاء:

وقال تعالى في ذم البخلاء وتوبيخهم وزجرهم وتوبيخهم في بيان الوعيد الشديد لهم:

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)<sup>(2)</sup>

من بلاغة هذه الآية الكريمة في ذم البخلاء، أولاً تأكيد فعل النهي في قوله: (ولا يحسبن الذين

يبخلون) بنون التوكيد الثقيلة. فهذا أول تشديد في الوعيد لهم، ثم قال: (بما آتاهم الله من فضله) حيث

كان من الممكن أن يقال: (الذين يبخلون بأموالهم) ولكن عُدِلَ عن هذا التعبير، ففيه أيضاً تشديد

وتغليظ في الوعيد. حيث إنهم يبخلون بما هو ليس لهم في الحقيقة. بل هي أمانة الله عندهم فما كان

ينبغي أن يبخلوا به أصلاً فهم خائنون في الأمانة، وزاد في الدلالة على خيانتهم بقوله: (آتاهم الله من

فضله) أي ما كانوا يستحقون أن يُعطوا ولكن الله سبحانه وتعالى تفضل عليهم بإعطائه إياهم من

فضله، ثم مرة أخرى صرّح بالوعيد تشديداً فيه وتغليظاً عليهم فقال: (بل هو شر لهم)، ثم وضّح ذلك

الشر، فقال: (سيطوّقون ما يخلوا به) ثم عرّض بهم تعريضاً توبيخاً بحالهم وإبعاداً لهم، فقال: (ولله

ميراث السماوات والأرض، والله بما تعلمون خبير).

كما قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى مبيناً الأسرار والنكات البلاغية الجمّة في هذه الآية

الكريمة:

مشهور. وكذلك يقولون: رُبَّ إشارة هي أفصح من عبارة، وتعريض أبلغ من تصريح، وقد يقول الرجل لمن يكذبه ويخالفه ويباهله عند الرد عليه، والتكذيب له: إنَّ أحدنا لكاذبٌ، وإنَّ أحدنا لخائن وجبان، وإنَّ أحدنا لجاهلٌ غيبي. وبقيم هذه الكناية مقام قوله لخصمه ومخالفه: "أنت كاذب وجبان وجاهل"، وربما كان هذا التعريض أبلغ من التصريح وأبدع وأنكى للقلب وأبلغ في الرد وهو مع ذلك أحسن في اللفظ وأحذر أن يُنسب صاحبه إلى الوقارة والعقل والتوصل إلى غاية غرضه بغير المستهجن من اللفظ وقد أطلقه الله وأحازه في خطبة النساء، في عدّته. (الانتصار للقرآن ج 2 ص 526 تأليف: محمد طيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبي بكر الباقلابي المالكي المتوفى 403 هـ، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دارالفتح، عمان، دار ابن حزم، بيروت).

1- تفسير أبي السعود (177/2)

2- آل عمران (180)

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ) بيان لحال البخل ووخامة عاقبته وتخطئة لأهله في توهم خيريته حسب بيان حال للإملاء. وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم، فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله، كما في قوله تعالى: (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) والفعل مسندٌ إلى الموصول والمفعول الأول محذوفٌ للدلالة عليه وضمير الفصل راجعٌ إليه أي: لا يحسبنَّ الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه أو استحقاق له (هو خيراً لهم) من إنفاقه. (1)

وقوله: (بل هو شرُّ لهم)

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

التنصيص على شرِّته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك، والتنوين للتفخيم، وقوله تعالى: (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بيان لكيفية شرِّته، أي: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق على أنه حذف المضاف وأقيم مقامه للإيذان بكمال المناسبة بينهما. (2)

الآيتان السادسة والسابعة في ذمَّ البخلاء المتعبدتين للمال :

ومن الآيات الواردة في ذم عبَاد المال، البخلاء، المسكين عن الإنفاق.

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) (3)

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

معنى أكل الأموال على وجهين: إما أن يُستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم: "أخذ الطعام

وتناوله"، وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل. ومنه قوله:

1- تفسير أبي السعود ج2 ص 120.

2- المربع نفسه.

3- التوبة (34-35)

إِنَّ لَنَا أَجْرَةَ عَجَافاً يَأْكُلْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِكَافاً

يريد: علفاً يُشْتَرَى بَشْمَنٍ إِكَافاً.<sup>(1)</sup>

ومعنى أكلهم بالباطل: أنهم كانوا يأخذون الرشاء في الأحكام، والتخفيف والمسافحة في الشرائع.<sup>(2)</sup>

فحسب ماشرح الرمخشري رحمه الله تعالى المجاز في قوله تعالى:

(يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)، في هذا المجاز احتمالان:

الأول أنه استعارة، أُسْتُعِيرَ "الأكل" للأخذ، فهي استعارة تصريحية، إذ ذكر المشبه به وأريد المشبه.

الثاني: أنه مجاز مرسل، أطلق المسبب وأريد السبب. لأن أخذ المال سبب للأكل. والله أعلم.

مَنْ الْمَرَادُ بِ(الَّذِينَ يَكْنِزُونَ)؟

قال الرمخشري رحمه الله تعالى:

(والذين يكتزون) يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأعيان والرهبان، للدلالة على اجتماع حاصلتين مذمومتين فيهم: أخذ الباطل وكنز الأموال، والضرب بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنافقين ويُقَرَّنَ بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظاً ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطى منهم طيب ما له سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم.<sup>(3)</sup>

الآية الثامنة في ذم البخل الممسك عن الإنفاق:

ومما ورد من الآيات في ذم البخل الممسك للمال المانع من الإنفاق في سبيل الخير قوله تعالى:

1- قال المحشي في هامش الصفحة 216 من الجزء الأول للكشاف - شارحاً هذا البيت -: الأجرة: الحميم، والعجاف: المهازل،

والإكاف: البردعة، فالمراد: يأكلن كل ليلة علفاً يشتري بَشْمَنٍ إِكَافاً بأن يباع الإكاف ثم يشتري بَشْمَنٍ علفاً لها، فأوقع الأكل على

الإكاف بواسطة، ولعل بيع برادعها لضمها عن العمل، ويمكن أنه مجرد تقديم، وإنما خص الإكاف لاختصاصه بالحميم والإكاف:

ما يوضع على ظهر الحمار عند ركوبه أو تحميله، أفاده الصحاح. (أما قائل هذا البيت: فلم يعثر عليه الباحث رغم البحث الكثير عنه)

2- الكشاف (266/2)

3- الكشاف ج 2 ص 266.

(أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ. الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ)<sup>(1)</sup>

بلاغة السياق:

وردت هذه الآيات المباركات في سياق بيان الوعيد وعذاب الآخرة للإنسان الكافر المجرم الذي قضى حياته كلها في الكفر بالله والظلم على الخلق. فقد قال تعالى قبل هذه الآية: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَنِيدٌ)<sup>(2)</sup>

كما أن المجرم - عادة - عند ما يُحَضَّرُ أمام المحكمة يُنبأ بجرائمه التي ارتكبها والتي أخذ من أجلها ويُزجر ويؤنَّب، ويقام عليه البينة لإثبات جرائمه، فيُقَضَى عليه بالعقاب كذلك هنا يؤيِّ المجرم مأخوذاً مُطَوَّقاً مربوطاً بالسلاسل، فيقول سبحانه وتعالى (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ.... الخ)

وذكرت جرائمه التي من أجلها، أخذ فقيلاً: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) و "كَفَّارٍ" صيغة المبالغة، أي: إنه كان شديد الكفر ولذلك مبالغة في بيان شِدَّة كفره وُصف بـ"عنيدي". وأضيفت إلى صفة العناد ثلاث صفات أخرى من صفاته الذميمة: منع الخير، والاعتداء، والريب.

ومن بلاغة الأسلوب أن أولى هذه الصفات الثلاث وهو منع الخير أيضاً اختيرت لها صيغة المبالغة (فَعَالٍ) - كما اختيرت نفس الصيغة من قبل لبيان كفره من قبل -، فقيلاً: (مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ).

ثم ذكر تفصيل كفره فقيلاً: (الذي جعل مع الله إلهاً آخر)<sup>(3)</sup>

كما قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ثم أُبدل من "كُلِّ" - بياناً لمبالغته في الكفر الذي أوجب له كلَّ شرٍ - قوله:

(الذي جعل....) الآية<sup>(4)</sup>

وتشديداً وتغليظاً عليه قال بصيغة التثنية: (أَلْقِيَا)<sup>(5)</sup>

1- ق (24-26)

2- ق (22-23)

3- ق (26)

4- نظم الدرر (427/18)

5- نظم الدرر ح 18 ص 427

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(ألقيا) خطابٌ من الله للملكين السائقين: السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطاباً للواحد على

وجهين:

أحدهما قول المبرد: أن تشية الفاعل نُزِلت منزلة تشية الفعل لاتحادهما، كأنه قيل: ألقِ ألقى

للتأكيد.

والثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان.

فكثُرَ على ألسنتهم أن يقولوا: "خليلي" و"صاحبي" و"فقا" و"أسعدا"...<sup>(1)</sup>

وذكر الزمخشري احتمالاً ثالثاً مما يؤيد الرأي بأن المراد من استخدام هذه الصيغة التشديدُ

والتغليظ عليه.

قال الزمخشري:

ويجوز أن تكون الألف في (ألقيا) بدلاً من النون: إجراءً للوصول بحرى الوقف.<sup>(2)</sup>

وقال في تفسير معنى "عنيد" و"متاع للخير":

(عنيد) معاندٌ مُجَانِبٌ للحق مُعَادٍ لأهله، (متاع للخير): كثير المنع للمال عن حقوقه، جعل ذلك

عادة له لا يبذل منه شيئاً قط.<sup>(3)</sup>

الآيات من التاسعة إلى الحادية عشرة في ذمّ البخلاء الأمرين بالبخل :

وقال تعالى في ذم البخيل:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرٌ\* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ\*

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ\*)<sup>(4)</sup>

1- الكشف (387/4)

2- المرجع نفسه

3- المرجع نفسه

4- الحديد (22-24)

في الآية الأولى والثانية جاءت التسلية من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين على ما يصيبهم من

المصائب والبلايا وفي الثالثة ذم البخلاء فما هو السر البلاغي في هذا السياق؟

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بِلَذَائِهَا وآلائِهَا، وكما أنها منزل رخاء هي داربلاء، وكان قد اقتصر سبحانه في الآية السالفة <sup>(1)</sup> على الأول لأن السياق للإنفاق والترغيب في معالي الأخلاق وجعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس إلى السؤال عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء مسلماً عنه لأن النفوس أشد تأثراً بالمكآه وأسرع انفعالاً بالمقارع وتحققاً ومُغَرِّباً بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير ولا شر إلا بقضاء حتم في الأزل... <sup>(2)</sup>

وزاد البقاعي قائلاً:

ولقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم في مصائبهم وزهدهم في رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يعيده، وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيدهم، ولأن ذلك لا مطمع في بقائه إلا بادخاره عند الله... الخ <sup>(3)</sup>

هذا هو ما بينه البقاعي من بلاغة السياق أو الربط بين قوله تعالى:

(ما أصاب من مصيبة... الآية <sup>(4)</sup> بما قبله، أما قوله تعالى:

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. الَّذِينَ يَبْنُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) <sup>(5)</sup>

فقال البقاعي رحمه الله تعالى في بيان بلاغة سياقه:

ولما كان الإمعان في استحلاب الأسى إنما هو من اليأس ونسيان النعم وزيادة الفرح الموصل إلى

1- لعل المفسر رحمه الله أراد بالآية السالفة قوله تعالى: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَقَارُؤُكُمْ فِيهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَقَارُؤُكُمْ فِيهَا" <sup>(1)</sup> والآية (الحديد: 20)

2- نظم الدر (294/19)

3- نظم الدر (296/19)

4- الحديد (23-22)

5- الحديد (24-23)

المرح، إنما يجزئه الكبر والمرح، وكان من أوصاف أهل الدنيا التفاخر قال مبيّنًا أنَّ المنهى عنه سابقاً التماذي مع الجبلة في الحزن والفرح عاطفياً على ما تقديره : (فإن الله لا يحب كل يؤوس كفور) (والله لا يحب كل مختال فخور)<sup>(1)</sup>

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قلَّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي، لأن من عليم أن ما عنده معقود لا محالة لم يتفاهم جزعه عند فقده لأنه وطئن نفسه على ذلك. وكذلك من عليم أن بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله، (والله لا يحب كل مختال فخور) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس.<sup>(2)</sup>

وأفادنا هنا ابن عاشور بنكات بلاغية لم يجدها الباحث في كتب كثيرة من التفاسير ولا عند الزمخشري رحمه الله تعالى، فالأحسن استفادتها من ابن عاشور رحمه الله تعالى، قال:

(الذين ييخلون ويأمرؤن الناس....) الآية يجوز أن يكون (الذين ييخلون) ابتداء كلام على استئناف، لأن الكلام الذي قبله ختم بالتنذيل بقوله: (والله لا يحب كل مختال فخور)<sup>(3)</sup> فيكون (الذين ييخلون) مبتدأ وخبره محذوفاً يدل عليه جواب الشرط وهو: (فإن الله هو الغني الحميد) والتقدير: "فإن الله غني عنهم وحامد للمنفقين"، ويجوز أن يكون متصلاً بما قبله على طريقة التخلص فيكون (الذين ييخلون) بدلاً من (كل مختال فخور) أو خبراً لمبتدأ محذوف هو ضمير (كل مختال فخور) تقديره: هم الذين ييخلون.<sup>(4)</sup>

وقال ابن عاشور بعد الاحتمال الأخير يعني ما تقديره: هم الذي ييخلون، فهو من حذف

1- نظم الدر (297/19)

2- الكشاف (480-479/4)

3- الحديّد (23)

4- التحرير والتنوير (413/27)

المسند إليه اتباعاً للاستعمال، والمراد به (الذين يخلون) المنافقون. (1)

وزاد ابن عاشور قائلاً:

وجملة: (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) تذييل، لأن من يتول يعلم الذين يبلخون وغيرهم، فإن الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل، أي: في سبيل الله وفي النفقات الواجبة قد تولوا عن أمر الله. و"من" شرطية عامة. وجملة (فإن الله هو الغني الحميد) قائمة مقام جواب الشرط لأن مضمونها علة للجواب، فالتقدير: ومن يتول فلا يضُرُّ الله شيئاً ولا يضُرُّ الفقير. (2)

والنكتة البلاغية الخاصة التي تفرَّد بها ابن عاشور في هذه الآية قوله في تفسير قوله تعالى: (والله

لا يحب كل مختال فخور):

والمعنى: لا يُحِبُّ أحداً مختالاً وفخوراً، ولا تتوهم أن موقع "كل" بعد النفي يفيد النفي عن المجموع، لا عن كل فرد، لأن ذلك ليس مما يقصده أهل اللسان. ووقع للشيخ عبدالقاهر ومتابعيه نوعاً فيه، وقد تقدم عند قوله تعالى: (والله لا يحب كل كفار أثيم). (3)

وهناك قال ابن عاشور:

ومفاد التركيب أن الله لا يحبُّ أحداً من الكافرين الآثمين، لأنَّ "كل" من صيغ العموم، فهي موضوعة لاستغراق أفراد ما تُضاف إليه وليست موضوعة للدلالة على صبرة مجموعة، ولذلك يقولون: "هي موضوعة لكل الجمعي"، وأما الكلُّ المجموعي فلا تُستعمل فيه "كل" إلا مجازاً، فإذا أضيفت "كل" إلى اسم استغرقت جميع أفرادها سواءً ذلك في الإثبات والنفي. (4)

1- المرجع نفسه

2- التحرير والتنوير (414/27)

3 - (البقرة: 276)، التحرير والتنوير (412/27)

4- التحرير والتنوير (92/3)

## مبحث: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم المنافقين بسبب بخلهم

من الملاحظ أن القرآن الحكيم كما ذمَّ البخلاء عامة، فقد خصَّ منهم بالذم والتقيح المنافقين، وكما أنه ذمَّ المنافقين على جميع أخلاقهم الذميمة، فقد ركز تركيزاً خاصاً على رذيلة البخل من رذائلهم، فمن الآيات الواردة في ذلك قوله تعالى: في سورة التوبة - التي سُميت "الفاضة" أيضاً لأنها تفضح المنافقين.<sup>(1)</sup>

الآيتان التاليتان، قوله تعالى :

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ \* وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)<sup>(2)</sup>

في الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين زُجِرَ المنافقون ووُجِبُوا أشد توبيخ وفُضِحُوا بعدم قبول نفقاتهم في سبيل الله بسبب فسقهم فأَمُرُوا أمر توبيخ وزجر وتَأَيَسَ بالإنفاق طَوْعاً وكَرْهاً وأُخْبِرُوا إخباراً مؤكداً بـ"لن" - التي تفيد تأكيد النفي - بعدم قبول نفقاتهم. وحيء في آخر الآية بالتذليل بقوله: (إنكم كنتم قوماً فاسقين)، ثم في الآية التالية بيَّن القرآن الحكيم أسباب عدم قبول نفقاتهم صراحة وتفصيلاً بعد ما قيل في الآية الأولى إجمالاً: (إنكم كنتم قوماً فاسقين)<sup>(3)</sup>

وذكر ثلاثة أسباب لعدم قبول نفقاتهم بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء:

الكفر بالله وبرسوله عليه الصلوة والسلام، والكسل في الصلاة، وكراهة الإنفاق في سبيل الله. ثم في الكسل في الصلاة وكراهة الإنفاق أيضاً استُخدم أسلوب القصر بالنفي والاستثناء.

كما قال البيضاوي رحمه الله تعالى: (قل أنفقوا طَوْعاً وكَرْهاً لن يتقبل منكم) أمرٌ في معنى الخبر، أي: لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طَوْعاً أو كَرْهاً، وفائدته المبالغة في تساوى الإنفاقين في عدم القبول، كأنهم أَمُرُوا بأن يمتحنوا فينفقوا، تعليلٌ له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له.<sup>(4)</sup>

1- ينظر تفسير القرطبي (60/8) وتفسير البيضاوي (70/3)

2- التوبة (53، 54)

3- التوبة (53)

4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي (83/3)

الآية الثالثة في ذم المنافقين بسبب بخلهم :

وهذا مضمون طويل جداً في هذه السورة المباركة قد امتد إلى ثمان وأربعين آية في ذم المنافقين وتوبيخهم وتشجيع حالهم وذكر جرائمهم وذنابلهم ولكن كان أكبر تركيز من ذنابلهم كلها في هذه الآيات على رذيلة الشح والبخل وتعديهم للمال.

فقال تعالى : (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)<sup>(1)</sup>

ولما كان هؤلاء المنافقون البخلاء ذوى أموال غزيرة وأولاد فكان المؤمنون يحزنون بذلك عند ما يرونهم في تنعم رغم كفرهم ونفاقهم فقال تعالى :

(فلا تعجبك أموالهم....) الآية

قال ابن عطية رحمه الله تعالى :

(فلا تعجبك أموالهم...) الآية حَقَّرَ هذا اللفظ شأن المنافقين وعَلَّلَ إعطاء الله لهم الأموال والأولاد بإرادة تعذيبهم بها.<sup>(2)</sup>

ثم نقل ابن عطية أقوالاً في بيان المراد من قوله : (ليعذبهم بها) منها قول الحسن رحمه الله تعالى أن الوجه في التعذيب أنه بما ألزمهم فيها من أداء الزكاة والنفقة في سبيل الله. وعلَّقَ عليه ابن عطية قائلاً : ...فإن قول الحسن يتقوَّى تخصيصه بأن تعذيبهم بالزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا، وذلك لاقتران الذلة والغلبة بأوامر الشريعة.<sup>(3)</sup>

الآية الرابعة في ذم المنافقين بسبب بخلهم :

وبعد إحدى عشرة آية ذكرت فيها مثالبهم الأخرى قال تعالى عنهم :

(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

1- التوبة (55)

2- المهرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (45/3)

3- المرجع نفسه

أَيِّدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ<sup>(1)</sup>

ففي هذه الآية الكريمة أيضاً - مع ذكر عيبتهم الجامع لجميع العيوب، وهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف - ذكر مرة أخرى بخلهم بكناية جميلة في قوله حل مجده: (ويقبضون أيديهم) قال النسفي رحمه الله تعالى: (ويقبضون أيديهم) شحاً بالمبارك والصدقات والإنفاق في سبيل الله.<sup>(2)</sup>

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى:

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي: متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبغاض الشيء الواحد، وقيل: إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله: (إنهم لمنكم)<sup>(3)</sup> وتقرير لقوله: (وما هم منكم)<sup>(4)</sup> وما بعده كالدليل عليه، فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين، وهو قوله: (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي. (وينهون عن المعروف) عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن المبار. و"قبض اليد" كناية عن الشح.<sup>(5)</sup>

ثم ذكر ما هو السبب الحقيقي لكفرهم وشحهم وجميع ما يعملون من السيئات - وهو نسيان الله عز اسمه - فقال: (نسوا الله فنسيهم) ثم جاء تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون)<sup>(6)</sup> بأبلغ أسلوب: من التأكيد بأن وأسلوب الحصر بتعريف طرق الجملة وإيراد ضمير الفصل.

وأفاد الإمام أبو السعود في هذا التذييل بكنة بلاغية، قال:

(إن المنافقين هم الفاسقون) الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير. والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى: (وعند الله المنافقين والمنافقات والكفار)<sup>(1)</sup>

1- التوبة (67)

2- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - (تفسير النسفي) (692/1)

3- التوبة من آية (56)

4- من الآية نفسها

5- تفسير البيضاوي (88/3)

6- التوبة (67)

1- التوبة (68) تفسير أبي السعود (80/4)

الآيات من الخامسة إلى السابعة في ذم المنافقين بسبب البخل:

ثم بعد ست آيات مرة أخرى ذكر بخلهم ونفاقهم، قال تعالى:

(وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ \*<sup>(1)</sup>)

فمن بلاغة أسلوب النظم الحكيم هنا - للدلالة على بخلهم الشديد - أنهم عند ما عاهدوا الله سبحانه وتعالى بأنهم لو آتاهم الله من فضله سوف يتصدقون وينفقون المال في سبيل الله ويكونون من الصالحين وقد أكدوا كلامهم بتأكيدات كثيرة وشديدة، فإنهم أولاً: في قولهم: لكن آتانا من فضله، أدخلوا اللام القسمية (الموطئة للقسم) على فعل الشرط، ثم مرة أخرى أدخلوا لام القسم على جواب القسم أيضاً،

ولم يكتفوا بلام القسم على جواب القسم، بل وجاءوا بنون التوكيد الثقيلة في آخر فعلى جواب القسم أيضاً، فقالوا: (لنصدقنَّ ولكوننَّ من الصالحين).

وبعد تلك التأكيدات الشديدة العديدة في معاهدتهم مع الله عز وجل قال سبحانه وتعالى:

(فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)<sup>(2)</sup>

وأفادنا البقاعي رحمه الله تعالى بنكات بلاغية في أسلوب الآيتين الكريمتين، قال: ... وكرَّرَ قوله:

(من فضله) تقريراً لما قاله المعاهد تأكيداً للإعلام بأنه لا حقَّ عليه لأحد ولا صنَّع فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه..... ولما كان التولي قد يُحمل على ما بالجسد فقط قال: (وهم معرضون) أي بقلوبهم، والإعراض وصفٌ لهم لازمٌ لم يتجدد لهم، بل كان غزيرة فيهم ونحن عالمون بما من حين أوقعوا العهد.<sup>(1)</sup>

ولعل ما قاله البقاعي رحمه الله تعالى: "والإعراض وصف لازم لهم لم يتجدد"، هذا مدلول كون

الجملة (وهم معرضون) "اسمية" - بدل أن يقول: (وأعرضوا) عطفاً على (تولوا) - والله أعلم.

1- التوبة (75-77)

2- التوبة (76)

1- نظم الدر (553/8)

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(وهم معرضون) جملة معترضة أي: وهم قومٌ عادتهم الإعراض، أو حالة أي: تولوا بأجرامهم وهم معرضون بقلوبهم.<sup>(1)</sup>

وقال تعالى:

(فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)<sup>(2)</sup>

قال المراغي رحمه الله تعالى: (فَأَعَقَبَهُمُ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) قال الليث<sup>3</sup>: يُقال: أعقبت فلاناً ندامة، إذا صيرت عاقبة أمره كذلك. كما قال الهذلي<sup>4</sup>:

أودي بني وأعقبوني حسرة.... بعد الرقاد وعبرة لا تفلح

أي: أعقبهم ذلك البخل والتولي بعد العهد الموثق بأؤكد الإيمان نفاقاً في قلوبهم متمكناً منها وملازماً لها إلى يوم الحساب في الآخرة لا رجاء معه في التوبة.<sup>(5)</sup>

وزاد المراغي قائلاً:

ثم ذكر سببين هما من أخص أوصاف المنافقين - إخلاف الوعد والكذب فقال: (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) أي إن سنة الله في البشر قد جرت بأن العمل بما يقتضيه النفاق يمكن النفاق في القلب ويقويه، كما أن العمل بمقتضى الإيمان يزيد الإيمان قوة ورسوخاً في النفس، وهكذا جميع الأخلاق والعقائد تقوى وترسخ بالعمل الذي يصدر منها، فهؤلاء لما كان قد رسخ في نفوسهم

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (85/4)

2- التوبة (77)

3 - قال ابن سعد: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن النهدي. أبو الحارث المصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. مات سنة خمس وسبعين ومائة. الطبقات الكبرى (ص: 323) (الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن مسيح الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، 1408

4- الهذلي: (مُسْلِمٌ بْنُ حَنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ الْقَاصِصُ الْمَدَنِيُّ سَمِعَ ابْنَ عَمْرٍو وَنُوفَلَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ وَأَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ، رَوَى عَنْهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ وَابْنُ عُثْمَانَ وَابْنُ أَبِي دُؤْبٍ). (التاريخ الكبير للإمام البخاري (7/ 258) (التاريخ الكبير) المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن (الهند) (طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد حان) عدد الأجزاء: 8

5- تفسير المراغي (169/10)

نحلف الوعد واستمرار الكذب ، مكن ذلك النفاق في قلوبهم بمقتضى سننه وتقديره.<sup>1</sup>

ثم قال تعالى توبيحاً لهم:

(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)<sup>(2)</sup>

قال ابن عطية رحمه الله تعالى:

هذه الآية تناسب حالهم وذلك أنها تضمنت إحاطة علم الله بهم وحصره لهم، وفيها توبيخهم على ما كانوا عليه من التحدث في نفوسهم من الاجتماع على ثلب الإسلام، وراحة بعضهم مع بعض في جهة النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه، فهي تعم المنافقين أجمع،<sup>3</sup>

ثم ذكر سبحانه وتعالى شيئاً آخر من خبث باطنهم ورذائل أخلاقهم وهو لمر المطّوعين في الصدقات والمؤمنين المخلصين الذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم، فبشرهم الله تعالى على هذه الخبائث والخسائس بعذاب أليم. حتى أنه عزّ اسمه قد نهي رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليمات عن الاستغفار لهم، بل وشدّد عليهم غاية التشديد - حسب جرائمهم الشديدة - فقال: (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

إنّ هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وإن فيه معنى الشرط.... و"السبعون" جار مجري المثل في كلامهم للتكثير قال عليّ رضي الله عنه:

لأصبحنّ العاصي وابن العاصي... سبعين ألفاً عاقدى النواصي.<sup>(1)</sup>

وقال عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

(استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم) على وجه المبالغة،

<sup>1</sup> - تفسير المراغي (10/ 169)

<sup>2</sup> - التوبة (78)

<sup>3</sup> - تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 62)

1- الكشاف (2/ 295)

والأ فلا مفهوم لها.<sup>(1)</sup>

الآية التاسعة في ذم المنافقين بسبب بخلهم:

ثم بعد ستة آيات عاد الذكر الحكيم مرة أخرى إلى ذكر شحهم وتعبدهم للمال وخبهم ملاذ الدنيا وفرارهم من الجهاد بالمال والنفس، فقال تعالى:

(وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ)<sup>(2)</sup>

ففي هذه الآية الكريمة نرى أن الله سبحانه وتعالى قد خص هذه الرذيلة (الفرار من الجهاد) بأولى الطول منهم وهذا فيه إشارة دقيقة إلى وصف بخلهم وشحهم بالمال، وإلا لم تكن حاجة أخرى إلى تخصيص أولى الطول منهم بالذكر في هذا السياق، والله أعلم.

قال السيد الألوسي رحمه الله تعالى:

وخصوا بالذكر لأنهم الملمومون.<sup>(3)</sup>

وقال تعالى ذمًا لهم وتبكيتًا وتحجلاً وتفضيحاً لهم غاية الفضيحة: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ قَهْمٌ لَا يَقْفَهُونَ)<sup>(4)</sup>

قال الألوسي رحمه الله تعالى:

(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أي النساء، كما روي عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما، وهو جمع "خالفة" وأطلق على المرأة لتخلفها عن أعمال الرجال كالجهاد وغيره، والمراد ذمهم وإحاقهم بالنساء في التخلف عن الجهاد، ويطلق "الخالفة" على من لا خير فيه.<sup>(1)</sup>

1- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (346/1) المؤلف عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي المتوفي 1376هـ، المحقق:

عبدالرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م، في جزء واحد.

2- التوبة (86)

3- روح المعاني (344/5)

4- التوبة (87)

1- روح المعاني (344/5)

ثم في مقابلة هؤلاء المنافقين البخلاء ذكر سبحانه وتعالى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه من الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وبشرهم بالخيرات والفلاح في الدارين، وبعد آيتين مرة أخرى عاد النظم الحكيم إلى ذكر فرار المنافقين - من الأعراب - من الجهاد مع بيان العذر للمؤمنين المخلصين الذين لا يستطيعون الخروج للجهاد بسبب الضعف والمرض وعدم الاستطاعة المالية أيضاً لينفقوا في سبيل الله فبعد ذكر إخلاصهم لله ولرسوله وحُبهم للجهاد بالمال والنفس وحزنهم وبكائهم بسبب عدم استطاعتهم للخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم عاد القرآن الحكيم مرة أخرى إلى تبكيك المنافقين البخلاء متعبدى المال المتخلفين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في سبيل الجهاد فقط جبناً وبخلًا وخوفًا من الموت وجباً للمال ، فقال تعالى:

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)<sup>(1)</sup>

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما كان السياق لبخلهم بالنفس والمال، ولسلب النفع من أموالهم وأولادهم، اقتصر في مدح أوليائه على الجهاد بالنفس والمال... ولما نفى السبيل عمن وصفه كراً على ذم من انتفى عنه هذا الوصف فقال تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ) أي: باللوم وغيره (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ).... وكثر ذكر الخوالف تكريراً ليعيهم برضاهم بالكون في عداد النساء، إذ كان ذلك من أعظم المعاييب عند العرب.<sup>(2)</sup>

ومما يلاحظ هنا أنه جلّ مجده بعد ما نفى السبيل عن المؤمنين المخلصين الذين كانوا يؤدّون أن يجاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأموالهم وأنفسهم ولكنهم ضعفاء أو مرضى ولا يجدون ما ينفقونه في سبيل الله (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)<sup>(1)</sup>

1- التوبة (93)

2- نظم الدر (574-575)

1- التوبة (93)

قال: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)<sup>(1)</sup>

استخدم أسلوب القصر بـ"إنما"، وكرّر قوله: (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) تبكيتاً للمنافقين البخلاء وتفضيحاً لهم وزاد في تبكيتهم بقوله: (وطع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون).

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

القصر إضافي بالنسبة للأصناف الذين نُفِيَ أن يكون عليهم سبيل، وفي هذا الحصر تأكيد للنفي السابق، أي لا سبيل عقابٍ إلا على الذين يستأذنونك وهم أغنياء والمراد بهم المنافقون بالمدينة... وهم أولوا الطول المذكورون في قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ)<sup>(2)</sup>

وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلاً:

والسبيل: حقيقة: الطريق، وقوله تعالى: (إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) مستعارٌ لمعنى السلطان والمواخضة بالبيعة، شبه السلطان والمواخضة بالطريق، لأنَّ السلطة يتوصّل من هي له إلى تنفيذ المواخضة في الغير، ولذلك عُذِّي بحرف "على" - المفيد لمعنى الاستعلاء -، وهو استعلاء مجازي بمعنى التمكّن من التصرف في مدخول "على" فكان هذا التركيب استعارةً مكنيةً رُمزَ إليها بما هو من ملائعات المشبه به، وهو حرف "على" وفيه استعارةً تبعيةً.<sup>(3)</sup>

سبع آيات من العاشرة إلى السادس عشرة في ذمّ البخيل :

ومما ورد في ذمّ البخيل قوله تعالى:

(فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ \* وَذُؤا لَوْ تَذَهَبُ قَيْدُهُنَّ \* وَلَا تُطْعِ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ \* هَازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ \*

1- التوبة (93)

2- التوبة (86) التحرير والتنوير (5/11)

3- المرجع نفسه

مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتَيْمٌ \* عُدْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ \* أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَدِيمٌ<sup>(1)</sup>

في هذه الآيات أولاً: نهي الله جل شأنه الرسول صلى الله عليه وسلم - الداعي إلى الله والإيمان - من طاعة المكذبين عامة في المداينة، ثم خصص منهم البخيل وذكره عشر مثالب كلها بصيغ المبالغة، ومنها قوله: (منع للخير).

قال الشيخ علوان النحجواني رحمه الله تعالى:

(منع للخير) شحيح بخيل لا ينفق من ماله على المستحقين ويمنع أيضاً صديقه وصاحبه عن الإنفاق لئلا يلحق العار والتعير عليه خاصة. (معتد) متجاوز الحد في أنواع الظلم وأصناف الفسوق والعصيان (أتيم) مبالغ في اقرار الإثم والعدوان بلا مبالاة بوخامة شأنه.<sup>(2)</sup> هنا خطر ببال الباحث نكتة بلاغية في قوله تعالى: (منع للخير)، حيث كان من الممكن أن يأتي التعبير عن بخله بـ "بخيل" ولكن عدل عنه، فإن التعبير بـ "منع للخير" أفاد معنيين معاً كما فسره الشيخ علوان بقوله: شحيح بخيل لا ينفق من ماله على المستحقين ويمنع أيضاً صاحبه وصديقه عن الإنفاق.<sup>(3)</sup> فالتعبير بـ "منع للخير" إذن يرادف قوله تعالى في سورة النساء: (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل)<sup>(4)</sup> فقد أدمج غرض في غرض آخر، وهذا من بلاغة الإيجاز في الذكر الحكيم.

الآيات الثمانية من السابع عشرة إلى الرابع والعشرين في الوعيد للبخل:

ومن الوعيد الشديد للبخل قوله تعالى:

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ - ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ - ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ. إِنَّهُ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. فَلَئْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَبِيمٌ. وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ. لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)<sup>(5)</sup>

1 - الفلم - (8-14)

2 - الفوائد الإلهية والمفاتيح الغيبية (2/435)

3 - المرجع نفسه

4 - النساء (37)

في هذه الآيات البينات قد ذكرت لمن يؤتى يوم القيامة كتابه بشماله ، حالته السيئة غاية السوء التي من أجل شدتها عليه يتمنى الموت الذي لا يكون بعده بعث ولا نشور ولا حساب ولا كتاب ويقول:  
(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً. وَلَمْ أَذَرْ مَا حِسَابِيَّةً. يَا لَيْتَنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. <sup>(6)</sup>)

ولأنَّ حالته الوحشية هذه بسبب بخله وشحِّه وحرصه في جمع المال ومنعه من الإنفاق، يقول أيضاً: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةً. هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً) <sup>(7)</sup>، وفوق ذلك يثور عليه غضب ربِّ العالمين عندئذٍ ويقول القهَّار ذو الجلال: (خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلُّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فسلكوه) <sup>(8)</sup> وعند إظهار غضبه الشديد عليه يذكر سبحانه وتعالى له جريمتين كبيرتين أساسيتين وهما اللتان كانتا أساس كلِّ جريمة أخرى ارتكبها في الحياة الدنيا.

هما: الكفر بالله العظيم والبخل وعدم الخَصْص على طعام المسكين.  
فما أبلغ هذا الأسلوب الحكيم في الدلالة على ذمِّ البخل والشحِّ، حيث عدَّه النظم الحكيم بجانب الكفر بالله العظيم.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(ثم الجحيم صلُّوه)، ثم لا تُصلُّوه إلا الجحيم - وهي النار العظمى - ، لأنه كان سلطاناً يتعظَّم على الناس. يقال: "صَلَّى النَّارَ" و"صَلَّاهُ النَّارَ". وسلَّكه في السلسلة: أن تُلَوَّى على جسده حتى تلتفَّ عليه أثنائها، وهو فيما بينها مُرهَقٌ، مُضَيَّقٌ عليه لا يقدر على حركة، وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول، كما قال: (إن تستغفر لهم سبعين مرة) <sup>(9)</sup> يريد: مرَّاتٍ كثيرة، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشدَّ. <sup>(10)</sup>

فالإمام الزمخشري رحمه الله تعالى حملَ تقديم "الجحيم" على "صلوه" - تقديم المفعول على

5- الحاقة (30-37)

6- الحاقة (25-27)

7- الحاقة (28-29)

8- الحاقة (30-32)

9- التوبة (80)

10- الكشاف (604/4-605)

فقد أدمج غرض في غرض آخر، وهذا من بلاغة الإيجاز في الذكر الحكيم.

الآيات الثمانية من السابع عشرة إلى الرابع والعشرين في الوعيد للبخل:

ومن الوعيد الشديد للبخل قوله تعالى:

(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ - ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ - ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ. إِنَّهُ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ. فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ. وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ. لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)<sup>(1)</sup>

في هذه الآيات البينات قد ذكرت لمن يؤتى يوم القيامة كتابه بشماله، حالته السيئة غاية السوء التي من أجل شدتها عليه يتمنى الموت الذي لا يكون بعده بعث ولا نشور ولا حساب ولا كتاب ويقول: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَّةً).<sup>(2)</sup>

ولأنَّ حالته الوحشية هذه بسبب بُخله وشحِّه وحرصه في جمع المال ومنعه من الإنفاق، يقول أيضاً: (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةُ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً)<sup>(3)</sup>، وفوق ذلك يثور عليه غضب ربِّ العالمين عندئذٍ ويقول القهَّار ذو الجلال: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)<sup>(4)</sup> وعند إظهار غضبه الشديد عليه يذكر سبحانه وتعالى له جريمتين كبيرتين أساسيتين وهما اللتان كانتا أساس كلِّ جريمة أخرى ارتكبها في الحياة الدنيا.

هما: الكفر بالله العظيم والبخل وعدم الحَضُّ على طعام المسكين.

فما أبلغ هذا الأسلوب الحكيم في الدلالة على ذمِّ البخل والشحِّ، حيث عدَّه النظم الحكيم بجانب الكفر بالله العظيم.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

(ثم الجحيم صلُّوه)، ثم لا تُصلُّوه إِلَّا الجحيم - وهي النار العظمى -، لأنه كان سلطاناً يتعظَّم

1- الحاقة (30-37)

2- الحاقة (25-27)

3- الحاقة (28-29)

4- الحاقة (30-32)

على الناس. يقال: "صَلَّى النَّارَ" و"صَلَّاهُ النَّارَ". وسلكه في السلسلة: أن تُلَوَّى على جسده حتى تلتفَّ عليه أثنائها، وهو فيما بينها مُرَهَقٌ، مُضَيَّقٌ عليه لا يقدر على حركة، وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول، كما قال: (إن تستغفر لهم سبعين مرة)<sup>(1)</sup> يريد: مرَّاتٍ كثيرة، لأنها إذا طالَت كان الإرهاق أشدَّ.<sup>(2)</sup>

فالإمام الزمخشري رحمه الله تعالى حملَ تقديم "الجحيم" على "صلوه" - تقديم المفعول على الفعل - ، وتقدم "في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً" على "فاسلكوه" - تقدم الجار والمجرور على متعلِّقه - ، على معنى الحصر، كما فسره، قال: والمعنى في تقدم السلسلة على السلك: مثله في تقدم الجحيم على التصليبة. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفضح من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم.<sup>(3)</sup>

ثم وضَّح الزمخشري رحمه الله تعالى بلاغة أسلوب هذه الآيات مزيداً، فقال: ومعنى "ثم": الدلالة على تفاوت ما بين الغلِّ والتصليبة بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة "إنه" تعليل على الاستئناف، وهو أبلغ، كأنه قيل: ما له يُعَذَّبُ هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك.<sup>(4)</sup>

فقد أشار الزمخشري إلى فائدة العطف بـ "ثم" بأنها أفادت التراخي والتفاوت في الرتبة والدرجة، وفيه أن وجه مجيء قوله (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) بدون واو لأن هذه الجملة وقعت استئنافاً بيانياً، فهي جواب سؤال انبثق من الكلام السابق، وهذا ما يعرف بشبه كمال الإتصال.

وأفادنا الزمخشري رحمه الله تعالى بنكتة أخرى في قوله تعالى: (ولا يحض على طعام المسكين)، قال: وفي قوله: (ولا يحض على طعام المسكين)<sup>(5)</sup> دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين،

1- التوبة (80)

2- الكشاف (604/4-605)

3- الكشاف (605/4)

4- المرجع نفسه

5- الحاقة (34)

أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له. والثاني: ذكر الحَضَّ دون الفعل، لِيُعْلَمَ أَنَّ تارك الحَضِّ بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل. وما أحسن قول القائل:

إذا نزل الأضياف كان عذوراً... على الحيِّ حتى تستقلَّ مراحلُه.<sup>(1)</sup>

بتوفيق الله سبحانه وتعالى قد تم الفصل الثاني من الباب الثالث وسيليه الفصل الثالث إنشاء الله تعالى .

---

1- الكشف (ج 4 ص 605) والبيت، قال المحشي في هامش الكشف: قيل: إنه للعجم السلوي، وقيل: لزنب بنت الطثيرة ترثي أباها يزيد. وكذلك عزاه ابن المنظور في لسان العرب إلى زنب بنت الطثيرة، قال - مبيّنًا معنى "عذوّر": وقول زنب بنت الطثيرة ترثي أباها يزيد:

يعينك مظلوماً وينجيك ظالماً.... وكلّ الذي حَكَلته فهو حامله

إذا نزل الأضياف كان عذوّراً... على الحيِّ حتى تستقلَّ مراحلُه.

(ينظر لسان العرب لابن المنظور ج 4 ص 555. وزنب ابنة الطثيرة: هي زنب بنت سلمة بن مرة من بني عامر بن صعصعة، والطثيرة أمها قتل أخوها يزيد بن الطثيرة الشاعر المشهور في خلافة بني العباس سنة 126 هجرية الموافقة لسنة 744 ميلادية قتله بنو حبيفة فقالت هذه الأبيات.

## الفصل الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الإنفاق

قد مرَّ البحث في الفصل الأول من هذا الباب عن بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق، كما كان البحث في الفصل الثاني منه عن بلاغته في ذمَّ البخل والإمساك. وهذا الفصل الثالث في البحث عن بلاغة الذكر الحكيم في بيان أحكام الإنفاق. الآية الأولى في بيان أحكام الإنفاق: قوله تعالى:

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)<sup>(1)</sup>

مما يلاحظ في هذه الآية الكريمة أن السائلين سألوا (ماذا ينفقون) ولكن النظم للحكيم أجابهم ببيان المصارف.

فلا بدَّ أن يكون في الأسلوب المختار في هذه الإجابة حكمة إلهية وسرٌّ بلاغيٌّ، فما هو ذلك السرُّ؟

فقال الزمخشري رحمه الله تعالى:

فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: (قل ما أنفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصارف؟

قلت: قد تضمن قوله: (قل ما أنفقتم من خير) بيان ما ينفقونه - وهو كل خير -، وبُني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصارف، لأنَّ النفقة لا يُعتدُّ بها إلا أن تقع موقعها. قال الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة      حتى يصاب بها طريق المصنع<sup>(2)</sup>

1- البقرة (215)

2- الكشف (257/1) (والشاعر هو ابن بري). هكذا قال ابن منظور - في بيان معنى "مهيئ" - قال: مهيئ: واضح، واسع، بيّن وجمعه مهيئ. وأنشد ابن بري: إن الصنيعة لا تكون صنيعة.... حتى يصاب بها طريق مهيئ. (ينظر لسان العرب ج 8 ص 379). وابن بري

فالذي يفهم من جواب الزمخشري رحمه الله تعالى هو أنه اختير في الآية الكريمة أسلوب الحكيم بإدماج الجواب عن سؤالهم فيما كان بيانه لهم أهم في هذا المقام.

وأجاب الراغب الأصفهاني رحمه الله بجوابين:

قال: إن قيل: ليس جوابهم طبقة لسؤالهم، فإن سؤالهم عما يُنفق والجواب عمن يُنفق عليه.

قيل: في ذلك جوابان:

أحدهما: أنهم سألوا عنهما وقالوا:

ما ينفق وعلى من ينفق؟

ولكن حذِفَ في حكاية السؤال أحدهما إيجازاً، ودلَّ عليه الجواب بقوله: (ما أنفقتم من خير)،

كأنه قيل: المنفق هو الخير والمنفق عليهم هؤلاء، فُلِّفَ أحد الجوابين في الآخر، وهذا طريق معروف في البلاغة.<sup>(1)</sup>

وهذا الطريق المعروف الذي أشار إليه الأصفهاني رحمه الله تعالى والذي عبَّر عنه بتلفيف أحد

الجوابين في الآخر هو طريق الإدماج في اصطلاح علم البلاغة، كما قال القزويني رحمه الله تعالى:

ومنه<sup>(2)</sup> الإدماج. وهو أن يضمَّن كلاماً سبق لمعنى معنى آخر فهو أَعَمُّ من الاستتباع ومثاله قول

أبي الطيب:

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي      أَعْدُ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذَّنُوبَا<sup>3</sup>

فإنَّه ضَمَّنَ وَصَفَ اللَّيْلِ بِالطُّوْلِ الشَّكَايَةَ مِنَ الدَّهْرِ.<sup>(4)</sup>

ونقل السيوطي رحمه الله تعالى تعريف الإدماج عن ابن الأصبغ قائلاً:

قال ابن الأصبغ: هو أن يُدمِجَ المتكلم غرضاً في غرضٍ أو بديعاً في بديع بحيث لا يظهر في

هو الإمام العلامة، نحوي وفقيه أبو محمد عبد الله بن بري بن، عبد الجبار بن بري، المقدسي، ثم المصري، النحوي، الشافعي ولد في رجب سنة تسع وتسعين وأربع مائة و مات في شوال سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة..

1- تفسير الراغب الأصفهاني (444/1)

2- أي من البديع (الباحث)

3 - بنظر ديوان أبي الطيب المتنبي ص55 (المطبوع في المكتبة الرحمانية، لاهور) تاريخ الطبع ليس مكتوباً عليه.

4- الإيضاح في علوم البلاغة، ص349

الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين كقوله تعالى: (له الحمد في الأولى والآخرة)<sup>(1)</sup> أدمجت المبالغة في المطابقة لأنَّ انفراده بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه مبالغة في الوصف بالإنفراد بالحمد وهو وإن خَرَجَ مَخْرَجَ المبالغة في الظاهر فالأمر فيه حقيقة في الباطن فإنه ربُّ الحمد والمنفرد به في الدارين.<sup>(2)</sup>

ثم علّق السيوطي رحمه الله تعالى على تفسير ابن الأصبغ رحمه الله تعالى قائلاً:  
قلت: والأولى أن يقال في هذه الآية: إنها من إدماج غرض في غرض فإنَّ الغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء.<sup>(3)</sup>  
هكذا في آية الإنفاق في قوله تعالى: (قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين....) الآية<sup>(4)</sup> أدمج الجواب عن المنفق في بيان المصرف.

وأما الجواب الثاني عن الأصفهاني، فقال:

الجواب الثاني أن السؤال ضربان:

سؤال جدلي: وحقُّه أن يُطابقه جوابه لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه.

وسؤال تعلُّمي: وحقُّ المعلم أن يصير فيه كطبيبٍ دقيقٍ يتحرى شفاء سقيم، فيطلب ما يشفيه، طلبه المريضُ أو لم يُطلب. فلما كانت حاجتهم إلى من يُنفق عليهم كحاجتهم إلى ما يُنفق بَيْنَ لهم الأمرين.<sup>(5)</sup>

وهذا هو الجواب على أسلوب الحكيم الذي قال عنه الزركشي رحمه الله تعالى:

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال إذا كان السؤال متوجّهاً، وقد يُعدّل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك ويُسميه السكاكي "الأسلوب الحكيم". وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال وأغفله المتكلم.<sup>(6)</sup>

1- القصص (من الآية 70)

2- الإتقان في علوم القرآن (298/3)

3- المرجع نفسه

4- البقرة (215)

5- تفسير الأصفهاني (444/1)

6- الرمان في علوم القرآن للزركشي، (42/4)

وصرّح الآلوسي رحمه الله تعالى بكون هذه الآية الكريمة من الأسلوب الحكيم.

وأفادنا الأصفهاني والآلوسي رحمهما الله تعالى بنكتتين أخرتين في الآية الكريمة أيضاً:

إحداهما: بلاغة النظم الحكيم هنا في التعبير عن المال بـ "خير" في قوله تعالى: (قل ما أنفقتم من

خير) والنكته الثانية بلاغة الذكر الحكيم في تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (وما تفعلوا من خيرٍ فإنَّ الله به عليم).<sup>(1)</sup>

النكته الأولى - عند الأصفهاني والآلوسي رحمهما الله تعالى -:

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى:

وقوله: (من خير) أي: من مالٍ فسمى المال "خيراً" تنبيهاً أنَّ الذي يجوز إنفاقه هو الحلال

الذي يتناوله اسم الخير، كما قال تعالى: (إن ترك خيراً)<sup>(2)</sup>

والنكته الثانية عندهما:

قال الأصفهاني رحمه الله تعالى:

ثم بيّن تعالى أنَّ كل ما يفعلونه لا يخفى عليه على الوجه الذي يفعلونه تنبيهاً أنه يجازي به، نحو

قوله تعالى:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)<sup>(3)</sup>

بل الآلوسي رحمه الله تعالى زادنا نكتتين مزيدين فوقهما في أسلوب جملة التذييل أيضاً.

أولاً بيّن الآلوسي رحمه الله تعالى فائدة إثبات فعل "تفعلوا" على "تنفقوا" في جملة التذييل، فقال:

(وما تفعلوا من خير) فإنه شامل لكل خيرٍ واقع في أيّ مصرف كان، و"ما" شرطية مفعول به

لـ "تفعلوا"، و"الفعل" أعمُّ من "الإنفاق"، وأتى بما يعمُّ تأكيداً للخاصِّ الواقع في الجواب.<sup>(4)</sup>

وزاد السيد الآلوسي رحمه الله تعالى قائلاً:

1- البقرة (215)

2- البقرة (من الآية: 180) تفسير الراغب الأصفهاني (444/1)

3- الزلزال (7-8)، تفسير الراغب الأصفهاني (444/1)

4- روح المعاني (501/1)

(فإنَّ اللهَ بهِ عليم) يعلمُ كنهه كما يشيرُ به صيغة "فعل" مع الجملة الاسمية المؤكدة، والجملة

جواب الشرط باعتبار معناها الكنائي، إذ المراد منها توفية الثواب، وقيل: إنها دليل الجواب، وليست

به. (1)

الآية الثانية في بيان أحكام الإنفاق :

ثم بعد ثلاث آيات من الآية المذكورة كُرِّرَ السؤال نفسه:

(ويسألونك ماذا ينفقون) في قوله تعالى:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (2)

فما هو السر في إعادة السؤال نفسه (ويسألونك ماذا ينفقون)؟

قال الأصفهاني رحمه الله تعالى:

إن قيل كيف أعيد السؤال عما ينفقون؟

قيل: أما الأول فسؤال عن الجنس الذي يُنفق وعَمَّنْ يُنفق عليه، فُبَيَّنَ لهم الأمران، وأما السؤال

هاهنا فعن القدر المنفق، فأجيبوا بحسبه، فُبَيَّنَ الذي ينفق وهو العفو، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

هو الفضل عن الغنى. (3)

ونقل الأصفهاني آراء الأئمة المختلفة في معنى "العفو" فقال:

وقال الحسن وعطاء: <sup>4</sup>

1- المرجع نفسه

2- البقرة (219)

3- تفسير الراغب الأصفهاني (1/452)

4 - الحسن هو التابعي الجليل الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. وكان أبوه مولى جميل بن قطبة وهو من سبي ميسان، سكن المدينة وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر بن الخطاب فولد له بها الحسن رحمه الله عليه لستين بقينا من خلافة عمر. وأمه حيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين. وفاته: تُؤْفَى - رحمه الله تعالى - سنة عشر ومائة، وعمره تسع وثمانون سنة، وقيل ست وتسعون سنة. وأما عطاء: فهو التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح مولى آل أبي حشيم الفهري القرشي واسم أبي رباح: أسلم، وُلِدَ بالحنَـدَ (بلدة باليمن) وكان مولده سنة سبع وعشرين أثناء خلافة عثمان بن عفان، وتُؤْفَى رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة ومائة وقد قيل إنه توفي سنة خمس عشرة ومائة.

هو القصد الذي لا إسراف فيه ولا إقتار، وقال مجاهد: هو الصدقة المفروضة.<sup>1</sup>

ثم أبدى الأصفهاني رحمه الله تعالى رأيه، فقال:

وكل ذلك مراد، فإنَّ أقلَّ ما تطيب به نفس المسلم هو الصدقة الواجبة، ومن لم تطب نفسه

فليس بتمام الإيمان، ثم منهم من تطيب نفسه ببذل جل ماله، ومنهم من تطيب لكل ماله، كأبي بكر-

رضي الله عنه- فإذا العفو متناول لما هو واجب ولما هو تبرع.<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)<sup>(3)</sup>

ذكر أبو المظفر السمعاني رحمه الله تعالى فيه نكتة بلاغية، قال:

فيه تقديم وتأخير، وتقديره:

يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تفكرون، في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل الآخرة

على الدنيا فتترددون في الدنيا وتنفقون رغبة في الآخرة.<sup>(4)</sup>

الآية الثالثة في بيان أحكام الإنفاق :

وذكر سبحانه وتعالى هنا سؤالاً آخر لعباده يسألونه، وأجاب عنه.

قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)<sup>(5)</sup>

هذه الآية من آيات أحكام الإنفاق بين اليتامى والقائمين بأمورهم.

ومما يُمكن ملاحظته من النكت والأسرار البلاغية فيها:

أولاً: قوله تعالى (قل إصلاح لهم خير)

هذا جواب لسؤالهم عن اليتامى في غاية البلاغية من بلاغة الإيجاز، كما أشار إليه البقاعي رحمه

الله تعالى.

1 - المرجع نفسه

2- المرجع نفسه

3- البقرة (219-220)

4- تفسير السمعاني (1/221)

5- البقرة (220)

قال : (ويسألونك عن اليتامى) أي في ولايتهم لهم وعملهم في أموالهم وأكيلهم منها ونحو  
 مما يعسر حصره، وأمره بالجواب بقوله: (قل إصلاح لهم) أي: من تركه، ولا يخفى الإصلاح  
 على ذي لب، فجمع بهذا الكلام اليسير المضبوط بضابط العقل - الذي أقامه حجة على خلقه - ما  
 لا يكاد يُعَدُّ، وفي قوله (لهم) ما يُشعر بالحب على تحضيضهم بالنظر في أحوالهم ولو أدّى ذلك إلى  
 مشقة على الولي.<sup>(1)</sup>

والنكتة الثانية في قوله تعالى:

(وإن تحالطوهم فإخوانكم)، هذه جملة شرطية:

"إن" أداة الشرط، و(تحالطوهم) فعل الشرط، و(فإخوانكم) جواب الشرط.

ومن الظاهر أنَّ قوله: (فإخوانكم) لا يستقيم - من حيث المعنى الظاهر - أن يكون جواب  
 الشرط هنا إلا بتقدير.

فهو حقيقة علة لجواب الشرط المحذوف المقدر.

كما قال محيي الدين الدرويش في كتابه "إعراب القرآن وبيانه":

(فإخوانكم) الفاء رابطة لجواب الشرط. و(فإخوانكم) خبر لمتبداً محذوف، أي: (فهم إخوانكم)  
 والجملة الاسمية في محلّ جزم جواب الشرط. ولا بدّ من تقدير محذوف، أي: (فلكم ذلك) ثمّ علّل ذلك  
 بقوله: (فهم إخوانكم)<sup>(2)</sup>

إذن يُمكن أن يُقال: في هذا الأسلوب بلاغة الإدماج ، ففي قوله تعالى: (فإخوانكم) أدمج  
 جواب الشرط في علته، وهذا من بلاغة الإيجاز للنظم الحكيم.

وإلى حكمة هذا الإدماج وبلاغته أشار أبو السعود رحمه الله تعالى، قال:

(وإن تحالطوهم) وتعاثروهم على وجهٍ ينفعهم (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم، أي: في الدين  
 الذي هو أقوى من العلاقة النسبية. ومن حقوق الأخوة ومواجهتها المخالطة بالإصلاح والنفع.<sup>(3)</sup>

1- نظم الدرر (266/3)

2- إعراب القرآن وبيانه (327/1)

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (220/1)

والنكتة الثالثة في قوله تعالى: (والله يعلم المفسد من المصلح) وأفادنا بها أيضاً الإمام أبو السعود

رحمه الله تعالى، قال:

العلم، بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد، و"من" لتضمينه معنى التمييز. أي: يعلم من يُفسد في أمورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطته الخيانة والإفساد مميّزاً له بمن يُصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازي كلّاً منهما بعمله. ففيه وعدٌ ووعد، خلا أن في تقديم "المفسد" مزيد تهديد وتأكيد للوعد.<sup>(1)</sup>

والنكتة الرابعة: بلاغة التذييل في قوله تعالى:

(ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)

أفادنا ببلاغة هذا التذييل الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى،

قال: وقوله تعالى (ولو شاء الله لأعنتكم) تذييل لما دلّ عليه قوله تعالى:

(قل إصلاح لهم خير) والعنت: المشقة والصعوبة الشديدة.

أي: ولو شاء الله لكلفكم ما فيه العنت، وهو أن يُحرّم عليكم مخالطة اليتامى فتحدوا ذلك

شاقاً عليكم وعنتاً، لأنّ تحبّب المرء مخالطة أقاربه من إخوة وأبناء عمّ ورؤيته إيّاهم مضیعة أمورهم لا

يُحفل بهم أحدٌ ويَشُقُّ على الناس في الجيلة.<sup>(2)</sup>

وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلاً:

وقوله تعالى (إنّ الله عزيز حكيم) تذييل لما اقتضاه شرط "لو" من الإمكان وامتناع الوقوع.

أي: إنّ الله عزيزٌ غالبٌ قادرٌ فلو شاء لكلفكم العنت. لكنه يَضَعُ الأشياء مواضعها فلذا لم

يُكلفكموه.<sup>(3)</sup>

الآية الرابعة في بيان أحكام الإنفاق:

قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا

الْحَبِيبَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَعْيُنِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي خَبِيرٌ)<sup>(1)</sup>

1- المرجع نفسه

2- التحرير والتنوير (358/2)

3- المرجع نفسه

في هذه الآية الكريمة بيّن سبحانه وتعالى للمؤمنين أنواع المال التي ينبغي أن يتفقهوا منها ونهاهم بأبلغ أسلوب عن الإنفاق مما لا ينبغي الإنفاق منه.

أولاً: أمرهم بالإنفاق من الطيبات وذكر لها نوعين:

1- مما كسبوا.

2- وما أخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض.

ثم نهاهم عن الإنفاق في سبيله مما هم لا يرضون أخذه لأنفسهم، وهذّدهم بتذليل الآية الكريمة بقوله: (واعلموا أن الله غني حميد) بلاغة السياق:

قال الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم... الآية) بيانٌ لحال ما يُنفَق منه إثر بيان أصل الإنفاق وكيفيته. أي: أنفقوا من حلال ما كسبتم وحياده لقوله تعالى:

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)<sup>(2)</sup> (وما أخرجنا لكم من الأرض) أي: من طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن، فحذف لدلالة ما قبله عليه.<sup>(3)</sup> وأفادنا الإمام أبو السعود أيضاً بنكات بلاغية من بلاغة الأسلوب في الآية الكريمة.

النكتة الأولى في تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى:

(وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ)،

قال: الجار متعلق بـ(تنفقون) والضمير للخبيث، والتقدم للتخصيص، والجملة حال من فاعل (تيمّموا) أي: لا تقصدوا الخبيث قاصرين للإنفاق عليه، أو من الخبيث. أي: مختصاً به الإنفاق. وأيّاً ما كان، فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من إنفاق الخبيث خاصّة.<sup>(4)</sup>

والنكتة الثانية: في قوله تعالى: (ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه). قال أبو السعود رحمه الله

1- البقرة (267)

2- آل عمران (92)

3- تفسير أبي السعود (261/1)

4- المرجع نفسه

تعالى: وقوله تعالى (ولستم بأخذيه) حال على كُلِّ حالٍ من واو "تنفقون" أي: والحال أنكم لا تأخذونه في معاملتكم في وقتٍ من الأوقات أو بوجه من الوجوه (إلا أن تغمضوا فيه) أي: إلا وقت إغماضكم فيه، أو: إلا بإغماضكم فيه. وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية أو الإستعارة... وقيل: تمَّ الكلام عند قوله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث) ثم استؤنفَ فُقيل على طريق التويخ والتفريع: (منه تنفقون) والحال أنكم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم فيه. ومآله الاستفهام الإنكاري فكأنه قيل: أُمِنه تنفقون؟<sup>(1)</sup> والنكتة الثالثة: بلاغة تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (واعلموا أن الله غنيٌ حميد).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى:

(واعلموا أن الله غنيٌ) عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم. وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به تويخٌ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث وإيذانٌ بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإنَّ إعطاء مثله إنما يكون عادة - عند اعتقاد المعطي أن الآخذ محتاجٌ إلى ما يعطيه بل مضطرٌّ إليه (حميدٌ) مستحق للحمد على نعمه العظام، وقيل: حامد بقبول الجيد والإثابة عليه.<sup>(2)</sup>

الآية الخامسة في بيان أحكام الإنفاق:

قوله تعالى:

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَبِكُمْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)<sup>(3)</sup>

يُمكن أن يلاحظ من بلاغة القرآن الحكيم في هذه الآية ما يأتي:

أولاً: السرُّ في فصلها عما قبلها، أي: ترك عطفها على ما قبلها.

فقال أبو السعود رحمه الله تعالى:

نوع تفصيلٍ لبعض ما أُجِّل في الشرطية وبيان له، ولذلك تُركَّ العطف بينهما.<sup>(4)</sup>

فالذي يُفهم من قول أبي السعود رحمه الله تعالى أن ترك العطف بين هذه الآية والتي قبلها

1- المرجع نفسه

2- المرجع نفسه

3- البقرة (271)

4- تفسير أبي السعود (263/1)

بسبب كمال الاتصال بينهما، لأنَّ الوصل إنما يكون حيثما يكون توسط بين الكمالين - كمال الانقطاع وكمال الاتصال -، كما قال الإمام عبدالقاهر الجرجاني رحمه الله تعالى:

فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية. والعطف لما هو واسطة بين الأمرين. وكان له حال بين حالين فاعرفه.<sup>1</sup>

والنكتة الثانية في هذه الآية الكريمة أنه لما كان أمر إخفاء الصدقات وإبدائها ذا جهتين، قد يكون الإخفاء أفضل، وقد يكون إبدؤها وإظهارها أولى من الإخفاء حسب أنواع الصدقات، وحسب نيات المتصدقين فجاء النظم الحكيم بتعبير قد أحاط بالجانبين كليهما، فمدح الإبداء بقوله جل ثناؤه: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي)<sup>(2)</sup> وسمى الإخفاء "خيراً"، حيث قال:

(وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ)<sup>(3)</sup>

كما قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

ومعنى (فنعما هي): فنعم شيئاً إبدؤها... (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها (فهو خير لكم) فالإخفاء خير لكم. والمراد الصدقات المتطوع بها، فإنَّ الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقة السرِّ في التطوع تفضل علانيتهما سبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرهما بخمسة وعشرين ضعفاً.<sup>(4)</sup>

وزاد الزمخشري رحمه الله تعالى قائلاً:

وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يُعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل، والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل.<sup>(5)</sup>

فمن بلاغة النظم الحكيم هذا الإيجاز الجامع لجميع الجوانب المقصودة.

<sup>1</sup> - دلائل الإعجاز ص 214

<sup>2</sup> - البقرة (271)

<sup>3</sup> - الآية نفسها

<sup>4</sup> - الكشاف (316/1)

<sup>5</sup> - المرجع نفسه

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأفادنا أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى هنا بنكتة من البديع.

قال: وفي الإبداء والإخفاء طباق لفظي وفي قوله تعالى:

(وتؤتوها الفقراء) طباق معنوي، لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء فكأنه قيل: إن يُبد

الصدقات الأغنياء.<sup>(1)</sup>

وزاد أبو حيان رحمه الله تعالى قائلاً:

وفي هذه الآية دلالة على أن الصدقة حق للفقير، وفيها دلالة على أنه يجوز لرب المال أن يُفَرِّق

الصدقة بنفسه.<sup>(2)</sup>

فعلى ما استنبط أبو حيان رحمه الله تعالى هاتين المسألتين من الآية الكريمة يُمكن أن يقال:

في الآية الكريمة إدماج<sup>3</sup> أيضاً، حيث سيق الكلام لبيان حكم الإبداء والإخفاء وضمن ذلك

أشير إلى هذين الحكمين أيضاً بأسلوب بديع، لطيف.

ونكتة أخرى قد أشار إليها الطبري رحمه الله تعالى، وهي فائدة "من"

في قوله تعالى: (ويكفر عنكم من سيئاتكم)

قال الطبري:

فإن قال قائل:

وما وجه دخول "من" في قوله: (ويكفر عنكم من سيئاتكم)؟

1- البحر المحيط (691/2)

2- المرجع نفسه

3 - الإدماج: عرّف الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالى الإدماج بإشارة النص، قال: وإشارة النص تُسمّى في البديع "الإدماج". (ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة: "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ج 2 ص 318). المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي المتوفى: 1069 هـ ط: دار النشر: دار صادر بيروت. و "إشارة النص" من مصطلحات أصول الفقه، قال نظام الدين الشاشي رحمه الله تعالى: وأما "إشارة النص" فهي ما ثبت بنظم النص. (ينظر كتابه أصول الشاشي ص 99)، المؤلف: نظام الدين أنو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي المتوفى: 344 هـ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت. وقال ابن عاشور: الإدماج من أفانين البلاغة، أن يكون مراد البليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتزان بدون خروج عن غرضه لمسوق له الكلام ولا تكلف (ينظر تفسير ابن عاشور- التحرير والتنوير ج 1 ص 339).

قيل له:

وجه دخولها في ذلك بمعنى: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها، ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلموا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدق فيحترئوا على حدوده ومعاصيه.<sup>(1)</sup>

وأما بلاغة تذييل الآية الكريمة بقول تعالى: (والله بما تعملون خبير)،

فقال ابن عطية رحمه الله تعالى:

وعد ووعد<sup>(2)</sup>

وفصل ذلك الوعد والوعد الطبري رحمه الله تعالى، فقال:

القول في تأويل قوله: (والله بما تعملون خبير) (3)

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه:

(والله بما تعملون) في صدقاتكم من إخفائها، وإعلان وإسرار بما وجهار وفي غير ذلك من أعمالكم (خبير) يعني بذلك: ذو خبرة وعلم. لا يخفى عليه شيء، فهو بجميعه محيط، ولكلّه محص على أهله حتى يؤقّهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره.<sup>(3)</sup>

الآية السادسة في أحكام الإنفاق:

وفي سياق بيان أحكام الإنفاق ورد قوله تعالى:

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)<sup>(4)</sup>

فما وجه ارتباط هذه الآية الكريمة بأحكام الإنفاق، وإلى أي حكم من أحكام الإنفاق أرشدت

المنفقين؟

يمكن أن يفهم جواب هذا السؤال على ضوء ما ذكره معظم المفسرين من سبب نزولها، وهو

1- تفسير الطبري (586/5)

2- المحرر الوجيز (367/1) 3- البقرة 271.

3- جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير ابن جرير الطبري (586/5)

4- البقرة (272)

أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلًا كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْكُفَرِ وَالْمُشْرِكِينَ أَيْضًا، فَاْمْتَنَعُوا أَوْ مَنَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: قَالَ تَعَالَى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ هِدَاهُمْ - الْآيَةُ.

كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قِيلَ: رُؤِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ تَخَرَّجُوا مِنْ مَوَاسَاةِ الْكَافِرِينَ وَمَوَاصِلَةِ أَقَارِبِهِمْ مِنْهُمْ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: "لَا حَقَّ لَكَ"، وَإِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا اْمْتَنَعَتْ مِنْ مَوَاسَاةِ جَدِّهَا وَامْرَأَتِهِ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ اْمْتَنَعُوا مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى أَصْهَارِهِمْ مِنَ الْكُفَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَنْبِيهًا أَنْ لَيْسَ عَلَيْكَ هِدَاهُمْ، وَأَنْ يَهْتَدِيَ الْكَافِرُ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تَهْدِيَهُمْ أَيْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ تَنْبِيهًا أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ تَمْتَنَعَ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ لِذَلِكَ.<sup>(1)</sup> إِذَنْ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هِدَاهُمْ)<sup>(2)</sup> يَكُونُ مِنْ قِبِيلِ التَّعْرِيزِ<sup>3</sup> أَوْ الْكُنَايَةِ، وَالْكُنَايَةُ قَدْ تَكُونُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّرِيحِ.

وَلَعَلَّ الْغُرُضَ مِنَ التَّعْرِيزِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُنَا التَّأَكِيدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِعَضِّ النَّظَرِ عَنْ اهْتِدَائِهِمْ لِلْإِيمَانِ أَوْ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ حَثُّ فُقَرَاءِ الْكُفَرِ - الَّذِينَ أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ رَغْمَ كُفْرِهِمْ - عَلَى الْإِيمَانِ بِإِسْمَاعِيهِمْ هَذَا فَلَعَلَّ ضِمَاتِهِمْ تَلَوُّهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ رَغْمَ إِنْفَاقِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ فَيُؤْمِنُوا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا:

(وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)<sup>(4)</sup>

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

1- تفسیر الراغب الأصفهانی (571/1)

2- البقرة (272)

3 - قال الديبوري في بلاغة التعريض:

ومن هذا الباب: التعريض، والعرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتلغ إرادتها بوجه هو أَلْطَفُ وأَحْسَنُ مِنَ الْكَشْفِ والتَّصْرِيحِ، ويعيرون الرجل إذا كان يُكَاشِفُ في كل شيء (تأويل مُشْكَلِ الْقُرْآنِ (163/1)، المؤلف: أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قَتِيْبَةِ الدِّيبُورِيِّ (المتوفى 276هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

4- البقرة (272)

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ لَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ مَهْدِينَ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَوْا عَنْهُ مِنَ الْمَنْ  
وَالْأَذَى وَالْإِنْفَاقِ مِنَ الْخَبِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمُ النَّوَاهِيَ فَحَسْبُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ يَلْطَفُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّطْفَ يَنْفَعُ فِيهِ فَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ<sup>1</sup>

وقال الكيا الهراسي رحمه الله تعالى:

وذكر بعد قوله: (مَنْ يَشَاءُ)، (وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلْأَنْفُسِكُمْ)<sup>(2)</sup> قَدْ لُفِيَ الْمِسَاقُ وَالْمَتَقَدَّمُ عَلَى أَنَّ  
المراد به الصدقة عليهم وإن لم يكونوا على دين الإسلام، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْسَلًا  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ".  
وقال عليه السلام: "تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ".<sup>(3)</sup>

وزاد الكيا الهراسي رحمه الله تعالى قائلا:

وَكَرِهَ النَّاسُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ)، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)<sup>(4)</sup> وَالْأَسِيرُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا  
مُشْرِكًا. وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ  
أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)<sup>(1)</sup>

1 - تفسير الزمخشري - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 317)

2 - البقرة (272)

3 - أحكام القرآن للكيا الهراسي رحمه الله تعالى (1/ 228)، المؤلف: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين،  
المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: 504هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،  
الطبعة الثانية، 1405هـ. روى هذا الحديث ابن أبي شيبة في مصنفه هكذا مرسلًا عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه عن رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ينظر مصنف ابن أبي شيبة ج 2 ص 401. (المصنف في الأحاديث والآثار) المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد  
الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد -  
الرياض، الطبعة: الأولى، 1409. عدد الأجزاء: 7 ولكن رواه المقدسي في الأحاديث المختارة مرفوعًا عن سعيد بن جبير عن ابن  
عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ينظر كتابه "الأحاديث المختارة" المستخرج من الأحاديث المختارة  
مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (10/ 116) (الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه  
البخاري ومسلم في صحيحهما) المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: 643هـ) دراسة وتحقيق:  
معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة،

1420 هـ - 2000

4 - سورة الإنسان، الآية: 8

ومما يؤيد الغرض المذكور من التعريض في قوله تعالى (ليس عليك هداهم) ما قال السيد

الآلوسي رحمه الله تعالى، قال:

والجملة: (ليس عليك هداهم)<sup>(2)</sup> معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى سيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بأولئك المكلفين مبالغة في حملهم على الامتنال، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن وأبو علي الجبائي، وهو مبنى على رجوع ضمير (هداهم) إلى المخاطبين في تلك الآيات السابقة، والذي يستدعيه سبب النزول رجوعه إلى الكفار.<sup>(3)</sup>

وزاد الآلوسي رحمه الله تعالى قائلاً:

أي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دعوهم في الإسلام وحينئذ لا التفات، وإنما هناك تلوين الخطاب فقط، والآية حثٌ على الصدقة أيضاً ولكن بوجه آخر، والارتباط على التقديرين ظاهر.<sup>4</sup>

وأفادنا السيد الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة بنكتة بلاغية في قوله تعالى: (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)، قال:

واقحام الوجه للتعظيم ودفع الشركة، لأنك إذا قلت: "فعلته لوجه زيد". كان أجلاً من قولك: "فعلته له"، لأن وجه الشيء أشرف ما فيه، ثم كثر حتى عبّر عن الشرف مطلقاً، وأيضاً قول القائل: "فعلتُ هذا الفعل لفلان" يحتمل الشركة وأنه قد فعله له ولغيره، ومتى قال: "فعلته لوجهه" انقطع عرق الشركة عرقاً.<sup>(5)</sup>

الآية السابعة في بيان أحكام الإنفاق :

قال تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ

1- أحكام القرآن للكمي المراسي (338/1)، سورة الممتحنة - 8)

2- الباحث

3- روح المعاني (44/2)

4 - المرجع نفسه.

5- روح المعاني (45/2)

أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ<sup>(1)</sup>

أولاً: بلاغة السياق:

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما كان غالب هذه الأحكام التي ذكرت في الإنفاق من أجل المحابيح، وكان ما مضى شاملاً للمؤمن وغيره بَيَّنَّ أَنَّ مَحَطَّ الْقَصْدِ فِي الْحَثِّ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (للفقراء) أي: هذه الأحكام لهم.<sup>(2)</sup>

وكذلك قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

اعلم أنه تعالى لما بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ الْأُولَى أَنَّهُ يَجُوزُ صَرْفُ الصَّدَقَةِ إِلَى أَيِّ فَقِيرٍ كَانَ، بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الَّذِي يَكُونُ أَشَدَّ النَّاسِ اسْتِحْقَاقًا بِصَرْفِ الصَّدَقَةِ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.<sup>(3)</sup>

خمس صفات لمُسْتَحِقِّي الصَّدَقَاتِ :

ومن بلاغة أسلوب الذكر الحكيم في هذه الآية الكريمة أنه ذَكَرَ فِيهَا صِنْفًا وَاحِدًا مِنْ مَصَارِفِ الصَّدَقَاتِ وَوَصَفَهَا بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ بِأَبْلَغِ أَسْلُوبٍ وَالْطَّفِهِ.

الوصف الأول:

قال تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) ما معنى قوله تعالى: (أحصروا في سبيل الله)؟

قال الثعلبي رحمه الله تعالى:

(أحصروا في سبيل الله) أي: جَلَسُوا وَمُنِعُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا) سِرًّا فِي الْأَرْضِ وَتَصَرُّفًا لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الْمَعِيشَةِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَخْرَجُوا يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ)<sup>(4)</sup> قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ:

1- البقرة (273)

2- نظم الدرر (104/4)

3- التفسير الكبير (67/7)

4- المزمل (20)

حبسوا أنفسهم في سبيل الله عزوجل للغزو والعبادة فلا يستطيعون ضرباً في الأرض ولا يتفرغون إلى طلب المعاش، وقال ابن زيد: من كثرة ما جاهدوا لا يستطيعون ضرباً في الأرض، فصارت الأرض كلها حرباً عليهم لا يتوجهون جهة إلا ولهم فيها عدو.<sup>(1)</sup>

الوصف الثاني:

(بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف).

قال ابن عطية رحمه الله تعالى:

بحسبهم الجاهل بباطن أحوالهم أغنياء. و"التعفف": تَقَعَّلَ وهو بناء المبالغة، من: "عَفَّ عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزَّه عن طلبه". وبهذا المعنى فسَّر قتادة وغيره.<sup>2</sup>

ما معنى "من" في قوله تعالى: (من التعفف)؟

قال ابن عطية:

و"من" في قوله: (مِنَ التَّعَفُّفِ) لا ابتداء الغاية أي من تعفُّفهم ابتدأت محسنته، وليست لبيان الجنس لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفُّفٍ، وإنما يحسبهم أغنياء غناء مال، وتحسبته من التعفف ناشئة، وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، لأنهم قالوا في تفسير قوله تعالى لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْافاً: المعنى لا يسألون البتة.<sup>3</sup>

الوصف الثالث من أوصافهم: (تعرفهم بسيماهم)

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

ومعنى: (تعرفهم بسيماهم) أي: بعلامة الحاجة. والخطاب لغير مُعَيَّن ليُعَمَّ كُلُّ مخاطب، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أعلم بحالهم. والمخاطب بـ(تعرفهم) هو الذي تصدَّى لِتَطْلُعِ أحوال الفقراء، فهو المقابل للجاهل في قوله: (يحسبهم الجاهل أغنياء). والجملة بيان لجملة (يحسبهم الجاهل

1- الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير النعيلي (276).

2- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/369).

3- المرجع نفسه.

أغنياء)، كأنه قيل: فيماذا تصل إليهم صدقات المسلمين إذا كان فقرهم خفياً، وكيف يطلع عليهم؟ فأحيل ذلك على مظنة التأمل، كقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ)<sup>(1)</sup>

وزاد ابن عاشور قائلاً - في شرح كلمة "سيما" -:

و"السيما": العلامة، مشتقة من "سَمَ" الذي هو مقلوب "وَسَمَ" فأصلها: "وَسَمَى"، فوزنُها: عَفَلَى، وهي في الصورة: فَعَلَى يَدُلُّ لذلك قولهم: "سِمة"، فإنَّ أصلها "وَسِمة"، ويقولون: "سِيمَى" - بالقصر - و"سيماء" - بالمد -، و"سيماء" - بزيادة ياءٍ بعد الميم وبالمد.<sup>2</sup>

وصفهم الرابع: (لا يسألون الناس إلحافاً)

علامٌ نُصِبَ "إلحافاً"؟

قال أبو البقاء العكبري:

و(إلحافاً) مفعول من أجله، ويجوز أن يكون مصدرًا لفعلٍ محذوفٍ، دُلَّ عليه (يسألون) فكأنه قال: "لا يُلحَفون"، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال، تقديره: ولا يسألون ملحفين.<sup>(3)</sup>

فعند إعراب "إلحافاً" حالاً ينشأ هنا سؤال هامٌ جداً - وقد وُلِّيَ به كثير من المفسرين اهتمامهم، وهو أنَّ محطَّ النفي إذا القيد (الحال) فقط أو نفس الفعل مع القيد، أي المراد نفي السؤال أصلاً أم نفي الإلحاح، لا نفي نفس السؤال؟

قال الماوردي رحمه الله تعالى:

فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير إلحاف؟

قيل: لا، لأنهم كانوا أغنياء من التعفف، وإنما تقدير الكلام: لا يسألون فيكون سؤالهم

إلحافاً.<sup>(4)</sup>

1- الحمر (5-7) التحرير والتنوير (75/3).

2- المرجع نفسه.

3- التبيان في إعراب القرآن (1/223).

4- النكت والعيون للماوردي (1/347)، (تفسير الماوردي - النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري العدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى 450هـ) المحقق: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (في ستة أجزاء)

وقال بحر العلوم السمرقندي رحمه الله تعالى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يسألون الناس إحقافاً ولا غير إحقاف.

ويقال: أصله من اللحقاف، لأنَّ السائل إذا كان ملحقاً فكأنَّه يلصق بالمسؤول فيصير كاللحقاف

يلتصق، وجعل ذلك كناية عنه.<sup>(1)</sup>

وقال الفراء رحمه الله تعالى:

لا يسألون الناس إحقافاً ولا غير إحقاف، ومثله قولك:

قلَّما رأيتُ مثل هذا الرجل، ولعلَّك لم ترقليلاً ولا كثيراً من أشباهه.<sup>(2)</sup>

وقال السيد الآلوسي رحمه الله تعالى:

ونصبه على المصدر فإنه كنوع من السؤال أو على الحال، أي: ملحقين، والمعنى أنهم لا يسألون

أصلاً. وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وإليه ذهب الفراء، والزجاج وأكثر أرباب المعاني،

وعليه يكون النفي متوجهاً لأمرين.<sup>3</sup>

ثم ذكر الآلوسي رحمه الله تعالى اعتراضاً على المذكور آنفاً ورده أيضاً ردّاً جليلاً مقنعاً مستنداً بنظم

الآية الكريمة، قال:

واعترضَ بأنَّ هذا إنما يحسن إذا كان القيد لازماً للمقيّد أو كاللّازم حتى يلزم من نفيه نفيه

بطريقٍ بُرّهانيٍّ وما هنا ليس كذلك، إذ الإحقاف ليس لازماً للسؤال ولا كلاًّ زيمه.

وأجيب بأنَّ هذا مسلّم إن لم يكن في الكلام ما يقتضيه، وهو كذلك هنا، لأن التعطف حتى

يُظنُّوا أغنياء يقتضي عدم السؤال رأساً. وأيضاً (تعرفهم بسميهم) مؤيّد لذلك إذ لو سألوا لعرّفوا بالسؤال

واستغني عن العرفان بالسمي.<sup>(4)</sup>

وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:

1- بحر العلوم (181/1) المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفي 373هـ)

2- معاني القرآن (181/1) المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفي 207هـ) المحقق: أحمد يوسف

النحائي / محمد علي النحار، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة الأولى (تاريخ الطبع ليس مكتوباً عليه)

3 - روح المعاني (46/2)

4- المرجع نفسه.

واعلم أن هذه الآية مشككة، وذكرها في تأويلها وجوها:

الأول: أن الإلحاف هو الإلحاح والمعنى أنهم سألوا بتلطف ولم يلحوا، وهو اختيار صاحب "الكشاف" وهو ضعيف، لأن الله تعالى وصفهم بالتعفف عن السؤال قبل ذلك فقال: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) وذلك ينابي صدور السؤال عنهم.<sup>(1)</sup>

ثم ذكر الرازي رحمه الله تعالى - بعد ذكر تلك الوجوه - هنا وجهًا من قبله، - وهو وجه لطيف بديع تفرّد به الرازي رحمه الله تعالى، قال:

والثاني: وهو الذي خطر ببالى عند كتابة هذا الموضوع:

أنه ليس المقصود من قوله: (لا يسألون الناس إلحافًا) وصفهم بأنهم لا يسألون الناس إلحافًا، وذلك لأنه تعالى وصفهم قبل ذلك بأنهم يتعففون عن السؤال، وإذا علم أنهم لا يسألون البتة فقد عُلِمَ أيضاً أنهم لا يسألون إلحافًا، بل المراد التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافًا، ومثاله إذا حضّر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور ثابت، والآخر طيّاش مهذار سفيه، فإذا أردت أن تمدح أحدهما وتعرض بذم الآخر قلت: فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام، لا يخوض في الترهات، ولا يشرع في السفاهات. ولم يكن غرضك من قولك: "لا يخوض في الترهات والسفاهات" وصفه بذلك.<sup>2</sup>

والرازي رحمه الله تعالى أيضاً استدلل على رأيه وتوجيهه بسياق النظم الحكيم.

قال: لأن ما تقدّم من الأوصاف الحسنة يغني عن ذلك، بل غرضك التنبيه على

مذمة الثاني، وكذا هاهنا قوله: (لا يسألون الناس إلحافًا) بعد قوله: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) الغرض منه التنبيه على من يسأل الناس إلحافًا وبيان مباينة أحد الجنسين عن الآخر في استحباب المدح والتعظيم.<sup>(3)</sup>

بلاغة الذكر الحكيم وحكمته من ذكر جميع تلك الصفات لهؤلاء الفقراء:

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:

1- مفاتيح العيب - التفسير الكبير (69/7)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر

الدين الرازي، خطيب الرأي (المتوفى 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ

2 - المرجع نفسه.

3- المرجع نفسه.

فأنت ترى كيف لم يُغادر القرآن شيئاً من الحثِّ على إبلاغ الصدقات إلى أيدي الفقراء إلا وقد جاء به وأظهر به مزيد الاعتناء.<sup>(1)</sup>

بلاغة تذييل الآية الكريمة :

بقوله تعالى: (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم):

قال البقاعي رحمه الله تعالى:

ولما ذكر سبحانه وتعالى أحقَّ مواضع النفقة أشار إلى إخفائها لا سيما في ذلك الموضع، فقال: (وما تنفقوا من خير) أي في أيِّ وقتٍ أنفقتموه (فإن الله) أي المستجمع لصفات الكمال (به عليم) وإن اجتهدتم في إخفائه بإعطائه لمن لا يسأل بأن لا يعرف أو بغير ذلك. وذكر العلم في موضع الجزء أعظم مُرَغَّبٍ وأخوف مُرَقَّبٍ كما يتحقَّق ذلك بامعان التأمل لذلك.<sup>2</sup>

الآية الثامنة في بين أحكام الإنفاق :

ومن الآيات التي بيَّن سبحانه وتعالى فيها صورة الإنفاق المطلوبة وطريقته المحببة قوله تعالى:

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)<sup>(3)</sup>

أولاً: معنى "البر" في الآية الكريمة، والمراد بقوله: (مما تحبون):

قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى:

(لن تنالوا البر) أي: لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير، أو: لن تنالوا برَّ الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) أي: من المال أو ما يُعَمُّه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله.<sup>(4)</sup>

الفرق بين معنى " مِنْ " في قوله تعالى: (مما تحبون) و" مِنْ " في قوله تعالى: (وما تنفقوا مِنْ

شيء فإن الله به عليم)، وبلاغة فاصلة الآية الكريمة.

1- التحرير والتنوير (76/3).

2 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج 4 ص 106.

3- آل عمران (92)

4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي (28/2)

قال الزمخشري رحمه الله تعالى:

وقرأ عبدالله: (حتى تنفقوا بعض ما تحبون) وهذا دليل على أن "من" في (ما تحبون) للتبعية. ونحوه "أخذت من المال" و"من" في (من شيء) لتبيين ما تنفقوا، أي: من أي شيء كان، طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه، فإن الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه.<sup>(1)</sup>

وأشار أبو السعود رحمه الله إلى بلاغة السياق أو ما يمكن أن يُسمى بمناسبة الآية الكريمة وارتباطها بما قبلها. قال:

(لن تنالوا البر) من "نالته نَيْلاً"، إذا أصابه. والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويُقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يُقبل منهم، وفيه من الإيذان بعزّة منال البرّ ما لا يخفى<sup>(2)</sup>

وزاد أبو السعود رحمه الله تعالى قائلاً - لتوضيح بلاغة فاصلة الآية الكريمة:-

(وما تنفقوا من شيء) ما شرطية جازمة لـ"تنفقوا"... (فإن الله به عليم) تعليل لجواب الشرط، واقع موقعه أي: فمجازيكم بحسبه جيّداً كان أو رديفاً فإنه تعالى عليم بكل ما تنفقونه علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته، وتقدم الجارّ والمحرور لرعاية الفواصل، وفيه من الترغيب في إنفاق الجيّد والتحذير عن إنفاق الرديء ما لا يخفى.<sup>(3)</sup>

الآية التاسعة في بيان أحكام الإنفاق :

ومن الآيات التي بيّن القرآن الحكيم فيها مصارف الصدقات قوله تعالى:

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)<sup>(4)</sup>

1- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (385/1)

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (57/2)

3- تفسير أبي السعود (58/2)

4- التوبة (60)

قد أفادنا جاز الله الرحمن في تفسري هذه الآية الكريمة بنكاتٍ بلاغية جمّة من بلاغة الأسلوب وبلاغة السياق كذلك. قال:

(إنما الصدقات للفقراء... الآية) قصرّ لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها، لا يتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، ونحوه قولك: إنما الخلافة لقريش. تريد: لا تتعدّاهم ولا تكون لغيرهم.<sup>(1)</sup>

بلاغة تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ). قال الرحمن في تفسري رحمه الله تعالى:

(فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكّد، لأنّ قوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء...) الآية معناه: فرض الله الصدقات لهم. وقُرئ: (فريضة) - بالرفع - على: (تلك فريضة).<sup>(2)</sup>

ثم لَفَتَ الرحمن رحمه الله تعالى أنظارنا إلى نكتة أخرى في العدول عن اللام (لام الاستحقاق) إلى "في" في بيان المصارف الأربعة الأخيرة - من المصارف الثمانية - بأسلوبه الخاص بطرح سؤال وردّ عليه - تنبيهًا إلى نكتة هامة -، قال:

فإن قلت: لم عدل عن اللام إلى "في" في الأربعة الأخيرة؟

قلت: للإيدان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممّن سبق ذكره، لأنّ "في" للوعاء فنبة على أنّهم أحقّاء بأن تُوضَعَ فيهم الصدقات ويُجعلوا مظنة لها ومصبًا. وذلك لما في فكّ الرقاب من الكتابة أو الرقّ أو الأسر، وفي فكّ الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ.<sup>3</sup>

وبنّها الرحمن على السّرّ البلاغيّ في تكرير "في" في قوله تعالى: (وفي سبيل الله وابن السبيل)، قال: ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج، بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر

1- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (282/2)

2- الكشف (283/2)

3- المرجع نفسه.

والغربة عن الأهل والمال. وتكرير "في" في قوله: (وفي سبيل الله وابن السبيل)، فيه فضل ترجيح  
لهذين على الرقاب والغارمين. (1)

ثم وضَّح الزمخشري بلاغة السياق، أو عبارة أخرى مناسبة الآية الكريمة بسياقها وسباقها، قائلاً:  
فإن قلت: فكيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكايدهم؟ قلت: دلّ بكون  
هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، حسناً لأطماعهم  
باستيحابهم الحرمان، وأنهم بُعداء عنها وعن مصارفها، فما لهم ولها؟ وما سلَّطهم على التكلم فيها ولمز  
قاسمها صلوات الله عليه وسلامه؟ (2)

هذه تسع آيات بين القرآن الحكيم فيها أحكام الإنفاق في سبيل الله بأبلغ الأساليب وأجملها .

وبهذا قد تَمَّت هذه الرسالة فله الحمد أولاً وآخراً وصلى الله تعالى على أطيب عباده وأفضل رسله وأكرم

الخلائق سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . آمين برحمتك يا أرحم

الراحمين . سبحانك اللهم وبحمدك يا ربّ أشهد ألا إله إلا أنت إنّي استغفرك وأتوب إليك .

1- الكشف (283/2)

2- الكشاف (283/2-284)

## خلاصة البحث وأهم نتائجه

بفضل الله تعالى وتوفيقه قد تمت هذه الرسالة التي اشتملت على تحليل نحو ثلاثمائة وثمانين آية تحليلاً بلاغياً من الآيات التي تحدث القرآن الحكيم فيها عن المال تحليل بلاغي، فمما دلّت عليه هذه الآيات المباركات أبلغ دلالة بأساليب شتى :

- 1- أن المال ليس للإنسان خيراً ولا شراً محضاً بل يمتدح كونه خيراً أو شراً على وجهة نظر الإنسان إليه وعلى طرق كسبه وإنفاقه وتقسيمه ومبادلاته وعلى جميع مداولاته، لذلك فإن القرآن الحكيم قد تحدّث عن كل جانب مما يتعلّق بالمال أبلغ حديث . مثلاً إنّه قد دلّ على أهمية المال بأساليب شتى كذكره المال باسم " خير " و " فضل من الله " وتكرار هذا التعبير في آيات كثيرة.
- 2- وقد لوحظ أن القرآن الحكيم لم يُعبّر عن المال باسم " خير " أو " فضل من الله " إلا حينما كان المراد المال الحلال الطيب ، كسياق الأمر بالوصية أو الامتنان بنعمة المال وتوفير أسباب كسب المال أو الأمر بالإباحة بكسبه وغير ذلك.
- 3- ومما دلّ على أهمية المال منع المؤمنين من إعطائه السفهاء الذين يُخشى أن يُضيّعوه وتعليل ذلك النهي بأن الله سبحانه وتعالى جعل المال لكم قياماً، فوصفه بالمصدر بدلاً من الصفة المشتقة منه للمبالغة في الدلالة على أهمية المال للإنسان ،
- 4- كمنابذة الإنسان على مضرات المال أيضاً بأساليب بلاغية شتى ، كتسمية الأموال والأولاد " فتنة " - تسمية السبب باسم المسبب - مبالغة في الدلالة على كونها سبباً للفتنة ، وبقصر الخسران على الخائضين في ملاذ الدنيا - على سبيل التجوّز والمبالغة ، بحيث لا يُعتدّ بخسران غيرهم بالنسبة إليهم ، وإسناد الإلهاء عن ذكر الله، إلى الأموال والأولاد - إسناداً مجازياً - مبالغة في الدلالة على كونها سبباً للإلهاء والغفلة عن ذكر الله .
- 5- ولما كانت مضرة المال بسبب حُبّه الشديد فقد عالج الذكر الحكيم هذا المرض بالتهديد في الدنيا وتطهير قلوب الناس من حُبّ المال بأبلغ الأساليب وأجملها كنفى إغناء الأموال والأولاد عن الكفار والمنافقين شيئاً - إذا حلّ بهم عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة - نفياً مؤكّداً بـ "لن" والإتيان بصيغة الجمع في الأموال والأولاد وإضافتها إلى أصحابها ليفيد أنّ الأموال الكثيرة - رغم كثرتها وتعدّد أنواعها، والتي هم يزعمون أنّها ملكٌ لهم خاصّة-، لن تغني عنهم شيئاً، وقدّمت الأموال على الأولاد - مع توسيط حرف النفي بينهما- لأنّ الأموال أوّل غدة يُفزع إليها عند نزول الخطوب، وتسمية الحياة الدنيا "متاعاً" و"لهواً ولعباً" وبتكثير "متاعاً" مبالغة في تحقيره، وبقصر الحياة الدنيا على كونها "لهواً ولعباً"، ومن أبلغ إيجاز النظم الحكيم أنه قد جمع بأبلغ وأجمل أسلوب بين جهتي المال في قوله تعالى : ( وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانٍ) وقَدَّم العذاب على المغفرة لكثرة اللاهين بملأ الدنيا عن الآخرة ثم بشر التائبين بالمغفرة والمطمئنين قلوبهم بالرضوان.

6- وإن الذكر الحكيم قد بيّن وجهي النظر إلى المال - الصحيحة والخاطئة أبلغ بيان كوصفه المؤمنين الصالحين - أصحاب وجهة النظر الصحيحة - بالمصدر "البر" بدلا من الوصف المشتق "البار" عنديان خصائصهم في قوله تعالى: (ولكن البر آمن بالله....)، فقد جعلهم عين البر، ثم قصر عليهم وصفي الصدق والتقوى في قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)، كما صوّر الفريق الآخر أبلغ صورة لإظهار شناعة حالهم بتشبيه حالهم بحال الأنعام في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أي كأنهم أنعام ليست لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وعبر عن أخذهم أموال اليتامى ظلما بـ "الأكل" الذي يدل على أخذه تمامادون أن يبقى منه شيء، ووصف أكلهم أموال اليتامى الضعفاء وخب المال بالمصدر "لئما" و "جما" في قوله: (وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا \* وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا) للمبالغة في إظهار شناعة فعلهم.

7- ومما لوحظ خلال البحث أن الذكر الحكيم قد بيّن لعباد الله الحقوق وأحكام المعاملات المالية أبلغ بيان - كيلا يصيبهم أي ضرر في الأموال بضياع الحقوق ومداولة المعاملات الباطلة والفاصلة فيحسروا في الدنيا والآخرة -، كبده آيات الميراث بقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) أي فرض عليكم وفي هذا السياق سمي المال "خيرا" تنبيها على أن الوصية في المال الحلال دون الحرام والمغصوب فإنه يجب رده على صاحبه، وفي بيان حقوق النساء من الإرث ذكر نصيبهن مستقلا عن الرجال بقوله: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ)، ومن شدة اهتمام الذكر الحكيم بالحقوق المالية أنه بعد بيان أنصبة جميع الورثة - وبعد تأكيدات خلال بيانها - أكددها مزيدا بتسميتها "حدود الله" وبتبشير دخول الجنات والخلود فيها برعاية تلك الحدود، وبإنذار دخول النار والخلود فيها بتعديها. وهكذا في بيان جميع الحقوق، كتحذيره الشديد بأكبر وعيد للذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) أي لكون ذلك سببا لاشتعال النار في بطونهم يوم القيامة، قال مستخدما أسلوب القصص: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا)، وزيادة في التشديد في الوعيد قال: (وَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

8- وكذلك بيّن المعاملات المالية أيضا أبلغ بيان كنهيه عن الربا بأساليب شتى، منها قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) تشبيها لما كانوا عليه من طريقتهم في أخذ الربا، لا أن النهي اختص بالربا المضاعف دون المفرد، كما أنه قد هدّد أشدّ تهديد على عدم ترك

الرياء بقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِخَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...) ، ويتنكر " حرب " تشديدا وتغليظا للتهديد ، وبذكر الرياء في عداد جرائم اليهود وخباثتهم التي حلَّ بهم من أجلها أنواع من العذاب .

9- ومما لوحظ خلال هذا البحث أن القرآن الحكيم قدهم اهتماما كبيرا بمسألة الإنفاق في سبيل الله ، ببيان أهميته وذم البخل والإمساك وبيان أحكام الإنفاق ، بأمره الصريح بالإنفاق وبيان فضل الإنفاق بأساليب شتى ، كقصر صفة الإيمان - في أكثر من آية - على الذين من صفاتهم الإنفاق ممارزهم الله ، وتشبيه أحوار المنفقين في سبيل الله لابتغاء وجهه بحجة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، وتشبيه صدقاتهم بمثل جنة برية أصابها وابل فأتت أكلاها ضعفين فإن يصبها وابل فطل .

10- وكما أن القرآن الحكيم قد بين أهمية الإنفاق في سبيل الله وحرَّض عليه بأساليب شتى ، كذلك إنه قد ذمَّ البخل والإمساك أيضا بأبلغ أساليبه كالإدماج البليغ في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) باستئثار الاسم الظاهر على ضمير البخلاء الذين قد ذمَّهم في بداية هذه الآية بالبخل والإمساك فضمن بيان الوعيد للبخلاء بين الذكر الحكيم أن البخل من أعمال الكفار وخصائصهم ، كما صرح بذلك في قوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) .

11- وكما حرَّض الذكر الحكيم على الإنفاق كذلك إنه قد بين أحكام الإنفاق أيضا بأبلغ بيان بأساليب شتى ، كقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...) فهذا جواب على أسلوب الحكيم ، وفيه إدماج جميل أيضا ، بأنهم سألوا : ماذا ينفقون ؟ ولكن الذكر الحكيم ركز صراحة على المنفق عليه دالة على أن معرفة المنفق عليه أولاً أهم من معرفة المنفق ، وضمن ذلك بين لهم المنفق أيضا بأسلوب لطيف بقوله سبحانه : (ما أنفقتم من خير) ، أي ينبغي أن يكون ما تنفقون حلالاً طيباً ، كذلك في مواضع أخرى ذكر المصارف بأسلوب القصر كما في قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . هذه خلاصة الرسالة بإيجاز - حسب طبيعة هذا البحث - ، فإنه بحث تحليلي للاطلاع على الأسرار البلاغية في الآيات التي تحدَّث القرآن الحكيم فيها عن المال بأبلغ أساليبه وأجملها ، فعلى طلاب العلم والباحثين أن يتقنوا البلاغة ويتمهروا فيها حق المهارة فإنه لا يمكن فهم القرآن الحكيم فهماً صائباً بدون المعرفة التامة لقواعد بلاغة العربية والمهارة الكاملة فيها . وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد اليسير لخدمة كتابه العزيز وأن يجعله نافعا لي ولكل من

### خلاصة البحث ونتائجه

أراد أن يفهم شيئاً من بلاغة القرآن الحكيم من عبادة الله، وأن يجعله في ميزان حسنات والذي وحسنات كل من علمني من الحكمة شيئاً. آمين .

فهرس الآيات

| الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                | الصفحة |          |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|----------|
| البقرة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |        |          |
| الم                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 1      | 369      |
| ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | 2      | 402, 369 |
| الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | 3      | 369      |
| وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | 4      | 369      |
| أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                | 5      | 374, 369 |
| يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | 21     | 337      |
| وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ إِنِّي نَصِيْرٌ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَتَاءُوا بِعِصْبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَآثُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بَآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ | 61     | 90       |
| ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمُ أُسَارَىٰ تَقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا جِزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنِزْمَ الْعِقَابِ يُرْدُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ                                                                                        | 85     | 382      |

| الآية | الصفحة             | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|-------|--------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |                    | بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 111   | 52                 | 9 وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَاتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 155   | 128، 64            | 10 وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| 156   | 129، 128           | 11 الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 157   | 66، 128، 129       | 12 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| 163   | 67                 | 13 وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 164   | 67                 | 14 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ                                                                                                                                        |
| 177   | 130، 131، 133، 373 | 15 لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ |
| 180   | 24، 29             | 16 كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |

| الآية                 | الصفحة | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
|-----------------------|--------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 471، 200              |        | لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| 181، 200، 202، 203    |        | 17. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأِنَّمَا إِنَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 182، 200، 202، 203    |        | 18. فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ حَقًّا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 187، 68               |        | 19. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ قَالَ أَنْ بَاشَرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشَرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ |
| 188، 68، 69، 281، 282 |        | 20. وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| 195، 375              |        | 21. وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| 196، 349              |        | 22. وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا                                                                                                                                                   |

| الآية | الصفحة                | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
|-------|-----------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |                       | رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةَ كَامِلَةٍ ذَلِكَ لِِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي<br>الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ                                                                                                                                                                                                                             |
| 197   | 275، 71               | 23. الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفْعَ وَلَا<br>فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ<br>وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ                                                                                                                                     |
| 198   | 38                    | 24. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ<br>عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ<br>وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ                                                                                                                                                           |
| 215   | 467، 625،<br>471، 470 | 25. يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ<br>وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ<br>فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ                                                                                                                                                                               |
| 219   | 473، 472،<br>473، 220 | 26. يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ<br>وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ<br>كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ                                                                                                                               |
| 228   | 404                   | 27. وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ<br>يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ<br>الْآخِرِ وَيُعْلِنُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ<br>مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ<br>حَكِيمٌ |
| 229   | 247، 244              | 28. الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ<br>لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا                                                                                                                                                                                                                 |

| الآية | الصفحة             | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | الصفحة |
|-------|--------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
|       |                    | حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حِفْتُمْ إِلَّا نَقِصَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |        |
| 233   | 274، 276، 277، 278 | وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ | 29     |
| 236   | 262                | لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | 30     |
| 237   | 262، 265، 267، 329 | وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | 31     |
| 245   | 134، 376           | مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    | 32     |
| 246   | 148                | أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | 33     |

| الآية | الصفحة             | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | الصفحة |
|-------|--------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
|       |                    | كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ                                                                                        |        |
| 247   | 147                | وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ   | 34     |
| 254   | 384                | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ                                                                                                                                                                         | 35     |
| 261   | 133، 134، 403، 404 | مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سِنْعٌ سِنَابِلٌ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ                                                                                                                                                   | 36     |
| 262   | 135                | الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ                                                                                                                                                             | 37     |
| 264   | 139، 406           | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ | 38     |
| 265   | 137، 139، 407      | وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَشْيِينًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَنَّةٍ بَرْنَوْهَ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ                                                                                                                                                                          | 39     |

| الآية | الصفحة                                      | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
|-------|---------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |                                             | فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| 267   | 40، 477                                     | 40. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ                                                                                                                                |
| 268   | 39، 410، 413                                | 41. الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                        |
| 271   | 479، 480، 483                               | 42. إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ                                                                                                                                                                                                         |
| 272   | 25، 483، 483                                | 43. لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ                                                                                                                                                   |
| 273   | 25، 487                                     | 44. لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ                                                                                                                      |
| 275   | 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318 | 45. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ |
| 276   | 309، 318                                    | 46. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |

| الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | الصفحة                  | ٢  |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------|----|
| 320, 319, 451, 450, 352, 341                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                         |    |
| 277                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 323                     | 47 |
| إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ<br>هَٰمْ أَخْرَجَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |                         |    |
| 278                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 325, 324                | 48 |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ<br>مُؤْمِنِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |                         |    |
| 279                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 325, 324, 328, 326, 331 | 49 |
| فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ<br>رُغُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |                         |    |
| 280                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 329, 324                | 50 |
| وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ<br>كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |                         |    |
| 281                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 330                     | 51 |
| وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ<br>وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |                         |    |
| 282                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 355                     | 52 |
| يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَحَدٍ مُّسَمًّى فَاسْتَشِيرُوا<br>وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا<br>عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا<br>يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا<br>أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا<br>شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ<br>تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا |                         |    |

| الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | الصفحة | الآية | الصفحة |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|-------|--------|
| الأخرى وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبَهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ |        |       |        |
| وَأَنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكُنُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                  | 365    | 283   | 53     |
| لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | 367    | 284   | 54     |
| آل عمران                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |        |       |        |
| إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | 180    | 10    | 55     |
| رِئَیَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُمَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ                                                                                                                                                                                                                                                                      | 182    | 14    | 56     |
| قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 185    | 15    | 57     |

| الآية | الصفحة        | ٢                                                                                                                                                                                                                                           |
|-------|---------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |               | وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ                                                                                                                                                                                                              |
| 16    | 416           | 58. الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ                                                                                                                                      |
| 17    | 416           | 59. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ<br>بِالْأَشْحَارِ                                                                                                                                   |
| 92    | 134، 476، 493 | 60. لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ<br>اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ                                                                                                                |
| 130   | 333، 337، 341 | 61. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ<br>لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ                                                                                                             |
| 131   | 338           | 62. وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ                                                                                                                                                                                    |
| 132   | 338           | 63. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ                                                                                                                                                                                |
| 133   | 416           | 64. وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ<br>أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ                                                                                                                   |
| 134   | 416           | 65. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ<br>عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ                                                                                           |
| 135   | 255           | 66. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ<br>فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى<br>مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ                   |
| 144   | 4             | 67. وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ<br>قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ<br>اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ |
| 172   | 37            | 68. الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ                                                                                                                                            |

| الآية  | الصفحة |                                                                                                                                                                                                                                                                         |
|--------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|        |        | أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ                                                                                                                                                                                                                           |
| 173    | 38     | 69. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ                                                                                                             |
| 174    | 36, 40 | 70. فَاتَّقُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ وَفَضْلِ اللَّهِ وَفَضْلِ اللَّهِ دُو فَضْلِ عَظِيمٍ                                                                                                                                                                                  |
| 180    | 42     | 71. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمِمَّا بَخَلُوا هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ |
| 185    | 31     | 72. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ                                                       |
| 186    | 31     | 73. لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ                                      |
| 187    | 103    | 74. وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُمُوهُ فَتَبْدُوهُ زَوَّاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيِّنَ مَا يَشْتَرُونَ                                                              |
| النساء |        |                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 1      | 219    | 75. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا      |

| الآية | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               | الصفحة                  |
|-------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------|
| 76    | 2      | وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا                                                                                                                                                                                                                   | 171، 221، 222، 233، 238 |
| 77    | 3      | وَإِنْ حِفْظُهُمْ إِلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ حِفْظُهُمْ إِلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ إِلَّا تَعْمَلُوا                                                                                                                                          | 223                     |
| 78    | 4      | وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا                                                                                                                                                                                                                                                            | 238، 240، 243، 247      |
| 79    | 5      | وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا                                                                                                                                                                                                                             | 33                      |
| 80    | 6      | وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا | 33، 225، 212، 228، 233  |
| 81    | 7      | لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا                                                                                                                                                                                             | 20                      |
| 82    | 8      | وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا                                                                                                                                                                                                                                              | 209                     |
| 83    | 9      | وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا                                                                                                                                                                                                                                      | 210                     |
| 84    | 10     | إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ                                                                                                                                                                                                                                                                                     | 211، 233                |

| الآية | الصفحة                       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|-------|------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |                              | نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| 85    | 212، 213، 352، 353، 354، 356 | يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا                                                                       |
| 86    | 215، 350، 357                | وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَا أُمْرَأَةٍ وَلَهُ أَحٌّ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ |
| 87    | 215                          | تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| 88    | 215                          | وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 89    | 255                          | وَاللَّاتِ يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |

| الآية | الصفحة            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
|-------|-------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |                   | مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُمْ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا                                                                                                                                                                                                                                                                  |
| 19    | 251، 253، 256     | 90 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُبُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا                                                            |
| 20    | 251، 264          | 91 وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا                                                                                                                                                                                                                       |
| 21    | 262، 264          | 92 وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 22    | 255               | 93 وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 24    | 74، 241، 242، 243 | 94 وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا |
| 25    | 74، 75، 76        | 95 وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّحِدَاتٍ                                                  |

| الآية | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           | الصفحة            |
|-------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------|
|       |        | أَخَذَانِ فَإِذَا أَحْصَيْنَا فَإِنْ أَتَيْنَا بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ                                                                                                                                                                      |                   |
| 96    | 29     | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعًا بَيْنَ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا                                                                                                                                                                                         | 34، 286، 287      |
| 97    | 33     | وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا                                                                                                                                                                                                          | 216               |
| 98    | 34     | الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَفْسٍ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَحَافُونَ نُسُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا | 77                |
| 99    | 36     | وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا                                                                              | 439               |
| 100   | 37     | الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا                                                                                                                                                                                                                                        | 42، 439، 441، 466 |
| 101   | 38     | وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا                                                                                                                                                                                                                         | 439               |

| الآية   | الصفحة   | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|---------|----------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 39      | 443      | 102. وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 40      | 439      | 103. إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
| 73      | 38       | 104. وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 144     | 422      | 105. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا                                                                                                                                                                                                                                                  |
| 160     | 346      | 106. فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 161     | 346      | 107. وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا                                                                                                                                                                                                                                                                       |
| 176     | 219، 216 | 108. يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلُوكَانِ إِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ |
| المائدة |          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| 2       | 39       | 109. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ النَّبِيِّاتِ الْحَرَامَ بَيْنَعُونَ فُضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ                                                                                                                         |

| الآية | الصفحة | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|-------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |        | صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوْا وَتَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ                                                                                                                                                                                                                                             |
| 12    | 381    | 110 وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ |
| 38    | 79     | 111 وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
| 39    | 80     | 112 فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
| 66    | 81، 90 | 113 وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ                                                                                                                                                                                                                       |
| 95    | 96     | 114 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ                                         |
| 106   | 83     | 115 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |

| الآية   | الصفحة        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
|---------|---------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|         |               | حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُفْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نُشْرِي بِهِ عَنْكُمْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنْآ إِذَا لَمِنَ الْآتِيَيْنِ                            |
| 107     | 83            | 116. فَإِنْ غَيْرَ عَلَى أَنَّهَآ اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ فَيُفْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ                                                                                                                         |
| 108     | 83            | 117. ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ                                                                                                                                                                                      |
| الأنعام |               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 31      | 88            | 118. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ                                                                                                                                                          |
| 151     | 88، 85        | 119. قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ |
| 152     | 233، 234، 296 | 120. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا                                                                                                                                                                                               |

| الآية   | الصفحة | ٢                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
|---------|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|         |        | فُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ دَا قُرْبَىٰ وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ                                                                                                                                                                                           |
| 153     | 233    | 121. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ                                                                                                                                                    |
| الأعراف |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 28      | 255    | 122. وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ                                                                                                                              |
| 29      | 255    | 123. قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ                                                                                                                                                                      |
| 30      | 255    | 124. فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ                                                                                                                                                     |
| 43      | 403    | 125. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأُنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَبْلُغُمُ الْجَنَّةَ أُورِثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ |
| 80      |        | 126. وَلَوْ طَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ                                                                                                                                                                                                       |
| 96      | 81     | 127. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ                                                                                                                                         |
| الأنفال |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 1       | 421    | 128. يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ                                                                                                                                                                                                                          |

| الآية  | الصفحة        | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|--------|---------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|        |               | وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 129    | 420، 421      | إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ                                                                                                                                                                                  |
| 130    | 420، 423      | الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمُوتُونَ زَكَاتُهُمْ يُنْفِقُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| 131    | 420، 421، 422 | أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                     |
| 132    | 101           | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                                                       |
| 133    | 101           | وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَخْرٌ عَظِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                       |
| التوبة |               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 134    | 104، 108      | قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ |
| 135    | 43            | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ حَفِظْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ                                                                                                              |
| 136    | 442           | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصْلُحُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ                                                                   |

| الآية | الصفحة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | الآية | الصفحة        |
|-------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|---------------|
| 137.  | يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ<br>وَوُجُوهُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَلَوْ قُوتُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ                                                                                                                                                                        | 35    | 442           |
| 138.  | قُلْ أَتَقِفُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا<br>فَاسِقِينَ                                                                                                                                                                                                                                                   | 53    | 450           |
| 139.  | وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ<br>وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ<br>كَارِهُونَ                                                                                                                                               | 54    | 450           |
| 140.  | فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي<br>الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ                                                                                                                                                                                 | 55    | 109، 451، 453 |
| 141.  | وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ                                                                                                                                                                                                                                                        | 56    | 452           |
| 142.  | وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ<br>سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ                                                                                                                                                                                   | 59    | 44            |
| 143.  | الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ<br>وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ<br>الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ                                                                                                                                  | 67    | 453           |
| 144.  | وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ<br>فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ                                                                                                                                                                                           | 68    | 453           |
| 145.  | كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا<br>فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ<br>مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةُ<br>أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ | 69    | 112، 116      |

| الآية | الصفحة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | الآية | الصفحة          |
|-------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|-----------------|
| 146   | يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ | 74    | 116، 45         |
| 147   | وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 75    | 453، 45         |
| 148   | فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | 76    | 453، 45<br>454  |
| 149   | فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ                                                                                                                                                                                                                                                            | 77    | 453، 454<br>455 |
| 150   | أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَغْلِبُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ                                                                                                                                                                                                                                                                                            | 78    | 456             |
| 151   | اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ                                                                                                                                                                       | 80    | 462             |
| 152   | وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ                                                                                                                                                                                                                                | 86    | 457، 459        |
| 153   | رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                     | 87    | 457             |
| 154   | إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ                                                                                                                                                                                                                      | 93    | 458، 459        |

| الآية | الصفحة | الآية    | الصفحة |
|-------|--------|----------|--------|
| 155   | 111    | 424      | 155    |
| 156   | 117    | 132      | 156    |
| يونس  |        |          |        |
| 157   | 52     | 91       | 157    |
| 158   | 84     | 26       | 158    |
| 159   | 88     | 119، 122 | 159    |
| 160   | 89     | 119، 121 | 160    |
| يوسف  |        |          |        |
| 161   | 20     | 300      | 161    |
| 162   | 23     | 313      | 162    |

| الآية | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                                                           |
|-------|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|       |        | الطَّالِمُونَ                                                                                                                                                                                                   |
| 163   | 32     | قَالَتْ قَدْ لَبِئْتُ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْخَرَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ                                |
| 164   | 53     | وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ                                                                                           |
| 165   | 54     | وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ                                                                                  |
| 166   | 55     | قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ                                                                                                                                               |
| 167   | 82     | وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ                                                                                                         |
| 168   | 88     | فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَعْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ |
| 169   | 98     | قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ                                                                                                                                      |
| 170   | 111    | لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ            |
| الرعد |        |                                                                                                                                                                                                                 |
| 171   | 19     | أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ                                                                                 |
| 172   | 20     | الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ                                                                                                                                            |

| الآية   | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                                                                          | الصفحة |
|---------|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 173     | 22     | وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ                       | 424    |
| 174     | 26     | اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَّحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ                                                                              | 185    |
| إبراهيم |        |                                                                                                                                                                                                                                |        |
| 175     | 31     | قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْعِ فِيهِ وَلَا جِلَالٌ                                                | 385    |
| 176     | 32     | اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ | 385    |
| الحجر   |        |                                                                                                                                                                                                                                |        |
| 177     | 88     | لَا تُمَدِّدْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ                                                                                              | 186    |
| النحل   |        |                                                                                                                                                                                                                                |        |
| 178     | 1      | أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ                                                                                                                                           | 95     |
| 179     | 14     | وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ                 | 46     |
| 180     | 67     | وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ                                                                                         | 238    |

| الآية   | الصفحة  | الآية                                                                                                                                                                                                                                             | الصفحة |
|---------|---------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 75      | 94      | 181. ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ                   |        |
| 112     | 95, 66  | 182. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ                    |        |
| الإسراء |         |                                                                                                                                                                                                                                                   |        |
| 12      | 147, 48 | 183. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُودَا آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فُضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَا تَفْصِيلًا |        |
| 22      | 294     | 184. لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا                                                                                                                                                                     |        |
| 23      | 293     | 185. وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا           |        |
| 31      | 86      | 186. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِلَهُكُمْ إِنَّكُمْ تَقْتُلُهُمْ وَإِنَّا لَنَرُّهُمْ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ                                                                                                                          |        |
| 32      | 255     | 187. وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا                                                                                                                                                                          |        |
| 34      | 295     | 188. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا                                                                                          |        |
| 35      | 293     | 189. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا                                                                                                                               |        |

| الآية | الصفحة        | الآية | الصفحة                                                                                                                                         |
|-------|---------------|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 39    | 294           | 190   | دَلِكْ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْهُورًا   |
| 40    | 160           | 191   | أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا                       |
| 52    | 387           | 192   | يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا                                                    |
| 81    | 397           | 193   | وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا                                                                      |
| السكف |               |       |                                                                                                                                                |
| 32    | 183، 152      | 194   | وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَّفْنَاهُ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا |
| 33    | 152           | 195   | كَانَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا                                         |
| 34    | 153، 152      | 196   | وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا                                      |
| 35    | 152، 154، 155 | 197   | وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا                                                     |
| 36    | 152، 154، 155 | 198   | وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا                                     |
| 37    | 155           | 199   | قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا                  |
| 38    | 155           | 200   | لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا                                                                                  |
| 39    | 155           | 201   | وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ                                                  |

| الآية                                                                                                                                                                       | الصفحة   | الآية | الصفحة |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|-------|--------|
| تَرِنَ أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا                                                                                                                                 |          |       |        |
| فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوَفِّيَنِي خَيْرًا مِّنْ حَسَنِكَ وَيُؤْتِيَنِي عَلَيْهَا حُسْبَانًا                                                                                  | 155      | 40    | 202    |
| مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا                                                                                                                                 |          |       |        |
| أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا                                                                                                             | 155      | 41    | 203    |
| وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا     | 155      | 42    | 204    |
| مريم                                                                                                                                                                        |          |       |        |
| أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنِي مَالًا وَوَلَدًا                                                                                               | 156      | 77    | 205    |
| أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا                                                                                                                | 157، 156 | 78    | 206    |
| كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًا                                                                                                          | 157      | 79    | 207    |
| وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا                                                                                                                                 | 158، 157 | 80    | 208    |
| طه                                                                                                                                                                          |          |       |        |
| إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ                                                                              | 174      | 74    | 209    |
| فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ                                                                                             | 188      | 78    | 210    |
| وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ            | 313      | 131   | 211    |
| الأنبياء                                                                                                                                                                    |          |       |        |
| وَمَا جَعَلْنَا لِإِسْرَءِيلَ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ                                                                                   | 397      | 34    | 212    |
| وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ | 309      | 47    | 213    |
| فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمِ بَعِيدُ                                                                                    | 328      | 109   | 214    |

| الآية    | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
|----------|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|          |        | مَا تُوعَدُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                              |
| الحج     |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 215      | 27     | 11<br>وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْتَبِ اللّٰهُ عَلَىٰ خُرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ                                                                 |
| 216      | 410    | 72<br>وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ مِن ذَٰلِكُمُ النَّارَ وَعَدَهَا اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ |
| المؤمنون |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 217      | 192    | 37<br>إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ                                                                                                                                                                                                  |
| 218      | 126    | 55<br>أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ                                                                                                                                                                                                                          |
| 219      | 126    | 56<br>نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ                                                                                                                                                                                                                                |
| النور    |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| 220      | 85     | 6<br>وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ                                                                                                                 |
| 221      | 48     | 32<br>وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ                                                                                                                    |
| 222      | 48     | 33<br>وَلَيْسَتَغْنِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللّٰهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا                    |

| الآية                                                                                                                                                                                                 | الصفحة | الآية | الصفحة |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|-------|--------|
| تُكْرِهُوا فَتَبَايَعُكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لِيَتَّبِعُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ          |        |       |        |
| الفرقان                                                                                                                                                                                               |        |       |        |
| وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا | 223    | 20    | 99     |
| الشعراء                                                                                                                                                                                               |        |       |        |
| قَالَ أَلَمْ تُرِيتْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ                                                                                                                        | 224    | 18    | 301    |
| أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ                                                                                                                                                | 225    | 181   | 298    |
| وَرَبُّو بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ                                                                                                                                                                   | 226    | 182   | 298    |
| وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ                                                                                                                      | 227    | 183   | 298    |
| وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ                                                                                                                                        | 228    | 184   | 298    |
| النمل                                                                                                                                                                                                 |        |       |        |
| إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ                                                                                                        | 229    | 4     | 182    |
| وَجَدْتُمُهَا وَاقُوتَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنَ ذَوْنِ اللَّهِ وَزَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ                                 | 230    | 24    | 182    |
| وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ                                                                                                                       | 231    | 54    | 255    |
| القصص                                                                                                                                                                                                 |        |       |        |
| قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ                                                                                                                               | 232    | 33    | 353    |
| الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ                                                                                                                                 | 233    | 52    | 425    |
| وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ                                                                                                    | 234    | 53    | 425    |

| الآية                                                                                                                                                                                                                    | الصفحة | الترتيب |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|---------|
| قِيلَ لِمُوسَى                                                                                                                                                                                                           |        |         |
| 235                                                                                                                                                                                                                      | 54     | 426-425 |
| أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ<br>وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ                                                                                     |        |         |
| 236                                                                                                                                                                                                                      | 57     | 189     |
| وَقَالُوا إِنَّا تَتَّبِعُ الْهْدَى مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُنْكُنْ لَهُمْ<br>حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ<br>أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ |        |         |
| 237                                                                                                                                                                                                                      | 58     | 18      |
| وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطْرًا مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ<br>تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ                                                             |        |         |
| 238                                                                                                                                                                                                                      | 60     | 188     |
| وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ<br>خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ                                                                                  |        |         |
| 239                                                                                                                                                                                                                      | 67     | 52      |
| فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ<br>الْمُفْلِحِينَ                                                                                                                                |        |         |
| 240                                                                                                                                                                                                                      | 68     | 53، 52  |
| وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ<br>وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ                                                                                               |        |         |
| 241                                                                                                                                                                                                                      | 69     | 53، 52  |
| وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ                                                                                                                                                             |        |         |
| 242                                                                                                                                                                                                                      | 70     | 54، 52  |
| وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ<br>وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ                                                                                                |        |         |
| 243                                                                                                                                                                                                                      | 73     | 51، 50  |
| وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ<br>فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ                                                                                      |        |         |
| 244                                                                                                                                                                                                                      | 77     | 357     |
| وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا<br>وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ                                     |        |         |

| ٢        | الآية                                                                                                                                                                                         | الصفحة |
|----------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
|          | اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ                                                                                                                                                            |        |
| العنكبوت |                                                                                                                                                                                               |        |
| 245      | وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَثُونَ الْقَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ                                                                         | 255    |
| 246      | وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ                                                              | 193    |
| الروم    |                                                                                                                                                                                               |        |
| 247      | وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْتِاعُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ                                                              | 54     |
| 248      | فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ                                           | 340    |
| 249      | وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرُبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَّكَاءٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ           | 340    |
| 250      | اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْيِنُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ | 58     |
| 251      | ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ                                                      | 18     |
| لقمان    |                                                                                                                                                                                               |        |
| 252      | وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهِ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ                      | 4      |
| السجدة   |                                                                                                                                                                                               |        |

| الآية   | الصفحة                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | الآية | الصفحة |
|---------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|--------|
| 253     | إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               | 15    | 426    |
| 254     | تَتَخَفَى حُنُوتُهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | 16    | 426    |
| الأحزاب |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |       |        |
| 255     | يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | 30    | 252    |
| 256     | يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّائِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّائِي هَاجَزْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا | 50    | 243    |
| سبا     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |       |        |
| 257     | ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 17    | 396    |
| 258     | وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | 35    | 179    |
| فاطر    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |       |        |
| 259     | وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ نَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ                                                                                                                                                                                                                                                                                              | 12    | 55     |

| الآية  | الصفحة | الآية                                                                                                                                                                        |
|--------|--------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|        |        | تَشْكُرُونَ                                                                                                                                                                  |
| 260    | 29     | إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ جِزَاةً لَّن تَبُورَ                      |
| 261    | 30     | لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَرِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ                                                                                               |
| يس     |        |                                                                                                                                                                              |
| 262    | 82     | إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ                                                                                                     |
| الصفات |        |                                                                                                                                                                              |
| 263    | 153    | أَصْطَلَى الْبَنَاتِ عَلَى النَّبِيِّ                                                                                                                                        |
| 264    | 154    | مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ                                                                                                                                                |
| ص      |        |                                                                                                                                                                              |
| 265    | 32     | فَقَالَ إِنِّي أَخَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ                                                                                     |
| الزمر  |        |                                                                                                                                                                              |
| 266    | 53     | قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ |
| غافر   |        |                                                                                                                                                                              |
| 267    | 60     | وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ                                             |
| الشورى |        |                                                                                                                                                                              |
| 268    | 17     | اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ                                                                       |
| 269    | 26     | وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ                                                                                         |

| الآية  | الصفحة | الآية                                                                                                                                                          |
|--------|--------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|        |        | وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ                                                                                                                         |
| 270    | 27     | وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ                 |
| 271    | 36     | فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَجْهِمْ يُتَوَكَّلُونَ         |
| 272    | 37     | وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ سُبُلَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ                                                                  |
| 273    | 38     | وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ                                  |
| 274    | 39     | وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ                                                                                                     |
| الزخرف |        |                                                                                                                                                                |
| 275    | 33     | وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سَفْهًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ |
| 276    | 34     | وَلِيُوقِعَهُمْ أُنُوبًا وَشُرُكًا عَلَيْهَا يَتَّكِنُونَ                                                                                                      |
| 277    | 35     | وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ                                                |
| 278    | 53     | فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ                                                               |
| 279    | 55     | فَلَمَّا أَسْفَوْا اتَّقَمْنَا مِنْهُم فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ                                                                                           |
| 280    | 72     | وَبَلَدِكَ الْخَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ                                                                                        |
| محمد   |        |                                                                                                                                                                |

| الآية    | الصفحة        | الآية | الصفحة                                                                                                                                                                                                                 |
|----------|---------------|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 12       | 164           | 281   | إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ |
| 36       | 195           | 282   | إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ                                                                                    |
| الفتح    |               |       |                                                                                                                                                                                                                        |
| 18       | 99            | 283   | لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا                                        |
| 19       | 99            | 284   | وَمَعَائِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا                                                                                                                                                 |
| ق        |               |       |                                                                                                                                                                                                                        |
| 22       | 444           | 285   | لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ خَدِيدٌ                                                                                                                      |
| 23       | 444           | 286   | وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ                                                                                                                                                                            |
| 24       | 28، 443       | 287   | أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ                                                                                                                                                                         |
| 25       | 28، 443       | 288   | مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ                                                                                                                                                                                   |
| 26       | 444، 443      | 289   | الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقَيْنَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ                                                                                                                                    |
| الذاريات |               |       |                                                                                                                                                                                                                        |
| 15       | 141، 140      | 290   | إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ                                                                                                                                                                             |
| 16       | 140           | 291   | أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ                                                                                                                                           |
| 19       | 140، 141، 142 | 292   | وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْزُومِ                                                                                                                                                                   |
| الطور    |               |       |                                                                                                                                                                                                                        |

| ٢      | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | الصفحة   |
|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 293    | يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا                                                                                                                                                                                                                                                                                      | 235      |
| النجم  |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |          |
| 294    | وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | 322      |
| الرحمن |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |          |
| 295    | وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ                                                                                                                                                                                                                                                                                       | 302، 304 |
| 296    | أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 302، 304 |
| 297    | وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ                                                                                                                                                                                                                                                                    | 302، 304 |
| الحديد |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |          |
| 298    | آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ<br>آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ                                                                                                                                                                             | 386      |
| 299    | وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ<br>وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ<br>أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا<br>وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ | 389      |
| 300    | مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ<br>كَرِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                     | 378، 389 |
| 301    | إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفْ<br>لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ                                                                                                                                                                                                          | 379      |
| 302    | اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ<br>وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ<br>ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ                                                      | 194      |

| الآية    | الصفحة |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
|----------|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|          |        | شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ<br>الْعُرُورِ                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 25       | 92     | 303. لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ<br>لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ<br>لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ                                                                                                             |
| 27       | 131    | 304. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ<br>الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً<br>ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا<br>حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ<br>فَاسِقُونَ |
| الحشر    |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 20       | 392    | 305. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ<br>الْقَائِمُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| الجمعة   |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 10       | 59     | 306. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ<br>وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ                                                                                                                                                                                                                                                            |
| المنافون |        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
| 8        | 116    | 307. يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ<br>الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ                                                                                                                                                                                                               |
| 9        | 392    | 308. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ<br>اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ                                                                                                                                                                                                                                                |

| الآية   | الصفحة             | الآية                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | الصفحة |
|---------|--------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 10      | 392                | وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ                                                                                                                                                                                                     | 309    |
| 11      | 392                | وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ                                                                                                                                                                                                                                                                                              | 310    |
| التغابن |                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |        |
| 15      | 394, 400, 124      | إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَخْرٌ عَظِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | 311    |
| 16      | 399, 400, 380, 401 | فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ                                                                                                                                                                                                                            | 312    |
| 17      | 380                | إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ خَلِيمٌ                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 313    |
| 18      | 380                | عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  | 314    |
| الطلاق  |                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |        |
| 1       | 252                | يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا | 315    |
| 6       | 269, 270, 271      | أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ لَكُمْ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمَا بَيْنَكُمَا بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرتُمْ فَسْتُرَضِعْ لَهُ أُخْرَى                                                           | 316    |
| 7       | 269, 273           | لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ بِمَا آتَاهُ                                                                                                                                                                                                                                                                                           | 317    |

| الآية   | الصفحة  | الآية                                                                                                     | الصفحة |
|---------|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
|         |         | اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا         |        |
| القلم   |         |                                                                                                           |        |
| 12      | 28      | مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ                                                                        | 318    |
| المعارج |         |                                                                                                           |        |
| 19      | 142، 29 | إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا                                                                        | 319    |
| 20      | 142، 29 | إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا                                                                           | 320    |
| 21      | 142، 29 | وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا                                                                        | 321    |
| 22      | 145     | إِلَّا الْمُصَلِّينَ                                                                                      | 322    |
| 23      | 142     | الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ                                                               | 323    |
| 24      | 142     | وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ                                                            | 324    |
| 25      | 142     | لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ                                                                                | 325    |
| 35      | 143     | أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ                                                                       | 326    |
| نوح     |         |                                                                                                           |        |
| 21      | 125     | قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَرِذْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا | 327    |
| الجن    |         |                                                                                                           |        |
| 9       | 133     | وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سِهَابًا رَصَدًا | 328    |
| المزمل  |         |                                                                                                           |        |
| 1       | 382، 61 | يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ                                                                                  | 329    |
| 2       | 382، 61 | فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا                                                                            | 330    |

| الآية    | الصفحة      |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|----------|-------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 3        | 382، 61     | 331. نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
| 4        | 382، 61     | 332. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
| 20       | 61، 62، 382 | 333. إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ آخِرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ |
| المدثر   |             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| 11       | 164، 165    | 334. ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
| 12       | 164، 165    | 335. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 13       | 164، 165    | 336. وَبَيْنَ شُهُودًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 14       | 164، 165    | 337. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 15       | 164، 165    | 338. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 16       | 164، 165    | 339. سَمَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| 17       | 164، 165    | 340. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
| الإنسان  |             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| 8        | 373         | 341. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             |
| الإنفطار |             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |

| الآية    | الصفحة                                                                                                  | الآية | الصفحة            |
|----------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|-------------------|
| 342      | وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ                                                                         | 10    | 308               |
| 343      | كِرَامًا كَاتِبِينَ                                                                                     | 11    | 308               |
| المطففين |                                                                                                         |       |                   |
| 344      | وَنِجَالٍ لِّلْمُطَفِّفِينَ                                                                             | 1     | 306، 308          |
| 345      | الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ                                                | 2     | 306               |
| 346      | وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ                                                         | 3     | 306               |
| 347      | أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ                                                          | 4     | 306، 308، 309     |
| 348      | لِيَوْمٍ عَظِيمٍ                                                                                        | 5     | 306، 308، 309     |
| 349      | يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ                                                           | 6     | 306، 308          |
| الفجر    |                                                                                                         |       |                   |
| 350      | فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ | 15    | 167               |
| 351      | وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ                     | 16    | 167               |
| 352      | كَذَٰلِكَ بَلَّ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ                                                              | 17    | 18، 101، 166، 233 |
| 353      | وَلَا تَخَاضِثُوا عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ                                                            | 18    | 18، 101، 166      |
| 354      | وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا                                                                | 19    | 168               |
| 355      | وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا                                                                     | 20    | 168               |
| الليل    |                                                                                                         |       |                   |

| الآية    | الصفحة     |                                                   |
|----------|------------|---------------------------------------------------|
| 1        | 145        | 356 وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى                     |
| 2        | 145        | 357 وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى                   |
| 3        | 145        | 358 وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى            |
| 4        | 145        | 359 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى                      |
| 5        | 145, 147   | 360 فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى               |
| 6        | 145        | 361 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى                        |
| 7        | 145        | 362 فَسَبِّسْهُ لِلْيُسْرَى                       |
| الضحى    |            |                                                   |
| 9        | 218        | 363 فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ            |
| العلق    |            |                                                   |
| 6        | 18         | 364 كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ |
| 7        | 18         | 365 أَلَمْ يَرَأْهُ اسْتَغْنَى                    |
| العاديات |            |                                                   |
| 8        | 28, 29, 30 | 366 وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ         |
| الهمزة   |            |                                                   |
| 1        | 169        | 367 وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزٍ لُمَزَةٌ                |
| 2        | 169        | 368 الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ             |
| 3        | 169        | 369 يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ             |
| 4        | 169        | 370 كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ          |
| 5        | 169        | 371 وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ               |
| 6        | 169        | 372 نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ                  |
| 7        | 169        | 373 الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْافْتِدَى           |

| الآية   | الصفحة             |                                              |
|---------|--------------------|----------------------------------------------|
| 8       | 169                | 374 إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ         |
| 9       | 169                | 375 فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ                   |
| الماعون |                    |                                              |
| 1       | 134                | 376 أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ  |
| 2       | 134                | 377 فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَسِيمَ       |
| 3       | 175، 234           | 378 وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ  |
| 4       | 175، 176، 234، 177 | 379 قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ                    |
| 5       | 234                | 380 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ |
| 6       | 234                | 381 الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ                |
| 7       | 234                | 382 وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ                |

الأحاديث الواردة في البحث

| رقم | الحديث                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    | الصفحة |
|-----|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 1   | أُبْعَضُ الْحَلَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    | 262    |
| 2   | أَنَا أَوَّلُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ فَمَنْ تَرَكَ دِينًا فَعَلَيْ قَضَائِهِ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرِثَتِهِ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | 349    |
| 3   | أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ تَأْمُلُ الْعِيشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | 134    |
| 4   | إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَعَاقِبَتُهُ إِلَى قِلٍّ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | 322    |
| 5   | إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَتَهُ وَيَعْمَلُ اللَّهُ فِيهِ بِحَقِّهِ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بَنِيَّتُهُ، فَأَجْرُهَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَتَهُ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. | 19     |
| 6   | إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ بَغِيرِ طَهْوَرٍ، وَلَا صَدَقَةَ مِنْ غُلُولٍ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           | 45     |
| 7   | إِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَإِنْ فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | 127    |
| 8   | أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | 220    |
| 9   | تَهَادُوا تَحَابُّوا.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     | 242    |
| 10  | حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ مَعْطِيَةٍ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | 18     |
| 11  | الْحَرَاثُ صِلَاحُ الْبَيْتِ وَالْإِمَاءُ هَلَكَ الْبَيْتُ.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               | 77     |
| 12  | رَبِّ زِدْ أُمَّتِي " قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قَالَ: "رَبِّ زِدْ أُمَّتِي" قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ).                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                | 137    |

|    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |           |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| 13 | عليك بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        | 32        |
| 14 | فبأي وأمي هو، ما كهربي.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | 220       |
| 15 | قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية، وأنتم تقرؤونها: "من بعد وصية يوصي بها أو دين."                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               | 351       |
| 16 | كاد الفقر أن يكون كفرا.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | 17        |
| 17 | كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُصَلِّي على رجل مات وعليه دين، فَأُتِيَ بِمَيْتٍ فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم - أعليه دينٌ قالوا: نعم دينارانِ قال: صَلُّوا على صاحبكم. فقال أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه: هُما عليّ يا رسول الله. قال: فَصَلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا أولى بكُلِّ مؤمنٍ من نفسه فمن ترك ديناً فعَلَيَّ قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته. | 349       |
| 18 | كيف تأمر بالعمرة قبل الحج والله يقول: "وأتموا الحج والعمرة؟" فقال: كيف تقرؤون؟ إن الدين قبل الوصية أو الوصية قبل الدين؟ قالوا: الوصية قبل الدين، قال: فبأيهما تبدؤون؟ قالوا: بالدين، قال: فهو ذلك.                                                                                                                                                                                                                               | 351 - 352 |
| 19 | "لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم". وقال عليه السلام: "تصدقوا على أهل الأديان"                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | 384       |
| 20 | لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار                                                                                                                                                                                                                                                                                               | 19        |
| 21 | لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَاسْلَطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.                                                                                                                                                                                                                                                     | 370       |
| 22 | لا يدخل الجنة صاحب مكس.                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          | 301       |

|    |                                                                                                                                                                                                                                                                        |     |
|----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| 23 | لما قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحبِّ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: (ويلٌ للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك. قال القراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.                                                                                    | 308 |
| 24 | ما تركت لأهلك؟ قال رضي الله عنه: تركت لهم الله ورسوله.                                                                                                                                                                                                                 | 137 |
| 25 | المسُّ ممُّ الأرنب.                                                                                                                                                                                                                                                    | 319 |
| 26 | ملعون ملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله                                                                                                                                                                                                                            | 189 |
| 27 | من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صَغُرَ عَظِماً وعَظُمَ صَغِيراً.                                                                                                                                                                         | 187 |
| 28 | - من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل.                                                                                                                            | 45  |
| 29 | مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، وَمَنْ جاء بالسيئة فجزاءه سيئة أو أغفر وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِرَاتِقِرْتِ مِنْهُ باعاً باعاً، وَمَنْ أَتَانِي بِمِشْيِ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً... الخ                                                                         | 339 |
| 30 | من لم يشكر الناس لم يشكر الله)                                                                                                                                                                                                                                         | 4   |
| 31 | نعم المال الصالح للرجل الصالح                                                                                                                                                                                                                                          | 32  |
| 32 | وإنَّ كُلَّ رِبَا كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وإنَّ الله قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبَا يُوضَعُ رِبَا العباس بن عبدالمطلب. لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون.                                                                                                  | 315 |
| 33 | وروي "أنه عليه الصلاة والسلام وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فقال لهم: لقد أُعْطِيتُمْ سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع." | 187 |

الأبيات الواردة في البحث

|     |                                |                                      |             |
|-----|--------------------------------|--------------------------------------|-------------|
| 1.  | الباذلوالنفس بذل الزاد يوم قرى | والصائئوالعرض صون الجار والحرم       | 400         |
| 2.  | أئنسى يوم تصقل عارضيهـا        | بعودبشامة سُقي البشام                | 433         |
| 3.  | أحاذرالفقر أن يُلِمَّ بها      | فيهتك الستـر عن لحم على وضم          | 88          |
| 4.  | أحلَّت دمي من غير جرم وحرمت    | بلا سبب يوم اللقاء كلامي (من الطويل) | 355         |
| 5.  | أحشى فظا ظـة عمٍّ أو جفاء أخ   | وكنـت أحشى عليها من أذى الكلم        | 88          |
| 6.  | إذا كان لما يتبع الذم ربه      | فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا          | 169         |
| 7.  | إذا نذرتُ بنتي حين تنذني       | فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم            | 88          |
| 8.  | إذا قيتك عن شحط نكاشرتني       | وإن تغيبـت كنت الهمز اللمزة          | 172         |
| 9.  | إذا ما يرى يومًا مكارم أعرضت   | تيمم كبراهن ثمَّت صمما               | 116         |
| 10. | إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة   | تقاضاها شيء لا يمل التقاضيا          | 249         |
| 11. | إذا نزل الأضياف كان عذورا      | على الحَيِّ حتى تستقلَّ مراجله       | 464         |
| 12. | إذا يساور قرنا لا يحمل له      | أن يترك القرن وهو مجدول              | 248         |
| 13. | أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى  | عقيلة مال الفاحش المتشدد             | 411\412     |
| 14. | أقلب فيه أحفاني كأني           | أعد بها على الدهر الذنوبا            | 244<br>467\ |
| 15. | ألا يا لقومي للجديد المصّرمي   | وللحلم بعد الزلة المتوهم             | 301         |
| 16. | إن الصنعة لا تكون صنعة         | حتى يصاب بها طريق المصنع             | 466         |
| 17. | إن لنا أحمره عجافا             | ياكلن كل ليلة عكافا                  | 443         |
| 18. | إنما أنت والد والأب القا       | طع أحنى من واصل الأولاد              | 196         |
| 19. | أودى بني وأعقبوني حسرة         | بعد الرقاد وعبرة لا تقلع             | 456         |

|     |                                 |                               |     |
|-----|---------------------------------|-------------------------------|-----|
| 20. | تدلي بودي إذا لاقتني كذبا       | وإن أغيب فأنت الهامز اللزمة   | 172 |
| 21. | ترى الأرض منّا بالفضاء مريضة    | معضلة منّا بجمع عرمرم         | 260 |
| 22. | تتمتع يا مشعث إن شيئا           | سبقت به الممات هو المتاع      | 186 |
| 23. | تهوى حياتي وأهوى موتهاشفقاً     | والموت أكرم نزال على الحرم    | 88  |
| 24. | ثارت عديا والخطيم ولم أضع       | ولاية أشياخ جعلت إزاءها       | 182 |
| 25. | رمتني بسهم ريشه الهدب لم<br>يصب | بظاهر جسمي وهو في القلب جارج  | 430 |
| 26. | سأشكر عمر إن تدانت منيتي        | أيادي لم تمن وإن هي جلت       | 214 |
| 27. | سمح البديهة ليس بمسك لفظه       | فكانما ألفاظه من ماله         | 400 |
| 28. | فإن كنت سيدنا فسدنا             | وإن كنت للخال فاذهب فخل       | 437 |
| 29. | فإنما أمهات الناس أوعية         | مستودعات وللآباء أبناء        | 278 |
| 30. | فتى تم فيه ما يسر صديقه         | على أن فيه ما يسوء الأعدا     | 325 |
| 31. | فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة     | ولاشبعة إن نالها عد مغنما     | 115 |
| 32. | فتى غير محجوب الغنى عن صديقه    | ولامظهر الشكوى إذا النعل زلت  | 214 |
| 33. | فليس الرزق عن طلب حثيث          | ولكن ألق دلوك في الدلاء       |     |
| 34. | فذلك إن يهلك فحسني ثناءه        | وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً | 116 |
| 35. | فليس الذي حللته بمحلل           | وليس الذي حرمة بجرام          | 355 |
| 36. | لأصبحن العاص وابن العاصي        | سبعين ألفاعا قدي النواصي      | 457 |
| 37. | لجب يظل به الفضاء معضلاً        | يدع الإكام كأثم صحارى         | 260 |
| 38. | لوالفلك الدوار أبغضت سعيه       | لعوقه شيء عن الدوران          | 249 |
| 39. | ليس يعطيك للرجاء والخوف         | ف ولكن يلد طعم العطاء         | 135 |
| 40. | متى كان الخيم بذي طلوح          | سقيت الغيث أيتها الخيام       | 433 |

|     |                               |                                 |     |
|-----|-------------------------------|---------------------------------|-----|
| 41. | من يلق يوماعلى علاته هرما     | يلق السماحة فيه والندى خلقا     | 375 |
| 42. | نزلتم منزل الأضياف منّا       | فعبّجنا القرى أن تشتمونا        | 218 |
| 43. | نخبّت من الأعمار ما لو حوته   | لهنت الدنيا بأنك خالد           | 399 |
| 44. | وأحناء سرج قاتر ولبامه        | عُناد أخي هيجا وطرفاً مسؤماً    | 116 |
| 45. | وتصبح عن غب السرى وكأفها      | ألم بها من طائف الجن أولق       | 319 |
| 46. | وصدر أراح الليل عازب هم       | تضاعف فيه الحزن من كل جانب      | 431 |
| 47. | وفي كل أسواق العراق إتاوة     | وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم     | 301 |
| 48. | ولله صعلوك يساور همّه         | ويعضي على الأحداث والدهر مقدما  | 115 |
| 49. | ومال المال والأهلون إلا ودائع | ولا بد يوماً أن ترد الودائع     | 390 |
| 50. | ومن مالى عينيه شئ غير         | إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى | 249 |
| 51. | يا شاة ما قنص لمن حلت له      | حرمت علي وليتها لم تحرم         | 248 |
| 52. | يرى رُحمه ونبله ويحبه         | وذا شطب غضب الضريبة مخذما       | 116 |
| 53. | يعينك مظلوما وينجيك ظالما     | وكلّ الضي حَمَلته فهو حامله     | 464 |

الأعلام المترجم لهم في البحث

| رقم | الاسم                     | الصفحة |
|-----|---------------------------|--------|
| 1   | إسحاق بن خلف              | 88     |
| 2   | ابن بَرِي                 | 466    |
| 3   | البغوي                    | 31     |
| 4   | البلاذري                  | 31     |
| 5   | جابر بن حنّي التغلبي      | 298    |
| 6   | ابن جزّي                  | 246    |
| 7   | أبوجعفر بن الزبير         | 310    |
| 8   | الحسن                     | 473    |
| 9   | الخطابي                   | 299    |
| 10  | الخوارزمي                 | 399    |
| 11  | زياد الأعجم               | 172    |
| 12  | زينب ابنة الطثرية         | 464    |
| 13  | صفى الدين الحلبي          | 399    |
| 14  | العبدّي                   | 437    |
| 15  | عطاء                      | 473    |
| 16  | عمر بن أبي ربيعة المخزومي | 249    |
| 17  | كثير عزة                  | 430    |
| 18  | الليث بن سعد              | 456    |
| 19  | المراغي                   | 104    |
| 20  | النابغة الذبياني          | 431    |
| 21  |                           |        |

## قائمة المصادر والمراجع الكامل

### 1- القرآن الحكيم

2- ابن الأثير: ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد، المتوفى 637هـ، الكتاب: (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) المحقق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الناشر: دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.

3- أحمد بن حنبل رحمه الله: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) الكتاب: (مسند الإمام أحمد بن حنبل) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

4- إسماعيل حقي: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلقي المولى أبو الفداء (المتوفى 1127هـ)، الكتاب: (تفسير روح البيان) الناشر: دار الفكر - بيروت.

5- ابن أبي الإصبع: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ) الكتاب: (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

6- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) الكتاب: (تفسير الراغب الأصفهاني) المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 1، جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية 113 من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، دار النشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 2، جزء 4، 5: (من الآية 114 من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2001 م عدد الأجزاء: 2.

7-الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: 1270هـ) الكتاب: (روح

المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

8-الباقلائي: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلائي المالكي

(المتوفى: 403هـ) الكتاب: (الانتصار للقرآن)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة الناشر: دار الفتح

- عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001 م

9-البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بن مغيرة أبو عبد الله البخاري الجعفي

الكتاب (1): التاريخ الكبير المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله

(المتوفى: 256هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد

المعبد خان عدد الأجزاء: 8

الكتاب (2): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =

(صحيح البخاري) بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن

السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ

الكتاب (3):-(الأدب المفرد) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، 1989م، الناشر: دار

البشائر الإسلامية - بيروت

10 -البزار: (أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار

المتوفى: 292هـ) الكتاب: (مسند البزار المشهور باسم "البحر الزخار") المحقق: محفوظ الرحمن زين الله،

(حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق

الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت

1988م، وانتهت 2009م)

11- البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510 هـ) - اختلف في سن وفاته - فقد كُتب سن وفاته في كتابه "شرح السنة" 516 هـ. والله أعلم.

الكتاب (1): (معالم التنزيل في تفسير القرآن) = (تفسير البغوي) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 1420 هـ

الكتاب (2): (شرح السنة) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، 1403 هـ - 1983 م عدد الأجزاء: 15

12- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885 هـ) الكتاب: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

13- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685 هـ) الكتاب: (تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418

14- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ) الكتاب (1): (السنن الكبرى للبيهقي)، المحقق: محمد عبد القادر عطاء الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

الكتاب (2): (شعب الإيمان) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وأشرف على تحقيقه وتخرج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م عدد الأجزاء: 14 (13)، ومجلد للفهارس

15- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (المتوفى 271 هـ)، الكتاب: (سنن الترمذي رحمه الله تعالى) تحقيق وتعليق: محمد شاكر، ج 1، 2، ومحمد فؤاد

- عبدالباقي، ج3، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ج4، 5، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ - 1975م.
- 16- التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: 283هـ)، الكتاب: (تفسير التستري) جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة
- 17- التفتازاني: مسعود بن عمر الملقب بـ "سعد التفتازاني: المتوفى 791 هـ الكتاب: (مختصر المعاني للفتازاني) الناشر: قديمي كتب خانه مقابل آرام باغ كراتشي، باكستان سنة الطباعة: 1359 هـ
- 18- الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) الكتاب: (تفسير
- 19- الثعالبي= الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- 20- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى 427هـ) الكتاب: (تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى: 1422هـ.
- 21- الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) الكتاب: (دلائل الإعجاز)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م
- 22- الجصاص الرازي: أحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، المتوفى سنة 370هـ كتاب: ال(أحكام القرآن)، المحقق: محمد صادق القمحاوي عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر، دار أحياء التراث العربي - بيروت

23 - أبو جعفر الغرناطي: الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي

الغرناطي 627 . 708 هـ الكتاب: (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه

اللفظ من أي التنزيل) دار النشر: دار الكتب العلمية . بيروت

24- جلال الدين المحلي: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864 هـ) الكتاب: (تفسير

الجلالين) (المؤلف للنصف الأول من التفسير)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى،

(جزء واحد)

25- الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي

الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405 هـ) الكتاب: (المستدرك على الصحيحين)،

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 -

1990

26- ابن حبان: (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي،

البستي (المتوفى: 354 هـ) الكتاب: (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) ترتيب: الأمير علاء

الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط

الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م

27- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852 هـ)

الكتاب: (تقريب التهذيب) المحقق: محمد عوامة الناشر: دار الرشيد - سوريا الطبعة: الأولى،

1406 - 1986 م

28- حسام الدين: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر الملقب بـ "حسام الدين" من فقهاء فرغانة (من

بلاد آسيا الوسطى) (المتوفى: 644 هـ) الكتاب: (الحسامي) (في أصول الفقه الحنفي) الناشر: المكتبة

الحقانية (ملتان، باكستان) 1322 هـ

- 29- أبو حفص: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى سنة 775 هـ) الكتاب: (اللباب في علوم الكتاب)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد عوض. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى سنة 1419 هـ 1998 م
- 30- الحموي: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي (المتوفى: 837 هـ) الكتاب: (خزانة الأدب وغاية الأرب) المحقق: عصام شقيو الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار - بيروت الطبعة الأخيرة 2004 م
- 31- أبو حيان: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745 هـ) الكتاب: (البحر المحيط) (تفسير القرآن الحكيم) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 م
- 32- الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، (المتوفى: 741 هـ) الكتاب: (لباب التأويل في معاني التنزيل)، المحقق: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ
- 33- الخرائطي (أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاعر الخرائطي السامري (المتوفى: 327 هـ) الكتاب: (مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها) تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحري الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م
- 34- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُستي المعروف بالخطابي (المتوفى 388 هـ) الكتاب: (غريب الحديث للخطابي)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، وخرج أحاديثه عبد القيوم عبد ربّ النبي. الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1402 هـ - 1982 م
- 35- الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي المتوفى 1069 هـ، (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي) (المسماة: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي) دار النشر: دار صادر، بيروت

- 36 - ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) الكتاب: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت،
- 37-أبو داؤد السجستاني: (أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) الكتاب: (سنن أبي داود)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م
- 38-أبو داؤد الطيالسي (أبو داود سليمان بن داود بن الحارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ) الكتاب: (مسند أبي داود الطيالسي) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر - مصر الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م عدد الأجزاء: 4
- 39-درويش: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ) الكتاب: (إعراب القرآن وبيانه) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، 1415 هـ
- 40-ابن دريد: أبوبكر محمد بن الحسن بن بن دريد الأزدي، المتوفى 321هـ، الكتاب: (جوهرة اللغة) المحقق رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - ط أولى 1987م،
- 41-الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) الكتاب: (سير أعلام النبلاء) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م عدد الأجزاء: 25 (23 ومجلدان فهارس)
- 42 -الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الكتاب: (التفسير الكبير = مفاتيح الغيب) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

43- ابن راهويه: (أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: 238هـ) الكتاب: (مسند إسحاق بن راهويه) المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق

البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1412 - 1991

44- الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الكتاب: (معاني

القرآن وإعرابه للزجاج) الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م

45- الزحيلي: دكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي،

الكتاب (1): (التفسير المنير للزحيلي) = (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) الناشر: دار الفكر

المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، 1418 هـ

الكتاب (2): (تفسير الوسيط للزحيلي) الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

46- الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى 794هـ، الكتاب:

(البرهان في علوم القرآن للزركشي)، المحقق: أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى 1376 هـ -

1957م، الناشر: دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ثم صوّرته، دار المعرفة،

بيروت - لبنان بنفس ترقيم الصفحات،

47- الزوزني: (حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، أبو عبد الله (المتوفى: 486هـ) الكتاب: (شرح

المعلقات السبع) الناشر: دار أحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1423 هـ - 2002 م

48- أبوزهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) الكتاب: زهرة

التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي

49 - ابن سعد: الكتاب ("الطبقات الكبرى") القسم المتتم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم. المؤلف:

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى:

230هـ) المحقق: زياد محمد منصور الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الثانية،

1408

50- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الكتاب: (تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، بتحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحي. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 2000م، مصدر الكتاب: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

51- أبو السعود: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الكتاب: (تفسير أبي السعود، = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

52- السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ) الكتاب: (مفتاح العلوم للسكاكي) ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرز. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م

53- السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، الكتاب: (تفسير القرآن للسمعاني)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م

54- سيد قطب: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الكتاب: (في ظلال القرآن) الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ

55- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) الكتاب (1): (تفسير الجلالين)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، (جزء واحد)

الكتاب (2): (الإتقان في علوم القرآن) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ / 1974 م

56- الشاشي: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: 344هـ) الكتاب: (أصول الشاشي) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت

57- الشافعي: الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) الكتاب: (مسند الإمام الشافعي)،

رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (المتوفى: 745هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل، الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م

58- الشهاب: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي المتوفى 1069هـ، (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي) (المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) دار النشر: دار صادر، بيروت

59- ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي (المتوفى: 235هـ) الكتاب: (المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة) المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض. الطبعة: الأولى، 1409

60- الشيخ علوان: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، الكتاب: (الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية)، الناشر: دار ركايا للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م

61- الشيزري: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزري (المتوفى: 584هـ) الكتاب: (البديع في نقد الشعر)، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة.

62- صديق حسن خان: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ) الكتاب: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: 1412 هـ - 1992 م

63-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) الكتاب: الوافي

بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام

النشر: 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 29

64-الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:

360هـ) الكتاب: (المعجم الأوسط)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن

إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: 10

65-الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (234-310هـ)

الكتاب: (جامع البيان في تأويل القرآن للطبري = تفسير ابن جرير الطبري) بتحقيق أحمد محمد شاكر،

الطبعة الأولى 1430هـ 2000م)، المطبوع في موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

الناشر: مؤسسة الرسالة

66-الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري

المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) الكتاب: (شرح معاني الآثار للطحاوي)، حققه وقدم له:

(محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه

وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية. الناشر: عالم

الكتب، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م

67- طرفة بن العبد : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي

(المتوفى: 564 م) الكتاب: ديوان طرفة بن العبد

المحقق: مهدي محمد ناصر الدين

الناشر: دار الكتب العلمية

الطبعة: الثالثة، 1423 هـ - 2002 م

عدد الأجزاء: 1

68-الطنطاوي: محمد سيد الطنطاوي، الكتاب: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم للطنطاوي) الناشر:

دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة،

69- عادل: الأستاذ الدكتور عادل محمد محمد الأكرت أستاذ البلاغة بجامع الأزهر الشريف القاهرة م،

الكتاب: (أسلوب القصر قاعدة وتطبيقاً)

70- ابن عباس: عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ) الكتاب: (تنوير المقياس من

تفسير ابن عباس)، ينسب إلى الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه. جمعه:

مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) الناشر: دار الكتب العلمية -

لبنان، تاريخ الطبع ليس مكتوباً عليه.

71- أبو عبيدة: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المتوفى 209هـ، الكتاب: (محارز القرآن)،

المحقق: فواد سركين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة 1381هـ.

72- ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي المتوفى

سنة 1224هـ، الكتاب: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) المحقق: أحمد عبد الله القرشي

رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: 1419 هـ

73 - ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)

الكتاب: (تاريخ دمشق) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهرس)

74- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي،

(المتوفى: 542هـ) الكتاب: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، المحقق: عبد السلام عبد

الشافعي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

75- العكبري: (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، المتوفى:

616هـ)،

الكتاب (1): (التيبان في إعراب القرآن) المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي

وشركاه،

الكتاب (2): (شرح ديوان المتنبي) المحقق: مصطفى السقاء/إبراهيم الأياري/عبد الحفيظ شلي، الناشر: دار المعرفة - بيروت

76-عمر: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الكتاب: (مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين). (رتبه أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي المتوفي: 774هـ)، المحقق: عبدالمعطي قلعجي. دار النشر: دار الوفاء- المنصورة الطبعة الأولى.

77 -القاضي الجرجاني: (أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفي: 392هـ) الكتاب: (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البحوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

78-ابن قتيبة: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي 276هـ، الكتاب (1): (تأويل مشكل القرآن)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

الكتاب (2): (الشعر والشعراء) الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423 هـ، عدد الأجزاء: 2

79- القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف ب"خطيب دمشق" (المتوفي: 739هـ)

الكتاب (1): (الإيضاح في علوم البلاغة) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة،

الكتاب (2): (تلخيص المفتاح) المطبوع في مطبعة سعيد ام ايچ كمبني أدب منزل كراتشي - باكستان 80- القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري، (المتوفي: 454هـ)

الكتاب (3): (مسند الشهاب) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1986 م، عدد الأجزاء: 2

81- ابن قيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)

الكتاب: (التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت. الطبعة: الأولى - 1410 هـ

82- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)

الكتاب: (تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم)

83 - الكتاني: أبو المظفر مؤيد الدولة محمد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ

الكتاني الكلبي الشيزري (المتوفى: 584هـ) الكتاب: (البدیع فی نقد الشعر)، بتحقيق: الدكتور أحمد

أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى الناشر: الجمهورية العربية

المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، عدد الأجزاء:

1، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ -

1999 م

84- الكيا الهراسي: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا

الهراسي الشافعي المتوفى: 504هـ، الكتاب: (أحكام القرآن)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد

عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الثانية، 1405 هـ

85- لبید : لبید بن ربیعہ بن مالک، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ)

الكتاب: ديوان لبید بن ربیعہ العامري

اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة

الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م

عدد الأجزاء: 1

86-الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) الكتاب: (تفسير

الماتريدي= تأويلات أهل السنة) المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،

لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م،

87-ابن ماجة: وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ) الكتاب:

(سنن ابن ماجة) (بتحقيق: الأرئوط) المحقق: شعيب الأرئوط - عادل مرشد - محمد كامل قره

بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م

88-مالك: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) الكتاب:

(موطأ مالك) (برواية محمد بن الحسن الشيباني-رحمهما الله-) تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد

اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيدَة منقحة

89-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي،

(المتوفى 450هـ) الكتاب: (تفسير الماوردي = النكت والعيون) المحقق: السيد بن عبدالمقصود بن

عبدالرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

90-ابن المبارك:(أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى:

181هـ)، الكتاب: (الزهد والرقائق) لابن المبارك، (ويليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ فِي نُسخَتِهِ زَائِدًا

عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر:

دار الكتب العلمية - بيروت

91- عبدالمعتال الصعيدي المتوفى 1391هـ، الكتاب: (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم

البلاغة)، الناشر: مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر 1426هـ - 2005م.

92 -المتنبي:(الشاعر المعروف أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي

الكندي الكوفي المولد، ولد سنة 303 هـ،نسب إلى قبيلة كندة نتيحة لولادته بحي تلك القبيلة في

الكوفة لانتماء لهم. وفاته: قتل في سنة 354 هـ قرب النعمانية وهو في طريقه إلى الكوفة.

الكتاب: (ديوان المتنبي)، طبعته المكتبة الرحمانية الواقعة في شارع غزني بـلاهور باكستان.

93- محمود: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ) الكتاب: (الجدول في إعراب القرآن

وصرفه) الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ

94- المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار

العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا

للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة سنة 1371 هـ = 1952م،

الكتاب: (تفسير المراغي) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة:

الأولى، 1365 هـ - 1946 م

95- المرتضى الزبيدي: (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي

(المتوفى: 1205هـ) الكتاب: (تاج العروس من جواهر القاموس) المحقق: مجموعة من المحققين،

الناشر: دار الهداية

96- المرزباني: (الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: 384 هـ) الكتاب: (معجم

الشعراء) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1402 هـ - 1982 م

97- مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) الكتاب:

(صحيح مسلم) (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

98- ابن المعتز: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي

(المتوفى: 296هـ)

الكتاب (1): (البديع في البديع لابن المعتز) الناشر: دار الجيل، الطبعة: الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م

الكتاب (2): (طبقات الشعراء) المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: الثالثة.

99-مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150 هـ) الكتاب: (تفسيرمقاتل بن سليمان) المحقق: عبد الله محمود شحاته، (ط. دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى 2003 م)

100 -المقدس: المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: 643 هـ) الكتاب: (الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما) دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ - 2000 م

101- مكّي بن أبي طالب: أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437 هـ) الكتاب: (الهداية إلى بلوغ النهاية) = (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجل من فنون علومه) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

102-أبومنصور الثعالبي: (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي) (المتوفى: 429 هـ) الكتاب: (أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة الحسين التجارية - القاهرة

103- ابن منظور: (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الكتاب: (لسان العرب) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة -

1414هـ

104- النحاس: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، المتوفى 338هـ، الكتاب: (إعراب القرآن للنحاس)، وضع حواشيه وعلّق عليه عبدالمعظم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1421هـ

105- النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) الكتاب: (السنن الصغرى للنسائي = المجتبى من السنن)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

106- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى سنة 710هـ) الكتاب: (تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التاويل) الناشر: دارالكلم الطيب، بيروت. الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.

107- النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفى 733هـ، الكتاب: (نهایة الأرب في فنون الأدب) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، الطبعة الأولى 1432هـ

108- الواحدي: (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) الكتاب: (شرح ديوان المتنبي). لم يكتب عليه اسم المطبعة ولا تاريخ الطباعة.

109- ابن هشام: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ) الكتاب: (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، 1985م

- 110- أبوهلال العسكري: أبو هلال الحسين بن عبدالله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى 395هـ) الكتاب: (الصناعتين) المحقق: علي محمد البجادي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ
- 111- ولي الله: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (المتوفى: 1176هـ)
- الكتاب (1): (حجة الله البالغة) المحقق: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان
- الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1426 هـ - 2005 م
- الكتاب (2): (الفوز الكبير في أصول التفسير) عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، الناشر: دار الصحوة - القاهرة، الطبعة الثانية: 1407هـ - 1986م
- 112 - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ) الكتاب: س (مسند أبي يعلى) المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984م، عدد الأجزاء: 13

## فهرس المضامين

### Table of Contents

|                                                                                       |    |
|---------------------------------------------------------------------------------------|----|
| الإهداء.....                                                                          | 3  |
| الشكر والامتنان.....                                                                  | 4  |
| مقدمة.....                                                                            | 6  |
| التمهيد: (علاقة المال بحياة الإنسان).....                                             | 12 |
| علاقة المال بحياة الإنسان.....                                                        | 13 |
| البابُ الأوّل.....                                                                    | 16 |
| الفصل الأوّل: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال.....                  | 17 |
| المبحث الأوّل: - من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال بتسميته " خيرا " . | 18 |
| الآية الأولى التي سُمّي المال فيها " خيرا " :.....                                    | 18 |
| الآية الثانية :.....                                                                  | 19 |
| الآية الثالثة:.....                                                                   | 19 |
| الآية الرابعة:.....                                                                   | 20 |
| بلاغة السياق :.....                                                                   | 20 |
| الآية الخامسة :.....                                                                  | 20 |
| والسادسة من الآيات التي سُمّي المال فيها " خيرا " :.....                              | 21 |
| الآية السابعة التي سُمّي المال فيها " خيرا " :.....                                   | 22 |
| والآية الثامنة :.....                                                                 | 23 |
| والآية العاشرة قوله تعالى:.....                                                       | 24 |
| " مَنْعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنْ يُسْمِعَ " <sup>(١)</sup> .....                     | 24 |
| و الآية الحادية عشرة.....                                                             | 24 |
| والآية الثانية عشرة التي سُمّي القرآن الحكيم المال فيها " خيرا " قوله تعالى:.....     | 25 |

|    |                                                                                         |
|----|-----------------------------------------------------------------------------------------|
| 25 | ..... خلاصة هذا المبحث :                                                                |
|    | المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في الدلالة على أهمية المال بتسميته "فضلا من الله" |
| 27 | .....                                                                                   |
| 27 | ..... الآية الأولى :                                                                    |
| 28 | ..... والآية الثانية                                                                    |
| 29 | ..... والآية الثالثة:                                                                   |
| 29 | ..... والآية الرابعة:                                                                   |
| 30 | ..... والآية الخامسة :                                                                  |
| 32 | ..... والآية السادسة :                                                                  |
| 32 | ..... والآية السابعة :                                                                  |
| 33 | ..... والآية الثامنة :                                                                  |
| 34 | ..... والآية التاسعة :                                                                  |
| 34 | ..... والآيات: العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة                                      |
| 36 | ..... والآية الثالث عشرة :                                                              |
| 37 | ..... بلاغة السياق:                                                                     |
| 38 | ..... والآية الرابع عشرة :                                                              |
| 38 | ..... والآيتان: الخامس عشرة والسادس عشرة:                                               |
| 39 | ..... بلاغة السياق:                                                                     |
| 40 | ..... والآية السابع عشرة :                                                              |
| 44 | ..... والآية الثامن عشرة :                                                              |
| 45 | ..... والآية التاسع عشرة :                                                              |
| 47 | ..... بلاغة فصل هذه الآية عما قبلها:                                                    |
| 48 | ..... والآية العشرون:                                                                   |
| 49 | ..... والآية الحادية والعشرون :                                                         |

|    |                                                                     |
|----|---------------------------------------------------------------------|
| 50 | ..... بلاغة السياق:                                                 |
| 50 | ..... شئ مزيد من توضيح بلاغة السياق:                                |
| 50 | ..... والآية الثانية والعشرون                                       |
| 54 | ..... المبحث الثالث: بقية الآيات التي ببلاغتها تدل على أهمية المال: |
| 54 | ..... الآية الأولى                                                  |
| 55 | ..... والآية الثانية                                                |
| 56 | ..... بلاغة الأسلوب:                                                |
| 56 | ..... بلاغة السياق:                                                 |
| 57 | ..... والآية الثالثة                                                |
| 57 | ..... بلاغة السياق:                                                 |
| 59 | ..... والآية الرابعة:                                               |
| 60 | ..... والآية الخامسة                                                |
| 60 | ..... والآية السادسة                                                |
| 61 | ..... بلاغة السياق:                                                 |
| 62 | ..... بلاغة الأسلوب:                                                |
| 64 | ..... والآية السادسة                                                |
| 65 | ..... بلاغة السياق والأسلوب:                                        |
| 67 | ..... والآية السابعة                                                |
| 69 | ..... والآية الثامنة                                                |
| 71 | ..... والآية التاسعة                                                |
| 73 | ..... والآية العاشرة                                                |
| 74 | ..... والآيات: الحادية عشرة والثانية عشرة والثالث عشرة              |
| 77 | ..... والآية الرابع عشرة                                            |
| 77 | ..... والآية الخامس عشرة                                            |

|     |                                                                         |
|-----|-------------------------------------------------------------------------|
| 79  | والاية السادسة عشره                                                     |
| 81  | والآية السابع عشرة                                                      |
| 82  | والآية الثامن عشرة                                                      |
| 82  | والآية التاسع عشرة                                                      |
| 83  | والآية العشرون                                                          |
| 84  | والآية الحادية والعشرون                                                 |
| 86  | والآية الثانية والعشرون                                                 |
| 88  | والآية الثالث والعشرون                                                  |
| 88  | والآيتين الرابع والعشرون والخامس والعشرون:                              |
| 89  | والآية السادس والعشرون:                                                 |
| 91  | الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان ضرر المال على الإنسان      |
| 91  | الآية الأولى الدالة على ضرر المال:                                      |
| 91  | بلاغة السياق:                                                           |
| 92  | بلاغة الأسلوب:                                                          |
| 93  | والآية الثانية                                                          |
| 94  | بلاغة السياق:                                                           |
| 98  | والآية الثالثة:                                                         |
| 98  | بلاغة السياق:                                                           |
| 99  | بلاغة الأسلوب:                                                          |
| 101 | والآية الرابعة:                                                         |
| 101 | بلاغة السياق:                                                           |
| 101 | بلاغة الأسلوب:                                                          |
| 101 | السر البلاغي في استخدام باب الإستفعال (استمتعتم) بدلا منالتفعل(تمتعتم): |
| 104 | والآية الخامسة:                                                         |

|           |                                                                 |
|-----------|-----------------------------------------------------------------|
| 104.....  | بلاغة السياق:                                                   |
| 106.....  | والآية السادسة:                                                 |
| 107.....  | والآية السابعة:                                                 |
| 110.....  | والآية الثامنة:                                                 |
| 110.....  | بلاغة السياق/ أو الوصل:                                         |
| 111.....  | بلاغة الأسلوب:                                                  |
| 112.....  | والآية التاسعة:                                                 |
| 113.....  | والآية العاشرة:                                                 |
| 113.....  | والآية الحادية عشرة:                                            |
| 116 ..... | الفصل الثالث:                                                   |
| 117 ..... | المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الصحيحة |
| 117 ..... | إلى المال                                                       |
| 117.....  | الآيات الثلاث الأولى:                                           |
| 119.....  | الآية الرابعة:                                                  |
| 121.....  | تمثيل جميل لنتيجة وجهة النظر الصحيحة إلى المال وأجور أصحابها :- |
| 123.....  | الآية السادسة:                                                  |
| 123.....  | بلاغة الفصل بين هذه الآية وبين التي قبلها:                      |
| 125.....  | تمثيل آخر لأجورهم التي يستحقونها: -                             |
| 126.....  | بلاغة الوصل:                                                    |
| 127.....  | الآية الثامنة:                                                  |
| 127.....  | بلاغة السياق:                                                   |
| 128.....  | الآية التاسعة:                                                  |
| 128.....  | بلاغة السياق:                                                   |
| 129.....  | بلاغة الأسلوب:                                                  |

|           |                                                                            |
|-----------|----------------------------------------------------------------------------|
| 131.....  | والآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة:                               |
| 131.....  | الأسرار البلاغية في هذه الآيات:                                            |
| 134 ..... | المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان وجهة النظر الخاطئة إلى المال |
| 134.....  | الآية الأولى:                                                              |
| 134.....  | بلاغة السياق:                                                              |
| 135.....  | بلاغة الأسلوب:                                                             |
| 136.....  | الردُّ الأوَّل من النبيِّ عليه السلام:                                     |
| 136.....  | الردُّ الثاني:                                                             |
| 136.....  | الردُّ الثالث:                                                             |
| 136.....  | والآيات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة :                               |
| 140.....  | والآيتان السادسة والسابعة:                                                 |
| 142.....  | والآيتان الثامنة والتاسعة:                                                 |
| 143.....  | بلاغة الأسلوب:                                                             |
| 145.....  | والآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة:                               |
| 148.....  | الآية الثالث عشرة:                                                         |
| 149.....  | والآيات من الرابع عشرة إلى الحادية والعشرين:                               |
| 150.....  | والآيات من الثانية والعشرين إلى الخامس والعشرين:                           |
| 150.....  | بلاغة السياق:                                                              |
| 153.....  | والآيات من السادس والعشرين إلى الرابع والثلاثين:                           |
| 158.....  | والآيات من الخامس والثلاثين إلى الحادية والأربعين:                         |
| 159.....  | بلاغة الوصل في قوله تعالى (قَوْلًا لِلْمُصَلِّينَ). <sup>(١)</sup>         |
| 160.....  | قوله تعالى (وَيَتَمَتَّعُونَ الْمَاعُونِ). <sup>(٢)</sup>                  |
| 161 ..... | المبحث الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في علاج ضرر المال                    |

|          |                                                                              |
|----------|------------------------------------------------------------------------------|
| 161..... | الآية الأولى                                                                 |
| 161..... | بلاغة السياق:                                                                |
| 162..... | بلاغة الأسلوب:                                                               |
| 163..... | الآية الثانية                                                                |
| 163..... | بلاغة السياق:                                                                |
| 164..... | بلاغة الأسلوب:                                                               |
| 165..... | ما معنى القنطرة؟                                                             |
| 165..... | ما معنى "المقنطرة"؟                                                          |
| 166..... | الآية الثالثة                                                                |
| 167..... | الآية الرابعة                                                                |
| 168..... | بلاغة الوصل:                                                                 |
| 168..... | بلاغة الأسلوب:                                                               |
| 169..... | الآية الخامسة:                                                               |
| 169..... | الآية السادسة:                                                               |
| 170..... | الآية السابعة:                                                               |
| 171..... | الآيات الثامنة والتاسعة والعاشر في التزهيد:                                  |
| 173..... | الآية الحادية عشرة في التزهيد:                                               |
| 174..... | الآية الثانية عشرة:                                                          |
| 175..... | الآية الثالث عشرة:                                                           |
| 179..... | الباب الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق والمعاملات المالية |
| 180..... | الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الحقوق المالية             |
| 181..... | المبحث الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الميراث والوصية           |
| 181..... | الآيات الثلاث الأولى من آيات أحكام الوصية:                                   |
| 184..... | الآية الرابعة من آيات الميراث:                                               |

قال : (ويسألونك عن اليتامى) أي في ولايتهم لهم وعملهم في أموالهم وأكلهم منها ونحو  
 مما يعسر حصره، وأمره بالجواب بقوله: (قل إصلاح لهم) أي: من تركه، ولا يخفى الإصلاح  
 على ذي لب، فجمع بهذا الكلام اليسير المضبوط بضابط العقل - الذي أقامه حجة على خلقه - ما  
 لا يكاد يُعَدُّ، وفي قوله (لهم) ما يُشعر بالحب على تحضيضهم بالنظر في أحوالهم ولو أدَّى ذلك إلى  
 مشقة على الولي.<sup>(1)</sup>

والنكتة الثانية في قوله تعالى:

(وإن تخالطوهم فأخوانكم)، هذه جملة شرطية:

"إن" أداة الشرط، و(تخالطوهم) فعل الشرط، و(فأخوانكم) جواب الشرط.

ومن الظاهر أنَّ قوله: (فأخوانكم) لا يستقيم - من حيث المعنى الظاهر - أن يكون جواب  
 الشرط هنا إلا بتقدير.

فهو حقيقة علة لجواب الشرط المحذوف المقدر.

كما قال محيي الدين الدرويش في كتابه "إعراب القرآن وبيانه":

(فأخوانكم) الفاء رابطة لجواب الشرط. و(فأخوانكم) خبر لمبتدأ محذوف، أي: (فهم إخوانكم)  
 والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط. ولا بد من تقدير محذوف، أي: (فلكم ذلك) ثم علل ذلك  
 بقوله: (فهم إخوانكم)<sup>(2)</sup>

إذن يمكن أن يقال: في هذا الأسلوب بلاغة الإدماج ، ففي قوله تعالى: (فأخوانكم) أدمج  
 جواب الشرط في علته، وهذا من بلاغة الإيجاز للنظم الحكيم.

وإلى حكمة هذا الإدماج وبلاغته أشار أبو السعود رحمه الله تعالى، قال:

(وإن تخالطوهم) وتعاشرهم على وجه ينفعهم (فأخوانكم) أي فهم إخوانكم، أي: في الدين  
 الذي هو أقوى من العلاقة النسبية. ومن حقوق الأخوة ومواجهتها المخالطة بالإصلاح والنفع.<sup>(3)</sup>

1- نظم الدرر (266/3)

2- إعراب القرآن وبيانه (327/1)

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (220/1)

والنكتة الثالثة في قوله تعالى: (والله يعلم المفسد من المصلح) وأفادنا بها أيضاً الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى، قال:

العلم، بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد، و"من" لتضمينه معنى التمييز. أي: يعلم من يُفسد في أمورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطته الخيانة والإفساد مميّزاً له من يصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازي كلاً منهما بعمله. ففيه وعدٌ ووعد، خلا أن في تقدم "المفسد" مزيد تهديد وتأكيّد للوعد.<sup>(1)</sup>

والنكتة الرابعة: بلاغة التذييل في قوله تعالى:

(ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)

أفادنا ببلاغة هذا التذييل الإمام ابن عاشور رحمه الله تعالى،

قال: وقوله تعالى (ولو شاء الله لأعنتكم) تذييل لما دلّ عليه قوله تعالى:

(قل إصلاح لهم خير) والعنت: المشقة والصعوبة الشديدة.

أي: ولو شاء الله لكلفكم ما فيه العنت، وهو أن يُحرّم عليكم مخالطة اليتامى فتجدوا ذلك شاقاً عليكم وعنتاً، لأنّ تجنّب المرء مخالطة أقاربه من إخوة وأبناء عمّ ورؤيته إيّاهم مضیعة أمورهم لا يحفل بهم أحدٌ ويشتقّ على الناس في الجيلة.<sup>(2)</sup>  
وزاد ابن عاشور رحمه الله تعالى قائلاً:

وقوله تعالى (إن الله عزيز حكيم) تذييل لما اقتضاه شرط "لو" من الإمكان وامتناع الوقوع.

أي: إن الله عزيزٌ غالبٌ قادرٌ فلو شاء لكلفكم العنت. لكنه يَضَعُ الأشياء مواضعها فلذا لم يُكلفكموه.<sup>(3)</sup>

الآية الرابعة في بيان أحكام الإنفاق:

قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَسَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)<sup>(1)</sup>

1- المرجع نفسه

2- التحرير والتنوير (358/2)

3- المرجع نفسه

- 251..... السُرُّ في إضافة الأموال إلى ضمير المخاطبين:
- 252..... الآية الثانية في بيان أحكام المعاملات :
- 252..... السُرُّ في استخدام " إلا " مكان " لكن " :
- 254..... بلاغة الجمع بين الأموال والأنفس في النهي عن الجناية عليهما :
- 255..... الآية الثالثة في بيان أحكام المعاملات :
- 255..... بلاغة السياق :
- 258..... بلاغة فواصل الآي الثلاث : (رقم : 151، 152، 153) من سورة الأنعام .
- 261..... سرُّوصف القسطاس بـ(المستقيم) :
- 262..... الحكمة والبلاغة في تكرُّر الأمر بإيفاء الكيل والوزن في القرآن الحكيم:
- 264..... شيء من التحليل اللغوي في الآية الكريمة:
- 266..... السُرُّ في الإتيان بالخال (مُفْسِدِينَ) بعد قوله: (وَلَا تَغْتَوَا فِي الْأَرْضِ):
- 271..... سيِّئ آيات من سورة المطففين :
- 272..... مسائل الفخر الرازي في سورة المطففين :
- 272..... قال الفخر الرازي : (ويل للمطففين) والمراد الزجر عن التطفيف، وهو البخس في المكيال ...
- 272..... المسألة الأولى:
- 272..... المسألة الثانية:
- 274 ..... المبحث الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الدين والنهي عن الربا
- 275..... الآيتان الأوليان في ذمَّ آكلي الرباء:
- 275..... بلاغة السياق :
- 276..... بلاغة الأسلوب:
- 281..... السُرُّ البلاغي في قوله تعالى: (مَنْ الْمَسْرُ) :
- 287..... بلاغة الأسلوب:
- 288..... بلاغة "إن" الشرطية في قوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ):
- 288..... قال الزمخشري رحمه الله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) إن صحَّ إيمانكم يعني أنَّ دليل صحة الإيمان

|           |                                                                                                           |
|-----------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 290.....  | السري في تنكير "حرب" في قوله: (فأذنوا بحربٍ ...).                                                         |
| 290.....  | بلاغة "إن" في قوله تعالى: (وَإِنْ تُبْتُمْ ...).                                                          |
| 293.....  | بلاغة السياق والأسلوب:                                                                                    |
| 293.....  | بلاغة الأسلوب:                                                                                            |
| 297.....  | السري في قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) :                                                          |
| 300.....  | بلاغة السياق:                                                                                             |
| 305.....  | من بلاغة القرآن الحكيم في بيانه أحكام الديون :                                                            |
| 309.....  | السرايللغاي في ختم هذا المضمون بقوله (غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ ) |
| 311.....  | أطول آية في بيان أحكام الدين:                                                                             |
| 319.....  | مسألة الرهن :                                                                                             |
| 319.....  | الغرض من قوله تعالى: (وإن كنتم على سفر) :                                                                 |
| 320.....  | سر تسمية الدين أمانة:                                                                                     |
| 322 ..... | الباب الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في حديثه عن الإنفاق                                                  |
| 323 ..... | الفصل الأول: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أهمية الإنفاق والأمر به                                       |
| 323.....  | من الآيات الواردة في بيان أهمية الإنفاق قوله تعالى:                                                       |
| 325.....  | الآية الرابعة الدالة على أهمية الإنفاق:                                                                   |
| 327.....  | معنى قوله تعالى: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ):                                                        |
| 328.....  | الآية الخامسة الدالة على أهمية الإنفاق :                                                                  |
| 329.....  | الآية السادسة الدالة على أهمية الإنفاق :                                                                  |
| 330.....  | الآية السابعة في بيان أهمية الإنفاق :                                                                     |
| 332.....  | الآية الثامنة قوله تعالى:                                                                                 |
| 333.....  | الآية التاسعة في بيان أهمية الإنفاق:                                                                      |
| 333.....  | الآية العاشرة في بيان أهمية الإنفاق :                                                                     |
| 334.....  | بلاغة السياق والأسلوب:                                                                                    |

- 335..... الآية الحادية عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 336..... الآية الثانية عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 337..... الآية الثالث عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 339..... الآية الرابع عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 339..... بلاغة الوصل:
- 340..... السربلاغي في قوله تعالى(مَّمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ):
- 341..... الآية الخامس عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 344..... الآية السادس عشرة في بيان أهمية الإنفاق :
- 344..... بلاغة السياق:
- 345..... الآية السابع عشرة في أهمية الإنفاق :
- 351..... الآية الثامن عشرة في أهمية الإنفاق :
- 351..... وتمثيل جميل لأجر الإنفاق في سبيل الله:
- 353..... ثلاث آيات في بيان شرط قبول الصدقة واستحقاق الأجر عليه :
- 354..... تمثيل لحال المنافق الذي يبطل صدقته بالمن والأذى :
- 355..... تمثيل آخر لحال من ينفق ماله ابتغاء مرضات الله :
- 356..... بلاغة السياق:
- 357..... شرح هذا التمثيل عند الزمخشري:
- 357..... معنى قوله تعالى:(تَثْبِيْتًا) :
- 358..... الآية الثانية والعشرون في أهمية الإنفاق :
- 361..... الآية الثالث والعشرون في بيان أهمية الإنفاق :
- 361..... بلاغة السياق:
- 362..... الآيتان الرابع والعشرون والخامس والعشرون :
- 362..... بلاغة الأسلوب:
- 363..... الآيتان السادس والعشرون والسابع والعشرون في أهمية الإنفاق :

- 365..... الآية الثامن والعشرون في أهمية الإنفاق :
- 366..... مامعنى "النجوى"؟
- 367..... الآيات من التاسع والعشرين إلى الثانية والثلاثين في أهمية الإنفاق :
- 370..... الآيات من الرابع والثلاثين إلى السادس والثلاثين :
- 371..... بلاغة السياق :
- 372..... الآيات من السابع والثلاثين إلى التاسع والثلاثين في أهمية الإنفاق:
- 373..... الآيتان التاسعة والثلاثون والأربعون في أهمية الإنفاق :
- 373..... الآيتان الحادي والأربعون والثاني والأربعون في أهمية الإنفاق:
- 379 ..... الفصل الثاني: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم البخل والإمساك**
- 379..... ذمُّ البخلاء وبيانُ الوعيد لهم :
- 379..... الآيات الأربع في ذمِّ البخلاء :
- 379..... بلاغة السياق :
- 380..... بلاغة الأسلوب :
- 383..... الآية الخامسة في ذمِّ البخلاء:
- 384..... الآيتان السادسة والسابعة في ذمِّ البخلاء المتعبدین للمال :
- 385..... من المراد بـ(الَّذِينَ يَكْنِزُونَ)؟
- 385..... الآية الثامنة في ذمِّ البخل الممسك عن الإنفاق :
- 386..... بلاغة السياق :
- 387..... الآيات من التاسعة إلى الحادية عشرة في ذمِّ البخلاء الآمرين بالبخل :
- 391 ..... مبحث: من بلاغة القرآن الحكيم في ذم المنافقين بسبب بخلهم**
- 392..... الآية الثالثة في ذمِّ المنافقين بسبب بخلهم :
- 392..... الآية الرابعة في ذمِّ المنافقين بسبب بخلهم :
- 394..... الآيات من الخامسة إلى السابعة في ذمِّ المنافقين بسبب البخل :
- 397..... الآية التاسعة في ذمِّ المنافقين بسبب بخلهم :

|                              |                                                                       |
|------------------------------|-----------------------------------------------------------------------|
| 400.....                     | سبع آيات من العاشرة إلى السادس عشرة في ذمّ البخيل :                   |
| 401.....                     | الآيات الثمانية من السابع عشرة إلى الرابع والعشرين في الوعيد للبخيل : |
| <b>404</b> .....             | <b>الفصل الثالث: من بلاغة القرآن الحكيم في بيان أحكام الإنفاق</b>     |
| 404.....                     | الآية الأولى في بيان أحكام الإنفاق:                                   |
| 408.....                     | الآية الثانية في بيان أحكام الإنفاق :                                 |
| 409.....                     | الآية الثالثة في بيان أحكام الإنفاق :                                 |
| 411.....                     | الآية الرابعة في بيان أحكام الإنفاق:                                  |
| 412.....                     | بلاغة السياق :                                                        |
| 413.....                     | الآية الخامسة في بيان أحكام الإنفاق:                                  |
| 416.....                     | الآية السادسة في أحكام الإنفاق:                                       |
| 419.....                     | الآية السابعة في بيان أحكام الإنفاق :                                 |
| 420.....                     | أولاً: بلاغة السياق :                                                 |
| 420.....                     | خمس صفات لمستحقّي الصدقات :                                           |
| 420.....                     | الوصف الأول:                                                          |
| 421.....                     | الوصف الثاني:                                                         |
| 421.....                     | ما معنى "مِنْ" في قوله تعالى: (من التعفف)؟                            |
| 421.....                     | الوصف الثالث من أوصافهم: (تعرفهم بسيماهم)                             |
| 422.....                     | وصفهم الرابع: (لا يسألون الناس إلحافاً)                               |
| 424.....                     | بلاغة الذكر الحكيم وحكمته من ذكر جميع تلك الصفات لهؤلاء الفقراء:      |
| 425.....                     | بلاغة تذييل الآية الكريمة :                                           |
| 425.....                     | الآية الثامنة في بيان أحكام الإنفاق :                                 |
| 426.....                     | الآية التاسعة في بيان أحكام الإنفاق :                                 |
| 427.....                     | بلاغة تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ).     |
| Error! Bookmark not defined. | خلاصة البحث ونتائجه                                                   |

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| 433 | فهرس الآيات .....                   |
| 477 | الأحاديث الواردة في البحث .....     |
| 480 | الآيات الواردة في البحث .....       |
| 483 | الأعلام المترجم لهم في البحث .....  |
| 484 | قائمة المصادر والمراجع الكامل ..... |
| 503 | فهرس المضامين .....                 |